



مرکز تحقیقات و نشریات

اصفهان

گامی



الرحمن
علیهما صلی

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَنْهَاجُ الْبِرِّ

فَتْحٌ مُبْتَدِئٌ فِي الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِيرِ

الْعَالِمِ الْمُتَمَيِّزِ وَالْمُؤَلِّفِ الْمَشْهُورِ الْهَادِي

السُّيُوفِيِّ عَزَّ وَجَلَّ

الجزء السادس عشر

من مشوراته

الكتب الإسلامية

في مشورته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئي

ناشر چاپي:

المكتبة الاسلامية

ناشر ديڤيتالي:

مركز تحقيقات رايانه اي قائميه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٣	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ١٦
١٣	مشخصات كتاب
١٣	تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره
١٤	تتمه الخطبه السادسة و الثلاثون و المأتان
١٤	تتمه المعنى
١٤	فى شأن الحكمين و ذم أهل الشام
١٩	«كلام أبى موسى الأشعري لأهل الكوفه و نهيه إياهم عن نصره»
٢٦	«بحث كلامى»
٢٦	«نقل مسألتين من تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى علم الهدى»
٢٧	«لمسأله الأولى»
٢٧	«الجواب عن الشبهه الأولى»
٢٩	«الجواب عن الشبهه الثانية»
٣٠	«الجواب عن الشبهه الثالثة»
٣٠	«الجواب عن الشبهه الرابعة»
٣٠	«لمسأله الثانية»
٣١	«الجواب»
٣٢	هدايه و ارشاد
٤٥	«خاتمه فى كلمه صفيين»
٤٦	الترجمه
٤٩	و من خطبه له عليه السلام و هى الخطبه السابعه
٤٩	اشاره
٤٩	اللغه
٥٠	الاعراب

٥٠	المعنى
٥٠	إشارة
٥١	«عدة مواضع من النهج في أوصاف آل محمد صَلَّى الله عليه و آله»
٥٣	«البحث العقلي و التحقيق العلمى فى الامامة»
٥٣	إشارة
٥٩	كلام هشام بن الحكم فى عصمة الامام
٦٢	مسلك عقلى آخر فى أمر الامامة أيضا
٦٤	«عدم تأثير السحر و الشعبة و أمثالهما فى الحجج الإلهية»
٦٥	«لتمسك بايتين و خمسة أخبار فى الامام و صفاته»
٨٠	الحديث الأول
٨٢	الحديث الثانى
٨٣	الحديث الثالث
٨٦	الحديث الرابع
١٠٢	الحديث الخامس
١٠٦	تنبيه
١٠٧	«لكلام فى ان السنة وحدها لا تكون حجة إلا بقيم»
١١٤	«لاخبار المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام»
١١٨	احتجاج ثامن الائمة عليه السلام على المخالفين فى امر الإمامة
١٢٣	«للائمة بعد الرسول صَلَّى الله عليه و آله هم آله عليهم السلام لا غير»
١٢٥	«لإمام الأول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام»
١٣١	الاحاديث و الايات فى على عليه السلام
١٣١	الإمام الثانى و الثالث
١٣٢	الإمام الرابع
١٣٣	«كلام طنطاوى صاحب التفسير فى الصحيفة السجادية»
١٣٤	«كلام محبى الدين الاعرابى (او المغربى) فيه عليه السلام»
١٣٤	«كلام محمد بن طلحة الشافعى فيه عليه السلام»

- ١٥١ «الإمام الخامس»
- ١٥٤ الإمام السادس
- ١٥٤ «كلام المفيد فيه عليه السلام»
- ١٥٥ كلام كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي»
- ١٥٥ «كلام القاضي عبد الرحمن بن أحمد العضا الايجي»
- ١٥٦ «كلام الشيخ العارف محيي الدين الأعرابي او المغربي»
- ١٥٦ «كلام أبي يزيد البسطامي فيه عليه السلام»
- ١٥٦ «ما قال مؤلف تعقيب التقريب»
- ١٥٧ «ما قال فيه عليه السلام القاضي أحمد بن خلكان»
- ١٥٧ «كلام ابن قتيبة في علمه (عليه السلام) بالجفر»
- ١٥٨ «ذكر عدة ممن أخذوا عنه عليه السلام»
- ١٦٢ «الإمام السابع»
- ١٦٢ «ما قال الخطيب في تاريخ بغداد فيه عليه السلام»
- ١٦٢ «ما قال كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي»
- ١٦٣ «ما قال علي بن عيسى الاربلى صاحب كشف الغمة»
- ١٦٤ «كلام المحقق العلامة الخواجه نصير الدين الطوسي»
- ١٦٤ «الإمام الثامن»
- ١٦٦ «شعار أبي العلاء المعرى في جفر أهل البيت»
- ١٦٨ «الإمام التاسع»
- ١٧٤ «الإمام العاشر»
- ١٧٧ «الإمام الحادى عشر»
- ١٨٠ «الإمام الثانى عشر»
- ١٩٥ الترجمة
- ١٩٥ و من كلامه عليه السلام و هو المأتان و الثامن
- ١٩٥ إشارة
- ١٩٦ اللغة

- ١٩٧ الاعراب
- ١٩٨ المعنى
- ١٩٨ اشارة
- ٢٠٣ تنبيه
- ٢٠٣ الترجمة
- ٢٠٤ و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و التاسع
- ٢٠٤ اشارة
- ٢٠٤ اللغة
- ٢٠٥ الإعراب
- ٢٠٥ المعنى
- ٢١٢ الترجمة
- ٢١٣ باب المختار من كتب مولينا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله
- ٢١٣ اشارة
- ٢١٣ من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره اليهم من المدينة
- ٢١٣ اشارة
- ٢١٤ اللغة
- ٢١٤ اشارة
- ٢١٥ «بحث لغوى»
- ٢٢٠ الاعراب
- ٢٢٠ اشارة
- ٢٢١ نقل الكتاب على صورة اخرى
- ٢٢٢ المعنى
- ٢٢٢ اشارة
- ٢٢٢ الأحداث التي أحدثها عثمان
- ٢٢٢ اشارة
- ٢٢٢ قال المسعودى فى مروج الذهب

- ١ - ذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ----- ٢٢٢
- ٢ - اقتنى في أيامه جماعة من أصحابه الضياع و الدور منهم الزبير بن العوام ----- ٢٢٤
- ٣ - و كذلك طلحة بن عبيد الله التيمي ----- ٢٢٤
- ٤ - و كذلك عبد الزحمان بن عوف الزهري ----- ٢٢٤
- ٥ - و ابنتى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق ----- ٢٢٤
- ٦ - و قد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب ----- ٢٢٤
- ٧ - و ابنتى المقداد داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على أميال ----- ٢٢٤
- ٨ - و مات يعلى بن أمية و خلف خمسمائة ألف دينار ----- ٢٢٤
- اشارة ----- ٢٢٤
- «جواب القاضى عبد الجبار فى المغنى عن ذلك و اعتذاره منه» ----- ٢٢٦
- «اعتراض الشريف علم الهدى على القاضى» ----- ٢٢٧
- ٩ - و قدم على عثمان عمه الحكم بن أبى العاص و ابن عمه مروان ----- ٢٣٥
- اشارة ----- ٢٣٥
- «جواب القاضى عبد الجبار عن ذلك و اعتذاره منه» ----- ٢٣٧
- «اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه» ----- ٢٣٧
- ١٠ - ثم قال المسعودى: و كان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبه بن أبى معيط ----- ٢٤٠
- اشارة ----- ٢٤٠
- «اعتذار القاضى عبد الجبار من ذلك و جوابه عنه فى المغنى» ----- ٢٤٤
- «اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه» ----- ٢٤٥
- ١٣ - قال المسعودى فى مروج الذهب و غيره: و من ذلك ما نال عمار بن ياسر ----- ٢٥٢
- اشارة ----- ٢٥٢
- «جواب القاضى عبد الجبار و شيخه أبى على عن ذلك» ----- ٢٥٣
- «اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى عليه» ----- ٢٥٤
- ١٤ - قال المسعودى فى مروج الذهب: و من ذلك فعل الوليد بن عقبه فى ----- ٢٥٧
- ١٥ - و من ذلك قصة قتل الهرمزان ----- ٢٥٩
- اشارة ----- ٢٥٩

- ٢٦١ - «اعتذار القاضي عبد الجبار من تعطيل عثمان الحد الواجب»
- ٢٦٢ - «اعتراض علم الهدى على القاضي»
- ٢٦٣ - ١٦ - فى المجلد: و من قوادحه عمله بالتكبر و اظهاره لاعماله الجبابة
- ٢٦٤ - ١٧ - و فيه: و من قوادحه عيبهم إياه بأنه لم يحضر غزاة بدر
- ٢٦٤ - ١٨ - و فيه: و من قوادحه أن الصحابة أجمعهم أجمعوا على حربته لأجل
- ٢٦٥ - ١٩ - و فيه: و من قوادحه قصته المشهورة مع أهل مصر
- ٢٦٥ - ٢٠ - و منها - كما فى الامامة و السياسة لابن قتيبة الدينورى -: تركه
- ٢٦٥ - ٢١ - و فيه أيضا: إداره القطائع و الأرزاق
- ٢٦٥ - ٢٢ - و فيه أيضا: و ما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط
- ٢٦٥ - ٢٣ - فى المجلد: و من قوادحه إحراقه المصاحف
- ٢٦٥ - إشارة
- ٢٦٧ - «اعتذار القاضي عبد الجبار فى المغنى من ذلك»
- ٢٦٧ - «اعتراض الشريف المرتضى فى الشافى على القاضي»
- ٢٧١ - «التبيان فى عدم تحريف القرآن»
- ٢٧٤ - بيان
- ٢٨١ - «البیان فى ترتيب سور القرآن»
- ٢٨٣ - بيان
- ٢٩٠ - «البرهان على أن عثمان ما نقص من القرآن شيئا و ما زاد فيه»
- ٢٩٣ - «الكلام فى رسم خط القرآن»
- ٢٩٦ - «لما ذا يخالف رسم تلك الحروف القرآنية أصول رسم الخط؟»
- ٢٩٧ - «يقرأ القرآن على القراءات السبع المتواترة دون الشواذ»
- ٣٠١ - «عدد آى القرآن و حروفه»
- ٣٠٣ - «رسم النحو فى القرآن»
- ٣٠٤ - بيان
- ٣٠٤ - «رجم الأوهام و الأباطيل»
- ٣٠٥ - بيان

- ٣٠٨ ----- «تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن»
- ٣١٠ ----- «جری علی المحدث النوری ما جرى علی ابن شنبوذ»
- ٣١١ ----- «الله حافظ كتابه و متم نوره»
- ٣١٢ ----- «من نسب إلى الامامية القول بتحريف القرآن أنه»
- ٣١٣ ----- «كلام السيد الاجل ذی المجدين محیی آثار الأئمة علی بن الحسين»
- ٣١٥ ----- «فذلكة البحث»
- ٣١٨ ----- ٢٤ - و من ذلك أنه حمى الحمى عن المسلمين
- ٣١٨ ----- إشارة
- ٣١٨ ----- «اعتراض الشريف المرتضى عليه»
- ٣١٩ ----- ٢٥ - و من ذلك أنه أعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة
- ٣١٩ ----- ٢٦ - و من ذلك ما فعل بأبي ذر رحمه الله تعالى
- ٣١٩ ----- إشارة
- ٣٢٠ ----- «نفى عثمان أبا ذر من المدينة إلى الربذة و وفاته فيها»
- ٣٢٤ ----- «كلام أمير المؤمنين علی (عليه السلام) و الحسنين و عقيل لابی ذر رحمه الله»
- ٣٢٩ ----- «اعتذار القاضي عبد الجبار و شيخه أبا علی علی نفى أبا ذر»
- ٣٣٠ ----- «جواب الشريف المرتضى علم الهدى و اعتراضه»
- ٣٣٢ ----- «الكلام في اجتماع الناس و تذاكرهم أعمال عثمان»
- ٣٣٤ ----- «نصح أمير المؤمنين علی (عليه السلام) عثمان»
- ٣٤٠ ----- «تولية عثمان محمد بن أبا بكر علی مصر و ارساله»
- ٣٤٢ ----- «حصار أهل مصر و الكوفة و غيرهم عثمان»
- ٣٤٤ ----- «مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة»
- ٣٤٤ ----- «كلام عثمان في طلحة»
- ٣٤٧ ----- «نكار طلحة و الزبير علی عثمان»
- ٣٤٨ ----- «كان عمرو بن العاص شديد التحريض و التأليب علی عثمان»
- ٣٥٠ ----- بيان
- ٣٥٠ ----- «كلامه الاخر المخالف للأول الصريح في انه كان عبید الدنيا»

- ٣٥١ «كلام عائشة في عثمان و انكارها عليه»
- ٣٥٣ «قتل عثمان»
- ٣٥٦ «الموضع الذى دفن فيه عثمان»
- ٣٥٨ «تذكرة»
- ٣٥٨ «جواب القاضى عبد الجبار عن بعض ما قدمناه و اعتذاره منه»
- ٣٦١ «اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى على»
- ٣٦٧ «اعتراض القاضى عبد الجبار فى المغنى على الطاعنين»
- ٣٦٩ «اعتراض علم الهدى على هذه الكلمات»
- ٣٧٦ «بيعة طلحة و الزبير عليا (عليه السلام) و انهما أول من بايعه (عليه السلام)»
- ٣٧٨ «كلامه (عليه السلام) لما تخلف هؤلاء عن بيعته»
- ٣٨٠ «أول خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما بويع له بالخلافة»
- ٣٨٣ «التوفيق بين تلك الأقوال و وجه الجمع فيها»
- ٣٨٣ «لناكتان طلحة و الزبير و علّة نكتهما بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)»
- ٣٨٨ «خلاف عائشة على على (عليه السلام) و أطوار أحوالها و أقوالها فيه (عليه السلام) و فى عثمان»
- ٣٩١ بيان
- ٣٩٢ بيان
- ٣٩٥ «خروج عائشة و طلحة و الزبير و اتباعهم و اشياهم»
- ٣٩٧ «تحذير ام سلمة عائشة من الخروج و نصحتها لها طورا بعد»
- ٣٩٩ «خروج على (عليه السلام) إلى الربرة»
- ٤٠٠ «كتاب على (عليه السلام) إلى أهل الكوفة من الربرة»
- ٤٠٢ «نزول أمير المؤمنين عليه السلام ذا قار و كتابه إلى»
- ٤٠٢ «كتاب على عليه السلام إلى أبى موسى الأشعري ثانيا»
- ٤١٢ بيان
- ٤١٤ دربارہ مرکز

مشخصات كتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، 1268 - 1324ق.

عنوان و نام پديدآور: منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمي الخوئي؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجي.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، 13 -

مشخصات ظاهري: 20 ج.

شابک: 150 ريال (ج. 8)

يادداشت: عربي.

يادداشت: فهرستتويسي براساس جلد هشتم، 1386 ق. = 1344.

يادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علي بن ابي طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- كلمات قصار

موضوع: علي بن ابي طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق -- خطبه ها

موضوع: علي بن ابي طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- نامه ها

موضوع: علي بن ابي طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده: ميانجي، ابراهيم، 1292 - 1370، مصحح

شناسه افزوده: علي بن ابي طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندي کنگره: BP38/02 /خ 9 1300 ي

رده بندي ديوي: 297/9515

شماره کتابشناسي ملي: 199206

ص: 1

تممة الخطبة السادسة و الثلاثون و المأتان

تممة المعنى

فى شأن الحكمين و ذم أهل الشام

الحمد لله ملهم الصواب، و الصلاة على حججه الذين اوتوا الحكمة و فصل الخطاب، سيما على سيد الأنبياء محمد المصطفى، و أفضل الأوصياء علي المرتضى و بعد فهذا هو المجلد الثاني من «تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» فهو المجلد السادس عشر من المنهاج و نسأل الله تعالى التوفيق و السداد و الهداية إلى الخير و الرشاد.

قوله عليه السلام: (جفأة طعام عبيد اقزام) صدر كلامه بمذام أهل الشام تنفيرا عنهم أي هم قوم غلاظ الطبع قساة القلب افظاظ، و طعام اي هم اوغاد الناس و اراد لهم و الطعام كالطعام خلاف الهمام، و عبيد انما لم يذكر متعلق العبيد ليفيد التعميم و يذهب السامع إلى كل مذهب ممكن اي هم عبيد الدينار و عبيد الدنيا و عبيد النفس و الهوى.

وقيل: او لأن بعضهم لم يكونوا أحرارا و كانوا عبيدا حقيقة و حيث ان اللفظ مهمل يصدق بالبعض.

اقزام اي هم ارادل الناس و أدانيهم.

قوله عليه السلام: (جمعوا من كل أوب و تلقطوا من كل شوب) هاتان الجملتان كأنما تدلان على معنى واحد و مطلب فارد اي هم جمعوا من كل ناحية و تلقطوا من فرق مختلطة يعنى أنهم ليسوا بقوم أصيل بل تلقط بعضهم من ههنا و بعضهم من ههنا و فى الجملة الأخيرة إشارة لطيفة أيضا إلى أنهم أوباش الناس و أسقاطهم.

قوله عليه السلام: (ممن ينبغى أن يفقه و يؤدب و يعلم و يدرّب) يعنى أنهم قوم جهال بمعزل عن الكتاب و الدين فينبغى ان يفقهوا، و غير متأدبين باداب الحق و غير معتادين بالعبادات الجميلة من محاسن الأفعال و مكارم الأخلاق فينبغى ان يؤدّبوا أي

يَعْلَمُوا الْأَدَبَ وَيَدْرَبُوا أَى يَعْوَدُوا بِتِلْكَ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةِ.

وقرىء يذَرَّبُ بالذال المعجمة أيضا يقال ذَرَّبَ المرأةَ طفلها تذرِيبا إذا حملته حتى يقضى حاجته وهذه القراءة تناسب الجملة التالية الاتية اى انهم صبيان صغار واطفال لا يقدرّون على شىء و ينبغى أن يربوا فى حجر مربّ ويعيشوا فى حضانة حاضن و المراد ان القوم الذين لم يتفقهوا فى الدين و لا يعلمون شيئا ينبغى أن يعلّموا و يذَرَّبوا بل صبيان ينبغى أن يذربوا فأتى لهم ان تقوموا مقام الصديقين و يجلسوا مجلس النبیین و يعرفوا انفسهم بأنهم خليفة الله و رسوله و يأخذوا ازمة امور الناس و يلوا امورهم أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمن لا يهدى إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون؟.

وقد قال عمار فى خطبة خطب بها أهل الكوفة يستنفر الناس إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام: أيها الناس عليكم يا امام لا يؤدب و فقيه لا يعلم و صاحب بأس لا ينكل و ذى سابقة فى الإسلام ليست لأحد، إلخ. وقد برهن فى محلّه أن من أوصاف الإمام أنّه يجب أن يكون أفضل من جميع الرعايا فى جميع الصفات الكمالية فهو لا يؤدب و لا يعلم و سيأتى تحقيقه فى شرح الخطبة التالية إنشاء الله.

قوله عليه السلام:(و يولى عليه و يؤخذ على يديه)قرئ يولى بالتشديد و التخفيف و على الأول يقال: ولّاه الأمر تولية إذا جعله واليا عليه، و على الثانى يقال اولى فلانا على اليتيم إذا أوصاه عليه و اولاه الأمر ايلاء إذا جعله واليا عليه. و هذا كناية عن كونهم سفهاء لا يستحقون أن يلوا أمرا و يفوض اليهم فان العقل و النقل معاضدان على قبج تولية الأمور بأيدي السفهاء و ولايتهم عليها قال عزّ من قائل:

«وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» فكيف الأحكام الإلهية و الأمور الشرعية و ما فيها مصالح العامة و حقوق الرعية بل ينبغى أن يمنعوا من التصرف و يحجر عليهم كما يحجر على الصبى و السفية لعدم رشدهم يقال: أخذ على يد فلان إذا منعه عما يريد أن يفعل فممن بلغ فى الغباوة و السفاهة إلى هذا الحد فكيف يرضى العقل و يمضى أن يقتدى به و هل هذا إلا ظلم عظيم، ألا و ان الرعية الفاجرة تهلك

قوله عليه السلام: (ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا من الذين تبوأوا الدار) أى سكنوها وهى إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الحشر «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ» الآية ولذا جاء فى بعض نسخ الخطبة: ولا من الذين تبوأوا الدار والايمان وأجمع المفسرون بأن الدار هى المدينة وهى دار الهجرة تبوأها الأنصار قبل المهاجرين وكانوا من أهل المدينة اسلموا بها قبل هجرة الرسول بستتين وبنوا بها المساجد وأثنى عليهم بقوله عز من قائل «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» فالذين تبوأوا الدار هم طائفة من الأنصار فكرر ذكرهم تأكيدا.

وقال الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: وأيضا فان لفظة الأنصار واقعة على كل من كان من الأوس والخزرج الذين أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله والذين تبوأوا الدار والايمان فى الآية قوم مخصوصون منهم وهم أهل الاخلاص والايمان التام فصار ذكر الخاص بعد العام كذكره تعالى جبرئيل وميكايل ثم قال: والملائكة بعد ذلك ظهيرا وهما من الملائكة.

وأقول: أمّا المهاجرون فهم الذين هاجروا بلادهم أى تركوها وصاروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأما الذين اسلموا من أهل المدينة الرسول قبل هجرته او بعد هجرته فيسمون أنصارا وقد اشبعنا الكلام فيه قبل والذين تبوأوا الدار والايمان قوم مخصوص منهم وهم الذين أسلموا قبل هجرته صلى الله عليه وآله ولذا قيدنا كلامنا بقولنا هم طائفة من الأنصار فصار ذكر الخاص بعد العام بهذا المعنى.

ثم على نسخة والايمان يكون الايمان متبوعا على الاستعارة وفى الكافى عن الصادق عليه السلام: الايمان بعضه من بعض وهو دار وكذلك الاسلام دار والكفر دار، ولما ائهم ثبتوا على الايمان واطمأنت قلوبهم به سمّاه متبوعا ومنزلا لهم. وقدّر غير واحد من المفسرين فى الآية لازموا ونظائره اى تبوأوا الدار ولزموا الايمان مثل قوله:

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفاً ورمحاً(1)

اي معتقلا رمحا لأن الرمح لا يتقلد به بل يعتقل به يقال: فلان تقلد سيفه واعتقل رمحه و كقول الشاعر:

علفتها تبنا و ماء باردا حتى شنت همالة عينها

اي علفتها تبنا و سقيتها ماء باردا و إنما كان قوله هذا ذمًا لهم لأن عدم اتصافهم بها نقصان لهم بالقياس إلى المتصفين بها، و من تتبع آثار السلف يجد أن السابقة في الاسلام و الهجرة تعدّ من الفضائل و المفاخر و المدائح و من كان اسبق اسلاما و اقدم هجرة من الاخر يفضل عليه.

قوله عليه السلام: (الا و ان القوم اختاروا لأنفسهم اقرب القوم مما يحبون و انكم اخترتم لأنفسكم اقرب القوم مما تكرهون).

يعنى بالقوم الأول أهل الشام و بالأخيرين الناس و ما كانوا يحبّونه الغلبة على أهل العراق و الظفر بهم و اقرب الناس لهم من غرضهم ذلك هو عمرو بن العاص و إنما كان اقرب الناس إلى وصول غرضهم بمكره و حيله و خدائعه و ميله إلى معاوية و أتباعه اثره اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه و ينتظر ما يلقي اليه من فضل فريسته.

و الخطاب في انكم و اخواته إلى أهل العراق و ما يكرهه أهل العراق هو بعينه ما يحبّه أهل الشام و هو صيرورة الأمر إلى معاوية بخذلان أهل العراق و انكسارهم و اقرب الناس منه أبو موسى الأشعري إمّا لغباوته و سفاهته و فساد رأيه لأنّه كان رجلا كليل الشفرة قريب القعر مدهوش الجنان و هو كما عرّفه عمرو بن العاص حين تشاجرا:

و إنّما مثله مثل الحمار يحمل اسفار الاية أو لبغضه عليًا عليه السلام و انحرافه عنه لأنه عليه السلام عزله عن الكوفة لما قتل عثمان لما دريت من ترجمة الرجل من قبل و ما قال حذيفة فيه و غير ذلك مما قدمنا ذكره.

قوله عليه السلام: (و إنّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول: إنّها فتنة فقطعوا

ص:5

1- (1) نقل البيت في أقرب الموارد في مادة ج م ع و المصراع الأول فيه هكذا: يا ليت زوجك قد غدا. منه.

أوتاركم و شيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمة) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري كما دريت من ترجمته و المراد بالأمس واقعة الجمل فأنها كانت قبل واقعة صفين و التعبير بالأمس كناية عن عدم مضى زمان طويل منها و عن انهم قريب العهد بها فلا يتأتى لهم انكار ما سمعوا من أبي موسى فى الأمس و ادعاء الغفلة و النسيان عنه و كان أبو موسى ينهى أهل العراق عن نصرته عليه السلام عند مسيره إلى أهل البصرة و يأمرهم بالاعتزال عن الحرب و كان يرى أن قتال أهل القبلة فتنة يجب الاعتزال عنها و يقول: انها فتنة فقطعوا أوتاركم يعنى أوتار قسيكم و شيموا سيوفكم اى اغمدوها، كناية عن ترك القتال و الاجتناب عنه.

«كلام أبي موسى الأشعري لأهل الكوفة و نهيهم اياهم عن نصره»

«أمير المؤمنين على عليه السلام بعد ما استنفر الناس اليه عليه السلام»

«الحسن بن على و عمار بن ياسر عند مسيره عليه السلام إلى أهل البصرة»

قال أبو مخنف: ان أمير المؤمنين عليا عليه السلام لما توجه من المدينة إلى البصرة خطب الحسن بن على عليه السلام و عمار بن ياسر أهل الكوفة يستنفران الناس إلى على عليه السلام و بعد ما نقل خطبتهما قال: حدثنا الكلبي عن أبي صالح أن أبا موسى الأشعري لما سمع خطبة الحسن و عمار قام فصعد المنبر و قال:

الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفرقة و جعلنا إخوانا متحابين بعد العداوة و حرّم علينا دماننا و أموالنا قال الله سبحانه «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» و قال تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا» فاتقوا الله عباد الله و ضعوا أسلحتكم و كفوا عن قتال إخوانكم، أمّا بعد يا أهل الكوفة إن تطيعوا الله باديًا و تطيعوني ثانيا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى إليكم المضطرّ و يأمن فيكم الخائف، إن عليا إنّما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة و طلحة و الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه و آله و من معهم من المسلمين و أنا أعلم بهذه الفتن، أنّها إذا أقبلت شبّهت و إذا أدبرت أسفرت. إنى أخاف عليكم أن يلتقى غاران منكم فيقتتلا ثم يتركا كالأحلاس الملقاة بنجوة من الأرض ثم يبقى رجزه من

النّاس لا يأمرّون بالمعروف ولا ينهون عن منكر إنّها قد جائتكم فتنة كافرة لا يدري من أين توتى، تترك حيران كأنى أسمع رسول الله صلّى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول: أنت فيها نائما خير منك قاعدا و أنت فيها جالسا خير منك قائما و أنت فيها قائما خير منك ساعيا فسيموا سيوفكم و قصفوا رماحكم و انصلوا سهامكم و قطعوا أوتاركم و خلّوا قريشا ترتق فتقها و تراب صدعها فان فعلت فلاأنفسها ما فعلت و إن أبت فعلى أنفسها ما جنت، سمها فى أديمها استنصحنى و لا تستغثنى و أطيعونى و لا تعصونى يتبين لكم رشدكم و تصلّى هذه الفتنه من جناها.

قال: فقام إليه عمار بن ياسر فقال: أنت سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول ذلك؟ قال: نعم، هذه يدي بما قلت: فقال: إن كنت صادقا فإتّما عناك بذلك و حدك و اتخذ عليك الحجة فالزم بيتك و لا تدخلن فى الفتنه أما اتى أشهد أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر عليا بقتال الناكثين و سمى لى فيهم من سمى و أمره بقتال القاسطين و إن شئت لأقيمنّ لك شهودا يشهدون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله غلب الله من غالبه و جاحده ثمّ جذبه فنزل عن المنبر.

أقول: و سيأتى تمام الكلام فى شرح الكتاب الأول من باب المختار من كتبه عليه الصلاة و السلام.

ثمّ إنّ كلامه عليه السلام هذا احتجاج عليهم فى اختيارهم أبا موسى للحكومة و صورة الاحتجاج: انكم يا أهل العراق قريبو العهد بقول أبى موسى يقول لكم عند مسيرى إلى أهل البصرة: هذه هى الفتنه التى وعدنا بها و أمرنا بالاعتزال عنها فقطعوا أوتاركم و شيموا سيوفكم، فان كان أبو موسى فى قوله هذا صادقا فقد أخطأ بمسيره الينا و حضوره معنا فى صفين و تكثيره سواد أهل العراق حالكونه غير مستكره فى ذلك أى لم يكرهه و لم يجبره أحد فى ذلك حتّى يقال أنّه حضره مستكرها و إن لم يحارب و لم يسلّ السيف، و إن كان كاذبا و مختلفا فيه فقد لزمته التهمة أى الكذب و الاختلاق فهو فاسق بكذبه، فعلى التقديرين صدق ام كذب قبح جعله حكما و لا ينبغى

حكومته في هذا الأمر الخطير الجليل والاعتماد عليه فيه.

وقال الشارح الفاضل المعتزلي: هذا الكلام منه عليه السلام يؤكد صحة إحدى الروايتين في أمر أبي موسى فإنه قد اختلفت الرواية هل حضر حرب صفين مع أهل العراق أم لا؟ فمن قال: حضر قال: حضر ولم يحارب وما طلبه يمانيون من أصحاب علي عليه السلام ليجعلوه حكما كالأشعث بن قيس وغيره إلا وهو حاضر معهم في الصف ولم يكن منهم على مسافة ولو كان منهم على مسافة لما طلبوه وكان لهم فيمن حضر غناء عنه، ولو كان على مسافة لما وافق علي عليه السلام على تحكيمه ولا كان علي عليه السلام ممن يحكم من لم يحضر معه وقال الأكثرون: إنه كان معتزلاً للحرب بعيداً عن أهل العراق وأهل الشام.

ثم قال: فإن قلت: فلم لا يحمل قوله عليه السلام فإن كان صادقا فقد أخطأ بسيره غير مستكره على مسيره إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل العراق حيث طلبوه ليفوضوا إليه أمر الحكومة؟ قلت: لو حملنا كلامه عليه السلام على هذا لم يكن لازماً لأبي موسى وكان الجواب عنه هيناً وذلك لأن أبا موسى يقول: إنما أنكرت الحرب وما سرت لا حارب ولا لأشهد الحرب ولا لاغرى بالحرب وإنما سرت للاصلاح بين الناس واطفاء نائرة الفتنة فليس يناقض ما روته عن الرسول من خبر الفتنة ولا ما قلته في الكوفة في واقعة الجمل فقطعوا أوتار قسيكم. انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

أقول: إن أبا موسى حضر صفين ولم يحارب ولم يسلل السيف كما نقلنا من قبل عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم وتاريخ أبي جعفر الطبري ان القوم لما صفحوا عن رأي أمير المؤمنين علي عليه السلام وعصوه وأبوا إلا أبا موسى حكماً لأهل العراق بعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل بأرض من أرض الشام يقال لها: عرض واعتزل القتال فأتاه مولى له فقال: إن الناس قد اصطلحوا فقال: الحمد لله رب العالمين، قال:

وقد جعلوك حكماً قال: إنا لله وإنا إليه راجعون فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر علي عليه السلام.

ثم إن قول القائل: وما طلبه يمانيون إلا من كان حاضراً معهم ولو كان

على مسافة لما طلبوه وكان لهم فيمن حضر غناء عنه، بديهي البطلان و يظهر وهنه بأدنى تأمل على أن ما سمعت من أهل النقل و حملة الاثار من أن أهل الشام لما رأوا انكسارهم و خذلانهم رفعوا المصاحف بالرماح خديعة و دهاء و مكيدة حتى أن أجمع الفريقان على أن يحييا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن ثم رجع كل فريق إلى أصحابه و قال الناس: قد رضينا بحكم القرآن فقال أهل الشام: فانا قد رضينا و اخترنا عمرو بن العاص و قال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: فانا قد رضينا و اخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم عليّ عليه السلام: إني لا أرضى بأبي موسى و لا أرى أن أوليه فقال الأشعث و يزيد بن حصين الطائي و مسعر بن فدكي في عصابة من القراء: إنا لا نرضى إلا به فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه فعمدة ما استمسكوا بها في اختيارهم أبا موسى أنه حذرهم عن الحرب و غير ذلك مما مرّ و لا فائدة في الاعداء و الاطالة و لا يخفى ان حضوره عندهم و غيابه عنهم سيان في غرضهم ذلك فالاحتمالات التي ذكرها القائل واهية موهونة جدًا.

و أوهن منها ما قال: لو كان على مسافة لما وافق عليّ عليه السلام على تحكيمه و لا كان عليّ ممن يحكم من لم يحضر معه، لأنه عليه السلام كان كارها و مستكرها و غير موافق في أبي موسى و حكينا من نصر و أبي جعفر الطبري و غيرهما أنفاً أنه عليه السلام قال:

فان أبا موسى ليس لي برضا و قد فارقتي و خذل الناس عني ثم هرب حتى أمنتته بعد أشهر و لكن هذا ابن عباس اوليه ذلك قالوا: و الله ما نبالي أنت كنت او ابن عباس لا- نريد إلا رجلا هو منك و من معاوية سواء ليس إلى واحد منكما بأدنى من الاخر قال عليّ: فاني أجعل الأشر قال الأشعث: و هل سحر الأرض علينا غير الأشر و هل نحن إلا في حكم الأشر قال له عليّ عليه السلام: و ما حكمه؟ قال: حكمه ان يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكونن ما أردت و ما أراد إلى آخر ما نقلنا. و يقول عليه السلام:

في هذه الخطبة أيضا: فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس.

و مع الاغماض و الصفح عن ذلك كله و لو قيل إن أبا موسى لم يحضر صفين قطّ و ما شهد حربا قلنا فقد أخطأ أيضا بمسيره إلى القوم ليفوضوا اليه أمر الحكومة

ولزمته التهمة لأنه روى كما نقلنا من قبل عن ابن عبد البر في الاستيعاب والمسعودى في مروج الذهب ونصر بن مزاحم في كتاب صفين وأبي محمد بن متويه المعتزلى وغيرهم عن سويد بن غفلة حيث قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان فروى لى خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعته يقول: إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضالاً وأضالاً من اتبعهما ولا ينفك امر امتى حتى يبعثوا حكيمين يضالان ويضالان من تبعهما فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما فخلع قميصه وقال: ابرء إلى الله من ذلك كما ابرء من قميصى هذا.

فنقول: إما أن يكون فى نقل الخبر صادقاً او كاذباً فان كان صادقاً فهو الضالّ المضلّ وقد اخطأ بمسيره اليهم ودخوله فى الحكومة فكيف يجوز أن يقول: أنّما سرت للاصلاح بين الناس واطفاء نائرة الفتنة من شهد على نفسه بالضللال والاضلال وكيف لا يناقض بعض قوله بعضاً وهل هذا إلاّ التهافت.

وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة فهو فاسق فلا ينبغي الاعتماد عليه فى هذا الخطب الخطير وقد كان فى القوم من لم يكن فيه تلك التهمة و سوء الظن مع قوة العقل وصحة النظر وظهور النصح مع جواز أن يكون رضاه لحب الحكومة فان الملك عقيم ولانتقام من على عليه السلام لما قد نقلنا من ابن عبد البر وغيره بعد ذكر عزله عليه السلام آياه عن الكوفة فلم يزل واجدا على على عليه السلام حتى جاء فيه ما قال حذيفة:

إلى آخر ما نقلنا فى ترجمة أبى موسى.

وسياتى تمام الكلام فيه فى كتابه عليه السلام الثالث والستين اليه قوله عليه السلام من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أمّا بعد فقد بلغنى إلخ فارتقب.

بيان فى مروج الذهب للمسعودى نقلت الرواية عن سويد بن غفلة وفى غيره عن سويد بن غفلة والأخير صواب وما فى مروج الذهب تصحيف من النساخ قال العلامة الحلى قدس سره فى الخلاصة: قال البرقى إنه من اولياء أمير المؤمنين عليه السلام وهو سويد بن غفلة الجعفى، وفى منتهى المقال فى أحوال الرجال لأبى على نقلاً عن مختصر تذكرة الذهبى: ولد عام الفيل او بعده بعامين وأسلم وقد شاخ فقدم المدينة

وقد فرغوا من دفن المصطفى صَلَّى اللهُ عليه وآله - إلى ان قال: و كان ثقة نبيلًا عابدا زاهدا قانعا باليسير كبير الشأن يكنى أبا امية، وقيل الجعفي بالغين المعجمة.

قوله عليه السّلام: (فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس) يعنى نَحَوه بابتن العباس واضربوا صدره به، اى اجعلوا عبد الله بن العباس حكما مقابلا لعمرو بن العاص حتّى يدفعه عما يريد، وقد نقلنا قبل من كتاب صفين (ص 270 طبع ايران الناصرى) لنصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عليهما السّلام قال: لما أراد الناس عليّا عليه السّلام على أن يضع حكمين قال لهم على:

إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وأنه لا يصلح للقرشى إلاّ مثله فعليكم بعبد الله بن العباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة إلاّ حلّها عبد الله ولا يحلّ عقدة إلاّ عقدها ولا يبرم أمرا إلاّ نقضه ولا ينقض أمرا إلاّ أبرمه، فقال الأشعث: لا- والله لا يحكم فينا مضريان حتّى تقوم الساعة ولكن اجعله رجلا من أهل اليمن إذا جعلوا رجلا من مضر فقال علىّ عليه السّلام: إني أخاف أن يخذع يمنيكم فان عمرا ليس من الله في شيء حتى إذا كان له في أمر هواه فقال الأشعث:

والله لأنّ يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن أحبّ الينا من أن يكون ما نحبّ في حكمهما و هما مضريان، قال علىّ عليه السّلام: قد أبيتم إلاّ أبا موسى قالوا: نعم، قال: فاصنعوا ما أردتم، وفي رواية اخرى فاصنعوا ما شئتم اللهم إني أبرء إليك من صنيعهم.

قوله عليه السّلام: (و خذوا مهل الأيام) اى لا تهملوا المهلة فاغتموا سعة الأيام و فسحتها قبل أن تضيق و تقوت عنكم فاعملوا فيها ما ينبغي لكم.

قوله عليه السّلام: (و حوطوا قواصى الإسلام) اى احفظوا نواحي بلاد الاسلام و حدودها و أطرافها.

أقول: لمّا بلغ شرحنا إلى هنا كتب إلى صديق لى كتابا أظهر فيه شكوى إلىّ و أبرز حاجة، و طلب الإفتاء فى رؤىء، و الرّجل و إن كان ذا فضل لكنّه لم يكن عارفا بالعلوم العربية حتّى النحو و لغة العرب فذهبت إليه فأشكيتّه ثمّ انجرّ الكلام إلى مكتوبه فقال: أما الشكوى فإنّ بى شكاة مدة شهرين و لم تعدنى، فأعذرته

بعدم العلم به، فقال: أمّا الحاجة فإلى مجلد من ناسخ التواريخ فى ترجمة عيسى روح الله عليه السّلام، وأمّا الرؤيا فرأيت فى المنام أنى اسافر معك حتّى انتهينا إلى ثقب جبل فجاوزناه فإلينا إلى ناحية فاذن ان بى حيرة فى أمرى اقدّم رجلا و أؤخر اخرى ولكنك جالس فرحا مبتهجا و حولك كتب كثيرة و أمعنت فى الكتابة كأنك شاغل بتأليف كتاب فاسترقت البصر فرأيت أنك كتبت «حوطو».

فلمّا أخبرته بشرحنا هذا و أنّه بلغ إلى قوله عليه السّلام: «حوطوا قواصى الاسلام» عجب، و عجبت أيضا و لعمرى أن الرّجل لم يكن مطلعًا على أمرى و كنت غائبا عنه منذ سنة و بذلك تقلت بالخير فى اقبالى إلى هذا الشرح المنيف و إقدامى عليه و أرجو من الله أن يوفّقنى للاتمام فانه ولى التوفيق و أن يجعل نفعه أعم و فائدته أتم.

اللّهم آمين، و يرحم الله عبدا قال آمينا.

قوله عليه السّلام: (أ لا ترون إلى بلادكم تغزى و إلى صفاتكم ترمى) قد مرّ أنّ الصفاة فى الأصل الحجر الصلد الضخم لا يثبت و لا تنفذ فيها السهام و هذه الكلمة كما يستفاد من مواضع كثيرة من استعمالهم يكتى بها عن عرض الرّجل و حيطته و حوزته و نظائرها مما لها شأن و يقال: فلان رمى صفاة فلان إذا دهاه بدهية قال ابن عمّ لأبى موسى مخاطبا إياه كما فى كتاب صفين لنصر (ص 300 الطبع الناصرى):

أبا موسى بليت فكنت شيخا قريب القعر مدهوش الجنان

رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس بأمر لا تنوء به اليدان

و فلان لا تفرع له صفاة اى لا يناله أحد بسوء و لا يطمع فيه فقوله عليه السّلام أ لا ترون إلى آخره ترغيب لهم فى حفظ حوزة الاسلام و صيصيته و حياطة قواصى بلاده و تهيبج لهم فى دفع أيدى الأجانب عن بيضة الاسلام و أهله.

فاستثار عليه السّلام نفوسهم بأن العدو طمع فيهم و قصد بلادهم و رمى صفاتهم حتّى لا تفرق كلمتهم و لا تشتت وحدتهم فتذهب ريحهم و العدو هو معاوية الطغام و أتباعه الفجرة اللئام من أهل الشام.

ثم قال الشارح الفاضل المعتزلى: قوله عليه السلام لا ترون إلى آخره يدل على أن هذه الخطبة بعد انقضاء أمر التحكيم لأن معاوية بعد أن تم على أبي موسى من الخديعة ما تم استعجل أمره وبعث السرايا إلى أعمال علي عليه السلام، يقول: قد بلغت غارات أهل الشام حدود الكوفة التي هي دار الملك و سرير الخلافة و ذلك لا يكون إلا بعد الاثنان في غيرها من الأطراف.

أقول: كلامه عليه السلام فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس يدل على أن هذه الخطبة صدرت منه عليه السلام في أثناء تشاجر القوم في اختيار الحكيم كما نقلنا قولاً آخر نظيره منه عليه السلام: فعليكم بعبد الله بن العباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة إلا حلها عبد الله إلى آخر ما مر آنفاً، و لو كان بعد انقضاء التحكيم لما كان لكلامه عليه السلام ذلك مجال.

بل الظاهر من صورة احتجاجه عليه السلام عليهم يدل على أن الخطبة قبل انقضاء أمر التحكيم وإنما قالها عليه السلام تويخاً لهم بسوء رأيهم و قبح اختيارهم في أبي موسى و تنبيهاً لهم بأن ابن العباس ينبغي أن يجعل قبال ابن العاص و لا ينافي هذا قوله عليه السلام ألا ترون إلى بلادكم تغزى و إلى صفاتكم ترمى لأن أهل الشام قبل انقضاء أمر التحكيم أيضاً كانوا يغزون بلادهم و يرمون صفاتهم و طمعوا فيهم حتى فعلوا ما فعلوا، على انه يمكن أن يكون على صورة الاخبار حثالهم على اغتنام الفرصة و حياطة بيضة الاسلام و ايقاظا لهم بان الأعداء قد أشرفوا عليهم لو ذهبوا إلى رأيهم الفاسد و نظرهم الكاسد.

«بحث كلامي»

«نقل مسألتين من تنزيه الأنبياء للشيخ الشريف المرتضى علم الهدى»

«في ايراد شبهات و أجوبتها في المقام»

ذكر علم الهدى رضوان الله عليه في قسم تنزيه الأئمة من كتابه الموسوم بتنزيه الأنبياء عدة شبهات ربما تورد في المقام ثم تصدى للجواب عنها و نحن

ص: 13

نكتفى بمجرد نقلها عنه من غير بسط وزيادة متآ قال رحمه الله:

«المسألة الأولى»

فان قيل: فما الوجه في تحكيمه عليه السلام أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص وما العذر في أن حكّم في الدين الرجال؟ وهذا يدلّ على شكّه في امامته و حاجته إلى علم (علمه - خ ل) بصحة طريقته.

ثمّ ما الوجه في تحكيمه فاسقين عنده عدوّن له؟ أو ليس قد تعرض بذلك لأن يخلعا امامته ويشكّكا النَّاس فيه وقد مكنهما من ذلك بأن حكّمهما و كانا غير متمكنين منه و لا أقوالهما حجة في مثله؟.

ثمّ ما العذر في تأخيره جهاد المارقة الفسقة و تأجيله ذلك مع امكانه و استظهاره و حضور ناصره؟ ثمّ ما الوجه في محو اسمه من الكتاب بالامامة و تنظره بمعاوية في ذكر نفسه بمجرد الاسم المضاف إلى الأب كما فعل ذلك به و أنتم تعلمون أن بهذه الأمور ضلّت الخوارج مع شدّة تخشنها في الدين و تمسكها بعلائقه و وثائقه؟

«الجواب عن الشبهة الأولى»

قلنا: كلّ أمر ثبت بدليل قاطع غير محتمل فليس يجوز أن نرجع عنه و نتشكك فيه لأجل أمر محتمل و قد ثبتت امامة أمير المؤمنين عليه السلام و عصمته و طهارته من الخطاء و براءته من الذنوب و العيوب بأدلة عقلية و سمعية فليس يجوز أن نرجع عن ذلك أجمع و لا عن شيء منه لما وقع من التحكيم المحتمل للصواب بظاهره و قبل النظر فيه كاحتماله للخطاء و لو كان ظاهره أقرب إلى الخطاء و أدنى إلى مخالفة الصواب بل الواجب في ذلك القطع على مطابقة ما ظهر من المحتمل لما ثبت بالدليل و صرف ما له ظاهر عن ظاهره و العدول به إلى موافقة مدلول الدلالة التي لا يختلف مدلولها و لا يتطرق عليها التأويل و هذا فعلنا فيما ورد من آي القرآن التي تخالف بظواهرها الأدلّة العقلية مما يتعلق به الملحدون أو المجبرة أو المشبهة، و هذه جملة قد كررنا ذكرها في كتابنا هذا لجلالة موقعها من الحجّة و لو اقتصرنا في حلّ هذه الشبهة عليها

لكانت مغنية كافية كما أنها كذلك فيما ذكرناه من الأصول لكننا نزيد وضوحاً في تفصيلها ولا تقتصر عليها كما لم نفعل ذلك فيما صدرنا به هذا الكتاب من الكلام في تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن المعاصي.

ف نقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام ما حَكَّم مختاراً بل احوج إلى التحكيم و الجيء إليه لأن أصحابه عليه السلام كانوا من التخاذل و التقاعد و التواكل إلا القليل منهم على ما هو معروف مشهور و لما طالت الحرب و كثر القتل و جلّ الخطب ملّوا ذلك و طلبوا مخرجاً من مقارعة السيوف و اتفق من رفع أهل الشام المصاحف و التماسهم الرجوع اليها و اظهارهم الرضا بما فيها ما اتفق بالحيلة التي نصبها عدو الله عمرو ابن العاص و المكيدة التي كاد بها لما أحسّ باليوار و علو كلمة أهل الحق و أن معاوية و جنده مأخوذون قد علتهم السيوف و دنت منهم الحتوف فعند ذلك وجد هؤلاء الأغنام طريقاً إلى الفرار و سبيلاً إلى وقوف أمر المناجزة و لعلّ منهم من دخلت عليه الشبهة لبعده عن الحق و غلظ فهمه و ظن أن الذي دعى إليه أهل الشام من التحكيم و كفّ الحرب على سبيل البحث عن الحق و الاستسلام للحجّة لا على وجه المكيدة و الخديعة فطالبوه عليه السلام بكفّ الحرب و الرضا بما بذله القوم فامتنع عليه السلام من ذلك امتناع عالم بالمكيدة ظاهر على الحيلة و صرّح لهم بأن ذلك مكر و خداع فأبوا و لجّوا فأشفق عليه السلام في الامتناع عليهم و الخلاف لهم و هم جمعة عسكره و أصحابه من فتنة صمّاء هي أقرب اليه من حرب عدوّه و لم يأمن أن يتعدّى ما بينه و بينهم إلى أن يسلموه إلى عدوّه أو يسفكوا دمه. فأجاب إلى التحكيم على مضض و ودّ من كان قد أخذ بخناق معاوية و قارب تناوله و أشرف على التمكن منه (منهم - خ ل) حتّى أنّهم قالوا للأشتر رحمه الله تعالى و قد امتنع من أن يكف عن القتال و قد أحسّ بالظفر و أيقن بالنصر: أتحتب أنّك ظفرت ههنا و أمير المؤمنين عليه السلام عند رفعهم المصاحف اتّقوا الله و امضوا على حقّكم فان القوم ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن و أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالاً و رجالاً فكانوا شرّ اطفال و شرّ رجال أنّهم و الله ما رفعوا المصاحف ليعملوا بها و أنّما رفعوها خديعة و دهاء و مكيدة، فأجاب عليه السلام إلى التحكيم

دفعاً للشّرّ القويّ بالشّرّ الضعيف و تلافياً للضرر الأعظم بتحمل الضرر الأيسر.

وأراد أن يحكّم من جهته عبد الله بن العباس رحمة الله عليه فأبوا عليه ولجّوا كما لجّوا في أصل التحكيم وقالوا: لا بدّ من يمانيّ مع مصرّي فقال عليه السّلام: فضمّوا الأشرّ وهو يمانى إلى عمرو فقال الأشعث بن قيس: الاشرّ هو الذى طرحنا فيما نحن فيه و اختاروا أبا موسى مقترحين له عليه عليه السّلام ملزمين له تحكيمه فحكّمهما بشرط أن يحكما بكتاب الله تعالى و لا يتجاوزاه و انهما متى تعدّياه فلا حكم لهما و هذا غاية التحرز و نهاية التيقظ لأننا نعلم أنهما لو حكما بما فى الكتاب لأصابا الحق و علما أن أمير المؤمنين عليه الصلاة و السّلام أولى بالأمر و أنّه لاحظّ لمعاوية و ذويه فى شىء منه، و لمّا عدلا إلى طلب الدّنيا و مكر أحدهما بصاحبه و نبذا الكتاب و حكمه وراء ظهورهما خرجا من التحكيم و بطل قولهما و حكمهما و هذا بعينه موجود فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام لمّا ناظر الخوارج و احتجّوا عليه فى التحكيم و كلّ ما ذكرناه فى هذا الفصل من ذكر الأعذار فى التحكيم و الوجوه المحسنة له مأخوذ من كلامه عليه السّلام و قد روى عنه عليه السّلام مفصّلاً مشروحاً.

«الجواب عن الشبهة الثانية»

فأمّا تحكيمهما مع علمه بفسقهما فلا سؤال فيه إذ كنّا قد بينا أن الاكراه وقع على أصل الاختيار و فرعه و أنّه عليه السّلام الجيّد إليه جملة ثمّ إلى تفصيله و لو خلّى عليه السّلام و اختياره ما أجاب إلى التحكيم أصلاً و لا رفع السيف (السيوف - خ ل) عن أعناق القوم لكنّه أجاب اليه ملجئاً كما أجاب إلى من اختاره و بعينه كذلك و قد صرّح عليه السّلام بذلك فى كلامه حيث يقول: لقد أمسيت أميراً و أصبحت مأموراً و كنت أمس ناهياً و أصبحت اليوم منهيّاً و كيف يكون التحكيم منه عليه السّلام دالّاً على الشكّ و هو عليه السّلام ناه عنه و غير راض به و مصرّح بما فيه من الخديعة و إنّما يدلّ ذلك على شكّ من حملة عليه و قاده اليه.

و إنّما يقال: إنّ التحكيم يدلّ على الشكّ إذا كنّا لا نعرف سببه و الحامل عليه او كان لا وجه له إلاّ ما يقتضى الشكّ، فأمّا إذا كنا قد عرفنا ما اقتضاه و ادخل

فيه و علمنا أنه عليه السلام ما أجاب إليه إلا لدفع الضرر العظيم ولأن يزول الشبهة عن قلب من ظنّ به عليه السلام أنه لا يرضى بالكتاب و لا يجيب إلى تحكيمه، فلا وجه لما ذكروه، وقد أجاب عليه السلام عن هذه الشبهة بعينها في مناظرتهم لما قالوا له:

أشككت؟ فقال: عليه السلام أنا أولى بأن لا أشك في ديني أم النبي صلى الله عليه وآله أو ما قال الله تعالى لرسوله: «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

و أما قول السائل فإنه عليه السلام تعرض لخلع امامته و مكّن الفاسقين من أن يحكما عليه بالباطل فمعاذ الله أن يكون كذلك لأننا قد بينا أنه عليه السلام إنما حكّمهما بشرط لو وفيا به و عملا عليه لأقرا امامته و أوجبا طاعته لكنّهما عدلا عنه فبطل حكمهما فما مكّنهما مع خلع امامته و لا تعرض منهما لذلك و نحن نعلم أن من قلّد حاكما أو ولى أميرا ليحكم بالحق و يعمل بالواجب فعدل عمّا شرطه و خالفه لا يسوغ القول بأن من ولّاه عرضه للباطل و مكّنه من العدول عن الواجب و لم يلحقه شيء من اللوم بذلك بل كان اللوم عائدا على من خالف ما شرط عليه.

«الجواب عن الشبهة الثالثة»

فأما تأخير جهاد الظالمين و تأجيل ما يأتي من استيصالهم فقد بينا العذر فيه و أن أصحابه عليه السلام تخاذلوا و تواكلوا و اختلفوا و أن الحرب بلا أنصار و بغير أعوان لا يمكن و المتعرض لها مغرر بنفسه و أصحابه.

«الجواب عن الشبهة الرابعة»

فأما عدوله عن التسمية بأمر المؤمنين و اقتصاره على التسمية المجردة فضرورة الحال دعت إليها و قد سبقه إلى مثل ذلك سيّد الأولين و الآخرين رسول الله صلى الله عليه وآله في عام الحديبية و قصته مع سهل بن عمرو و أنذره عليه السلام بأنه سيدعى إلى مثل ذلك و يجيب على مضض فكان كما أنذر و خبر رسول الله صلى الله عليه وآله و اللوم بلا اشكال زائل عما اقتدى فيه بالرسول صلى الله عليه وآله و هذه جملة تفصيلها يطول و فيها لمن أنصف من نفسه بلاغ و كفاية.

«المسألة الثانية»

فان قيل: فإذا كان عليه السلام من أمر التحكيم على ثقة و يقين فلم روى عنه عليه السلام

أنه كان يقول بعد التحكيم في مقام بعد آخر: لقد عثرت عثرة لا أنحبر سوف أكتسب بعدها وأستمر وأجمع الرأي (الشملى - خ ل) الشئيت المنتشر أو ليس هذا إذعاناً بأن التحكيم جرى على خلاف الصواب؟

«الجواب»

قلنا: قد علم كل عاقل قد سمع الأخبار ضرورة أن أمير المؤمنين عليه السلام وأهله وخلصاء شيعته وأصحابه كانوا من أشد الناس إظهاراً لوقوع التحكيم من الصواب والسداد موقعه وأن الذى دعى إليه حسن والتدبير أوجه وأنه عليه السلام ما اعترف قط بخطاء فيه ولا أغضى عن الاحتجاج فيمن شك فيه وضعفه كيف؟ والخوارج إنما ضلّت عنه وعصته (عاصته - خ ل) وخرجت عليه لأجل أنها أرادت على الاعتراف بالزلل فى التحكيم فامتنع كل امتناع وأبى أشد إباء وقد كانوا يقنعون منه ويعاودون طاعته ونصرته بدون هذا الذى أضافوه إليه عليه السلام من الإقرار بالخطاء وإظهار التندم وكيف يمتنع من شىء ويعترف بأكثر منه ويغضب من جزء ويحب إلى كل هذا ممّا لا يظنه عليه السلام أحد ممن يعرفه حق معرفته.

و هذا الخبر شاذ ضعيف فإما أن يكون باطلا موضوعاً أو يكون الغرض فيه غير ما ظنه القوم من الاعتراف بالخطاء فى التحكيم. فقد روى عنه عليه السلام معنى هذا الخبر وتفسير مراده منه ونقل من طرق معروفة موجودة فى كتب أهل السير أنه عليه السلام لما سئل عن مراده بهذا الكلام قال: كتب إلى محمد بن أبى بكر بأن أكتب له كتاباً فى القضاء يعمل عليه فكتبت له ذلك وأنفذته إليه فاعترضه معاوية فأخذه فتأسف عليه السلام (فاسف - خ ل) على ظفر عدوّه بذلك وأشفق من أن يعمل بما فيه من الأحكام ويوهم ضعفة أصحابه أن ذلك من علمه ومن عنده فتقوى الشبهة به عليهم، وهذا وجه صحيح يقتضى التأسف والتندم وليس فى الخبر المتضمن للشعر ما يقتضى أن تندمه كان على التحكيم دون غيره وإذا جاءت رواية بتفسير ذلك عنه عليه السلام كان الأخذ بها أولى.

انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

قد ذكرنا بعضا من الأشعار القديمة مّمن شهد صفّين مع أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام وصفوه عليه السّلام بأنّه وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وعرفوه بذلك وقائلوها سنام المسلمين من الصحابة وغيرهم وكبارهم فى صدر الاسلام وعليهم تثنى الخناصر، وكذا نرى كثيرا من الأشعار يجلّ عن الاحصاء المقولة فى وقعة الجمل وغيرها المتضمنة كونه عليه السّلام وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله و من نظر فيها بعين الدراية والانصاف رأى أن الحقّ ما ذهب اليه الطائفة الحقّة المحقّقة لإماميّة الاثنا عشرية وقاطبة الشيعة فى خلافته و إمامته عليه السّلام لأن هذه الكلمة الصادرة من هؤلاء العظام مع قربهم بزمان رسول الله صلّى الله عليه وآله بل ادراك كثير منهم ايّاه ممّا يعتنى بها ويجلّها من يطلب الحقّ ويبحث عنه ونحن نذكر شر ذمة منها ههنا تذكرة وتنبها لأولى الدراية والنهى ونذكر الأشعار ونذكر الوقائع الّتى قيل الشعر فيها ففى كتاب صفّين لنصر بن مزاحم المنقرى وهو من قدماء رجال الحديث مدحه الفريقان بالتوثيق (ص 12 الطبع الناصرى) قال جرير أبياتا منها:

أتانا كتاب علىّ فلم نردّ الكتاب بأرض العجم

رسول المليك و من بعده خليفتنا القائم المدّعم

عليّا عنيت وصيّ النّبىّ يجالده عنه غوات الأمم

له الفضل والسبق والمكرمات وبيت النبوّة لا يهتضم

وفيه (ص 15): و مما قيل على لسان الأشعث:

أتانا الرسول رسول علىّ فسرّ بمقدمه المسلمونا

رسول الوصيّ وصيّ النّبىّ له الفضل والسبق فى المؤمنينا

ثمّ قال: و مما قيل على لسان الأشعث أيضا:

أتانا الرسول رسول الوصيّ علىّ المهذب من هاشم

رسول الوصيّ وصيّ النّبىّ وخير البريّة من قائم

وزير النبي و ذى صهره و خير البرية فى العالم

و خير البرية فى العالم له الفضل و السبق بالصالحات

وفيه (ص 28) كتب جرير إلى شرحيل أبياتا منها:

و ما لعلّى فى ابن عفّان سقطّة بأمر و لا جلب عليه و لا قتل

وصى رسول الله من دون أهله و فارسه الأولى به يضرب المثل

و فى بعض النسخ: و فارسه الحامى به يضرب المثل و فيه (ص 73) قال النجاشى:

رضينا بما يرضى علىّ لنا به و إن كان فيما يأت جدع المناخر

وصى رسول الله من دون أهله و وارثه بعد العموم الأكابر

وفيه (ص 204) قال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلّب:

و أيقنوا أن من أضحى يخالفكم أضحى شقيا و أضحى نفسه خسرا

فيكم وصى رسول الله قائدكم و أهله و كتاب الله قد نشرا

و لا تخافوا ضلالا لا أبالكم سيحفظ الدين و التقوى لمن صبيرا

وفيه (ص 222) قال الفضل بن عباس:

و قلت له لو بايعوك تبعتهم فهذا علىّ خير حاف و ناعل

وصى رسول الله من دون أهله و فارسه إن قيل هل من منازل

وفيه (ص 25) قال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام أبياتا منها:

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذبا علىّ الله يشيب الشعرا

يسترق السمع و يغشى البصرا ما كان يرضى أحمد لو خبرا

ان يقرنوا وصيّيه و الأبترا شانى الرسول و اللعين الأخررا

وفيه (ص 191) قال النضر بن عجلان الأنصارى أبياتا منها:

كيف التفرق و الوصىّ امامنا لا كيف إلّا حيرة و تخاذلا

لا تعتبنّ عقولكم لا خير في من لم يكن عند البلابل عاقلا

و ذروا معاوية الغويّ و تابعوا دين الوصيّ لتحمدوه آجلا

ص:20

وفيه (ص 202) قال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي أبياتا منها:

يقودهم الوصي اليك حتى يردك عن غواتك وارتياب

ومن الأشعار التي تتضمن هذه اللفظة وقيل في حرب الجمل ما قال غلام من بني ضبة شاب معلّم من عسكر عيشة، خرج يوم الجمل و هو يقول:

نحن بنو ضبة أعداء عليّ ذاك الذي يعرف قدما بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبيّ ما انا عن فضل عليّ بالعمى

لكنني انعي بن عفان التقى أنّ الولي طالب ثار الولي

وما قال حجر بن عدى الكندي في يوم الجمل:

يا ربنا سلّم لنا عليّا سلّم لنا المبارك الرضيّا

المؤمن الموحد النقيّا لا خطل الرأي ولا غويّا

بل هاديا موقفا مهديا واحفظه ربّي واحفظ التبيّا

فيه فقد كان له وليّا ثم ارتضاه بعده وصيّا

وما قال خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وكان بدرّيّا في يوم الجمل يخاطب عائشة من ابيات بعضها:

أعاش خلى عن عليّ وعييه بما ليس فيه إنّما انت والده

وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وما قال خزيمة أيضا:

ليس بين الأنصار في حجمة الحرب وبين العداة إلا الطعان

وقراع الكماة بالقصب البيض إذا ما تحطم المران

فادعها تستجب من الخزرج والأوس يا علي جبان

يا وصي النبيّ قد اجلت الحرب الأعادي وسارت الاطعان

واستقامت لك الأمور سوى الشام وفي الشام تظهر الإذعان

حسبهم ما رأوا و حسبك منا هكذا نحن حيث كنا و كانوا

و ما قال عمرو بن احنة يوم الجملة خطابا للحسن بن عليّ عليهما السلام:

ص: 21

حسن الخير يا شبيهه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب

إلى أن قال:

وأبى الله أن يقوم بما قام به ابن الوصيّ وابن النجيب

ان شخصا بين النبيّ لك الخير و بين الوصيّ غير مشوب

و ما قال زجر بن قيس الجعفيّ في يوم الجمل:

اضربكم حتّى تقرّوا لعليّ خير قريش كلّها بعد النبيّ

من زانه الله و سمّاه الوصيّ ان الوليّ حافظ ظهر الوليّ

كما الغويّ تابع أمر الغويّ

وقال الفضل بن عباس (كما في تاريخ الطبري ص 449 ج 3 طبع مصر 1357 هـ) في آيات له:

ألا إنّ خير النَّاس بعد محمّد وصيّ النبيّ المصطفى عند ذى الذكر

و أوّل من صلّى و صنو نبيّه و أوّل من أوردى الغوات لدى بدر

وقال عمّار بن ياسر في الخطبة التي استنفر أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال في آيات له كما نقله

الشيخ الأجل المفيد في الجمل ص 117 طبع النجف:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا عليّا و أبناء الرسول محمّد

أناكم سليل المصطفى و وصيّه و أنتم بحمد الله عارضه الندى

و ما قال زياد بن لبيد الأنصاري كان من أصحاب عليّ عليه السّلام يوم الجمل من آيات بعضها:

إنا اناس لا نبالي من عطب و لا نبالي في الوصيّ من غضب

و ما قال عبد الله بن بدليل بن ورقاء الخزاعيّ يوم الجمل:

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت حرب الوصيّ و ما للحرب من آسى

الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت تلك القبائل أخماسا لأسداس

و ما قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحرب بن عبد المطلب:

و منا علی ذاک صاحب خیبر و صاحب بدر یوم سالت کتابه

ص: 22

وصىّ النبيّ المصطفى و ابن عمه فمن ذا يدانيه و من ذا يقاربه

و ما قال عبد الرّحمان بن جعيل:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موقفا

عليّا وصىّ المصطفى و ابن عمّه و أوّل من صلّى أخا الدين و التقى

و ما قال أبو الهيثم التيهان و كان بدريا من أبيات بعضها:

ان الوصىّ امامنا و ولينا برح الخفا و باحث الأسرار

و ما قال عمر بن حارثة الأنصاريّ في محمّد بن الحنفية يوم الجمل من أبيات بعضها:

سمىّ النبيّ و شبه الوصىّ و رايته لونها العندم

و ما قال رجل من الأزديّ يوم الجمل:

هذا علىّ و هو الوصىّ أخاه يوم النجوة النبيّ

و قال هذا بعدى الوليّ وعاه واع و نسي الشقى

و قال آخر:

إني أدین بما دان الوصىّ به يوم الخريبة من قتل المحلّينا

و بالذی دان يوم النهر دنت به و شاركت كفه كفى بصفينا

تلك الدماء معا يا ربّ في عنقي ثم اسقني مثلها أمين آمينا

و قال أبو الأسود كما في الاغانى (ص 10 ج 7 طبع ساسى):

احبّ محمّدا حبّا شديدا و عبّاسا و حمزة و الوصيّا

و أتى بكثير من هذه الأبيات الشارح المعتزلى في ذيل شرح الخطبة الثانية من النهج أيضا و نقلها عنه المجلسى الثاني في المجلد التاسع من بحار الأنوار (ص 364 الطبع الكمپانى). و السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوى في كتاب المراجعات (المراجعة 108) و كذا نرى كثيرا من الأخبار و الروايات المنقولة من الفريقين أنّه عليه السّلام كان يعرف بالوصىّ عند المسلمين في صدر الاسلام بل صدر منه بعض المعجزات الّذى لا يصدر إلاّ من نبيّ أو وصىّ و كفى في ذلك حديث الراهب الّذى بلغ في

الشهرة حدّ الشمس في وسط السماء وأتى به علماء الكلام في كتبهم الكلامية ومنهم نصير الملة والدين المحقق الطوسي في التجريد و ذكره في الشرح شراح الفريقين كالعلامة الحلّي و شمس الدين محمود بن أحمد الاصبهاني و الفاضل القوشجي وغيرهم وقد أومأنا من قبل فذلّة ذلك الحديث من القوشجي و لا بأس بذكرها تفصيلا لاشتماله على ضروب من المعجز ظهرت من وصيّ خاتم الأنبياء فأسلم الراهب فاهتدى هكذا يصنع الحقّ بأهله و أتى به نصر المتقدّم ذكره في كتاب صفين و المجلسي في البحار و الشارح المعتزلي في شرح النهج و الشيخ السديد المقلب بالمفيد في الارشاد وغيرهم مما يطول الكلام بعدها و احصائها فقال الشيخ المفيد:

و من ذلك ما رواه أهل السير و اشتهر الخبر به في العامة و الخاصة حتّى نظمه الشعراء و خطب به البلغاء و رواه الفهماء و العلماء من حديث الراهب بأرض كربلاء و الصخرة و شهرته يغني عن تكلف ايراد الاسناد له، و ذلك ان الجماعة روت أن أمير المؤمنين عليه السّلام لما توجّه إلى صفّين لحق أصحابه عطش شديد و نفذ ما كان عندهم من الماء فأخذوا يمينا و شمالا يلتمسون الماء فلم يجدوا له أثرا فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السّلام عن الجادّة و سار قليلا فلاح لهم دير في وسط البريّة فسار بهم نحوه حتّى إذا صار في فئانه أمر من نادى ساكنه بالاطلاع اليه فنادوه فاطلع، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: هل قرب قائمك هذا من ماء يتغوث به هؤلاء القوم؟ فقال:

هيهات بيني و بين الماء أكثر من فرسخين و ما بالقرب منّي شيء من الماء و لولا إنني أوتى بما يكفيني كلّ شهر على التقتير لتلفت عطشا. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام أسمعتم ما قال الراهب؟ قالوا: نعم، أفتأمرنا بالمسير إلى حيث أوما إليه لعلنا ندرك الماء و بنا قوّة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا حاجة لكم إلى ذلك و لوى عنق بغلته نحو القبلة و أشار بهم إلى مكان يقرب من الدير فقال لهم: اكشفوا الأرض في هذا المكان فعدل منهم جماعة إلى الموضع فكشفوه بالمساحي فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين ههنا صخرة لا تعمل فيها المساحي. فقال لهم:

إنّ هذه الصخرة على الماء فان زالت عن موضعها و جدتم الماء فاجتهدوا في قلعها

فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا و استصعبت عليهم فلمّا رأهم عليه السّلام قد اجتمعوا و بذلوا الجهد فى قلع الصخرة و استصعب عليهم لوى رجله عن سرجه حتّى صار على الأرض ثمّ حسر عن ذراعيه و وضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها ثمّ قلعها بيده و دحى بها أذرا كثيرة فلمّا زالت من مكانها ظهر لهم بياض الماء فبادروا إليه فشربوا منه فكان أعذب ماء شربوا منه فى سفرهم و أبرده و أصفاه فقال لهم: تزوّدوا و ارتووا ففعلوا ذلك.

ثمّ جاء عليه السّلام إلى الصخرة فتناولها بيده و وضعها حيث كانت فأمر أن يعفى أثرها بالتراب و الراهب ينظر من فوق ديره فلمّا استوفى علم ما جرى نادى أيّها النّاس أنزلونى أنزلونى فاحتالوا فى إنزاله فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له:

يا هذا أنت نبيّ مرسل؟ قال: لا. قال: فملك مقرب؟ قال: لا قال: فممن أنت: قال:

أنا وصيّ رسول الله محمّد بن عبد الله خاتم النبيّين صلّى الله عليه و آله قال: ابسط يدك اسلم لله تبارك و تعالى على يديك فبسط أمير المؤمنين عليه السّلام يده و قال له: اشهد الشهادتين فقال: أشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له و أشهد أن محمّدا عبده و رسوله و أشهد أنك وصيّ رسول الله و أحقّ النّاس بالأمر من بعده، فأخذ أمير المؤمنين عليه السّلام عليه شرائط الإسلام.

ثمّ قال عليه السّلام له: ما الذى دعاك الان إلى الاسلام بعد طول مقامك فى هذا الدير على الخلاف؟ قال: اخبرك يا أمير المؤمنين إنّ هذا الدير بنى على طلب قالع هذه الصخرة و مخرج الماء من تحتها و قد مضى عالم قبلى فلم يدركوا ذلك و قد رزقنيه الله عزّ و جلّ إنا نجد فى كتاب من كتبنا و نأثر من علمائنا أن فى هذا الصقع عينا عليها صخرة لا يعرف مكانها إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ و أنّه لا بدّ من وليّ لله يدعو إلى الحقّ آيته معرفة مكان هذه الصخرة و قدرته على قلعها و إنّى لمّا رأيتك قد فعلت ذلك تحققت ما كنا ننتظره و بلغت الأمنيّة منه فأنا اليوم مسلم على يديك و مؤمن بحقّك و مولاك فلمّا سمع ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام بكى حتّى اخضلتّ لحيته من الدموع و قال: الحمد لله الذى لم أكن عنده منسيّا الحمد لله الذى كنت فى كتبه

ثمّ دعى عليه السّلام النَّاس فقال لهم: اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم، فسمعوا مقالته وكثر حمدهم لله و شكرهم على النعمة التي أنعم بها عليهم في معرفتهم بحقّ أمير المؤمنين عليه السّلام. ثمّ ساروا و الراهب بين يديه في جملة أصحابه حتّى لقي أهل الشام و كان الراهب في جملة من استشهد معه فتولى عليه السّلام الصلاة عليه و دفنه و أكثر من الاستغفار له و كان إذا ذكره يقول: ذاك مولاي.

ثمّ قال المفيد رحمه الله تعالى: و في هذا الخبر ضرور من المعجز أحدها علم الغيب و الثاني القوة التي خرق العادة بها و تميز بخصوصيتها من الأنام مع ما فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الأولى و ذلك مصداق قوله تعالى «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ» و في مثل ذلك يقول السيّد إسماعيل بن محمّد الحميري رحمه الله في قصيدته البائية المذهبة:

و لقد سرى فيما يسير بليلة بعد العشاء بكر بلا في موكب

حتّى أتى متبتّلا في قائم ألقى قواعده بقاع مجذب

يأتيه ليس بحيث يلقى عامرا غير الوحوش و غير أصلع أشيب

فدنى فصاح به فأشرف ماثلا كالنصر فوق شظية من مرقب

هل قرب قائمك الذي بوّته ماء يصاب فقال ما من مشرب

إلا بغاية فرسخين و من لنا بالماء بين نقى و قى سبب

فثنى الأعنة نحو و عث فاجتلى ملساء تلمع كاللجين المذهب

قال اقلبوها انكم إن تقلبوا ترووا و لا تروون إن لم تقلب

فاعصوا صبوا في قلعتها فتمنعت منهم تمنع صعبة لم تركب

حتّى إذا أعيتهم أهوى لها كفا متى ترد المغالب تغلب

فكانها كرة بكفّ خزور عبل الذراع دحى بها في ملعب

فسقاها من تحتها متسلسلا عذبا يزيد على الألدّ الأعراب

حتّى إذا شربوا جميعا ردّها و مضى فخلت مكانها لم يقرب

وزاد فيها ابن ميمونة قوله:

وآيات راهبها سريرة معجز فيها و آمن بالوصي المنجب

و مضى شهيدا صادقا في نصره أكرم به من راهب مترهب

أعنى ابن فاطمة الوصي و من يقل في فضله و فعاله لا يكذب

رجلا كلا طرفيه من سام و ما حام له بأب و لا بأب أب

من لا يفتر و لا يرى في معرك إلا و صارمه الخضيب المضرب

ثم الظاهر من كتاب صفين لنصر أن هذه الرواية التي نقلناها من الشيخ المفيد قدس سره ملفقة من روايتين و كذا الظاهر أن إحداهما ما نظمها الحميري و الأخرى ما نظمها ابن ميمونة، و ذلك لأن نصر بن مزاحم روى أولا رواية الراهب و الصخرة و لم يذكر إن هذا الراهب استشهد معه عليه السلام بصقين. ثم روى رواية أخرى من راهب آخر في مكان آخر لم يكن فيه ذكر صخرة و ماء أصلا بل الراهب أتى بكتاب فقرأه عنده عليه السلام.

و بعض ما ذكرنا من المفيد في ذيل تلك الرواية أتى به نصر في ذيل هذه الرواية و لا بعد في تعدد تلك الواقعة لأنه كانت في نواحي الجزيرة و بلادها الواقعة في مسيره عليه السلام ديورة كثيرة و فيها رهبان كما صرحت و نصت بذلك الكتب الجغرافية القديمة و منها - كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب المؤلف في 372 من الهجرة (ص 91 طبع الطهران 1352 هـ) مع أن إحداهما وقعت في ظهر الكوفة من العراق و الأخرى في الرقة من بلاد الجزيرة.

و لا بأس بنقل ما في كتاب نصر (ص 77 الطبع الناصري) لأن كتاب الراهب يليق أن يقرأ على ظهر القلب: نصر عبد العزيز بن سباء عن حبيب بن أبي ثابت قال أبو سعيد التميمي المعروف بعقيصا(1): قال: كنا مع علي في مسيره إلى الشام حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد قال: عطش الناس و احتاجوا إلى

ص: 27

1- (1) كذا في كتاب صفين لنصر و في كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب ضمن عنوان - الكلام في ناحية الجزيرة و بلادها - قال: فرقيسا شهر كيست خرم و با نعمت و همه سواد او دائم سبز باشد اي هي بلدة صغيرة كثيرة النعمة مخضرة الأرض دائما.

الماء فانطلق بنا علىّ عليه السّلام حتّى أتانا على صخرة ضررس من الأرض كأنّها ربضة عنز ثمّ أمرنا فأكفاناها عليه و سار النّاس حتّى إذا مضينا قليلا، قال علىّ عليه السّلام منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الّذى شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين فانطلقوا اليه فانطلق منا رجال ركباناً و مشاتاً فاقترضنا الطريق حتّى انتهينا إلى المكان الّذى نرى أنّه فيه قال: فطلبناها فلم نقدر على شيء حتّى إذا عيلنا انطلقنا إلى دير قريب ممّا فسألناهم أين الماء الّذى هو عندكم؟ قالوا: ما قربنا ماء قالوا:

بلى إنا شربنا منه، قالوا: أنتم شربتم منه؟ قلنا نعم. قال: ما بنى هذا الدير إلّا لذلك الماء و ما استخراجة إلّا نبيّ أو وصي نبيّ.

قال نصر: ثمّ مضى أمير المؤمنين عليه السّلام حتّى نزل بأرض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب و النمر بن قاسط بالجزيرة ثمّ سار أمير المؤمنين عليه السّلام حتّى أتى الرقة و جلّ أهلها عثمانية - إلى أن قال: قال عمر بن سعد: حدّثني مسلم الملائي عن حبة عن علىّ عليه السّلام قال: لما نزل على الرقة بمكان يقال له: بليخ على جانب الفرات فنزل راهب من صومعة فقال لعليّ: ان عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم أعرضه عليك؟ قال علىّ عليه السّلام: نعم فما هو؟ قال الراهب:

بسم الله الرّحمن الرّحيم الّذى قضى فيما قضى و سطر فيما سطر أنّه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب و الحكمة و يدلّهم على سبيل الله لا فظّ و لا غليظ و لا صحّاب في الأسواق و لا يجرى بالسّيئة السيئة و لكن يعفو و يصفح أمته الحمّادون الّذين يحمدون الله في كلّ نشز و في كلّ صعود و هبوط تذلّ ألسنتهم بالتهليل و التكبير و ينصره الله على كلّ من ناواه فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثمّ اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثمّ اختلفت فيمّر رجل من أمته بشاطيء هذا الفرات يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يقضى بالحقّ و لا يرتشى في الحكم. الدّنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت الريح و الموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء يخاف الله في السرّ و ينصح له في العلانية و لا- يخاف في الله لومة لائم من أدرك ذلك النبيّ من أهل هذه البلاد فامن به كان ثوابه رضوانى و الجنّة و من أدرك ذلك العبد

الصالح فليُنصره فان القتل معه شهادة.

ثم قال الراهب: فانا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك، قال حبة: فبكي علي عليه السلام ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسباً الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار. ومضى الراهب معه وكان فيما ذكروا يتغدى مع علي ويتعشى حتى اصيب يوم صفين فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال علي عليه السلام: اطلبوه فلما وجدوه صلى عليه ودفنه وقال: هذا منّا أهل البيت واستغفر له مرارا.

«خاتمة في كلمة صفين»

صفين بكسر الصاد وتشديد الفاء كسجّين موضع على الفرات من الجانب الغربي بطرف الشام كما في مجمع البحرين للطريحي وفي كتاب حدود العالم السابق ذكره قال: الرقة و الرائقة بلدتان عظيمتان مخضرتان متصلتان على شاطئ الفرات وقعت حرب صفين في حدودهما من الجانب الاخر من الفرات. وهي اسم غير منصرف للتأنيث والتعريف ولا تقبل حرف التعريف اعني كلمة آل والشواهد في ذلك ما قال عمرو بن الحمق الخزاعي:

يقول عرسى لما أن رأّت أرقى ما ذا يهيجك من أصحاب صفينا

ألست في عصابة يهدى الا له بهم أهل الكتاب ولا بغيا يريدونا

وما قال النعمان بن عجلان الأنصاري:

سائل بصفين عتّا عند وقعتنا وكيف كان غداة المحك نبتدر

وما قال آخر كما مر آنفا:

وبالذي دان يوم النهر دنت به وشاركت كفه كفى بصفينا

لا- يقال: تأنيثها غير لازم لجواز أن تعبر بالمكان والموضع ونظائرهما لأننا نقول: إنهم لما وجدوها غير منصرف و فحصوا عن العلتين المانعتين عن الصرف ولم يجدوا غير العلمية سببا آخر عبّروها بالأرض و البقعة ونظائرهما حتى يتم السببان كما فعلوا بعمر وزفر. و اختلفوا في نونها أ هي أصلية أم زائدة فمال الجوهري في

الصحاح والفيروزآبادى فى القاموس والأكثر إلى الأول حيث ذكروها فى باب النون من كتبهم اللغويّة والأدبيّة فعلى هذا وزنها فعّيل كضليل من صفن الفرس صنفونا من باب ضرب إذا قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة أو من صفن القوم إذا صنفوا لأقدامهم لا يخرج بعضها من بعض و من صفن الرّجل إذا صفّ قدميه والآخرى إلى أنها زائدة فهى فعلين من الصفّ كالغسلين من الغسل حيث ذكروها فى باب الفاء. فعلى الأول صيغت للمبالغة كظائرها من سكّيت وخرّيت وظلّيم وضليل، لكثرة الخيل والرّجال فى تلك الواقعة الدالة بالكناية على كثرة الفارس والراجل، وعلى الثانى أيضا يمكن أن يقال إن الياء والنون زيد تافيهما مبالغة لكثرة الصفوف فى تلك الواقعة على ضابطة كثرة المباني تدلّ على كثرة المعانى فعلى التقديرين التسميّة بها تكون بعد وقوع تلك الواقعة العظيمة فيها وكم لها من نظير وإّما الكلام فى أنّ قبل هذه التّسمية بما ذا كانت سمّيت هل كان لها اسم فترك أو لم تسمّ باسم خاصّ رأسا؟ فحصنا ولم نجد فى ذلك شيئا وكما وجدنا فى تسميتها بصفّين إّما كان متأخرا عن تلك الواقعة، على أنّه لا يهّمنا والعلم عند الله تعالى.

وإّما اطلنا الكلام فى شرح هذه الخطبة لاشتغال تلك الواقعة على مطالب أنيقة مفيدة من اخلاقية واجتماعيّة وحكميّة وكلاميّة ينتفع الكل بذي الموائد ولأنّ كثيرا من كتبه عليه السّلام ورسائله الاتية ككثير من خطبه الماضيه تتعلق بصفّين وبذلك سهل الخطب لنا فى تفسير ما يأتى إن شاء الله المعين الوهاب، مع أنا فيما قدمنا أتينا بكثير من خطبه وكلماته لم يأت بها الشريف الرضى رضوان الله عليه فى النهج وكم من خطبة وكتاب وكلمة حكمة منه عليه السّلام جمعنا مع الأسانيد والمصادر وكذا وجدنا مصادر كثير ممّا فى النهج والسند (ها) فيها يكون ببالى ان الحقها فى آخر شرحنا على النهج بعنوان مستدرک النهج ومصادرهما إن أخذ التوفيق بيدي وساعدنى الدهر بعون ربّى.

الترجمة

از جمله خطبة بلاغت نظام آن قدوة انام عليه السّلام در شأن حکمین ابو موسى

اشعری و عمرو عاص و در مذمت اهل شام است.

(شامیان از پیروان معاویه بن ابی سفیان بودند و بقتال با امیر مؤمنان علی علیه السلام برخاستند و در صفین مدتی مدید کارزاری شدید کردند و از دو سپاه بسیار کشته شدند و بیست و پنج تن از صحابه پیغمبر صلی الله علیه و آله که عمار یاسر از آن جمله بود و در رکاب ظفر انتساب امیر المؤمنین در إعلاى کلمه حق و نصرت دین جهاد می کردند بدرجه رفیعه شهادت رسیدند، و رسول اکرم باتفاق شیعه و سنی بعمار فرمودند: *إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ* یعنی ای عمار تو را گروه ستمکار می کشند که در جنگ صفین لشکر معاویه وی را بکشتند. سرانجام لشکر معاویه شکست خوردند و چون آثار ذل و انکسار در خود مشاهده کردند بحیلت و خدعت عمرو عاص عیار قرآنها بر سر نیزه ها برافراشتند و فریاد زدند: کتاب الله بیننا و بینکم، اهل عراق که لشکر علی علیه السلام بودند جز تنی چند آن پیشنهاد را پذیرفتند و هر چه امیر المؤمنین ایشان را نصیحت کرد که این خدعت است و فریب نخورید فایده نکرد عاقبت در حباله حیلت عمرو در افتادند، و اتفاق کردند که هر یک از فریقین حکمی انتخاب کنند و بحکم آن دو تسلیم شوند، اهل شام عمرو عاص را برگزیدند و اهل عراق ابو موسی را امیر المؤمنین از این رأی روی درهم کشید و موافق رأی بلندش نیامد و گفت: فادفعوا فی صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس، ولی سربازان گول از رأی امیر سر باز زدند تا دیدند آنچه که دیدند) اهل شام ستمکارانی ناکس و بندگان پست اند، گرد آمده از هر سوی و برچیده از هر آمیخته اند، گروهی که باید آنان را دین و ادب و دانش آموخت و بکارهای ستوده واداشت و بر آنان ولی گمارد و دستشان را گرفت تا خودسری و خودکامی کاری نکنند (یعنی کودکان و سفیهانند کجا آنان را رسد که زمام امور امت در دست گیرند و در کار دین و ملت پای پیش نهند) نه از مهاجرند و نه از انصار و نه از آن انصاری که پیش از هجرت پیغمبر صلی الله علیه و آله در مدینه بودند و اسلام آوردند.

آگاه باشید که این قوم یعنی اهل شام حکم برای خودشان عمرو عاص را

برگزیدند که نزدیکترین مردم است بدانچه که دوست دارند، و شما ای مردم عراق حکم برای خودتان ابو موسی را اختیار کردید که نزدیکترین مردم است بدانچه که ناخوش دارید (اهل شام دوست داشتند که بر مردم عراق مستولی گردند و عمرو عاص در وصول به این غرض از همه بهتر و نزدیکتر برای آنان بود و مردم عراق از همان که شامیان می خواستند کراهت داشتند و ابو موسی نزدیکترین افراد بود به آن چه که اینان ناخوش می داشتند یعنی ابو موسی به پیروزی اهل شام و شکست اهل عراق از همه مایل تر و نزدیک تر بود یا از بلاهت غریزی او که بالأخره در دام مکر و حيله عمرو عاص افتاد و یا از عداوتی که با امیر المؤمنین علی علیه السلام داشت در کمین انتقام بود چنانکه در تفسیر خطبه شرح داده ایم) سپس حضرت در مقام احتجاج برآمده و فرمود:

یاد دارید که عبد الله قیس (ابو موسی اشعری عبد الله بن قیس است) دیروز (یعنی در جنگ جمل) می گفت: این فتنه ایست، پس زههای کمان را ببرید و شمشیرها را در غلاف کنید (کنایه از این که از جنگ حذر کنید و دست بردارید، در این باره از پیغمبر روایتی نقل کرده که در شرح تذکر داده ایم) اگر راست گفت پس این که بدون اکراه آمد و در فتنه افتاد و بلشکر عراق پیوست بخطا رفت، و اگر دروغ گفت، فاسق است (در هر حال چنین کسی را در امر دین و ملت حکم قرار دادن و به او اعتماد کردن قبیح است) پس دفع کنید (بزنید و دور سازید) سینه عمرو عاص را بعبد الله عباس (یعنی عبد الله بن عباس را حکم قرار دهید که او می تواند با عمرو بن عاص برابری کند و با او برآید و از اغراض شومش جلوگیری کند) و فرصت را از دست مدهید و مرزهای کشورهای اسلامی را حفظ کنید آیا نمی بینید که دشمنان به شهرهای شما روی آوردند و سنگ شما را هدف گرفته اند (یعنی در شما طمع کرده اند که آهنگ جنگ و قصد اضمحلال استقلال شما دارند).

اشارة

و الثلاثون و المأتان يذكر فيها آل محمد صَلَّى الله عليه و آله

هم عيش العلم و موت الجهل. يخبركم حلمهم عن علمهم و صمتهم عن حكم (أو - حكم) منطقتهم. لا يخالفون الحق و لا يختلفون فيه. هم دعائم الإسلام. و ولانج الاعتصام. بهم عاد الحق في نصابه، و انزاح الباطل عن مقامه، و انقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل و عاء و رعاية، لا عقل سماع و رواية. فإن رواة العلم كثير، و رعاه قليل.

اللغة

(دعائم) جمع الدعامة بكسر الدال و هي عماد البيت يقال دعم الشيء دعماً من باب منع إذا اسنده عند ميله او لتلا يميل و (الاعتصام) التمسك. قال الله تعالى:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً» اي تمسكوا به. (ولانج) جمع وليجة و هي بطانة الرجل و خاصته و صاحب سره الذي يتخذ معتمداً عليه من غير أهله يكشفه بأسراره ثقة بمودته و يقال بالفارسية: دوست همراز، و منه قوله تعالى «وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً» (نصاب) الشيء: أصله و حدّه و مرجعه و مستقره. (انزاح) من الزوح اي زال و ذهب. (وعاء) بكسر أوله و قد يضم ناقص يائي بمعنى الظرف يوعى فيه الشيء سمي بذلك لأنه يجمع ما فيه من المتاع يقال: وعى الشيء يعيه و عيا إذا حواه و جمعه و وعى الحديث إذا حفظه و تدبره. و قد يبدل واو و عاء بالهمزة فيقال إعاء.

ثم إن عبارة المتن في عدّة من نسخ النهج من المطبوعات المصرية و الإيرانية

وشروحها المتداولة هكذا: عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية.

ولكن الصواب ما ضبطناه في المتن اعني كون كلمة «وعاء» مكان «وعاية» ووعاية تحريف و تصحيف من النسخ و لما رأوا كلمة رعاية بعدها غير و الوعاء بالوعاية ظنوا منهم ان الكلام يزيد به حسنا و أن الأصل كان كما ظنوا و كم من نظير لما ذكرنا من خطأ النسخ و تحريفهم و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، و ما علموا أن من المحسنات البديعية في كلامه عليه السلام مشابهة قوله «وعاء و رعاية» بقوله «سماع و رواية» فإن الجمع بين وعاء و سماع مما يسمى في علم البديع جناس مضارع لتقارب الهمزة و العين في المخرج نحو قوله تعالى «وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ» و كقوله صلى الله عليه و آله الخيل معقود بنواصيها الخير. و الجمع بين رعاية و رواية يسمى طباقا. على أن اللغة لا تساعد ما في النسخ و كم فحسنا في كثير من كتب الأدب و المعاجم المتداولة فما وجدنا من وعى أن يأتي وعاية مصدرا أو غير مصدر.

الإعراب

الضميران في مقامه و منبته يرجعان إلى الباطل و يمكن أن يرجعا إلى الحق و سيعلم الوجه فيها عند الشرح إن شاء الله تعالى.

الفاء في قوله عليه السلام: فإن رواة العلم كثير فصيحة تنبئ عن محذوف يدلّ عليه ما قبلها و كأنّ الجملة جواب عن سؤال مقدر و التقدير: إنّما وصفهم بأنهم عقلوا الدين هكذا، فاجيب بقوله عليه السلام: لأنّ رواة العلم كثير و رعاعته قليل.

و جاء في بعض النسخ: كلمة الواو مكان الفاء، أي و إن رواة العلم كثير و لكن الصواب ما اخترناه.

المعنى

إشارة

قد ذكر عليه السلام قريبا من هذه الخطبة في ذيل الخطبة الخامسة و الأربعين و المائة و هو قوله عليه السلام: و اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتّى تعرفوا الذي تركه، و لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذي نقضه، و لن تمسكوا به حتّى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فانهم عيش العلم و موت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم و صمتهم عن منطقتهم و ظاهرهم

عن باطنهم لا يخالفون الدين و لا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق و صامت ناطق.

«عدة مواضع من النهج فى أوصاف آل محمد صلى الله عليه و آله»

اعلم انه عليه السلام ذكر اوصاف آل محمد صلى الله عليه و آله فى عدة مواضع من النهج:

(1) فى آخر الخطبة الثانية: هم موضع سرّه و لجاى أمره و عيبة علمه و موئل حكمه و كهوف كتبه و جبال دينه بهم اقام انحناء ظهره و اذهب ارتعاد فرائضه.

(2) منها فى ذيل تلك الخطبة أيضا: لا يقاس بال محمد صلى الله عليه و آله من هذه الأمة أحد و لا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا هم أساس الدين و عماد اليقين اليهم يفيء الغالى و بهم يلحق التالى و لهم خصائص حق الولاية و فيهم الوصيّة و الوراثة الان إذ رجع الحق إلى أهله و نقل إلى منتقله.

(3) الخطبة الرابعة: بنا اهتديتم فى الظلماء و تسنتم العلياء و بنا انفجرتم عن السرار و قر سمع لم يفقه الواعية - إلى أن قال فى آخرها: ما شككت فى الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال و دول الضلال اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل من وثق بماء لم يظما.

(4) فى ذيل الخطبة الخامسة و التسعين: و ائى لعلى بيّنة من ربى و منهاج من نبى و ائى لعلى الطريق الواضح القطة لقطا، انظروا أهل بيت نبىكم فالزموا سمتهم و اتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم فى ردى فان لبدوا فالبدوا و ان نهضوا فانهمضوا و لا تسبقوهم فتضلّوا و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا. لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه و آله فما أرى أحدا منكم يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غربا قد باتوا سجّدا و قياما يراوحن بين جباهم و خدودهم و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم و مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب و رجاء للثواب.

(5) فى ذيل الخطبة الثامنة و التسعين: ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه و آله كمثل

نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم فكأنكم من الله فيكم الصنائع و أراكم ما كنتم تأملون.

(6) فى الخطبة الثانية و الأربعةين و المائة: أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا كذبا و بغيا علينا أن رفعنا الله و وضعهم و أعطانا و حرمهم و أدخلنا و أخرجهم بنا يستعطى الهدى و يستجلى العمى إن الأئمة من قریش غرسوا فى هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم و لا تصلح الولاية من غيرهم.

(7) فى ذيل الخطبة الخمسين و المائة: قد طلع طالع و لمع لامع و لاح لائح و اعتدل مائل و استبدل الله بقول قوما و بيوم يوما و انتظرنا الغير انتظار المجذب المطر و إنما الأئمة قوام الله على خلقه و عرفاه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه إن الله تعالى خصكم بالإسلام و استخلصكم له و ذلك لأنه اسم سلامة و جماع كرامة اصطفى الله تعالى منهجه و بين حججه من ظاهر علم و باطن حكم لا تقنى غرائبه و لا تقضى عجائبه فيه مرايب النعم و مصاييح الظلم لا تفتح الخيرات إلا بمفاته و لا تكشف الظلمات إلا بمصايحه قد أحمى حماه و ارعى مرعاه فيه شفاء المشتفى و كفاية المكتفى.

(8) فى ذيل الخطبة 152: نحن الشعار و الأصحاب و الخزنة و الأبواب و لا توتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمى سارقا.

(9) فى ذيل هذه الخطبة أيضا فى فصل عليحدة: فيهم كرائم القرآن و هم كنوز الرّحمان ان نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يسبقوا - إلى آخرها.

(10) فى الخطبة 92: حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه و آله فأخرجه من أفضل المعادن منبتا و أعز الارومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها انبياءه و انتجب منها امناءه، عترته خير العتر و اسرته خير الأسر و شجرته خير الشجر نبتت فى حرم و بسقت فى كرم لها فروع طوال و ثمرة لا تنال - إلى آخر الخطبة.

(11) فى الخطبة 187: لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة فى

الأرض فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر، ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه للإيمان إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ولا يعي حديثنا إلاّ صدور أمينة وأحلام رزينة أيّها الناس سلونى قبل أن تفقدونى فلأنا بطرق السّماء أعلم منّى بطرق الأرض قبل أن تشغّر برجلها فتنة تطأ فى خطامها وتذهب بأحلام قومها.

(12) فى ذيل الخطبة 188: فأنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيدا ووقع أجره على الله. إلى آخرها.

(13) فى الحكمة 147: اللهمّ بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيئاته وكم ذا وأين أولئك أولئك و الله الأقلون عددا والأعظمون قدرا يحفظ الله بهم حججه وبيئاته حتّى يودعوها نظراءهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة إلى دينه آه آه شوقا إلى رؤيتهم.

(14) فى ذيل الخطبة 145 وقد ذكرناه أولا.

(15) الخطبة 237 اعنى هذه الخطبة التى نحن فى صدد شرحها.

فقول: ذكر عليه السّلام فى هذه الخطب آل محمّد صلّى الله عليه وآله بأوصاف ينبغى للقارئ العالم البصير الطالب للحق أن ينظر فيها نظر دقة وتأمّل وفكرة حتّى يزداده بصيرة وإيمانا ويهديه سبيل الحقّ ويهديه فرقانا. والمقام يناسب البحث والتحقيق فى الامامة واختيار القول الصدق والمذهب الحق.

«البحث العقلى والتحقيق العلمى فى الامامة»

اشارة

واعلم ان هذه المسألة من أعظم المسائل الخلافيّة بين المسلمين بل لا يبعد أن يقال: إن جميع الاختلافات الدينيّة متفرع عليها وقال محمّد الشهرستاني الأشعري

المتوفى - 548 هـ - فى أوائل الملل والنحل: أول شبهة وقعت فى الخليفة شبهة ابليس لعنه الله و مصدرها استبدالها بالرأى فى مقابلة النص و اختياره الهوى فى معارضة الأمر و استكباره بالمادة التى خلق منها و هى النار على مادة آدم عليه السلام و هى الطين - إلى أن قال: فأول تنازع فى مرضه (يعنى رسول الله صلى الله عليه و آله) عليه السلام فيما رواه محمد بن إسماعيل البخارى بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه و آله مرضه الذى مات فيه قال: ائتوني بداوة و قرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى فقال:

عمر إن رسول الله قد غلبه الوجد حسبنا كتاب الله و كثر اللغط فقال النبي عليه السلام:

قوموا عنى لا ينبغي عندى التنازع قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله - إلى أن قال الشهرستاني: و أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان.

لا يخفى أن المسلمين بل ساير الأمم أيضا متفقون فى افتقار الناس إلى إمام للعلم الضرورى، من أن حال الناس عند وجود الرؤساء المطاعين و انبساط أيديهم و نفوذ أوامرهم و نواهيهم و تمكنهم من الحلّ و العقد و القبض و البسط و الاحسان و الإساءة و غيرها مما ينتظم به امور معاشهم و مصالح معادهم لا يجوز أن يكون كحالهم إذا لم يكونوا فى الصلاح و الفساد و هذا مما جبّل عليه الناس و استقر فى عقولهم و قلوبهم و لا يصل اليه يد انكار و لا يكابر فيه أحد و لذا ترى ان العقلاء من كل قوم يلتجئون إلى نصب الرؤساء دفعا للمفاسد الناشئة على فرض عدمهم و إنما الكلام فى الرؤساء و صفاتهم مما يدلّ عليه العقل الناصع سواء كان فى ذلك سمع أو لم يكن فالمسألة يحتاج إلى تجريد للعقل و تصفية للفكر و تدقيق للنظر و مجانية المرء و تقليد الاباء فان التقليد الداء العيىء و الحذر عن التعصب و الخيلاء و الانقطاع عن الوسوس و الهواجس العامية، و حق التأمل فى المسألة حتى يتضح الحق حقّ الوضوح. و نعم ما قال الشاعر:

و تعلم قد خسرنا أو ربحتنا إذا فكرت فى أصل الحساب

فنعول: ان العقل حاكم بحسن البعثة لاشتمالها على فوايد كثيرة و سندر طائفة منها من ذى قبل انشاء الله، و بوجوبها على الله تعالى لاشتمالها على اللطف و اللطف واجب. و بأن النبى يجب أن يكون منصوفا عليه من الله تعالى و مبعوثا من عنده بالبينات و معصوما من العصيان و السهو و النسيان و منزها عن كل ما ينفر الطبع عنه، و أفضل من سائر الناس فى جميع الصفات الكمالية من النفسانية و البدنية حتى تحن القلوب اليه و يتم الحجة على الناس.

ثم نعلم أن النبوة ختمت بخاتم النبیین محمد صلى الله عليه و آله و شريعته نسخت سائر الشرائع و دينه هو الحق و حلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة و القرآن هو المعجزة الباقية إلى قيام الساعة لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بمعانيه و حقائقه و الفاظه «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» و إذا جرنا العقل إلى هنا فنقول اولاً لا بد للدين من حافظ فى كل عصر و ثانياً على ما علم قبل أن المستقر فى العقول إذا كان للناس امام مرشد مطاع فى كل عصر يخافون سطوته ينتصف للمظلوم من الظالم و يردع الظالم عن ظلمه و يحفظ الدين و يمنع الناس عن التهاوش و التحارب و ما تتسارع إليه الطباع من المراء و النزاع و يحرضهم على التناصف و التعادل و القواعد العقلية و الوظائف الدينية و يدرء المفاسد الموجبة لاختلال النظام فى امورهم عنهم و يحفظ المصالح و يلم شعث الاجتماع و يدعوهم إلى وحدة الكلمة و يقوم بحماية الحوزة و رعاية البيضة و انتظام امور المعاش و المعاد و يكون لهم فى كل واقعة دينية و دنيوية حصن حصين و حافظ أمين و يتوعدهم على المعاصى و يحملهم على الطاعات و يعدهم عليها و يصدع بالحق إذا تشاجر الناس فى حكم من أحكام الله لكانوا إلى الصلاح اقرب و من الفساد ابعد حتى قيل: إن ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن و ما يلتئم بالسنان لا ينتظم بالبرهان و بالجملة فى وجوده استجلاب منافع لا تحصى و استدفاع مضار لا تخفى.

و بعد ذلك فنقول: ان العقل يدل على أن الله تعالى مرید للطاعة و كاره للمعصية و أن الله ليس بظلام للعبيد و علمنا مع وجود ذلك الرئيس الامام المطاع

انه كان النَّاس إلى فعل الطاعة أقرب و من فعل المعصية أبعد و لنسّم ما يقرب العبد إلى الطاعة و يبعّده عن المعصية من غير الجاء باللفظ و هل هو واجب عقلا على الله أم لا؟ إن قلنا لا يجب عليه تعالى مع ان ايقاع الطاعة و ارتفاع المعصية يتوقفان على اللطف كما علمت و مع انه تعالى يريد الأولى و يكره الثانية و يعلم أن المكلف لا يطيعه إلا باللطف فكان ناقضا لغرضه و نقض الغرض قبيح عقلا و العقلاء يذمون من اراد من غيره فعلا- و هو يعلم أن ذلك الغير لا- يفعل مطلوبه إلا- مع اعلا-مه أو ارسال إليه و امثال ذلك، ممّا يتوقف حصول المطلوب عليه و لا يعمل ما يعلم بتوقف المطلوب عليه، فلا محيص إلا القول بوجوده عليه تعالى عقلا و لذلك ان العقل يحكم بأن البعثة لطف فواجبة على الله تعالى على ان كلّ ما يعلمه الله تعالى من خير و صلاح فى نظام العالم و انتظام امور بنى آدم يجب منه تعالى صدوره لان علمه بوجوده الخير و النظام سبب للايجاب و الايجاد فيجب نصب الامام من الله سبحانه فى كلّ زمان.

فلو قلنا ان النبوة رئاسة عامّة الهية فى امور الدين و الدنيا و كذلك لمن يقوم مقامه نيابة عنه بعده رئاسة عامة الهية فيهما لما قلنا شططا فكل ما دلّ على وجوب النبوة و نصب النبي و تعيينه على الله فهو دال كذلك على القائم مقامه بعده إلا فى تلقى الوحي الإلهي و لنسّم القائم مقام النبي بالإمام و ان كان النبي اماما أيضا بذلك المعنى الذى اشير إليه و سيأتى البحث فى تحقيق معنى الامامة و النبوة فى تفسير قوله تعالى «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» الآية. إنشاء الله تعالى.

وإن شئنا ثنينا عنان البيان على التفصيل و التبيين فإن من تيسّر له الاستبصار فى هذا الأمر الخطير فقد فاز فوزا عظيما و الا فقد خسر خسرانا مبينا فنقول: إن العقل لما دل على أن وجود الامام لطف للناس فى ارتفاع القبيح و فعل الواجب و حفظ الدين و حمل الرعية على ما فيه مصالحهم و ردعهم عما فيه مفسدهم فهل يجوز العقل أن يكون عالما ببعض الأحكام دون بعض، و ان يكون فى الناس من هو أعلم و أفضل

منه فى الصفات الكمالية و هل يأمر الله بالطاعة المطلقة لمن يجوز عليه الخطاء و يصدر عنه الذنوب، و يسهو و ينسى، و يرتكب ما ينفى الطبع عنه، و من يكون نقص فى خلقته و عيوب فى بدنه ينزجر و ينفى النفس عن مصاحبته و مجالسته و مكالمته و من يكون غير منصوص عليه منه تعالى أو من نبيه؟ فهذه امور فى المقام يليق ان يبحث عنها من حيث اقتضاء العقل و حكمه فان العقل هو المتبع فى أمثال تلك الأمور.

فنبول: بعد ما استقرت الشريعة و ثبتت العبادة بالأحكام و أن الامام إمام فى جميع الأمور و هو الحاكم الحاسم لمواد النزاع و متولى الحكم فى سائر الدين و القائم مقام النبى و فرعه و خليفته و حجة فى الشرع فلا بدّ من أن يكون موصوفا بصفات النبى و شبيها له فى الصفات الكمالية و عالما بجميع الأحكام حتى يصحّ كونه خليفة له و يحسم به النزاع فى حكم من الأحكام و فى سائر الأمور و إلاّ فيقبح عند العقلاء خلافة من ليس بصفات المستخلف لأن غرضه لا يتمّ به و ذلك كما أن ملكا من الملوك إن استوزر من ليس بعارف بأمر السياسة التى بها تنتظم امور مملكته و جيوشه و رعاياه و غيرها ذمّه العقلاء بل عدّوه من السفهاء بل كما أن أحدنا لو يفوض صنعة إلى رجل لا يعرفها استحق اللوم و الأزارء من العقلاء فكذا فى المقام مع أنّ المقام اهمّ بمراتب منهما كما لا يخفى على البصير العاقل و هذا ممّا مجرد العقل كاف فى ايجابه.

و أيضا ان أحد ما احتيج فيه إلى الامام كونه مبينا للشرع و كاشفا عن ملتبس الدين و غامضه فلا بدّ من أن يكون فى ضروب العلم كاملا غير مفتقر إلى غيره فولاة أمر الله خزنة علمه و عيبة و حيه و إلا يتطرق التغيير و التبديل فى دين الله و لذا صرّح الشيخ الرئيس فى آخر الشفاء فى الفصل فى الخليفة و الامام أنّ الامام مستقل بالسياسة و أنّه أصيل العقل حاصل عنده الأخلاق الشريفة من الشجاعة و العفة و حسن التدبير و أنّه عارف بالشريعة حتى لا أعرف منه.

ثمّ إنّ الامامة رئاسة عامّة فلو لم يكن الامام متصفا بجميع الكمالات و الفضائل و أكمل و أفضل من كلّ واحد من أهل زمانه و كان فى الرعية من هو أفضل

منه للزم تقديم المفضول على الأفضل و هل يرتضى العقل بذلك؟ أ رأيت أن العقلاء لا يذّمون من رجّح المفضول على الفاضل؟ و هل تقدّم أنت مبتدأ في فنّ على من مارسه و تبخر فيه؟ و هل يجوز عقلك و يرضى بان الله الحكيم يقدّم المفضول المحتاج إلى التكميل على الفاضل المكمل؟ جرد نفسك عن العصبية و المرء و تقليد الأمهات و الاباء فانظر بنور البصيرة و الحجى فى كلامه تعالى «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» و لما كان المطلوب من إرسال الرسل و انزال الكتب و نصب الحجج تعليم الناس الحكمة و تركيتهم من الأرجاس و اقبالهم إلى عالم القدس فأى مصلحة يقتضيها التكليف فى تقديم المفضول على الأفضل أليس هذا العمل نفسه بقبيح و هل القبيح إلا ما فيه مفسدة؟ أ رأيت هل قدّم رسول الله صلى الله عليه و آله و غيره من الأنبياء و الكملين و اولى النهى و الملوک و الأمراء مفضولا على فاضل فى واقعة قطّ و لو فعل واحد ذلك أما يلومه العقلاء؟ هل تجد خبرا و رواية أن رسول الله صلى الله عليه و آله قدّم على أمير المؤمنين علىّ عليه السلام غيره، و هل قدّم على سلمان سلام الله عليه عثمان بن مظعون مثلا و نعلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله لّمّا نعت إليه نفسه أمر اسامة علىّ أبى بكر و عمر و حث على خروج الكلّ من المدينة و لعن المتخلف عن جيش اسامة فكان اسامة فى أمر الحرب و سياسة الجند و تدبير العسكر أفضل منهما و إلا لما قدّمه عليهما و لو كان بالفرض علىّ عليه السلام معهم هل يقدّم رسول الله صلى الله عليه و آله اسامة علىّ علىّ عليه السلام؟ ما أرى مسلما بصيرا فى علىّ عليه السلام و اسامة أن يرضى بذلك بل يعده قبيحا جدّا فأنه لا يشك ذو بصيرة و دراية فى أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السلام كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوس و نسبته اليهم كنسبة النور إلى الظلمات و نسبة الحياة إلى الممات فتشهد الفطرة السليمة علىّ قبح تقديم المفضول على الفاضل.

ثمّ لو كان الإمام عاصيا عن أمر الله تعالى و مذنبا سواء كانت الذنوب صغيرة أو كبيرة فنقول أولا أنّه لما كانت العلة المحوجة إلى الإمام هى ردّ الظالم عن ظلمه و الانتصاف للمظلوم منه و حمل الرعيّة علىّ ما فيه مصالحهم و ردعهم عما فيه مفسادهم و نظم الشمل و جمع الكلمة فلو كان مخطئا مذنبا لاحتاج إلى آخر يردعه عن ظلمه

فان الذنب ظلم و نقل الكلام إلى ذلك الاخر فان كان معصوما من الذنوب و إلا لزم عدم تناهى الأئمة.

و أيضا إن الله تعالى لعن الظالم و نهى عن الظلم و حدّر عن الركون إلى الظلمة بقوله «وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» و كذا أمر بالطاعة المطلقة للامام فلو كان الامام مذنباً لكان ظالماً فيلزم التناقض في قوله تعالى عن ذلك.

و أيضا إن الامام لما كان قدوة في الدين و الدنيا مفترض الطاعة من الله و لو ارتكب المعصية تتضاد التكليف على الأمة فان اتبعته الأمة في المعصية فعصوا الله و إن خالفوه فيها فعاصية أيضا.

و أيضا لو صدرت المعصية عنه هل يجب الانكار عليه أم لا؟ فعلى الأول يلزم أن يكون مأموراً و منهيًا عنه مع أنه إمام أمرناه فيلزم إذا سقط محله من القلوب فلا- تنقاده النفوس في أمره و نهيه فتتفنى الفائدة المطلوبة من نصبه، و على الثاني يلزم القول بعدم وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مع أنّهما واجبان عقلاً و سمعاً و أجمع الكلّ بوجوبهما و معلوم بالضرورة أن فعل القبيح و ترك الواجب لا يصدر إلا ممن لا يكون معصوماً فان العصمة هي القوة القدسية النورية العلمية اللائحة من صبح أزل العناية الموجبة للاعتدال الخلقى و الخلقى و المزاجي المتعلقة بمثالب العصيان في الدارين الحاصلة بشدة الاتصال و كمال الارتباط بمبدء العالم و عالم الأرواح فمن بلغ إلى تلك الغاية و رزق تلك القوة لا- يحوم حول العصيان و لا- يتطرق إلى حريم وجوده السهو و النسيان فان تلك القوة رادعة إياه عن العصيان و ذلك العلم الحضورى و الانكشاف التام يمنعه عن السهو و النسيان فلو لم يكن الامام ذا عصمة ليصدر منه القبيح قولاً و فعلاً فاذن لا بد أن يكون معصوماً.

و نعم ما استدلل المتكلم التحرير هشام بن الحكم على عصمة الامام فلنذكره لعظم فائدته في المقام.

كلام هشام بن الحكم في عصمة الامام

روى الشيخ الجليل محمّد بن عليّ بن بابويه المشتهر بالصدوق في باب الأربعة

من كتابه المسمى بالخصال عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام ابن الحكم في صحبتي له شيئا أحسن من هذا الكلام في عصمة الامام فاني سألته يوما عن الامام أهو معصوم؟ فقال: نعم، فقلت: فما صفة العصمة فيه وبأى شيء يعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منفية عنه. لا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا و هي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين فعلى ما ذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسودا لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه؟ ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل.

ولا يجوز أن يحب أمور الدنيا لأن الله يحب إليه الآخرة كما يحب الينا الدنيا وهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا فهل رأيت أحدا ترك وجهها حسنا لوجه قبيح وطعاما طيبا لطعام مرّ وثوبا لثوب حسن ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟ انتهى كلامه رفع مقامه والله دزه.

أقول: ولا يخفى أن هذا الدليل جار في عصمة النبي صلى الله عليه وآله أيضا بل بطريق أولى.

ثم إن الشيخ الرئيس كأنما أخذ من هذا ما قال في النمط التاسع من الاشارات في مقامات العارفين حيث قال في آخره: العارف هسّ بسّ بسام يبجل الصغير من تواضعه كما يبجل الكبير وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من التبيه وكيف لا يهشّ وهو فرحان بالحقّ وبكلّ شيء فإنه يرى فيه الحقّ وكيف لا يستوى والجميع عنده سواسية أهل الرحمة قد شغلوا بالباطل - إلى أن قال: العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن تقيّة الموت، و جواد وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل، و صفاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تخرجها زلّة بشر، ونساء للأحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحقّ - إلى آخر ما قال.

ثمّ إذا ثبت أنّ الامام حجة في الشرع وبقاء الدين و الشريعة موقوف على وجوده و جب عقلا أن ينفي عنه ما يقدر في ذلك و ينفر عنه منها السهو و النسيان و إلاّ فاذا حكم في واقعة و بين حكم الله لا تطمئن به القلوب لا مكان السهو و النسيان فيه فاذا كان حافظا للشرع و لم يكن معصوما منهما لما آمن في الشرع من الزيادة و النقصان و التغيير و التبديل. و لم يحصل الوثوق بقوله و فعله و ذلك ينافي الغرض من التكليف، و كذلك إذا لم يكن منزها من سائر ما تنفر الطباع عنها لا تميل النفوس اليها و لا تشتاق إلى حضرته لنيل السعادات و درك الحقائق فلا يتم حجة الله على خلقه بل الفطرة السليمة و الروية المستقيمة و النفوس الكريمة تأبى عن طاعة من ارتكب ما تنفر عنه من أنواع المعاصي و الفواحش الكبائر و الصغائر و لو في سالف عمره و تاب بعد ذلك.

و أيضا لا- خلاف بين المسلمين ان الامام هو المقتدا به في جميع الشريعة و إنّما الخلاف في كيفيةه فاذا كان هو المقتدا به في جميع الشريعة و واجب علينا الاقتداء به فلو لم يكن مأمونا منه فعل القبيح لم نأمن في جميع افعاله و لا أقل في بعضها ممّا يأمرنا به و يدعونا اليه في الحدود و الديات و القصاص و سائر أحكام العبادات و المعاملات أن يكون قبيحا و من هو مأمون منه فعل القبيح هو المعصوم لا غير فيجب أن يكون الامام معصوما.

ثمّ إذا علم معنى العصمة فلا بد من أن يكون الامام منصوبا من عند الله أو من رسول الله صلّى الله عليه و آله أو من إمام قبله لأن العصمة أمر خفي باطنى تمييزه خارج عن طوق البشر و لا اطلاع لأحدهم عليها و لا يعلمها إلاّ الله تعالى على أنّه لا خلاف و لا نزاع بين الأمة في أنّ الامامة دافعة للضرر و أنّها واجبة و إنّما النزاع في تفويض ذلك إلى الخلق لما في ذلك من الاختلاف الواقع في تعيين الأئمة فيؤدّى إلى الضرر المطلوب زواله و لذا قال الشيخ الرئيس في آخر الهيات الشفاء في الفصل الخامس من المقالة العاشرة في الخليفة و الامام: و الاستخلاف بالنص أصوب فان ذلك لا يؤدّى إلى التشعب و التشاغب و الاختلاف.

ولما كانت هذه المسألة من أهم المسائل و اكتفى بعض الناس فيها بالافتعائيات و الخطايات بل بالوهميات التى لا اعتداد بها فى نصب الامام و أطفئوا نور العقل و عطلوه عن الحكم و القضاء و مالوا عن الجادة الوسطى و جانبوا الأدلة القطعية العلمية و الأصول اليقينية البرهانية الهمت أن أسلك طريقة اخرى عقلية فى تقريرها و تحريرها عسى أن يذكر من تيسر ليسرى فنقول و بالله التوفيق و بيده أزمة التحقيق: العقول حاكمة بأن أحوال العالم كلها إنما قامت على العدالة و بأن الأنبياء بعثوا ليقوم الناس بالقسط و بالعدل قامت السماوات و الأرض و به ينتظم جميع أمور الناس و به يصير المدينة مدينة فاضلة و بالعدالة المطلقة يعطى كلّ ذى حق حقه و به تحصل الكمالات العلمية و العملية المستلزمة لنيل السعادة الأبدية و القرب إلى عالم القدس و الايصال إلى المعبود الحق و هو سبب الفوز و النجاة فى الدنيا و الآخرة و لولا العدل لاختل نظام العالم و نظم اجتماع بنى آدم و تعطل الحدود و الحقوق و استولى الهرج و المرج و فسد أمر المعاش و المعاد و لزم غيرها من المفاسد التى لا تعدّ و لا تحصى، فالناس يحتاجون فى كلّ زمان إلى امام خيّر مطاع حافظ للدين عن التغيير و التبديل و الزيادة و النقصان و يكون هادى الأمة إلى ما فيه الفلاح و النجاح و رادعهم عن العدول عن الصراط المستقيم و الانحراف عن النهج القويم و عن الميل إلى الأهواء المردية و الاراء المغوية و سائقهم إلى طريق الاستقامة التى لا ميل فيها إلى جانبى الافراط و التفريط فان اليمين و الشمال مضلّة و الوسطى هى الجادة، و معطى كلّ ذى حق حقه و مقيم الحدود و مؤدى الحقوق و العدل فى كلّ شىء هو وضع ذلك الشىء فى موضعه أى إعطاء كلّ ذى حق حقه بحسب استعداده و استحقاقه و إعطاء كلّ ذى حق حقه يحتاج إلى العلم بحقائقهم و قدر استحقاقهم و استعدادهم و الاطلاع على الكليات و الجزئيات و إحاطتها على ما هى عليه و هى غير متناهية فهى غير معلومة إلا لله تعالى و لخلفائه الذين اصطفاهم، فالإمام

الَّذِي بيده أزيمة العدل والحكم والكتاب يجب أن يكون خليفته في الأرض وخليفته منصوب من عنده ومعصوم من العيوب مطلقاً.

وكذا مستكن في القلوب ومتقرر في الحكمة المتعالية أن النفس بالطبع منجذبة إلى محبة مشاهدة النور الأكمل والعلم الأتم وكلما كان الكمال أعلى والنور اسنى والعلم اتم والنفس أظهر كانت النفوس إليه أطوع وميلها إليه أشد وأكثر، ولما كانت العصمة هي العدالة المطلقة الرادعة عن الانحراف والظلم وكان الغرض الأقصى من الخلافة هو تكميل النفوس بانقيادها للإمام فيجب أن يكون الإمام معصوماً حتى يتحقق الغرض المطلوب منه وغير المعصوم ناقص بالضرورة عن كمال الاعتدال في القوى الثلاث أي الحكمة والشجاعة والعفة المستلزمة للعدالة المطلقة فإذا كان ناقصاً عنه يضلّ عن صراط الله المستقيم ولو في حكم جزئي والناقص المشتمل على الانحراف عن الصراط المستقيم لا يليق أن يكون واسطة الخلق إلى الحق وقائماً بهدايتهم وبالجملة إن الإمامة منصب إلهي يتوقف على كمال عقله النظرى والعملى والسلامة عن العيوب والعصمة عن الذنوب ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإلى ما حققناه وحررناه اشار طائفة من المتألهين من الحكماء في أسفارهم بأن الأرض لا يخلو من حجة إلهية قط.

قال الشيخ الرئيس في آخر الفصل الخامس من المقالة العاشرة من إلهيات الشفاء في الخليفة والإمام وجوب طاعتها بعد البحث عن الفضائل: ورءوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ومجموعها العدالة وهي خارجة عن الفضيلة النظرية ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير رباً إنسانياً وكاد أن يحل عبادته بعد الله تعالى وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه.

بيان: إنّما عبر الإمام بقوله رباً إنسانياً لأن حجة الله على خلقه لما كان بشراً واسطة بين الله وعباده لا بد من أن يكون مؤيداً من عند الحكيم العليم بالحكمة العملية والنظرية غير مشارك للناس على مشاركته لهم في الخلق بكرامات إلهية وأمر

قدسيّة و صفات ملكوتية فعبر الشيخ عن الجهتين أعنى الجهة البشريّة و الجهة الألوهيّة بقوله: ربّاً إنسانياً.

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: لا يخلو العالم من الخليفة الذي سماه أرباب المكاشفة و أرباب المشاهدة القطب، فله الرياسة و إن كان في غاية الخمول و إن كانت السياسة بيده كان الزمان نورانيا و إذا خلى الزمان عن تدبير مدبّر إلهي كانت الظلمات غالبية.

و قال في شرح النصوص: لا يزال العالم محفوظاً ما دام فيه هذا الإنسان الكامل ان الخليفة ظاهر بصورة مستخلفه في خزائنه و الله يحفظ صورة خلقه في العالم فأنه طلسم الحفظ من حيث مظهريّته لأسمائه واسطة تدبيره بظهور تأثيرات أسمائه فيها.

و سيأتي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حجج الله و بيّئاته و كم ذا و أين اولئك. اولئك و الله الأقلون عدداً و الأعظمون قدراً يحفظ الله بهم حججه و بيّئاته حتّى يودعها نظرائهم و يزعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة و باشروا روح اليقين و استلنا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى اولئك خلفاء الله في أرضه و الدّعاة إلى دينه.

«عدم تأثير السحر و الشعبة و أمثالهما في الحجج الإلهية»

تنبيه: قد علم مما قدمنا في الحجج الالهية أن العقل لا يجوز تأثير السحر فيهم و غاية ما يستفاد من الأخبار المذكورة في جوامع الفريقين أن بعض الناس كليد ابن أعصم اليهود مثلاً إنّما سحر رسول الله صلّى الله عليه و آله و أمّا أن سحره أثر فيه أثراً فممنوع فإن الأصل المتبع في تلك الأمور هو العقل فما وافقه و إلّا يعرض عنه. و ما ورد من تأثير السحر فيهم كما في نقل: أن رسول الله صلّى الله عليه و آله مرض من سحر ليبيد بن أعصم، و في آخر: كان النّبىّ صلّى الله عليه و آله يرى أنّه يجامع و ليس يجامع و كان يريد الباب و لا يبصره حتّى يلمسه بيده، من زيادات النقلة و الروايات فإن دأب النّاس في أمثال

هذه الواقعة على زيادة ما يستغرب ويتعجب منه.

قال الطبرسى فى المجمع: وهذا (يعنى تأثير السحر فىه صلى الله عليه وآله) لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله وقد أبى الله سبحانه ذلك فى قوله «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسَّ حُورًا أَنْظُرْ كَيْفَ صَدَّرُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا» ولكن يمكن أن يكون اليهودى أو بناته على ما روى اجتهدوا فى ذلك فلم يقدروا عليه واطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله على ما فعلوه من التموية حتى استخرج (يعنى استخراج سحر لبيد من بئر ذروان) وكان ذلك دلالة على صدقه وكيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم لهم.

و من تدبّر و تأمل فيما حرّرتنا من وجود الامام و أوصافه عقلا درى انه يجب أن يكون عالما بالسياسة و بجميع أحكام الشريعة و كلّ ما يحتاج اليه الناس فى تكميل نفوسهم و نظام امورهم، و أفضل من كلّ واحد من رعيّة عصره و أن وجوده لطف فيجب أن يكون منصوبا عليه و منصوبا من عند الله تعالى و معصوما عن الذنوب و منزها عن العيوب و عن كلّ ما يتنفر عنه الطبع السليم. فمن أخذت الفطانة بيده سعد و إلا فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

«التمسك بايتين و خمسة أخبار فى الامام و صفاته»

و اعلم أنّما حدانى على الايتان بتلك الأخبار و البحث عنها ما رأيت فيها من احتجاجات أنيقة مشتملة على براهين كلية عقلية فى اثبات المطلوب، لا من حيث أنّها أخبار أردنا ايرادها فى المقام و التمسك بها تعبدا، كما أن الايتين و افيتان للرشاد و السداد لو تدبّرنا فيهما بالعقل و الاجتهاد و المرجو أن ينظر فيها القارى الكريم الطالب للرشاد حق النظر و يتدبّر فيها حق التدبّر لعله يوفق بالوصول إلى الدين الحق فان الدين الحق واحد قال عزّ من قائل: «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» - و «لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ». ثمّ ليعلم أن الايات و الأخبار فى الدلالة على ذلك أكثر منها و لكننا اكتفينا بها روما للاختصار.

أمّا الايتان فاوليهما قوله عزّ و جلّ (البقرة الاية 119): «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»

«رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

أقول: الامام هو المقتدى به كما يقال إمام الصلاة لأنه يقتدى به و يأتى به وكذلك يقال للخشبة التي يعمل عليها الاسكاف امام من حيث يحذو عليها و للشاقول الذي في يد البناء إمام من حيث إنه يبني عليه و يقدر به و لا كلام في ان الامام الذي نصبه الله تعالى لعباده مقتدى به في جميع الشريعة و به يهتدون و الامام هادى الناس بأمر الله تعالى و كفى في ذلك شاهدا قوله تعالى في كتابه الكريم: «وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا « (الأنبياء - 73) و قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ » (السجدة - 24) حيث قرن الإمامة بالهداية التي هي بأمر الله تعالى أى الامام يهدى الناس إلى سواء السبيل بأمره تعالى و سنوضح ذلك مزيد ايضاح.

ثم انه ذكر غير واحد من المفسرين كالنيسابورى و صاحب المنار و غيرهما أن المراد بالامامة الرسالة و النبوة و قال الأول: الأكثرون على أن الامام ههنا النبى لأنه جعله إماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلاً بشرع كان تابعا لرسول و يبطل العموم، و لأن اطلاق الامام يدل على أنه إمام في كل شىء و الذى يكون كذلك لا بد أن يكون نبيا، و لأن الله تعالى سمّاه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغى أن يحمل على أجل مراتب الامامة كقوله تعالى «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا « لا على من هو أدون ممن يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة و القاضى و الفقيه و امام الصلاة و لقد أنجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون أهل الأديان كلها و قد اقتدى به من بعده من الأنبياء في اصول مللهم ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا و كفى به فضلا أن جميع امة محمد صلى الله عليه و آله يقولون في صلاتهم: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم. (انتهى) أقول: الصواب أن إبراهيم عليه السلام فاز بالامامة بعد ما كان نبيا و الامامة في الاية غير النبوة و ذلك لوجهين: الأول أن جاعل عمل في قوله تعالى إماما اعنى

إن اماما مفعول ثان لقوله جاعلك واسم الفاعل إنما يعمل عمل الفعل وينصب مفعوله ولا يضاف إليه إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال و أما إذا كان بمعنى الماضي فلا يعمل عمل الفعل كذلك ولا يقال زيد ضارب عمرا أمس نعم إذا كان صلة لأل فيعمل مطلقا كما حقق في محلّه.

حكى أنّه اجتمع الكسائي وأبو يوسف القاضي عند الرشيد فقال الكسائي:

أبا يوسف لو قتل غلامك فقال رجل أنا قاتل غلامك بالإضافة، وقال آخر أنا قاتل غلامك بالتنوين فأيهما كنت تأخذ به؟ فقال القاضي كنت أخذتهما جميعا. فقال الكسائي أخطأت إنما يؤخذ بالقتل الذي جرّ دون النصب. والوجه فيه أن اسم الفاعل المضاف بمعنى الماضي فيكون إقرارا وغير المضاف يحتمل الحال والاستقبال أيضا فلا يكون إقرارا. وما نحن فيه من قبيل الثاني كما لا يخفى.

وبالجمله إذا كان اسم الفاعل يعمل عمل فعله إذا لم يكن بمعنى الماضي فالاية تدل على أنّه تعالى جعل ابراهيم إماما إما في الحال أو الاستقبال وعلى أي حال كانت التّبوة حاصله له قبل الامامة فلا يكون المراد بالامامة في الاية النبوة.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام وفي الوافي ص 17 م 2) قال إنّ الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا وأن الله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا وأن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذه خليلا وأن الله اتخذ خليلا قبل أن يتخذه (أن يجعله - خ ل) إماما فلما جمع له الأشياء قال إني جاعلك للناس إماما فمن عظمها في عين إبراهيم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون السفية إمام التقى. انتهى فرتب هذه الخصال بعضها على بعض لاشتغال كل لاحق منها على سابقه مع زيادة حتى انتهى إلى الإمامة المشتملة على جميعها فهي أشرف المقامات وأفضلها.

وفيه أيضا قال أبو عبد الله عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبىّ منبأ في نفسه لا يعد و غيرها، ونبىّ يرى في النوم و يسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى أحد و عليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليهما السلام، ونبىّ يرى

فى منامه و يسمع الصوت و يعاين الملك و قد ارسل الى طائفة قلوبا او كثروا كيونس قال الله تعالى ليونس: «وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» و قال: يزيدون ثلاثين ألفا و عليه إمام، و الذى يرى فى منامه و يسمع الصوت و يعاين فى اليقظة و هو إمام مثل اولى العزم و قد كان إبراهيم عليه السلام نبيا و ليس بامام حتى قال الله ائى جاعلك للناس إماما قال و من ذريتى فقال الله لا ينال عهدى الظالمين من عبد صنما او وثنا لا يكون إماما.

الوجه الثانى ان الاية تدل على أن الله تعالى لما ابتلاه و اختبره بانواع البلاء جعله إماما و من ابين البلاء له ذبح ولده إسماعيل كما قال تعالى «فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى» - إلى أن قال - «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ» (الصفات 107) و وهبه الله إسماعيل فى كبره كما قال فى السورة المسماة باسمه «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» (إبراهيم: 43) فكان عليه السلام نبيا قبل أن كان إماما.

و كذلك نقول: إن مما ابتلاه الله تعالى به قضية ابتلائه بالأصنام و قال الله تعالى:

«وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا» - إلى أن قال: «فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا» (مريم: 51) فنص الله تعالى بانه كان حين يخاطب أباه صديقا نبيا و قال فى الاية الاولى «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» فلم يكن حين ابتلائه بالأصنام إماما بل كان نبيا و رزق الإمامة بعد ذلك.

فاذا ساقنا الدليل إلى أن الإمامة فى الاية غير النبوة فنقول كما فى المجمع:

ان المستفاد من لفظ الامام امران: أحدهما انه المقتدى به فى أفعاله و أقواله، و الثانى انه الذى يقوم بتدبير الأمة و سياستها و القيام بامورها و تأديب جناتها و تولية ولايتها و إقامة الحدود على مستحقيها و محاربة من يكيدها و يعاديها، فعلى الوجه الأول

لا- يكون نبيّ من الأنبياء إلاّ وهو إمام، وعلى الوجه الثانى لا يجب فى كلّ نبيّ أن يكون إماما إذ يجوز أن لا يكون مأمورا بتأديب الجنة و محاربة العداة و الدفاع عن حوزة الدين و مجاهدة الكافرين.

ثمّ إنّ معنى الإمامة فى الآية ليس مجرد مفهوم اللفظ منها بل هى الموهبة الالهية يهب لمن يشاء من عباده الصابرين الموقنين كما قال عز من قائل « وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ » (السجدة: 24) و إنّما اطلق الصبر و لم يذكر متعلقه بأنهم صبروا فيما ذا؟ ليعمّ صبرهم فى أنواع البلاء. فالإمامة هى الولاية من الله تعالى لهداية الناس بأمر الله تعالى التى توجب لصاحبها التصرف فى العالم العنصرى و تدبيره باصلاح فساده و اظهار الكمالات فيه لاختصاص صاحبها بعناية الهية توجب له قوة فى نفسه لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم العلوى و اكتساب العلم الغيبى منه، فبذلك التحقيق و بما بيناه فى أبحاثنا الماضية يظهر جواب ما استدللّ النيسابورى و غيره على ان المراد بالإمام هو النبيّ.

ثمّ ان الآية تدلّ على أن الإمام الهادى للناس بأمره تعالى يجب أن يكون منصوبا من عند الله تعالى حيث قال تعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» كما لا يخفى على من له أدنى دربة فى اساليب الكلام. و العجب من النيسابورى حيث قال فى تفسيره: ثمّ القائلون بأن الإمام لا يصير إماما إلاّ بالنصّ تمسكوا بهذه الآية و أمثالها من نحو: إني جاعل فى الأرض خليفة - يا داود إنا جعلناك خليفة، و منع بأن الإمام يراد به ههنا النبيّ سلمنا ان المراد به مطلق الإمام لكن الآية تدلّ على ان النصّ طريق الإمامة و ذلك لانزاع فيه إنّما النزاع فى أنّه لا طريق للإمامة سوى النصّ و لا دلالة فى الآية على ذلك انتهى. و بما حققناه و بيناه فى المقام يظهر لك أن كلامه هذا فى غاية السقوط. نعم أنّه أنصف فى المقام و قال:

وفى الآية دليل على أنّه عليه السّلام كان معصوما عن جميع الذنوب لأنّه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به و ذلك يؤدّى إلى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا إليه و ذلك محال.

قوله تعالى: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ». عطف على الكاف من جاعلك وان شئت قلت: و من ذريتي تتعلق بمحذوف تدل عليه كلمة جاعلك و من للتبعيض أى اجعل بعض ذريتي إماما كما يقال ساكرمك فتقول و زيدا و إنما طلب الإمامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم لا يليق بها لأن ناسا غير محصورين لا يخلو فيهم من ظالم غالبا قال الله تعالى: «سَاءَ لِمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَ بَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَىٰ إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ» (الصفات 115).

و أفاد بعض المفسرين أنه قد جرى إبراهيم على سنة الفطرة في دعائه هذا فان الانسان لما يعلم من أن بقاء ولده بقاء له يحب أن تكون ذريته على أحسن حال يكون هو عليها ليكون له حظ من البقاء جسدا و روحا. و من دعاء إبراهيم الذي حكاه الله عنه في السورة المسماة باسمه «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» (إبراهيم: 40) و قد راعى الأدب في طلبه فلم يطلب الإمامة لجميع ذريته بل لبعضها لأنه الممكن، و في هذا مراعاة لسنن الفطرة أيضا و ذلك من شروط الدعاء و آدابه فمن خالف في دعائه سنن الله في خليقته او في شريعته فهو شريعته فهو غير جدير بالاجابة بل هو سيئ الأدب مع الله تعالى لأنه يدعوه لأن يبطل لأجله سنته التي لا تتبدل و لا تتحول أو ينسخ شريعته بعد ختم النبوة و اتمام الدين.

و العهد في الاية الإمامة التي اعطاها الله تعالى إبراهيم و إنما سميت تلك الرياسة الالهية عهد الله لاشتمالها على كل عهد عهد به الله تعالى إلى بنى آدم كقوله تعالى «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ» - و «إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ».

و من عظمها و شرافتها في عين إبراهيم سأل الإمامة لبعض ذريته فأجابته الله تعالى بأن الإمامة عهده و لا يناله الظالمون يقال: نال خيرا ينال نيلا أى أصاب و بلغ منه. و بين الله تعالى ان عهده ذو مقام منيع و درجة رفيعة لا يصل اليه يد الظالم القاصرة.

و أيضا دلّت الاية على أن بعض ذريته الظالم لا ينال عهد الله لأن الظالم ليس

بأهل لأن يقتدى به فلم ينف الله تعالى الإمامة عن ذريته مطلقا وإلا لكان يقول:

لا ينال عهدى ذريتك مثلا بل ذكر المانع من النيل إلى ذلك المنصب الالهى مطلقا و هو الظلم و ذلك كما ترى أن الله جعل الإمامة فى بعض أولاده و احفاده كاسماعيل و إسحاق و يعقوب و يوسف و موسى و هارون و داود و سليمان و أيوب و يونس و زكريا و يحيى و عيسى و الياس ثم أفضلهم و أشرفهم محمد صلى الله عليه و آله و الله تعالى اثنى عليهم فى الكتاب بثناء مستطاب. فالاية تدل على ان الإمامة التى جعلها لبراهيم عليه السلام لا ينالها من كان ظالما من ذريته فعلم من الاية أمران: أحدهما أن الإمامة لا يكون إلا فى ذريته، و الثانى أنه لا ينالها من عند الله من هو موصوف بالظلم منهم. فعلم أن كل ظالم من ذرية إبراهيم لا يصلح أن ينال الإمامة و الولاية من قبل الله و لا يكون ممن رضى الله بامامته و ولايته و إلا لزم الكذب فى خبره هذا خلف فكل ظالم تولى امور المسلمين باستيلائه و قهره و كثرة أعوانه و أنصاره لا يكون إماما من الله و لا ممن رضى الله بامامته و الا لكان قد جعله إماما و كذا لا تكون مجعولا من رسله و لا من خواص أوليائه لنص الاية الدال على أن الله تعالى لا يجعل الإمامة و لا ينالها منه من كان ظالما.

ثم إن أصحابنا الإمامية استدلوا بهذه الاية على أن الإمام لا يكون إلا معصوما عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذى هو الإمامة ظالم فمن ليس بمعصوم فهو ظالم إما لنفسه و إما لغيره و من لم يتصف بالعصمة لا يتصف بالاستقامة و الاعتدال المتصفين بهما أهل الولاية عن الله فيتحقق الميل عن الوسط و الخروج عن الصراط المستقيم فيكون من أحد الجانبين إما من المغضوب عليهم أو الضالين فان قيل: إنما نفى أن يناله ظالم فى حال ظلمه فاذا تاب لا يسمى ظالما فيصح أن يناله. فالجواب أن الظالم و ان تاب فلا يخرج من أن تكون الاية قد تناولته فى حال كونه ظالما فاذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها و الاية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها فلا ينالها الظالم و ان تاب فيما بعد (قاله فى المجمع).

وبالجمله ان عموم ظاهر الاية يقتضى ان الظالم فى حال من الأحوال لا ينال الإمامة و من تاب بعد كفر أو فسق وإن كان بعد التوبة لا يوصف بأنه ظالم فقد كان ممن تناوله الاسم و دخل تحت الاية و إذا حملناها على أن المراد بها من دام على ظلمه و استمر عليه كان هذا تخصيصا بغير دليل.

أقول: فالاية تدلّ على ابطال إمامة غير على عليه السلام لانهم كانوا مشركين قبل الاسلام و عبدوا الأصنام بالاتفاق و كلّ مشرك ظالم و قال الله تعالى «إِنَّ الشُّرَكَاءَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ» فكلّ ظالم لا ينال عهد الإمامة. و لذا قال الصادق عليه السلام: من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما و نعم ما نظم الحسين بن على الكاشفى حيث قال فى قصيدة فارسية له:

ذريتى سؤال خليل خدا بخوان و ز لا ينال عهد جوابش بكن أدا

گردد ترا عيان كه امامت نه لائق است آنرا كه بوده بیشتر عمر در خطا

و قال الزمخشري فى الكشاف فى بيان قوله تعالى و «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»:

اى من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافى و عهدى اليه بالامامة و إنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم و قالوا: فى هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة و كيف يصلح لها من لا يجوز حكمه و شهادته و لا تجب طاعته و لا يقبل خبره و لا يقدم للصلاة و كان أبو حنيفة يفتى سرا بوجوب نصرة زيد بن على رضوان الله عليهما و حمل المال اليه و الخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام و الخليفة كالدوانيقى و أشباهه و قالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم و محمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال: ليتنى مكان ابنك، و كان يقول فى المنصور و أشياعه: لو أرادوا بناء مسجد و أرادونى على عد آجره لما فعلت. و عن ابن عيينة (و عن ابن عباس - خ ل) لا- يكون الظالم إماما قط و كيف يجوز نصب الظالم للامامة و الإمام إنما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم. انتهى.

إن قلت: إن يونس صلوات الله عليه نال عهد الله الذى هو الإمامة مع أن الله تعالى حكى عنه أنه قال: سبحانك إني كنت من الظالمين (الأنبياء: 89)

أقول: ان الظلم فيه محمول على ترك الأولى كما فى حق آدم صلوات الله عليه حيث قال: ربنا ظلمنا أنفسنا وبالجملة ما ورد فى القرآن و الأخبار ممّا يؤهم صدور الذنب عن الأنبياء و خلفائهم الحق محمول على ترك الأولى جمعاً بين ما دلّ العقل عليه و بين صحة النقل لأن المتبع فى اصول العقائد هو العقل و هو الأصل فيها و كلّ ما ثبت بدليل قاطع فلا يجوز الرجوع عنه على أن لتلك الايات و الأخبار ذكرت وجوه و محامل أتى بها العلماء فى مواضعه و عليك فى ذلك بكتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى علم الهدى فانه شفاء العليل.

و من أحسن ما قيل فى المقام: ان تلك الظواهر دالّة على عظم شأنهم و علو مرتبتهم إذ معاتبة الحكيم لهم على تلك الأفعال التى هى فى الحقيقة لا توجب العصيان و المخالفة دليل على أنّهم فى محلّ يقتضى تلك المعاتبة تنزيهاً لهم و تقخيماً لأمرهم و تعظيماً لشأنهم عن ملابسة ما لا يليق بمراتبهم إذ هم دائماً فى مرتبة الحضور الموجبة لعدم التفاتهم إلى غير الحقّ و كان وقوع ذلك منهم فى بعض الحالات أو مع شىء من الاشتغالات البدئية و الانجذاب فى بعض الأحيان إلى الأمور و المادّية موجبا لتلك المعاتبة.

و بالجملة ان الحجج الالهية لما كانوا فى نهاية القرب من الله تعالى و كمال الاتصال بجنابه و تمام الحضور إلى حضرته و كانوا أيضاً مع تلك المرتبة الشامخة فى العوائق و العلائق البدئية اللازمة للبشرية رين مع الرعيّة للإرشاد و التبليغ قد يعرض لهم فى تلك الأطوار و الشئون البشرية أمور يعدونه سيئات و إن لم تكن فى الحقيقة بقبائح و سيئات فيتضرعون إلى الله تعالى بقولهم ربنا ظلمنا أنفسنا أو سبحانه إتي كنت من الظالمين. فان المخلصين على خطر عظيم.

و بذلك ظهر سرّ الحديث المروى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ثمّ اعلم أن إبراهيم عليه السلام لما طلب الإمامة لبعض ذريته فكان يكفى فى جوابه ان يقال: نعم، مثلاً لكنّه لما لم يكن نصاً فى ان الظالم لا ينال الإمامة لأنه كان

يشمل حينئذ الظالم وغيره وكذا لوقال ينال عهdy المؤمنين مثلاً لما كان أيضاً نصاً في خروج الظالم غاية ما يقال حينئذ خروجه بالمفهوم فنصّ بالظالم لخروجه عن نيل عهد الله تعالى اعنى الإمامة بقوله لا ينال عهdy الظالمين. كما نصّ أيضاً بأن أمر الظالم ليس برشيد و من اتبعه فجزاءه جهنم، فى قوله: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بئسَ الوِزْدُ المَورُودُ وَ اتَّبَعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بئسَ الرَّفْدُ المَرفُودُ » (هود: 102).

ثم إن الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز كثيراً من صفات من جعله إماماً للناس بقوله:

1 - «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ». فرتبة الإمامة و درجة الولاية اعلى و ارفع من أن ينالها الظالم و بهذه الآية بين أيضاً أن الإمام منصوب من عنده كما دريت.

2 - «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » (النحل: 125) فمن صفات الإمام أن يكون ممن اجتبه الله فهو نصّ فى ان الإمام يجب أن يكون منصوباً من الله تعالى و أن يكون مهدياً بهدى الله تعالى إلى صراط مستقيم و أن لا يكون من المشركين. فافهم و تدبّر حق التدبّر.

3 - «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ » (هود: 79).

4 - «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ » (الأنبياء: 54).

5 - «وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » (الأنبياء: 75) فالإمام يهدى بأمره تعالى و يوحى إليه فعل الخيرات.

6 - «وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يوقِنُونَ » (السجدة: 26).

7 - «وَ مَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا »

«وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (البقرة: 127).

فمن اتصف بهذه الأوصاف الملكوتية و ايد بهذه التأييدات السماوية فهو امام فطويى لمن عقل الدين عقل رعاية و دراية.

الاية الثانية قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (النساء آيه 57).

و الاية تدلّ على امور: الأول أن إطاعة الرسول صلّى الله عليه و آله فيما أمر به و نهى عنه واجبة كما أن اطاعة الله تعالى واجبة فليس لأحد أن يقول: حسبنا كتاب الله فلا- حاجة لنا إلى الأخبار المروية عن الرسول و العمل بها، وذلك لأن هذا القول نفسه ردّ الكتاب و لو كان كتاب الله وحده كافيا لما أفرد الأمر بطاعة الرسول صلّى الله عليه و آله بقوله عزّ من قائل: «أَطِيعُوا الرَّسُولَ» بعد قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ». و نظير الاية قوله تعالى:

«مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» و قوله تعالى: «وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا» و قوله تعالى «وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» فقد أخطأ من قال: حسبنا كتاب الله و اعرض عن قول رسول الله صلّى الله عليه و آله.

الأمر الثانى أن الله تعالى أوجب على الناس اطاعة أولى الأمر كما أوجب اطاعته و اطاعة رسوله فالحرى بالطالب نهج القويم أن يرى بعين العلم و المعرفة رأيه فى معنى اولى الأمر و مراده عزّ و جل منهم فنقول: قد فسر بعضهم اولى الأمر بالأمرأ و بعض آخر و منهم الفخر الرازى فى تفسيره بالعلماء و لا يخفى أن المعنى الثانى عدول عن الصواب جدّا فان اولى الأمر هم مالكو الأمر و مالكو الأمر من بيده الحلال و العقد و الأمر و النهى و التدبير و السياسة و ما فيه تنظيم امور الناس دينية كان أو دنيوية، فكيف يجوز تفسير اولى الأمر بالعلماء سيما فى كلام الله الذى هو فى غاية الفصاحة و نهاية البلاغة و معجزة النبوة الباقية و هل هذا إلا الخروج عن مجرى الفصاحة و الورود فى مورد السخافة.

أما مراده عزّ وجلّ من اولى الأمر فنقول: إنا نعلم بتّنا أن كثيرا من الخلفاء و الأمراء ك معاوية و يزيد و الوليد و الحجاج و آل امية و بنى مروان و الخلفاء العبّاسيين و أمثالهم قديما و حديثا لعبوا بالدين و اتخذوا كتاب الله سخريا و فعلوا من الفواحش و المنكرات و فنون الظلم و المنهيات من سفك الدماء و أخذ أموال الرعية ظلما و شرب الخمر و نحوها. ما يتعذر عدّها و تشمئز النفوس المطمئنة السليمة عن استماعها و تستقيح ذكرها، و لو نذكر معشارا من ظلمهم و سائر فواحشهم و مقابحهم مما نقل في كتب القوم و مصنفاتهم لبلغ مبلغا عظيما و هذا هو الوليد بن يزيد نذكر فعلا من أفعاله يكون أنموذجا لسائر آثاره و ان بلغ في الفسق و الفجور إلى حد لا يناله يد انكار و لا يرتاب فيه أحد و لعمرى أنى أستحيى من نقل هذه القضية الصادرة منه و لكنى أقول: ان من جانب المرء و اللداد و تقليد الاباء و الأجداد و اعرض عن الأغراض النفسانية و العصبية و نظر بعين العلم و البصيرة و تفكر ساعة في معانى الايات و الأخبار و تأمل في غرض البعثة و تكليف العباد و أراد ان يسلك مسلك السداد و الرشاد هل يرضى بأمانة من يرتكب من المعاصى و الفواحش ما يستحيى بذكره الانسان و هلاّ يقضى عقله بأنّه لو كان الوليد و أشياعه مالكى ازمة الأمور و القائمين مقام الرسول لما كان إرسال الرسل و إنزال الكتب إلاّ اللهو و العبث و اللعب.

قال أبو الفرج الاصبهاني فى الاغانى (ص 174 ج 19 طبع ساسى) فى ترجمة عمار ذى كنان باسناده عن العمرى أنّه قال: استقدمنى الوليد بن يزيد بعد هشام بن عبد الملك ثمّ قال لى: هل عندك شىء من شعر عمار ذى كنان؟ فقلت: نعم، أنا أحفظ قصيدة له و كنت لكثرة عبثى به قد حفظتها فانشدته قصيدته التى يقول فيها:

حبذا أنت يا سلامة الفين حبذا

إلى آخر القصيدة و أنا اعرضت عن الإتيان بها لشناعتها و قباحتها و اجلّ صحيفتى المكرّمة عن أن تملأ بتلك القصائد المنسية عن ذكر الله و هى شرح كتاب علوى عجز الدهر أن يأتى بمثله.

و بالجملّة قال العمرى بعد ذكر القصيدة: فضحك الوليد حتّى سقط على

قفاه و صفق بيديه و رجليه و أمر بالشراب فاحضر و أمرني بالانشاد فجعلت انشده هذه الأبيات و اكررها عليه و هو يشرب و يصفق حتى سكر و أمر لي بحلتين و ثلاثين ألف درهم فقبضتها ثم قال: ما فعل عمّار؟ فقلت حتى كميته قد غشى بصره و ضعف جسمه لا حراك به فأمر له بعشرة آلاف درهم فقلت له: ألا أخبر أمير المؤمنين بشيء يفعل لا ضرر عليه فيه و هو أحبّ إليّ عمّار من الدنيا بحذافيرها لو سيقنت اليه؟ فقال:

و ما ذاك؟ قلت: إنّه لا يزال ينصرف من الحانات و هو سكران فترفعه الشرط فيضرب الحد فقد قطع بالسياط و لا يدع الشراب و لا يكف عنه فتكتب بأن لا يعرض له فكتب إلى عامله بالعراق أن لا يرفع اليه أحد من الحرس عمارا في سكر و لا غيره إلاّ ضرب الرافع له حدّين و أطلق عمّارا. إلى آخر ما قال.

و في المجلس التاسع من أمالي الشريف المرتضى: أن وليد بن يزيد بن عبد الملك ابن مروان كان مشهورا بالاحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم في اطراح الدين أحدا و لا مراقب فيه بشرا و قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمر و يشرف على الطواف و نشر يوما المصحف و كان خطه كأنه إصبع و جعل يرميه بالسهم و هو يقول:

تذكرني الحساب و لست أدري أحقا ما تقول من الحساب

فقل لله يمنعي طعامي و قل لله يمنعي شرابي

و فتح المصحف يوما فرأى فيه «وَأَسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» «إبراهيم: 15» فاتخذ المصحف غرضا و رماه بالنبل حتى مزّقه و هو يقول:

أتوعد كلّ جبار عنيد فيها أنا ذاك جبار عنيد

فان لاقيت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ مزّقني وليد

و هذا هو الحجّاج هدم الكعبة و قتل من المؤمنين و المتّقين و أولياء الله و عباده ممّا لا يحصى و فعل في إمارته ما فعل من أنواع الظلم بلغت إلى حد التواتر و يضرب بها المثل السائر فلو كان مراده عزّ و جلّ من أولى الأمر مطلق من تولى أمر المسلمين للزم التناقض في حكمه تعالى و ذلك لأنّه تعالى جعل مثلا

الكعبة البيت الحرام قيما للناس فلو أمر الناس باطاعة الحجاج في أفعاله فأمرهم بهدم الكعبة فيجب عليهم هدم الكعبة مع أن الله حرم عليهم هتك حرمتها و هل هذا الا التناقض و كذا في أفعال الوليد، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

و نعلم قطعا ان الله تعالى عادل في حكمه و فعله و قوله و ليس بظلام للعبيد فتعالى عن أن يوجب اطاعة الأمراء الظلمة و هو تعالى يقول «و لا تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ»... «ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ» - «وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ» - و «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» و غيرها من الايات بهذا المضمون. فالعقل الناصع يحكم بأن مراده تعالى من الاية ليس مطلق اولى الأمر و لا تشمل الظالمين منهم قضاء لحق البرهان العقلي، جلّ جناب الرب أن يوجب على الناس اتباع هؤلاء الظلمة و اتباعهم و ما أحلى قول الشاعر:

إذا كان الغراب دليل قوم فماؤاهم محلّ الهالكينا

و ما أجاد قول العنصرى بالفارسي:

هر كه راهبری كلاغ كند بی گمان دل بدخمه داغ كند

ثمّ نقول: ان غير المعصوم ظالم و الظالم لا يصلح لان يكون من اولى الأمر فان الظالم واضع للشىء في غير موضعه و غير المعصوم كذلك فلا يؤمن في الشرع من الزيادة و النقصان و التغيير و التبديل فلا بدّ من أن يكون أولو الأمر معصومين.

ثمّ نقول: العصمة ملكة تمنع عن الفجور مع القدرة عليها و تحصل بالعلم بمثالب المعاصي و مناقب الطاعات و تتأكد بتتابع الوحي بالأوامر و النواهي فعلى الله تعالى أن يعرّف اولى الأمر لآته خارج عن طوق البشر و وسعهم فان العصمة أمر باطنى لا يعلمها إلا الله على أنا نقول كما ان الملوك مثلا إذا امروا الناس باطاعة الأمراء و القضاة فمعلوم بالضرورة و مستقر في النفوس ان مرادهم بذلك وجوب اطاعة الأمراء و القضاة الذين نصبهم و عيّنهم على الناس لا غير و كذا في المقام نقول ان الله لا يأمر باطاعة كل من صار أو جعل أمير المسلمين و لو ظلما و زورا بل باطاعة الأمراء الذين عيّنهم الله تعالى و نصبهم لذلك.

الامر الثالث أن الزّمان لا يخلو من إمام معصوم منصوب من عند الله تبارك و تعالی لأنه عزّ و جل أوجب اطاعة اولی الأمر و نعلم بالضرورة أن امره تعالی فی ذلك ليس مقصورا فی زمن النّبی صلی الله علیه و آله لأن حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة و هو خاتم التّبيين فكما أنّ إطاعة الله و رسوله لا يختص بزمانه صلی الله علیه و آله بل هما واجبتان إلى قيام الساعة فكذا إطاعة اولی الأمر المقرونة باطاعتهم و حيث ان الأمر باطاعة المعدوم فيصح ففی كلّ عصر لابد من صاحب أمر حتّى يصلح الأمر باطاعته و هذا لا يصدق إلا على الأئمة من آل محمّد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق بالبرهان الذي قدمنا.

و فی المجمع: بعد ما نقل القولین فی معنى اولی الأمر أحدهما الأمراء و الآخر العلماء قال: و أمّا أصحابنا فاتّهم روى عن الباقر و الصادق عليهما السلام أن اولی الأمر هم الأئمة من آل محمّد صلی الله علیه و آله أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته و طاعة رسوله و لا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق الا من ثبتت عصمته و علم أن باطنه كظاهره و أمن منه الغلط و الأمر بالقيح و ليس ذلك بحاصل فی الأمراء و لا العلماء سواهم، جلّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلقين فی القول و الفعل لأنّه محال أن يطاع المختلفون كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. و ممّا يدلّ على ذلك أيضا أنّ الله تعالی لم يقرن طاعة اولی الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا و اولو الأمر فوق الخلق جميعا كما أن الرسول صلی الله علیه و آله فوق اولی الأمر و فوق سائر الخلق و هذه صفة أئمة الهدى من آل محمّد الذين ثبتت امامتهم و عصمتهم و اتفقت الأمة على علوّ رتبتهم و عدالتهم.

ثمّ نقول: لما علم ان الأئمة الهدى من آل محمّد عليهم السلام قائمون مقام الرسول و حجج فی الشرع فكما فی زمن الرسول صلی الله علیه و آله ان تنازع الناس فی شىء من امور الدين يجب عليهم الرد إلى الله و الرسول و كذلك بعد وفاته يجب عليهم الرد إلى المعصومين القائمين مقامه و الذين هم الخلفاء فی امته و الحافظون لشريعته بأمره فالرد إليهم مثل الرد إلى الرسول صلی الله علیه و آله و أكد سبحانه ذلك و عظّمه بقوله عز من

قائل «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أى الردّ إلى الله و الرّسول و القائمين مقام الرسول خير لكم و أحسن من تأويلكم.

و ان قلت: كما أن الأمراء المنصوبين من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي زَمَنِهِ كَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَرْسَلَهُ وَإِلَى الْيَمَنِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْوَلَاةِ الَّذِينَ كَانَتْ اطَاعَتُهُمْ وَاجِبَةً عَلَى النَّاسِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَ الْخَطَأِ وَ السَّهْوِ وَ النِّسْيَانِ وَ غَيْرِهَا كَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي أَوْلَى الْأَمْرِ بَعْدَهُ فَمَا أَوْجَبَ عَصْمَةَ أَوْلَى الْأَمْرِ الَّذِينَ بَعْدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ أَقُولُ: هَذَا قِيَاسٌ مَعَ الْفَارِقِ جَدًّا وَ بَيْنَهُمَا بُونَ بَعِيدٍ وَ أَمَدٌ مَدِيدٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَوْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَ أَقْبَلَ أَمْرٌ مَشْتَبَهُ لِلْحُكَّامِ وَ الْقَضَاةِ وَ الْوَلَاةِ الْمَنْصُوبِينَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَكْشِفُ عَنْهُ وَ يَزِيلُ الشُّبْهَةَ وَ يَقْضِي بِالْفَصْلِ وَ يَصْدُقُ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِرَدِّ التَّنَازَعِ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ فِي الْآيَةِ وَ أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ الْأَمْرِ الْقَائِمِ مَقَامِهِ فِي كُلِّ عَصْرِ مَعْصُومًا وَ مَنْصُوبًا مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لَوْ أَقْبَلَ تَنَازَعٌ فِي الدِّينِ فَمَنْ يَزِيلُ الشُّبْهَةَ وَ يَبِيدُ الْغَائِلَةَ؟ وَ كَذَا الْكَلَامُ فِي الْأَمْرَاءِ وَ الْحُكَّامِ مِنْ قَبْلِ الْإِمَامِ فَإِنَّ الْإِمَامَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأَحْكَامِ، فَبُجُودِهِ يَرْتَفِعُ الشَّجَرُ وَ يَقْلَعُ التَّنَازَعُ.

«رواية جابر بن عبد الله في نزول الآية» عن جابر بن عبد الله قال: لما نزل قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله فمن أولى الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتكم؟ فقال: هم خلفائي يا جابر و أئمة المسلمين بعدى أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم عدّ تسعة من ولد الحسين.

الحديث الأول

روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني رضوان الله عليه في باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة من الكافي بإسناده عن جعفر بن محمد عن كرام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام، وقال: إنّ آخر من يموت الإمام

لئلا يحتج أحد على الله تعالى انه تركه بغير حجة لله عليه.

أقول: أتى أيضا بعدة روايات اخر عنه عليه السلام تقرب من الحديث المذكور مفادا كقوله عليه السلام: لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة، وقوله عليه السلام:

لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما، وغيرهما والغرض منها أن العناية الإلهية كما اقتضت وجود هذا العالم وخلقته بنى آدم فهي يقتضى صلاحه و الصلاح انما يتم ويدوم بوجود انسان ربانى مؤيد بروح القدس و مسدد بنور الله و معصوم من كل ما يقدر في الغرض من وجوده، يقوم بحجج الله و يؤديها إلى أهلها عند الاحتياج اليها و يعرفهم الطريق إلى الله و معالم الدين و به يتصل فيض البارى على الخلق إذ هو الوسطة بين الله و عباده و لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما ذلك الإمام يجب على الآخر الاقتداء به فى استكمال نفسه و الاهتداء إلى جناب ربه حتى يتم الحجة عليه و لا يحتج على الله انه تركه بغير حجة لله عليه ان الله تعالى أجل و أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل و قال عز من قائل:

«وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَىٰ» (طه آية 134) و قال تعالى: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُلِ» (النساء آية 163) فتأبى العناية الإلهية الأزلية عن ان يترك عباده بلا هاد و مرشد فان الله ليس بظلام للعبيد.

ثم قال عليه السلام: ان آخر من يموت الإمام و ذلك لما علم أن الله تعالى عن أن يظلم أحدا فلو بقى فى الأرض رجل واحد بلا حجة إلهية لزم الظلم فى حقه فالحكمة الكاملة الإلهية و رحمته الواسعة تقتضى بقاء وجود الحجة بعد الخلق حتى لا يبقى واحد بلا إمام و الإمام آخر من يموت كما اقتضت وجود الحجة قبل ايجاد الخلق و لذا خلق الخليفة أولا ثم خلق الخليفة كما قال: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» و لذا قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام فى حديث آخر مروى فى الكافى أيضا:

الحجة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، فارجع البصر كرّتين أيها الطالب للرشاد و الباغى للسداد فى هذا الحديث الذى كانه عقل تمثل بالألفاظ و اقم و استقم

فى الكافى أيضا باسناده عن إسحاق بن عمّار عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول:

انّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها امام كى ما إن زاد المؤمنون شيئا ردّهم وان نقصوا شيئا أتمّه لهم.

أقول: وكذا جاءت روايات اخر فيه أيضا تقرب منه مضمونا، منها ما روى عبد الله بن سليمان العامرى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما زالت الأرض إلّا ولله فيها الحجّة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله، ومنها عن أبى بصير عن أحدهما عليهما السّلام قال: انّ الله لم يدع الأرض بغير عالم ولو لا ذلك لم يعرف الحق من الباطل والغرض ان الإمام يجب أن يكون عالما بجميع الأحكام الإلهية وعارفا بالحلال والحرام بحيث لا يشذ عنه حكم جزئى منها فأنه لو لم يكن متصفا بهذه الصفة لما يقدر أن يرد شيئا إن زاده المؤمنون أو أتمّه ان نقصوه فيلزم التغيير والتبديل والزيادة والنقصان فى دين الله فلا يكمل نظام النوع الانسانى به بل يلزم الهرج والمرج المهلكان فالامام مستجمع للغاية القصوى من الصدق والامانة وبالغا فى العلوم الربانية والمعارف الالهية وتمهيد المصالح الدينية و الدنيوية مرتبة النهاية على أن العقل حاكم بقبح استكفاء الأمر وتوليته من لا يعلمه وتعالى الله عن ذلك، فالامام لكونه حافظا للدين ومقتدا الناس فى جميع الاحكام الظاهرية والباطنية والكلية والجزئية والدنيوية والأخروية والعبادية وغيرها يجب أن يكون عالما بجميعها كما هو الحكم الصريح للعقل السليم، وليس لأحد أن يقول أنّه إمام فيما يعلم دون ما لا يعلم لظهور قبح هذا القول وشناعتها و المفسدات التالية عليه ممّا يدركها من كان له أدنى بصيرة فى معنى الإمام وغرض وجوده فى الأنام. فاذا علم بحكم العقل أن الإمام يجب أن يكون مقتدا به فى جميع الشريعة وجب أن يكون معصوما لأنه لو لم يكن معصوما لم نأمن فى بعض أفعاله أن يكون قبيحا والفرض ان الاقتداء به واجب علينا والله تعالى الحكيم لا يوجب علينا الاقتداء بما هو قبيح، على أن الإمام إذا كان داعى الناس إلى سبيل الله والمبين الحلال والحرام وحافظ الدين عن

الزيادة و النقصان يستلزم العلم باعطاء كل ذي حق حقه بحسب استحقاقه و هو كما حققناه قبل يستلزم الاطلاع على الكليات و الجزئيات مما يحتاج اليها الناس و هي غير متناهية فهي غير معلومة إلا لله تعالى و لخلفائه المعصومين المنصوبين من عنده.

الحديث الثالث

قال الشريف المرتضى علم الهدى فى المجلس الثانى عشر من أماليه: روى أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها و عمرو لا يعرفه فقال لعمرو: أليس قد جعل الله لك عينين؟ قال: بلى. قال: و لم؟ قال:

لأنظر بهما فى ملكوت السماوات و الأرض فاعتبره قال: و جعل لك فما؟ قال:

نعم، قال: و لم؟ قال: لأذوق الطعام و اجيب الداعى. ثم عدّد عليه الحواس كلّها، ثمّ قال: و جعل لك قلباً؟ قال: نعم، قال: و لم؟ قال: لتؤدى اليه الحواس ما أدركته فيميّز بينها. قال: فأنت لم يرض لك ربك تعالى إذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها إماماً ترجع اليه أترضى لهذا الخلق الذين جشأ بهم العالم ألا يجعل لهم إماماً يرجعون إليه؟ فقال له عمرو: ارتفع حتى ننظر فى مسألتك و عرفه ثمّ دار هشام فى حلق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا.

أقول: و رواه الكليني قدس سرّه مفصلاً فى الكافي باسناده عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبى عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن اعين و محمّد ابن النعمان و هشام بن سالم و الطيار و جماعة فيهم هشام بن الحكم و هو شابّ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرنى كيف صنعت بعمرو بن عبيد و كيف سألته؟ قال هشام: يا ابن رسول الله إني أجلك و أستحييك و لا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه فى مسجد البصرة فعظم ذلك على فخرجت اليه و دخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة عظيمة فيها عمرو بن عبيد و عليه شملة سوداء متزر بها من صوف و شملة مرتد بها و الناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لى ثمّ قعدت فى آخر القوم على ركبتي ثمّ قلت: أيها العالم إني

رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال:

يا بني أي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتني.

فقال: يا بني سل وان كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبنني فيها؟ قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعام.

قلت: فلك اذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت:

ألك قلب؟ قال نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: اميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس. قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت:

و كيف ذلك و هي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب فتستيقن اليقين وتبطل الشكّ، قال هشام: فقلت له: فاتّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماما يصحّح لها الصحيح ويتيقن ما شكت فيه ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردّون إليه شكّهم وحيرتهم و يقيم لك إماما لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟ قال: فسكت ولم يقل لي شيئا ثمّ التفت إليّ فقال: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، فقال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة. قال:

فاذن أنت هو ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه و ما نطق حتّى قمت. قال: فضحك أبو عبد الله عليه السّلام وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم و موسى.

بيان الغرض من احتجاج هشام بن الحكم على عمرو بن عبيد وجوب اللطف على الله تعالى فأنه كما اقتضى لطفه خلق القلب إماما لقوى الجوارح والأعضاء ترجع إليه وليست في غنى عنه فكذلك اقتضى جعل إمام للناس يرجعون

اليه في كل ما يحتاجون اليه. و وصف المسألة بالحمقاء تجوّز كقولهم نهاره صائم و التصغير للتحقير.

ثم إنّ المراد بالقلب فى الايات و الأخبار هو اللطيفة الربّانية القدسيّة يعبر بالقوّة العقليّة و بالعقل و بالروح و بالنفس الناطقة أيضا و فى الفارسيّة بروان و قد ذكر الشيخ - كما فى الفصل الاخر من الباب الخامس من السفر الرابع من الأسفار - فى بعض رسائله بلغة الفرس بهذه العبارة: روح بخارى را جان گویند و نفس ناطقه را روان، لا الجسم اللحمى الصنوبرى الذى فى الحيوانات العجم أيضا و إنّما قال عليه السلام: هذا و الله مكتوب فى صحف إبراهيم و موسى لأنّ الحكم العقلى لا يتغيّر بمضى الدهور و لا يتبدّل بتبدّل الزمان و لا يختلف باختلاف الامم فهذا الحكم الكلى العقلى الالهى مكتوب فى الصحف الأولى صحف إبراهيم و موسى و مستكن فى عقول الناس و الخلق جبّلوا عليه أزلا و أبدا.

ثم إنّ ما تدركه هذه القوى صور صرفة و تصوّرات محضة لا توصل إلى معرفة الغائبات فلا بدّ للتصديق و اليقين و الايصال إلى معرفة الغائبات من أن تكون قوّة اخرى حاكمة عليها و تلك القوّة الحاكمة هو العقل و تلك القوى من شئونه فى الحقيقة تشأ منه بل هى تفاصيل ذاته و شروح هويته و هو أصلها و متنها و لولاه لفسدت القوى و انهدم البدن و كذا لو لا الحجة لساخت الأرض بأهله.

وقول هشام: شىء أخذته منك، كان هشام من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام و اقتبس من مشكاة وجودهما علوما جمّة و الف كتبا كثيرة قيمة و كان ثقة فى الروايات حسن التحقيق بهذا الأمر و كان ممن فتق الكلام فى الإمامة و هذب المذهب بالنظر و كان حاذقا بصناعة الكلام و كان فى مبدء أمره من الجهميّة ثمّ لقي الصادق عليه السلام فاستبصر بهديه و لحق به.

وقد أشار إلى هذا الاحتجاج أبو عبد الله عليه السلام فى ذيل احتجاجه على أبى شاکر الديصانى فى حدوث العالم و نقله الشيخ المفيد فى الارشاد قال: روى أن أبا شاکر الديصانى وقف ذات يوم فى مجلس أبى عبد الله عليه السلام فقال له، إنك لأحد النجوم

الزواهر و كان أباًؤك بدورا بواهر و امهاٲك عقيلات عباهر و عنصرك من أكرم العناصر و إذا ذكر العلماء فعليك تشنى الخناصر خبرنا أيها البحر الزاخر ما الدليل على حدوث العالم - إلى أن قال: فقال أبو شاكر: دللت يا أبا عبد الله فأوضحت و قلت فأحسنت و ذكرت فأوجزت و قد علمت أنا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه باذاننا أو ذقناه بأفواهنا أو شممناه بأنوفنا أو لمسناه ببشرتنا فقال أبو عبد الله عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس و هى لا تنفع فى الاستنباط إلا بدليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح.

الحديث الرابع

فى الكافى ياسناده إلى هشام بن الحكم عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال للزندىق الذى سأله من أين أثبت الأنبياء و الرسل؟ قال: انا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عتاً و عن جمىع ما خلق و كان ذلك الصانع حكىما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه و لا يلامسوه فىبأشرهم و يبأشروه و يحاآهم و يحاآوه ثبت أن له سفراء فى خلقه يعبأرون عنه إلى خلقه و عباده و يدلونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و فى تركه فناؤهم فثبت الامرون و التأهون عن الحكىم العلىم فى خلقه و المعبأرون عنه جلّ و عزّ و هم الأنبياء و صفوته من خلقه حكماء مؤدبىن فى الحكمة مبعوثىن بها غير مشاركىن للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركىب فى شىء من أحوالهم (و أفعالهم - خ ل) مؤيدون عند الحكىم العلىم بالحكمة ثم ثبت ذلك فى كلّ دهر و زمان ممّا أتت به الرسل و الأنبياء من الدلائل و البراهىن لكىلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته و جواز عدالته.

أقول: الغرض من هذا الحديث العلقى البرهانى المشتمل على مسائل عظيمة و فوائد مهمّة أن الأرض ما دامت باقية لا تخلو من حجة يهدى الناس إلى سبىل الرّشاد و السّداد و يستنقذ عباد الله من الجهالة و حيرة الضلالة مبتنىا على مقدمات عقلية و لىس الغرض من الاتيان بهذه الأحادىث كما اشرنا إليه أنفا التمسك بها تعبدا حتى يلزم الدور بل لما رأينا من أنها احتجاجات على اساس علقى برهانى

اردنا ذكره لانجاز المقصود و الايصال إلى المطلوب و بالفرض لو لم تكن أمثال هذا الحديث صادرة عنهم عليهم السلام لكان استدلالات تامة و احتجاجات وافية في المقصود و هذه الأحاديث و امثالها معاضدات للعقل في حكمه و ارشادات له في قضائه و نحن بعون الله نأتى في بيان الحديث بطائفة من المطالب المختارة الحكيمة العقلية ليزداد الطالب بصيرة إلى الفلاح و هداية إلى النجاة و النجاح.

قوله عليه السلام: انا لما اثبتنا ان لنا خالقا صانعا. فيه اشارة إلى معرفة الله تعالى بالعقل و النظر و البرهان لا بتقليد الاباء و الأمهات و العلماء و الأساتيد و غيرهم.

قوله عليه السلام: متعاليا عتّا و عن جميع ما خلق. فإنّ ما سواه تعالى مخلوقه و معلوله ممكن في ذاته و محتاج في وجوده و بقائه إلى جنبه فإنّ الممكن في اتصافه بالوجود يحتاج إلى جاعل مرجح يخرجه من العدم و يجعله متصفا بالوجود فان كلّ عرضي معلّل و لما كانت العلة المحووجة إليه تعالى هو الامكان و ان الامكان لا- يزول عن الممكن الموجود أيضا فمفتقر إلى علته في بقائه و وجود العلة فوق وجود المعلول في وجوده و جميع صفاته و متعال عن التّجسّم و التعلّق بالمواد و الأجسام و عن كلّ حد و صمة يتطرق في معلولاته.

قوله عليه السلام: و كان ذلك الصانع حكيما متعاليا، فإنّ إتقان صنعه في مخلوقه على قدر لائق لكل شيء و النظام الأكمل الأتم المشهور في الكون المحير للعقول و الأمور الغريبة الحاصلة في خلق السماوات و الأرض و العجائب المودعة في بنية الانسان و الحيوان و النبات تدلّ على كمال حكمة بارئه فإنّ الحكمة هو العدل و الحق و الصواب و الحكيم هو العالم الذي يضع الأشياء مواضعها، أو لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق السماوات و الأرض إلاّ بالحق، الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حسير، و بالعدل قامت السماوات و الأرض. ثم ان الصانع الحكيم لا يترك الناس سدى و لا يهملهم فلا بدّ من أن يكون له سفراء في خلقه.

قوله عليه السّلام: لم يجز أن يشاهده خلقه اه: فان ما تدركه الأبصار و يبشره الانسان بالحواس الجسم و الجسمانيات أو المتجسم و المتجسد و المتمثل من المجردات و ما يقرب منها كالأجنّة و هو عز و جل متعال عن ذلك علوا كبيرا.

قوله عليه السّلام: ثبت أن له سفراء في خلقه - إلى آخره. دليل على وجوب بعثة الأنبياء و هذا الطريق هو الذي أتى به الحكماء في اسفارهم في وجوب إرسال الرسل على الله تعالى بل هو امتن و أدق و أكمل منه.

و اعلم انه ذهب ارباب الملل و أكثر الفلاسفة إلى حسن بعثة الأنبياء خلافا للبراهمة من الهند و من يحذو حذوهم فأنهم منعوا من حسنها و قالوا إنّ ما يجيء به الرسول إن خالف العقل فهو مردود و إن وافق ففي العقل غنية عنه فلا وجه لحسنها.

و هذا القول باطل لأنّ العقل لا يدرك جميع ما يصلح له و ينفعه و يضره على البسط و التفصيل بل كثيرا منها على الاجمال و الابهام أيضا، على أن الفوائد التي ذكرها المتكلمون و الحكماء في حسن بعثة الأنبياء تردّ ما ذهب إليه البراهمة قال المحقق الطوسي في تجريد الاعتقاد:

البعثة حسنة لاشتمالها على فوائد كمعاضدة العقل فيما يدلّ عليه و استفادة الحكم فيما لا يدلّ و ازالة الخوف و استفادة الحسن و القبح و المنافع و المضار و حفظ النوع الانساني و تكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة و تعليمهم الصنائع الخفيّة و الأخلاق و السّياسات و الاخبار بالعقاب و الثواب فيحصل اللّطف للمكلف.

ثمّ على تقدير حسنها هل هي واجبة هي الحكمة قال العدلية اعني الإماميّة و المعتزلة: نعم، و منعت الأشاعرة من وجوبها بناء على أصلهم الفاسد.

ثمّ تقرير الطريق الذي أتى به الحكماء على الاجمال هو أن نقول كلما كان صلاح النوع مطلوباً لله تعالى كانت الشريعة واجبة و كلما كانت الشريعة واجبة كانت البعثة واجبة فكلما كان صلاح النوع مطلوباً بالبعثة واجبة و على التفصيل ما ذكره زينون الكبير تلميذ ارسطاطاليس في رسالته في المبدأ و المعاد و ما ذكره الشيخ في المقالة العاشرة من إلهيات الشفاء من الفصل الثّاني إلى الخامس و في

الإشارة الأولى من النمط التاسع من الإشارات والتنبهات وغيرهم من الحكماء الشامخين في مؤلفاتهم الحكمية ونأتى بما فى الإشارات و شرحه للعلامة الطوسى فانهما وافيان فى المقصود مع جزالة اللفظ و رزانة النظم قال الشيخ:

لما لم يكن الانسان بحيث يستقلّ وحده بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بنى جنسه و بمعاوضة و معارضة تجريان بينهما يفرغ كلّ واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لاذحم على الواحد كثير و كان ممّا يتعسر ان أمكن، و جب أن يكون بين الناس معاملة و عدل يحفظه شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة لاختصاصه بايات تدلّ على أنّها من عند ربّه و و جب أن يكون للمحسن و المسىء جزاء من عنده القدير الخبير فوجب معرفة المجازى و الشارع و مع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ففرضت عليهم العبادة المذكورة للمعبود و كرت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير حتّى استمرت الدعوة إلى العدل المقيم لحياة النوع ثمّ لمستعملها بعد النفع العظيم فى الدنيا الأجر الجزيل فى الأخرى ثمّ زيد للعارفين من مستعملها المنفعة الّتى خصّوا بها فيما هم مولّون و جوههم شطره فانظر إلى الحكمة ثمّ إلى الرّحمة و النعمة تلحظ جنابا تبهرك عجائبه ثمّ أقم و استقم.

و قال المحقق الطوسى فى شرحه: اثبت النبوة و الشريعة و ما يتعلّق بهما على طريقة الحكماء و ذلك مبني على قواعد و تقريرها أن نقول: الانسان لا يستقل وحده بامور معاشه لأنّه يحتاج إلى غذاء و مسكن و سلاح لنفسه و لمن يعوله من أولاده الصغار و غيرهم و كلّها صناعيّة لا يمكن أن يرتبها صانع واحد إلا فى مدّة لا يمكن أن يعيش تلك المدة فاقدًا إياها أو يتعسر إن أمكن لكنّها تتيسّر لجماعة يتعاونون و يتشاركون فى تحصيلها يفرغ كل واحد منهم لصاحبه عن ذلك فيتم بمعاوضة و هى أن يعمل كلّ واحد مثل ما يعمله الاخر، و معاوضة و هى أن يعطى كلّ واحد صاحبه من عمله بازاء ما يأخذه منه من عمله فاذا الانسان بالطبع محتاج فى تعيشه إلى الاجتماع مؤد إلى صلاح حاله و هو المراد من قولهم الانسان مدنى بالطبع، و التمدن فى اصطلاحهم هو هذا الاجتماع فهذه قاعدة.

ثمّ نقول: و اجتماع الناس على التعاون لا ينتظم إلا إذا كان بينهم معاملة

وعدل لأنّ كلّ واحد يشتهي ما يحتاج إليه ويغضب على من يزاحمه في ذلك و تدعوه شهوته و غضبه إلى الجور على غيره فيقع من ذلك الهرج و يختل أمر الاجتماع أما إذا كان معاملة و عدل متفق عليهما لم يكن كذلك فاذن لابد منهما و المعاملة و العدل لا يتناولان الجزئيات الغير المحصورة إلا إذا كانت لها قوانين كليّة و هي الشرع فاذن لابدّ من شريعة، و الشريعة في اللّغة مورد الشاربه و أنّما سمي المعنى المذكور بها لاستواء الجماعة في الانتفاع منه و هذه قاعدة ثانية.

ثمّ نقول: و الشرع لابدّ له من واضع يقنّن تلك القوانين و يقرّها على الوجه الذي ينبغى و هو الشّارع، ثمّ إنّ التّاس لو تنازعا في وضع الشرع لوقع الهرج المحذور منه فاذن يجب أن يمتاز الشّارع منهم باستحقاق الطاعة ليطيعه الباقيون في قبول الشريعة. و استحقاق الطاعة إنّما يتقرر بايات تدلّ على كون تلك الشريعة من عند ربّه، و تلك الايات هي معجزاته و هي إمّا قولية و إمّا فعلية و الخواصّ للقوليّة أطوع، و العوامّ للفعلية أطوع. و لا يتم الفعلية مجردة عن القوليّة لأنّ النبوة و الاعجاز لا يحصلان من غير دعوة إلى خير فاذن لابدّ من شّارع هو نبيّ ذو معجزة و هذه قاعدة ثالثة.

ثمّ إنّ العوامّ و ضعفاء العقول يستحقرون اختلال عدل النّافع في امور معاشهم بحسب النّوع عند استيلاء الشوق عليهم إلى ما يحتاجون إليه بحسب الشخص فيقدمون على مخالفة الشرع، و إذا كان للمطيع و العاصي ثواب و عقاب أخرويان يحملهم الرجاء و الخوف على الطاعة و ترك المعصية، فالشريعة لا- تنتظم بدون ذلك انتظامها به فاذن وجب أن يكون للمحسن و للمسيء جزاء من عند الاله التقدير على مجازاتهم، الخبير بما يبدونه أو يخفونه من أفكارهم و أقوالهم و أفعالهم و وجب أن يكون معرفة المجازى و الشّارع واجبة على الممثلين للشريعة في الشريعة، و المعرفة العامية قلما تكون يقينية فلا تكون ثابتة فوجب أن يكون معها سبب حافظ لها و هو التذكّار المقرون بالترّار و المشتمل عليهما إنّما تكون عبادة مذكرة للمعبود مكررة في أوقات متتالية كالصلوات و ما يجرى مجراها فاذن يجب أن

يكون النبي داعياً إلى التصديق بوجود خالق مدبر خبير، وإلى الإيمان بشارع مبعوث من قبله صادق، وإلى الاعتراف بوعد ووعيد اخرويين، وإلى القيام بعبادات يذكر فيها الخالق بنعوت جلاله، وإلى الانقياد لقوانين شرعية يحتاج إليها الناس في معاملاتهم حتى يستمرّ بذلك الدّعوة إلى العدل المقيم لحياة التّوع و هذه قاعدة رابعة.

ثمّ إنّ جميع ذلك مقدر في العناية الأولى لاحتياج الخلق إليه فهو موجود في جميع الأوقات والأزمنة وهو المطلوب وهو نفع لا يتصور نفع اعمّ منه.

وقد اضيف لممثلي الشرع إلى هذا النفع العظيم الدنياوى الأجر الجزيل الأخرى حسب ما وعدوه و اضيف للعارفين منهم إلى النفع العاجل والأجر الاجل الكمال الحقيقي المذكور، فانظر إلى الحكمة وهي تبقية النظام على هذا الوجه، ثمّ إلى الرّحمة وهو إيفاء الأجر الجزيل بعد النفع العظيم، وإلى النعمة وهي الابتهاج الحقيقي المضاف إليهما، تلاحظ جناب مفيض هذه الخيرات جناباً تبهرك عجائبه أى تغلبك وتدهشك. ثمّ أقم أى أقم الشرع، واستقم أى فى التوجه إلى ذلك الجناب المقدس.

وإذا علم ذلك فلنرجع إلى بيان سائر فقرات الحديث، قوله عليه السّلام: يعبرون عنه إلى خلقه وعباده. قال الجوهرى فى الصّحاح: عبّرت عن فلان إذا تكلمت عنه، والمراد أن الأصل الأوّل فيما يسنّه هذا السان المعدّل الالهى هو إيقاظ فطرة النّاس من نوم الغفلة عن مبدء العالم عزّ وجلّ وإثارة عقولهم من أنوار المعرفة به تعالى وإثارة نفوسهم إلى الوصول ببابه والحضور إلى جنابه فان الإيمان بالله أصل شجرة الدّين وأساس بنیان السنّة والشريعة وسائر الأصول والفروع متفرع عليه فمن عرف الله حقّ معرفته عرف ان له صفات عليا وأسماء حسنى لاثقة بذاته وأنه تعالى واجب الوجود لا يشارك شيئاً من الأشياء فى ماهيته وقيوم برىء عن جميع انحاء التعلق بالغير وأنه تعالى لم يخلق العالم و آدم عبثاً فانّ العبث قبيح لا يتعاطاه المبدأ الحكيم، و المبدأ الحكيم تعالى عن أن يترك النّاس حيارى ولا

يهدئهم سبيل الخير والهدى و ما يوجب لهم عنده الزلفى؁ فلا بد من وجوب التكليف فى الحكمة و إلا لكان مغربا بالقبيح تعالى عن ذلك لأنه خلق فى العبد الشهوة و الميل إلى القبائح و النفرة و التأبى عن الحسن فلو لم يقرر عبده عقله و لم يكلفه بوجوب الواجب و قبح القبيح و يعده و يتوعده لكان مغربا له بالقبيح و الاغراء بالقبيح قبيح و التكليف لا يتم إلا بالإعلام و هو لا يتم إلا بارسال الرسل المؤيدين بادابه المؤيدين من عنده بامور قدسيّة و كرامات الهيّة و معجزات و خوارق عادات.

و بالجملة من هدى عقله إلى جناب الربّ هدى إلى ما يتفرع عليه فقد افلح و سعد و فاز و لذا ترى من سنة الأنبياء أن أول ما لقنوا عباد الله كلمة لا إله إلا الله و المروى عن خاتمهم صلّى الله عليه و آله قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

نعم لا يجب على السانّ تلقين جميع الناس معرفته تعالى على الوجه الذى لا يفهمه إلا الأوحى من الناس الحكيم المتأله المرتاض فى الفنون و العلوم فان معاشر الأنبياء بعثوا ليكلموا الناس على قدر عقولهم؁ و لا ريب أن الادراكات و النيل إلى المعارف و العلوم يتفاوت بحسب مراتب الناس فى صفاء نفوسهم و صقالتها قال الشيخ فى إلهيات الشفاء:

و يكون الأصل الأول فيما يسنه تعريفه إياهم أن لهم صانعا واحدا قادرا و أنه عالم بالسرّ و العلانية و أنه من حقّه أن يطاع أمره فأنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق؁ و أنه قد أعدّ لمن أطاعه المعاد المسعد و لمن عصاه المعاد المشقى حتى يتلقى الجمهور رسمه المنزل على لسانه من الاله و الملائكة بالسمع و الطاعة و لا ينبغي له أن يشغلهم بشىء من معرفة الله فوق معرفة أنه واحد حق لا شبيه له.

فأما ان يعدى بهم إلى أن يكلفهم أن يصدّقوا بوجوده و هو غير مشار إليه فى مكان و لا منقسم بالقول و لا خارج العالم و لا داخله و لا شىء من هذا الجنس؁ فقد عظم عليهم الشغل و شوش فيما بين أيديهم الدّين و أوقعهم فيما لا تخلص عنه إلا لمن كان المعان الموفق الذى يشذ وجوده و يندر كونه؁ فأنه لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها إلا بكّد و إنّما يمكن القليل منهم أن يتصوروا حقيقة هذا

التوحيد والتنزيه فلا يلبثوا أن يكذبوا بمثل هذا الموجود ويقعوا في تنازع وينصرفوا إلى المباحثات والمقاييسات بمثل التي تصدّهم عن أعمالهم المدنية، وربما أوقعهم في آراء مخالفة لصلاح المدينة و منافية لواجب الحق وكثرت فيهم الشكوك والشبه وصعب الأمر على السانّ في ضبطهم فما كل بميسر له في الحكمة الالهية ولا السانّ يصلح له أن يظهر أن عنده حقيقة يكتمها عن العامة بل يجب أن لا يرخص في تعرض شيء من ذلك. بل يجب أن يعرفهم جلال الله تعالى وعظمته برموز وأمثلة من الأشياء التي هي عندهم جليلة وعظيمة ويلقى إليهم مع هذا هذا القدر أعني أنه لا نظير له ولا شريك له ولا شبيهه.

وكذلك يجب أن يقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ويسكن إليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا ممّا يفهمونه ويتصورونه. وأما الحق في ذلك فلو يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا وهو أن ذلك شيء لا عين رأت ولا أذن سمعته وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم ومن الألم ما هو عذاب مقيم.

وكذا قال زينون الكبير تلميذ ارسطاطا ليس في رسالته في المبدأ والمعاد:

النبى يضع السنن والشرائع ويأخذ الأمة بالترغيب والترهيب يعرفهم أن لهم الها مجازيا لهم على أفعالهم يثيب الخير ويعاقب على الشر ولا يكلّفهم بعلم ما لا يحتملونه فان هذه الرتبة هي رتبة العلم أعلى من أن يصل إليها كلّ أحد. ثمّ قال: قال معلمى ارسطاطاليس حكاية عن معلمه افلاطن: إن شاق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كلّ طائر و سرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كلّ سائر.

أقول: وكان الشيخ الرئيس قد لاحظ عبارة زينون فيما قاله في آخر النمط التاسع من الاشارات: جل جناب الحقّ عن أن يكون شريعة لكل وارد أو يطّلع عليه إلا واحدا بعد واحد.

قوله عليه السلام: ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم ذلك لما مرّ أنفا من أن الانسان مدنى بالطبع محتاج في تعيشه وبقائه إلى اجتماع فلا بد لهم من سانّ معدّل يدبّر امورهم ويعلمهم طريق المعيشة في الدنيا

و النجاة من العذاب فى العقبى و لولا هذا السانّ لوقع الهرج و اختل أمر الاجتماع و لزم مفاسد كثيرة اخرى. ذكر بعضها من قبل و نعم ما قال الشيخ فى الشفاء:

فالحاجة إلى هذا الانسان فى أن يبقى نوع الناس و يتحصّل وجوده أشدّ من الحاجة إلى انبات الشعر على الأشفار على الحاجبين و تقعر الأخمص من القدمين و اشياء اخرى من المنافع الّتى لا ضرورة فيها فى البقاء بل أكثر ما لها أنّها ينفع فى البقاء، و وجود الإنسان الصالح لأن يسنّ و يعدل ممكن فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضى تلك المنافع و لا تقتضى هذه الّتى هى اسّها، و لا أن يكون المبدأ الأول و الملائكة بعده يعلم ذلك و لا يعلم هذا، و لا أن يكون ما يعلمه فى نظام الخير الممكن وجوده الضرورى حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز أن لا يوجد، و ما هو متعلق بوجوده مبنى على وجوده موجود فواجب إذن أن يوجد نبىّ.

ثمّ أنّ فى قوله عليه السّلام: يدلونهم على مصالحهم، إشارة إلى ما ذهب إليه العدلية من أنّ الأحكام الالهية متفرعة على مصالح و المفاسد لا كما مال اليه الأشعرى.

قوله عليه السّلام: فثبتت الامرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه و المعبرون عنه جلّ و عزّ. هذه نتيجة ما قدّم عليه السّلام من المقدمات البرهانية العقلية المستحكمة المبانى: الأولى أن لنا صنعا، و الثانية أنّه متعال عن أوصاف مخلوقه. فلم يجر أن يشاهده خلقه و يباشروه فلا بد من وسائط، الثالثة أنّه حكيم عالم بوجه الخير و المنفعة فى النّظام و سبيل المصلحة للخلائق فى المعيشة و القوم و البقاء و الدوام و الحكيم لا يخلّ بالواجب، الرابعة ان الانسان مدنى بالطبع فلا بدّ له من سانّ معدل.

قوله عليه السّلام: هم الأنبياء و صفوته من خلقه إلى قوله: ثمّ ثبت. بيّن عليه السّلام فى هذه الفقرات أمرين: الأوّل انّ النبىّ لا بد أن يكون بشرا حيث قال: على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب. الثّانى انه مع البشريّة يجب أن يكون متميزا من سائر النّاس باوصاف قدسية خلقا و خلقا حيث قال: غير مشاركين

للناس في شيء من أحوالهم.

أما الأول اعني كونه من جنس البشر فلو جوه: الأول انس الناس به فان الجنس إلى الجنس يميل ولنعلم ما نظم العارف الرومي في المقام:

یک زنی آمد به پیش مرتضی گفت شد بر ناودان طفلی مرا

گرش می خوانم نمی آید بدست و هر هلم ترسم که او افتد به پست

نیست عاقل تا که دریابد چو ما گر بگویم کز خطر پیش من آ

هم اشارت را نمی داند بدست و بدانند نشنود این هم بد است

بس نمودم شیر پستان را بدو او همی گرداند از من چشم و رو

از برای حق شما یید ای مهان دستگیر این جهان و آن جهان

زود درمان کن که می لرزد دلم که بدرد از میوه دل بگسلم

گفت طفلی را بر آور هم بیام تا به بیند جنس خود را آن غلام

سوی جنس آید سبک زان ناودان جنس بر جنس است عاشق جاودان

زن چنان کرد و چو دید آن طفل او جنس خود خوش خوش بدو آورد رو

سوی بام آمد ز متن ناودان جاذب هر جنس را همجنس دان

غوغزان آمد بسوی طفل طفل وارهید از اوفتادن سوی سفلی

زان شدستند از بشر پیغمبران تا بجنسیت رهند از ناودان

پس بشر فرمود خود را مثلکم تا بجنس آیند و کم گردند گم

زان که جنسیت بغایت جاذبست جاذبش جنس است هر جا طالبست

و الوجه الثاني النَّاس في حالتهم العادية لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته التي خلق عليها لانه روحاني الذات و القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك بل الجن ما لم يتجسما و يتمثلا بالأجسام الكثيفة و الأمثال المرئية و ان كانا يرانا كما قال تعالى في الشيطان «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ» بل ابصارنا لا تقوى على رؤية بعض الأجسام من عالمنا هذا أيضا كالهواء و العناصر البسيطة التي يتألف منها الهواء فكيف تقدر على رؤية ما هو أطف من الهواء كالجنّ

و ما هو أطف من الجن كالملك و ما هو أطف منه.

ثم لو فرض أن يتمثل الملك أو يتجسد أو يتجسم بحيث عاينه الناس لكان في صورة البشر أيضا للوجهين المتقدمين قال عزّ من قائل: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ». ولذلك كان جبرئيل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي. والملائكة الذين دخلوا على إبراهيم في صورة الضيفان حتى قدم إليهم عجلا جسدا و كذلك الذين أتوا لوطا و كذلك لما تسوّر المحراب على داود الملكان كانا في صورة رجلين يختصمان إليه و جبرئيل تمثل لمريم بشرا سويا نعم يمكن للأنبياء ان يروا بقوتهم القدسيّة الملائكة و اشباههم على صورتهم الأصليّة كما جاءت عدّة روايات ان خاتمهم صلى الله عليه وآله رأى جبرئيل على صورته الأصليّة مرّتين و سيأتي الكلام في ذلك في خواص الأنبياء.

الوجه الثالث النبي لو كان ملكا و إن تجسم بشرا لما يتم الحجّة على الناس و لا يسلمه العقول و لا تنقاده النفوس لانه ان ظهرت أية معجزة منه لقالوا لو كان لنا مثل ما كان لك من القدرة و القوة و العلم و غيرها من الصفات القاهرة على صفات البشر لفعلنا مثل فعلك فتقوى الشبهات من هذه الجهة و بذلك علم ضعف ما تخيل ضعفاء العقول من الناس أنّ الأنبياء إذا كانوا من طائفة الملائكة من حيث إن علومهم أكثر و قدرتهم أشدّ و مهابتهم أعظم و امتيازهم عن الخلق أكمل و الشبهات و الشكوك في نبوتهم و رسالتهم أقلّ و الحكيم إذا أراد تحصيل مهم فكلّ شيء كان أشدّ إفضاء إلى تحصيل ذلك المطلوب كان أولى.

و هذه الوجوه الثلاثة ما أجاب بها رسول الله صلى الله عليه وآله مشركى القريش لما جادلوه و احتجوا عليه بقولهم: لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده و لو اراد الله أن يبعث إلينا نبيا لكان إنّا يبعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا كما هو المروى في الاحتجاج للطبرسى رضوان الله عليه و البحار و كثير من كتب الحديث: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعدا ذات يوم بمكة بفناء الكعبة إذا اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي و أبو البختري بن هشام و أبو جهل بن هشام

و العاص بن وائل السهمي و عبد الله بن أبي أمية المخزومي و كان معهم جمع ممن يليهم كثير و رسول الله صلى الله عليه و آله في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله و يؤدي إليهم عن الله أمره و نهيه فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد و عظم خطبه فتعالوا نبدا بتقريره و تبكيته و توييخه و الاحتجاج عليه و ابطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه و يصغر قدره عندهم فلعلّه ينزع عمّا هو فيه من غيّه و باطله و تمرّده و طغيانه، فان انتهى و إلّا عاملنا بالسيف الباتر. قال أبو جهل: فمن الذي يلي كلامه و مجادلته؟ قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرنا حسيبا و مجادلا كفيّا؟ قال أبو جهل: بلى. فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال:

يا محمد لقد ادعيت دعوى عظيمة و قلت مقالا- هائلا- زعمت أنك رسول الله رب العالمين و ما ينبغي لرب العالمين و خالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشرا مثلنا تأكل ممّا نأكل و تمشى في الأسواق كما نمشى - و ساق الحديث إلى أن قال - قال المخزومي: و لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيا لكان إنّما يبعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا ما أنت يا محمد إلّا مسحورا و لست نبيا - و ساق الحديث إلى أن قال:

ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله: و أمّا قولك: «و لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده بل لو أراد أن يبعث إلينا نبيا لكان إنّما يبعث لنا ملكا لا بشرا مثلنا» و الملك لا تشاهده حواسكم لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه و لو شاهدتموه بأن يزداد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكا بل هذا بشر لانه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي قد ألفتهم لتفهموا عنه مقالته و تعرفوا خطابه و مراده فكيف كنتم تعلمون صدق الملك و انّ ما يقوله حق؟ بل إنّما بعث الله بشرا و أظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنّه معجزة و أن ذلك شهادة من الله بالصدق له و لو ظهر لكم ملك و ظهر على يده ما تعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم ان ذلك لكم

ليس فى طباع سائر أجناسه من الملائكة حتّى بصير ذلك معجزا ألا ترون أنّ الطيور التى تطير ليس ذلك منها بمعجز لأنّ لها أجناسا تقع منها مثل طيرانها و لو أنّ آدميا طار كطيرانها كان ذلك معجزا فالله عزّ و جلّ سهّل عليكم الأمر و جعله بحيث يقوم عليكم حجّته و أنتم تقترحون عمل الصّعب الذى لا حجّة فيه.

ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: و أما قولك: «ما أنت إلاّ رجل مسحور» فكيف أكون كذلك و قد تعلمون أنّه فى صحّة التمييز و العقل فوقكم فهل جرّبتهم علىّ منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزّية أو ذلّة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفها من الرأى أ تظنّون أن رجلا يعتصم طول هذه المدّة بحول نفسه و قوّتها أو بحول الله و قوّته - إلى آخر الحديث بطوله.

أما الأمر الثّانى اعنى أنّ النّبىّ مع البشريّة يجب أن يكون متميزا عن سائر النّاس باوصاف قدسيّة، فإشار عليه السّلام إليها بقوله: إنّ الأنبياء صفوته من خلقه أوّلا، و أنّهم حكماء مؤدّبين فى الحكمة ثانيا، و مبعوثين بها ثالثا، و غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب فى شىء من أحوالهم رابعا، مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمة خامسا. و هذه امور لا بدّ للنّاظر من البحث عنها و النيل إلى حقيقة مغزاها.

و اعلم أنّ الأنبياء لكونهم سفراء له تعالى إلى خلقه و امناء على وحيه و خلفاءه لا بدّ من أن يكونوا متصفين بالأوصاف القدسيّة الالهية و متخلّقين بالأخلاق الرّبوبيّة فإنّ الخليفة لا بدّ و أن يكون موصوفا بصفات المستخلف حتّى يتحقّق له اسم الخلافة و العناية الأزليّة تأبى بعث من لم يكن كذلك لبعده عن الاتصاف بصفات الحقّ و الاتصال بحضرة القدس. و قد قال الحكماء و منهم الشّيخ فى الشّفاء أنّ النّفس الناطقة كمالها الخاصّ بها أن يصير عالما عقليا مرتسما فيها صور الكلّ و النّظام المعقول فى الكلّ و الخير الفائض فى الكلّ و أفضل النّاس من استكملت نفسه عقلا بالفعل محصلا و للأخلاق التى تكون فضائل عمليّة و أفضل هؤلاء هو

المستعدّ لمرتبة النبوة وهو الذي في قواه النفسانية خصائل ثلاث: أن يعلم جميع المعلومات أو أكثرها من عند الله، وأن يطيعه مادة الكائنات باذن الله، وأن يسمع كلام الله ويرى ملائكة الله.

أما العلم بجميع المعلومات والاطلاع على الأمور الغاية من غير كسب وفكر فيحصل من صفاء جوهر النفس وشدّة صقالتها ونورانيتها الموصل لها إلى المبادئ العالية وشدّة الاتصال بها.

وأما اطاعة مادّة الكائنات فيسبب شدّة انسلاخهم عن النواصيت الانسانية تدوم عليهم الاشرافات العلوية بسبب الاستضاءة بضوء القدس و الإلف بسنا المجد فتطيعهم المادة العنصرية القابلة للصور المفارقة فيتأثر المواد عن أنفسهم كما يتأثر أبدانهم عنها، فلهذا يكون دعاؤهم مسموعا في العالم الأعلى والقضاء السابق ويتمكن في أنفسهم نور خلاق به يقدرون على بعض الأشياء التي يعجز عنها غيرهم.

قال الله تعالى في عيسى بن مريم عليهما السلام «وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (آل عمران. الآية 44).

وأما الخصلة الثالثة فلأنّ الأنبياء لهم نفوس مقدّسة قلت شواغلها عن الحواس الظاهرة فتخلّصت بذلك عن المادّة الجسمانيّة فلم يكن بينها وبين الأنوار حجب ولا- شواغل لأنّها من لوازم المادّة فإذا تخلّصت النفس عن تعلقاتها كانت مشاهدة للأنوار والمفارقات البرئية عن الشوائب الماديّة واللواحق الغريبة ولذا يكونون مشاهدين للملائكة على صورهم بقوتهم القدسية، سامعين لكلامهم، قابلين لكلام الله تعالى بطريق الوحي ومعلوم أنّ المادّة التي تقبل هذه الخصائل والكمالات تقع في قليل من الأمزجة ولذا قال عليه السلام: إنّ الأنبياء و صفوته من خلقه، فمزاجهم اعدل الأمزجة الانسانية ونفسهم الفائضة من الأوّل تعالى ألطف وأشدّ وأقوى وأوسع وجودا من غيرها، فهم غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب

فى شىء من أحوالهم، وقوله عليه السّلام: فى شىء من أحوالهم تتعلّق بقوله غير مشاركين للنّاس.

واعلم أنّ الله جعل المزاج الانسانى أعدل الأمزجة لتستوكره نفسه الناطقة الّتى هى أشرف النفوس ولا بدّ أن يكون وكرها لائقا لها وقال المعلّم الثّانى أبو نصر الفارابى فى المختصر الموسوم بعيون المسائل كما نقله عنه المحقّق الطوسى فى آخر النّمط الثّانى من شرحه على الاشارات: حكمة البارى تعالى فى الغاية لأنّه خلق الأصول (يعنى بها العناصر) وأظهر منها الأمزجة المختلفة وخص كل مزاج بنوع من الأنواع وجعل كلّ مزاج كان أبعد عن الاعتدال سبب كلّ نوع كان أبعد عن الكمال وجعل التّوع الأقرب من الاعتدال مزاج البشر حتّى يصلح لقبول النّفس النّاطقة انتهى.

وكما أنّ النفس الناطقة مميّزة عن سائر النفوس باثار وأفعال تخصّص بها ولا بدّ أن يكون مزاجها المتعلق بها اعدل من غيره كذلك الأنبياء الّذين غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم فى الخلق والتركيب فى شىء من أحوالهم وأفعالهم لا بدّ من أن يكون مزاجهم أعدل الأمزجة الانسانيّة اللائق بنفوسهم القدسية.

ولما كان الأنبياء عليهم السّلام بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» (البقرة: 255) فلا بدّ من أن يكونوا متفاوتين فى اعتدال المزاج وصفاء النّفس النّاطقة القدسية وسعتها الوجوديّة وكذا الكلام فى خاتمهم الّذى هو أكمل موجود فى التّوع الانسانى واوتى جوامع الكلم الّتى هى امّهات الحقائق الالهية والكويّة، ولذا كان الرّوح المحمّدى صلّى الله عليه وآله أول دليل على ربّه لأنّ الرّب لا يظهر إلاّ بمربوبه ومظهره وكمالات الذات بأجمعها إنّما تظهر بوجوده الأكمل. و المروى عنه صلّى الله عليه وآله: والله لو كان موسى حيّا بين أظهركم ما حلّ له إلاّ أن يتبعنى.

قوله عليه السّلام: حكماء مؤدّبين فى الحكمة. أى أدبهم الله تعالى فى الحكمة يقال: أدبه إذا هدّبه وراض أخلاقه وأدبه فى أمر إذا علّمه وراضه حتّى تأدّب فيه وفى الجامع الصّغير فى أحاديث البشير النذير نقلا عن ابن عدى فى الكامل عن

ابن مسعود أنه صلى الله عليه وآله قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي. ومن حيث أنهم عليهم السلام حكماء مؤدبين في الحكمة والحكمة هو العدل والوسط في كل أمر فهم على الجادة الوسطى التي ليست النجاة إلا بالاستقامة فيها فمن اقتدى بهم واقتفى آثارهم فقد هدى إلى الصراط المستقيم فإن الحجج الإلهية في الحقيقة موازين للناس ونبى كل أمة هو ميزان تلك الأمة لأن ميزان كل شيء بحسبه هو المعيار الذي يعرف به قدره وحدّه وصحته وسقمه وزيادته ونقصانه واستواؤه فقد يكون ذلك الشيء من الأجسام فميزانه ما وضع من جنسه من الأحجار وغيرها كالمدّ والمنّ والمكاييل والزرع وغيرها لتعيين وزن ذلك الشيء وتقديره وقد يكون ذلك الشيء من الكلمات فيوزن صحتها واعتلالها بميزانه الذي هو الفاء والعين واللام كما بين في علم الصرف. وعلم المنطق يكون ميزانا لتمييز النتيجة الصحيحة من السقيمة، وعلم العروض ميزانا للأشعار، وميزان الناس ما يوزن به قدر كل امرء وقيمه على حسب أعماله وأخلاقه وعقائده وصفاته وحيث أنّ الأنبياء بعثوا على الحق ولا يميلون عن العدل مقدار قطمير ولا يصدر منهم سهو ولا نسيان فهم معيار الحق وميزان الصدق ويفصل الأمور فمن تأسى بهم وحذا حذوهم فقد فاز فوزا عظيما وإلا فقد خسر خسرانا مبينا.

وبما ذكرنا علم ما في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام من أنه سئل عن قول الله «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» (الأنبياء: 48)؟ قال: هم الأنبياء والأوصياء وكذا في رواية أخرى عنه عليه السلام: نحن الموازين القسط.

قوله عليه السلام: مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمة، أى كما أنهم مؤدبون في الحكمة كذلك مؤيدون بالحكمة من عنده تعالى تدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته ليميز الخبيث من الطيب والحق من الباطل فلو لم يكونوا مؤيدين بها من عنده تعالى بالحكمة أعنى بالبينات والمعجزات القولية والفعلية لما يفصل بين النبى والمنتبى، قال عزّ من قائل «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» (الحديد: 26).

قوله عليه السّلام: ثمّ ثبت ذلك - إلى آخره لما هدينا العقل بتلك المقدمات إلى هذا المطلب الاسنى فدل على أن الأرض لا تخلو في كلّ دهر و زمان من لدن خلق البشر إلى قيام القيامة من حجّة الهيّة و دريت أن الخليفة في الأوّل قبل الخليفة و في الاخر بعدها لئلا يحتجّ أحد على الله تعالى أنّه تركه بغير حجّة لله عليه.

الحديث الخامس

في الكافي بإسناده إلى منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إن الله أجّل و أكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله قال: صدقت قلت: إن من عرف أن له ربّاً فقد ينبغي له أن يعرف أن لذلك الربّ رضا و سخطاً و أنّه لا يعرف رضاه و سخطه إلاّ بوحي أو رسول فمن لم يأته الوحي فينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجّة و أنّ لهم الطاعة المفترضة فقلت للنّاس: أليس تعلمون أن رسول الله صلّى الله عليه و آله كان هو الحجّة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى عليه السّلام من كان الحجّة؟ قالوا: القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجى و القدرى و الزنديق الذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرّجال بخصومته فعرفت أن القرآن لا يكون حجّة إلاّ بقيم فما قال فيه من شيء كان حقّاً فقلت لهم: من قيّم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم و عمر يعلم و حذيفة يعلم، قلت:

كلّه؟ قالوا: لا، فلم أجد أحداً يقال: أنّه يعرف القرآن كلّه إلاّ عليّاً عليه السّلام و إذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري و قال هذا: لا أدري و قال هذا: لا أدري و قال هذا: أنا أدري فأشهد أن عليّاً كان قيّم القرآن و كانت طاعته مفروضة و كان الحجّة على النّاس بعد رسول الله و أن ما قال في القرآن فهو حق فقال:

رحمك الله - إلى آخر الحديث.

بيان هذا الحديث مشتمل على مطالب عقلية مهّدت للزوم الحجّة على النّاس ما دامت الأرض باقية يأمرهم بالخير و الصّلاح و يهديهم إلى سبيل الرّشاد و لا بد أن يكون معه علم بالله و آياته. و تلك المطالب رتبت على اسلوب بديع و أساس متين الأوّل أنّ الله أجّل و أكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله و ما أحسن هذا القول و أحلاه و يعلم منه أن منصور بن حازم كان حازماً حاذقاً في اصول العقائد

و غرضه من ذلك إما أن معرفة الله تعالى فطرى غريزى فطرة الله التى فطر الناس عليها و العقل وحده كاف فى معرفته عزّ و جل و هو القائد إلى جنبه و اصول صفاته فلا يحتاج الإنسان فى معرفته تعالى إلى خلقه بما اعطاه من العقل يسلكه إلى الصراط المستقيم قال عزّ من قائل « وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا » فهو تعالى أجل و أكرم من أن يعرف بخلقه بل يعرف بالعقل الذى اعطاه خلقه.

و إما أنّ الله جل جلاله هو الغنى القائم بالذات واجب الوجود فى ذاته و صفاته و ما سواه ممكن مفتقر إليه و مستند به تعالى ظاهر بظهوره و موجود بوجوده «يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » و هو تعالى لارتفاع مكانه و جلال كبريائه و شدّة وجوده و بساطته أجل من أن يعرف بخلقه على أنه تعالى لا حدّ عليه و لا ضدّ و لا ندّ حتّى يعرف بها بل هو سبب كلّ شىء و علتة فهو الأوّل عند اولى الأبصار، فإن أوّل ما يعرف من عرفان كلّ شىء هو الله تعالى قال سيد الموحدين على أمير المؤمنين عليه السّلام: ما عرفت شيئاً إلّا و قد عرفت الله قبله و قال عليه السّلام: اعرفوا الله بالله.

و من كلام مولانا سيّد الشهداء أبى عبد الله الحسين عليه السّلام فى دعاء عرفة: كيف يستدلّ عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك. و قال أيضاً: تعرفت لكلّ شىء فما جهلك شىء و قال:

تعرفت إلىّ فى كلّ شىء فرأيتك ظاهراً فى كلّ شىء فأنت الظاهر لكلّ شىء.

فهو تعالى أجل و أكرم من أن يعرف ذاته و من جهة خلقه بل لا يعرف غيره على الحقيقة إلّا به.

و إما أنّه تعالى أجل و أكرم من أن يدرك عامة النّاس لطائف صنعه و دقائق حكمته و مصلحته فى فعله و قوله بل الخلق يعرفونها بالله تعالى اى بارساله الرسل و انزاله الكتب و الظاهر أن خير الوجوه أوسطها.

و المطلب الثانى أن من عرف ان له ربّاً عرف ان لذلك الربّ صفات قدوسية متعالية لائقة بجنبه فلما عرف ذلك بنور العقل السليم و العقل السليم يشاقق التقرب إلى جنبه و يطلب ما يوصله ببابه لأنّ الانسان جبّيل

على النيل إلى السعادة و الميل عن الشقاوة سيّما السعادة الدائمة الأبدية التي لا تحصل إلا بالتخلّق بأخلاق الله و الاتّصاف بصفاته العليا و ليس كل طريق و فعل و قول بمقرب النَّاس إليه تعالى بالضرورة فيحتاج إلى هاد يهديه سبل الخير و ما فيه رضوانه تعالى و ما فيه سخطه و لا يتأتى ذلك إلا بالوحي و لا يوحى إلى كل واحد من آحاد النَّاس لعدم قابلية كلّ واحد لذلك فإنّ للنبوّة صفات خاصّة لا يتحملها إلا الأوحى من النَّاس المؤيد من عند الله تبارك و تعالى كما حقق في محلّه فالعقل السليم يطلب من الله تعالى ارسال الرسل فلو لا البعثة لكان الله تعالى ظالما لعباده فاذا اوحى الله تعالى ما فيه خير البرية و سعادته و ما يوجب رضوانه تعالى و سخطه إلى رسول بالبراهين و المعجزات و البيّنات فيأخذ النَّاس معالم دينه و معارف شريعته من الرّسول قال عزّ من قائل «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» و قال تعالى «أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ».

المطلب الثالث انّ الحجّة على النَّاس بعد خاتم النبيّين من هو؟ و هذا المطلب في المقام هو الأهمّ لأنّ المسلمين اتفقوا في وجود من يكون حافظا للشرع من الزيادة و النقصان و للأمة من الظلم و الطغيان كما علم على ما بيّناه في المباحث السالفة و أنّما الكلام في ذلك الحجّة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله و هو إما الكتاب أو السنّة المتواترة أو الخبر الواحد أو الاجماع أو القياس أو البراءة الأصلية أو الاستصحاب أو العالم القائم مقام النبيّ و الأخير أيضا على وجهين: إما العالم مطلقا أو العالم المعصوم من الذنوب، المنزه من العيوب، المنصوب من عند علام الغيوب، المؤيد بتأييدات سماوية، المهدي بهداية الهيّة و هذه وجوه محتملة في المقام لا بدّ للبصير الناقد أن ينظر فيها و يبحث عنها.

فنعول: أمّا الكتاب فهو كما قال منصور بن حازم يخاصم به المرجى و القدرى و الزنديق الذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال بخصومته فالقرآن لا يكون حجّة إلا بقيّم.

ونزیدک بیاناً فی المقام حتّی یتبیّن الحق فنقول: لا ریب أنّ للّه تعالیٰ فی کلّ واقعة وفی کلّ ما یحتاج إلیه النّاس فی معاشهم ومعادهم حکماً وهی امور غیر متناهیة وکذا لا ریب أنّ اللّه تعالیٰ نزل القرآن تبیاناً لكلّ شیء كما نص به عزّ من قائل فی سورة النحل آية 92 «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ». وفی الأنعام آية 39: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ». وفی ذلك روى ثقة الاسلام الكليني قدس سرّه فی اصول الكافي بإسناده عن مرزم عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنّ اللّه تعالیٰ انزل فی القرآن تبيان كلّ شیء حتّی واللّه ما نزل اللّه شيئاً یحتاج إلیه العباد حتّی لا یستطیع عبد یقول لو كان هذا انزل فی القرآن إلاّ وقد أنزله اللّه فیہ.

وفیه أيضاً بإسناده إلی عمرو بن قیس عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته یقول أنّ اللّه تعالیٰ لم یدع شيئاً یحتاج إلیه الاّمة إلاّ أنزله فی کتابه وبیّنه لرسوله صلّی اللّه علیه وآله وجعل لكلّ شیء حدّاً وجعل علیه دليلاً یدلّ علیه وجعل علی من تعدّی ذلك الحدّ حدّاً. وكذا غیرهما من الأخبار الاخر فی ذلك الباب.

وكذا لا ریب أنّ القرآن لم یبیّن تلك الفروع والأحكام الجزئية وكلّ ما یحتاج إلیه النّاس فی امورهم الدنییة والدنیویة علی التفصیل والبسط وهذا لا ینافی قوله عزّ وجلّ فی الايتين المذكورتين لأنّ الكتاب مشتمل علی اصول کلیة یستنبط منها الأحكام الجزئية والقوانين الالهية من كان عارفاً بها حقّ المعرفة فلنقدّم لك مثالا فی ذلك توضيحاً للمراد.

قال المفید فی إرشاده: وروی عن یونس عن الحسن أن عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهممّ برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إنّ الله تعالیٰ یقول: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» و یقول جلّ قانلاً: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرَّضَاعَةَ» فإذا تمت المرأة الرضاعة سنتين و كان حملة و فصاله ثلاثين شهرا كان الحمل منها ستة أشهر فخلی عمر سبیل المرأة و ثبت الحكم بذلك فعمل الصحابة و التابعون و من أخذ عنه إلی يومنا هذا انتهى.

و كذا غيره من الوقائع التي قضى فيها أمير المؤمنين على عليه السلام بكتاب الله مما يحير العقول فهذا الحكم كان ثابتاً في الكتاب المجيد و لكن لا تبلغه عقول الرجال إلا الكمل منهم الذين هداهم الله إليه و علمهم معالم دينه و جاءت الرواية في ذلك في الكافي بإسناده عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ما من أمر يختلف فيه إثنان إلا و له أصل في كتاب الله و لكن لا تبلغه عقول الرجال.

و نظير ما نقله المفيد جاء في الكافي للكليني بإسناده عن علي بن يقطين قال:

سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله تعالى فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها و لا يعرفون التحريم لها.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرمة في كتاب الله تعالى يا أمير المؤمنين فقال له: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله يا أبا الحسن؟ فقال: قول الله تعالى «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» فأما قوله: ما ظهر منها، يعني زنا المعلن و نصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية. و أما قوله تعالى: «وَ مَا بَطَّنَ»، يعني ما نكح من الآباء لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه و آله إذا كان للرجل زوجة و مات عنها يزوجه ابنه من بعده إذا لم تكن امه فحرم الله تعالى ذلك. و أما الإثم، فإنها الخمر بعينها و قد قال الله تعالى في موضع آخر «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ» فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمر و الميسر و اثمهما أكبر كما قال الله تعالى. فقال المهدي: يا علي بن يقطين فهذه فتوى هاشمية.

قال: قلت له: صدقت و الله يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت قال: فو الله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي.

تنبيه

و اعلم أن نظائرهما المروية عن أئمتنا عليهم السلام المستنبطة من ضم الايات القرآنية بعضها من بعض غير عزيز و استبصر من هذا أنما يعرف القرآن من خوطب به و أن القرآن يفسر بعضها بعضاً. قال عز من قائل: «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ءِ». و معلوم أن من الأشياء القرآن نفسه فهو تبيان لنفسه أيضاً و لكن لا

تبلغه عقول الرجال كما دريت. وإن للاستنباط من الكتاب رجالا عينهم الله لنا في كتابه: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (النساء: 86).

على أنا نقول: إن في الكتاب محكما و متشابها و ناسخا و منسوخا و عامًا و خاصًا و مبينا و مجملا تمييزها و استنباط الفروع الجزئية و الأحكام الالهية منها صعب مستصعب جدًا بل خارج عن طوق البشر إلا من اختاره الله و علمه فقه القرآن و ملأ قلبه علما و فهما و حكما و نورا و من المجمال في الكتاب قوله تعالى «السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» فإن اليد يطلق على العضو المعروف إلى الأشاجع و إلى الزند و إلى المرفق و إلى المنكب فيقال ادخلت يدي في الماء إلى الأشاجع و إلى الزند و إلى المرفق و إلى المنكب و اعطيت يدي و إنما اعطاه بأنامله و كتبت يدي و إنما كتبه بأصابعه و الاستعمال ظاهر في الحقيقة فيحصل الاشتراك و يأتي الاجمال في حد القطع كما انها مجملة في ان المراد قطع يدي السارق كليهما أو إحدهما و على الثاني اليد اليمنى أو اليسرى و كذا في المقدار المسروق الذي تقطع فيه أيديهما و في من تكررت منه السرقة بعد القطع أو قبل القطع و غيرها من أحكام السرقة المدونة في كتب الحديث و الفقه و كذا غيره من الاحكام و الفرائض مثل فرض الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الجهاد و حد الزنا و نظائرها مما نزل في الكتاب مجملا فلا بد لها من مفسر و مبين.

ثم انه لو كان كتاب الله وحده بلا قيم و مفسر و مبين كافيا لما أمر الله تعالى باطاعة الرسول في عدة مواضع من كتابه الكريم كما حررناه من قبيل و دريت ان القائل حسينا كتاب الله خبط خبط عشواء.

«الكلام في ان السنة وحدها لا تكون حجة إلا بقيم»

و أما السنة فالكلام فيها الكلام في الكتاب فان كلام حجج الله تعالى دون كلام خالق و فوق كلام مخلوق و لكثير من الروايات ان لم نقل لجمعيتها و جوه محتملة و قد يعارض بعضها بعضا و لبعضها بطون علمية كالايات القرآنية فقد روى

الصدوق في المجلس الأول من اماليه باسناده عن عمرو بن اليسع عن شعيب الحداد قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان أو مدينة حصينة قال عمرو: فقلت لشعيب: يا أبا الحسن و أي شيء المدينة الحصينة؟ قال: فقال: سألت الصادق عليه السلام عنها فقال لي: القلب المجتمع. على أن الروايات ليست بوافية في جميع الأحكام على سبيل التنقيح في الجزئيات بل كليات أيضا يستنبط منها تلك الفروع الجزئية مع أن الروايات أكثرها منقولة بالمعنى و لم يثبت بقاؤها على هيئتها التي صدرت عن المعصوم عليه السلام اعنى أنها لم تتواتر لفظا و إن تواتر مدلول كثير منها حتى ذهب الشهيد الثاني في الداربية إلى أن رواية واحدة يمكن ادعاء تواتره لفظا حيث قال: و التواتر يتحقق في اصول الشرايع كثيرا و قليل في الأحاديث الخاصة و إن تواتر مدلولها حتى قال أبو الصلاح من سئل عن ابراز مثال لذلك اعياه طلبه، نعم حديث من كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار يمكن ادعاء تواتره فقد نقل نقله عن النبي صلى الله عليه و آله من الصحابة الجم الغفير. انتهى.

قال المجلسي (ره) في مرآة العقول: من المعلوم أن الصحابة و أصحاب الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يكتبون الأحاديث عند سماعها و يبعد بل يستحيل عادة حفظهم جميع الألفاظ على ما هي عليه و قد سمعوا مرة واحدة خصوصا في الأحاديث الطويلة مع تطاول الأزمنة و لهذا كثيرا ما يروى عنهم المعنى الواحد بالفاظ مختلفة انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

أمّا القرآن الكريم فإنه المنزّل من الله تعالى المحفوظ على هيئته التي نزلت بلا- تغيير و تبديل في ألفاظه بلا- خلاف بل اتفق الكلّ من المسلمين و غيرهم على أن القرآن بين الكتب المنزلة هو الكتاب الذي لم يتطرق إليه تحريف أو تصحيف أو زيادة أو نقصان مطلقا.

فاذا كان الأحاديث على ذلك المنوال فيأتي البحث في الأخبار على اطوار كثيرة مضبوطة في كتب الدراية و الرجال و غيرهما مثلا ينظر في الراوى هل كان أهلا للنقل أم لا كما روى الكليني في الصحيح عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام

أسمع الحديث منك فأزيد و أنقص. قال: إن كنت تريد معناه (معانيه - خ ل) فلا بأس.

وبالجملة الكلام في القرآن والحديث هو ما ذكره مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام نقله الرضى في النهج كما مضى في الخطبة الثمانية والمأتين وكذا نقله الكليني في الكافي وفي الوافي (ص 62 م 1).

روى الكليني بإسناده عن أبان بن عيَّاش عن سليم بن قيس الهلالي قال:

قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: أتى سمعت من سلمان و المقداد و أبي ذر شيئا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبي الله غير ما في أيدي الناس ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم و رأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه و آله أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون ان ذلك كله باطل أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه و آله متعمدين و يفسرون القرآن بارائهم قال: فأقبل عليه السلام عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب:

إن في أيدي الناس حقا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عامًا و خاصًا و محكما و متشابها و حفظا و وهما و قد كذب على رسول الله صلى الله عليه و آله على عهده حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمدا فليتبؤه مقعده من النار ثم كذب عليه من بعده.

و إنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الايمان متصنعا بالاسلام لا يتأثم و لا يتحرج ان يكذب على رسول الله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه و لم يصدقوه و لكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله و رآه و سمع منه فيأخذون عنه و هم لا يعرفون حاله و قد اخبر الله عن المنافقين بما اخبره و وصفهم بما وصفهم فقال تعالى «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسَاءَلَ مَع لِقَوْلِهِمْ » ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة و الدعاة إلى النار بالزور و الكذب و البهتان فولوهم الأعمال و حملوهم على رقاب الناس و أكلوا بهم الدنيا و إنما

التّاس مع الملوك و الدّنيا إلاّ من عصم الله فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله صلّى الله عليه وآله شيئاً لم يحمله على وجهه و وهم فيه و لم يتعمّد كذباً فهو في يده يقول و يعمل به و يرويّه و يقول أنا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنّه و هم لم يقبلوه و لو علم هو انه و هم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلّى الله عليه وآله شيئاً أمر به ثمّ نهى عنه و هو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر به و هو لا يعلم فحفظ منسوخه و لم يحفظ التّاسخ فلو علم أنّه منسوخ لرفضه و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

و آخر رابع لم يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله مبعوض للكذب خوفاً من الله و تعظيماً لرسوله لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه و علم التّاسخ و المنسوخ و عمل بالتّاسخ و رفض المنسوخ فان أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ و منسوخ و خاص و عام و محكم و متشابه قد كان يكون من رسول الله صلّى الله عليه وآله الكلام له وجهان كلام عام و كلام خاصّ مثل القرآن و قال الله تعالى في كتابه «ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» فيشبهه على من لم يعرف و لم يدر ما عنى الله به و رسوله صلّى الله عليه وآله. و ليس كلّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يسأله من الشيء يفهم و كان منهم من يسأله و لا يستفهمه حتّى ان كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي و الطاري فيسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى يسمعوا.

أقول: أنّه عليه السّلام يذكر بعد قوله حتّى يسمعوا: منزلته عند النبيّ صلّى الله عليه وآله و سند ذكر هذا الذيل أيضاً في محلّه، فيما حررناه دريت أنّ الكتاب و السنّة غير وافيين بكلّ الأحكام مع أنّ الله تعالى في كلّ واقعة حكما يجب تحصيله فهما يحتاجان إلى قيم.

في الكافي بإسناده عن أبي البختری عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ العلماء و رثة الأنبياء و ذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهما و لا ديناراً و إنّما ورثوا من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فان فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين

و حيث علم معنى العدل فيما تقدم و علم أنّ الإمام المنصوب الالهى على العدل المحض و يهدون بأمر الله تعالى إلى طريق الحق علم أنّ المراد بالعدل هم الأئمة الهادين المهديين لا- غير و جاء خبر آخر فى الكافى كانه مفسر له حيث روى بإسناده عن ابن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله أنّ عند كلّ بدعة تكون من بعدى يكاد بها الايمان وليا من أهل بيتى موكّلا- به يذب عنه ينطق بالهام من الله و يعلن الحق و ينوره و يرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولى الأبصار و توكّلوا على الله.

و نعم ما قال الفيض فى الحديث بيانا: المراد من ورثة الأنبياء ورثتهم من غذاء الرّوح لأنّهم أولادهم الروحانيون الذين ينتسبون إليهم من جهة أرواحهم المتغذية بالعلم المستفاد منهم عليهم السلام كما أنّ من كان من نسلهم ورثتهم من غذاء الجسم لأنّهم أولادهم الجسمانيون الذين ينتسبون إليهم من جهة أجسادهم المتغذية بالغذاء الجسمانى حظًا وافرا كثيرا لأنّ قليل العلم خير ممّا طلعت عليه الشمس.

فانظروا يعنى لّمّا ثبت أنّ العلم ميراث الأنبياء فلا بدّ أن يكون مأخوذا عن الأنبياء عليهم السلام و عن أهل بيت النّبوة الذين هم مستودع اسرارهم و فيهم أصل شجرة علمهم دون غيرهم فان المجاوزين عن الوسط الحقّ يحرفون الكلم عن مواضعه بحسب أهوائهم. و المبطلون يدعون لأنفسهم العلم و يلبسون الحقّ بالباطل لفساد أغراضهم. و الجاهلون يؤولون المتشابهات على غير معانيها المقصودة منها لزيغ قلوبهم فيشتبه بسبب ذلك طريق التعلّم على طلبة العلم.

و فى أهل بيت النبى صلوات الله عليه و عليهم فى كلّ خلف بعد سلف امة وسط لهم الاستقامة فى طريق الحق من غير غلو و لا تقصير و لا- زيغ و لا- تحريف يعنى الإمام المعصوم و خواصّ شيعة الأئمة على أسرارهم الحافظين لعلمه الضابطين لأحاديثه فإنّ الأرض لا تخلو منهم ابدا و هم لا يزالون ينفون عن العلم تحريف الغالين

و تلبس المبطلين و تأويل الجاهلين فخذوا علمكم عنهم دون غيرهم لتكونوا ورثة الأنبياء.

و هذا الحديث ناظر إلى ما روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين و تفسير للعدول الوارد فيه.

و الخلف بالتحريك و السكون كل من يجيء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك في الخير و بالتسكين في الشر يقال: خلف صدق و خلف شر.

و أما القياس فقد حققنا في المباحث السالفة أن لله تعالى في كل واقعة حكما و أن الأحكام مبتنية على مصالح و مفسدات في الأشياء لا تبلغها العقول و لا يعلمها إلا علام الغيوب و لو تأملنا حق التأمل في الدين لرأينا أن دين الله لم يبين على القياس فان المراد بالقياس في المقام القياس الفقهي الذي يسمى في علم الميزان بالتمثيل و مبنى الشرع على اختلاف المتفقات كوجوب الصوم آخر شهر رمضان و تحريمه أول شوال، و اتفاق المختلفات كوجوب الوضوء من البول و الغائط و اتفاق القتل خطأ و الظهار في الكفارة. مع أن الشارع قطع يد سارق القليل دون غاصب الكثير و جلد بقذف الزنا و أوجب فيه أربع شهادات دون الكفر و ذلك كله ينافي القياس و قد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب و برهة بالسنة و برهة بالقياس فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا و أضلوا.

و ليس القياس إلا اتباع الهوى و قال الله تعالى «و لا تتبع الهوى فيضد لك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب».

و لو تطرق في الشريعة العمل بالقياس لمحق الدين لأن لكل أحد أن يرى برأيه و نظره مناسبة بين الحكمين و غالبا لا يخلو الشيطان عن مناسبة ما فيلزم عندئذ تحليل الحرام و تحريم الحلال و آراء كثيرة مردية في موضوع واحد مع أن حكم الله واحد لا يتغير و قد روى شيخ الطائفة في التهذيب بإسناده عن أبي مريم

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال صلوات الله عليه: لو قضيت بين رجلين بقضية ثم عادا إلي من قابل لم ازدهما على القول الأول لأن الحق لا يتغير.

وقد دريت أنفا أنه ليس شيء مما يحتاج إليه الناس إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة وأن الله تعالى نص في كتابه العزيز انزل في القرآن تبيان كل شيء قال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل - 92) وقال تعالى: «مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الأنعام - 39) وغيرهما من الايات الاخر فإذا بين القرآن كل شيء وكذا السنة وإن كان لا تبلغها عقول الرجال فعلينا أن نطلب من عنده علم الكتاب وليس لنا أن نختار بالقياس والاستحسان و امثالهما حكما نفتى به أو نعمل فان الله حذرنا عن ذلك في كتابه بقوله: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» وقال عز وجل: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ». وقال عز وجل: «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَقَّةِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» وقال تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ» وقال تعالى:

«وَاسْتَفْتِمُوهُمْ كَمَا أُمِرْتُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ». وقال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» وقال تعالى «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى» وغيرها من الايات القرآنية.

فهذه الايات القرآنية تدم من رغب عن اختيار الله و اختيار رسوله إلى اختياره و تنهيه عن ذلك أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها، أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، أم قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون.

«فى النهى عن العمل بالقياس»

قد رويت عن الأئمة الهداة المهديين روايات فى النهى عن العمل بالقياس واحتجاجات على القوم فى ذلك نورد ههنا شطرا منها تبصرة للمستبصرين فان كان له قلب استهدى بها:

1 - فى الكافى باسناده إلى أبى شيبه الخراسانى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحق إلا بعدا وأن دين الله لا يصاب بالمقاييس.

أقول: إن القياس فى جميع العلوم النقلية لا يزداد القانس من الحق والواقع إلا بعدا فكما أن اللغة والنحو والقراءة والسير و امثالها لا يستقيم بالقياس والتخمين فكذلك الأحكام فإن لله تعالى فى كل واقعة حكما لا يصاب بالظن والتخمين والقياس.

على أن فى الشرع يوجد كثيرا جمع الأحكام المختلفة فى الصفات الظاهرة وتفریق الأحكام المتشاركة فى الآثار الواضحة.

2 - وفيه باسناده إلى أبان بن تغلب عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن السنة لا تقاس ألا ترى ان المرأة تقضى صومها ولا تقضى صلاتها يا أبان ان السنة إذا قيست محق الدين.

أقول: قال الفيض فى بيانه: المحقق ذهاب الشىء كله حتى لا يرى منه أثر وإنما يحق الدين بالقياس لأن لكل أحد أن يرى بعقله أو هواه مناسبة بين الشىء و ما أراد أن يقيسه عليه فيحكم عليه بحكمه و ما من شىء إلا وبينه وبين شىء آخر مجانسة أو مشاركة فى كم أو كيف أو نسبة فاذا قيس بعض الأشياء على بعض فى الأحكام صار الحلال حراما والحرام حلالا حتى لم يبق شىء من الدين 3 - وفيه باسناده إلى أبان عن أبى شيبه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

ضلل علم ابن شبرمة عند الجامعة املاء رسول الله صلى الله عليه وآله و خطت على عليه السلام بيده ان

الجامعة لم تدع لأحد كلاما فيها علم الحلال و الحرام ان أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعدا إن دين الله لا يصاب بالقياس.

أقول: سيأتي الكلام في الجامعة عند ترجمة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام و ابن شبرمة هو عبد الله بن شبرمة القاضي كان يعمل بالقياس.

4 - وفيه عن الحسين بن ميثاق عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان إبليس قاس نفسه بادم فقال: خلقتني من نار و خلقتني من طين فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نورا و ضياء.

5 - وفيه بإسناده عن عيسى بن عبد الله القرشي قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس قال: نعم، قال: لا تقس فان أول من قاس إبليس حين قال: خلقتني من نار و خلقتني من طين فقاس ما بين النار و الطين و لو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين و صفاء أحدهما على الآخر.

أقول: إن هذين الخبرين من الأخبار الأنيقة و العلوم الدقيقة التي صدرت من بيت أهل العصمة و تجلّت من مشكاة الإمامة و بدت من فروع شجرة النبوة لاحتوائهما على لطيفة قدسية عرشية لم يعهد صدور مثلها عن غير بيت الال في ذلك العصر، و لعمرى لو لم تكن لرسول الله صلى الله عليه و آله و آله الطاهرين معجزات فعلية أصلا لكفى أمثال هذه الأخبار الصادرة عنهم عليهم السلام في صدق مقالتهم بأنهم سفراء الله لخلقه و وسائط فيضه. و بالجملة قال عليه السلام في الأول منهما فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نورا و ضياء و في الثاني و لو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين و صفاء أحدهما على الآخر. و ذلك الجوهر النورى هو النفس الناطقة المجردة و الروح المقدسة التي من عالم الأمر لا سيما روحه القدسية النبوية التي بها صار مسجود الملائكة، و معلوم أن هذا النور المعنوى لا-نسبة له إلى الأنوار الحسية كنور النار و السراج و الشمس و القمر و النجوم و أمثالها لأنه لا يكون منغمرا في الزمان و المكان و الأجسام بل هو فوق

الزمان و الزماتيات و لذا به يظهر ما لا يظهر بالأنوار الحسيّة فإنّ الحسيّة يظهر المحسوسات بخلاف النور العقلي فإنّه يظهر المعقولات و فوق المحسوسات فلا يقاس أحدهما بالآخر فإنّ العقلاني بمراحل عن الجسماني و لذا قال وليّ الله الأعظم فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالتّار كان ذلك أكثر نورا و ضياء.

و أيضا إنّ كلامه عليه السّلام يدلّ على تجرد الروح و تنزهه عن الجسم و الجسمانيات كما أنّه يدلّ ان شيئيّة الشئ بصورته لا بمادته، و قياس إبليس و هم حيث توهم ان الفضل و الشرف بمادّة البدن و أن شيئيّة الأشياء بمادّتها و لم يعلم أنّ الانسان إنسان بجوهره المجرد النوري العقلاني و أنّما الشيئيّة بالصّورة لآته لم يكن له نصيب من هذا النور القدسي النبوي حتّى يرى نسبة سائر الأنوار بالقياس إليه و يعرفه حق المعرفة.

و اعلم أنّ الوجود الكامل من مادّة ناقصة أفضل من موجود ناقص من مادّة كاملة و ذلك لما تحقّق في الحكمة العالية أنّ الصّورة هي الأصل و المادّة فرعها و شيئيّة الموجودات بصورها لا بالمادة.

6 - في الكافي: إنّ عليّا عليه السّلام قال: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس و من دان الله بالرأى لم يزل دهره في ارتماس.

7 - وفيه أيضا قال أبو جعفر عليه السّلام: من أفتى التّاس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم و من دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله حيث أحلّ و حرّم فيما لا يعلم.

8 - و في كتاب القضاء من الوسائل: أنّ ابن شبرمة قال دخلت أنا و أبو حنيفة على جعفر بن محمّد فقال لأبي حنيفة: اتق الله و لا تقس في الدّين برأيك فإنّ أوّل من قاس إبليس إلى أن قال: و يحك أيّهما أعظم قتل النّفس أو الرّنا؟ قال: قتل النفس. قال: فان الله عزّ و جلّ قد قبل في قتل النفس شاهدين و لم يقبل في الزنا إلا أربعة. ثمّ أيّهما أعظم الصّلاة أم الصّوم؟ قال: الصّلاة. قال: فما بال الحائض تقضى الصّيام و لا تقضى الصلاة فكيف يقوم لك القياس فاتق الله و لا تقس. قال:

فأيّهما أكبر البول أو المنى؟ قلت: البول، قال: فلم أمر الله تعالى في البول بالوضوء

وفى المنى بالغسل. قال: فأیما أضعف المرأة أو الرجل؟ قلت: المرأة، قال:

فلم جعل الله تعالى فى الميراث للرجل سهمين وللرأة سهم لك هذا؟ قلت:

لا. قال: فىم حكم الله فىمن سرق عشر دراهم القطع وإذا قطع الرجل يد رجل فعليه ديتهأ خمسة آلاف درهم أفيقاس لك هذا؟ قلت: لا. الحديث.

وفى الوافى (ص 59 م 1) روى عن أبى حنيفة أنه قال: جئت إلى حجّام ليحلق رأسى فقال لى: ادن ميامنك واستقبل القبلة وسم الله فتعلّمت منه ستّ خصال لم تكن عندى فقلت له: مملوك أنت أم حرّ؟ فقال: مملوك؟ قلت: لمن؟ قال لجعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام قلت: أشاهد أم غائب؟ قال: شاهد فصرت إلى بابه واستأذنت عليه فحجبنى وجاء قوم من أهل الكوفة فاستأذنوا فاذن لهم فدخلت معهم فلمّا صرت عنده قلت له: يا ابن رسول الله لو أرسلت إلى أهل الكوفة فنهيتهم أن يشتموا أصحاب محمّد فانى تركت بها أكثر من عشرة الف يشتمونهم، فقال:

لا- يقبلون منى فقلت: و من لا يقبل منك و أنت ابن رسول الله فقال: أنت أول من لا يقبل منى دخلت دارى بغير إذنى و جلست بغير أمرى و تكلمت بغير رأىى و قد بلغنى أنّك تقول بالقياس قلت: نعم قال: ويحك يا نعمان أول من قاس الله إبليس - ثمّ ذكر قريب ما نقلناه عن الوسائل و كذا هذا الخبر المذكور فى مجلس يوم الجمعة التاسع من رجب سنة سبع و خمسين و أربعمائة فراجع.

و الأخبار فى التّهى عن القياس فى الدّين و السرّ فى نهيه كثيرة فى كتب الرّواية فعليك بكتاب القضاء من الوسائل و المجلّد الأوّل من البحار و الكافى و باب البدع و الرأى و المقائيس من الوافى (ص 56 م 1).

المنقول من الزمخشرى فى ربيع الأبرار قال يوسف بن أسباط: ردّ أبو حنيفة على رسول الله صلّى الله عليه و آله للفرس سهمان و للرجل سهم، قال أبو حنيفة: لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن. و اشعر رسول الله صلّى الله عليه و آله و أصحابه البدن و قال أبو حنيفة: الاشعار مثله. و قال صلّى الله عليه و آله: البيعان بالخيار ما لم يتفرّقا، و قال أبو حنيفة: إذا وجب البيع فلا خيار. و كان صلّى الله عليه و آله يقرع بين نسائه إذا اراد سفرا و أقرع أصحابه، و قال أبو حنيفة القرعة قمار.

وأما الإجماع فبعد الفراغ عن حجّيته و البحث عن أقسامه فنقول: إنّ من المعلوم عدم قيام إجماع في كلّ واقعة واقعة.

وأما البراءة الأصليّة فلأنه يلزم منها ارتفاع أكثر الأحكام الشرعية إذ يقال الأصل براءة الذمة من وجوب أو حرمة.

أمّا الاستصحاب فعدم صلاحيّته للمحافظة بديهيّة فلأنّه يستلزم اليقين السابق و الشكّ اللاحق حتّى يجرى و أنّى يكون كلّ حكم من الأحكام في كلّ موضع مع عدم تناهيها كذلك، على أن الاستصحاب و القياس و الخبر الواحد لا تفيد إلاّ ظنّاً و الظن لا يغنى من الحق شيئاً. فإذا اتضح عدم صلاحية هذه الأقسام لحفظ الدّين و حجّة على النّاس بحيالها بلا قيم مبين و مفسر بعد خاتم النبیین فلم يبق أن يكون الحافظ للشرع إلاّ العالم و العالم مطلقاً فقد دريت أنّه لم يكن حافظاً فبقى العالم المعصوم المنصوب من الله اعنى الإمام بالحق و ذلك هو المطلوب و قد اشار البارى تعالى إليه بقوله: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (النساء: 86) ثمّ إنّ لأئمتنا صلوات الله عليهم احتجاجات على من ذهب إلى أنّ الكتاب وحده بلا قيم كاف للعباد كلّ واحد منها حجّة بالغة و برهان تام أبان الفصل و أفحم الخصم تركنا الاتيان بها روما للاختصار فعليك بكتاب الاحتجاج للطبرسى و اصول الكافى للكلينى و الارشاد للمفيد و المجلّد الرابع من البحار للمجلسى.

ثمّ مضى فى الخطبة الثالثة و العشرين و المائة قوله عليه السّلام: و هذا القرآن إنّما هو مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان و لا بدّ له من ترجمان - إلى آخر ما قال. فراجع فتبصر.

احتجاج ثامن الأئمة عليه السلام على المخالفين فى امر الإمامة

روى الشيخ الجليل الصّدوق رضوان الله عليه فى المجلس السابع و التسعين من أماليه و كذا الشيخ الجليل الطبرسى فى الاحتجاج و ثقة الاسلام الكلينى فى الكافى (الوافى ص 115 م 2) رواية جامعة كافية فى أمر الإمامة عن الرضا علىّ بن

موسى ثامن الأئمة الهداة المهديين تهدي بغاة الرشد للتي هو أقوم جعلناها خاتمة بحثنا ليختم بالخير ختامه مسك و في ذلك فليتنافس المتنافسون و في الأمالى .

حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رضى الله عنه قال: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا أبو محمد القاسم بن العلي عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا في أيام علي بن موسى الرضا عليهما السلام بمر و فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم جمعة في يدى مقدمنا فأدار الناس أمر الإمامة و ذكروا كثرة اختلاف الناس فدخلت على سيدي و مولاي الرضا عليه السلام فأعلمته ما خاض الناس فيه فتبسّم عليه السلام ثم قال:

يا عبد العزيز جهل القوم و خدعوا عن أديانهم إنّ الله عزّ و جلّ لم يقبض نبيّه صلّى الله عليه و آله حتّى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء بيّن فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج الناس إليه كملا فقال عزّ و جلّ « ما فرطنا في الكتاب من شيء » و انزل فيه في حجة الوداع و هي آخر عمره صلّى الله عليه و آله « أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا » و أمر الإمامة من تمام الدين و لم يمض صلّى الله عليه و آله حتّى بين لامته معالم دينهم و أوضح لهم سبيله و تركهم على قصد الحقّ و أقام لهم عليًا عليه السلام علما و ما ترك شيئا يحتاج إليه الأمة إلاّ بيّنه فمن زعم أنّ الله عزّ و جلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله و من ردّ كتاب الله فهو كافر فهل تعرفون قدر الإمامة و محلّها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟ إنّ الإمامة أجلّ قدرا و أعظم شأنًا و أعلى مكانا و أمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها برأيهم أو يقيموا إماما باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة و الخلّة مرتبة ثالثة و فضيلة شرفه الله بها فأشار بها ذكره فقال عزّ و جلّ « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » قال الخليل مسرورا؟؟؟ بها « وَ مِنْ دُرِّيَّتِي » قال الله تبارك و تعالى « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » فابطلت هذه

الاية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة.

ثم أكرمه الله أن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال عز وجل «وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» فلم يزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها النبي صلى الله عليه وآله فقال جل جلاله «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» فكانت له الخاصة فقلدها النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله عليا عليه السلام بأمر ربه عز وجل على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان بقوله عز وجل «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ» وهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟ إن الامامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء إن الامامة خلافة الله عز وجل وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين. إن الامامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين. إن الامامة اس الاسلام النامي وفرعه النامي.

بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفىء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

الامام يحل حلال الله ويحرم حرام الله و يقيم حدود الله و يذب عن دين الله و يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة و الحجّة البالغة.

الامام كالشمس الطالعة للعالم وهي في الافق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الامام البدر المنير والسراج الظاهر والتور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى والبلد القفار ولجج البحار.

الامام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى والمنجى من الردى.

الإمام النَّار على اليفاع الحار لمن اصطلى و الدليل على الملك من فارقة فهالك.

الإمام السحاب الماطر و الغيث الهاطل و الشمس المضيئة و الأرض البسيطة و العين الغزيرة و الغدير و الروضة.

الإمام الأمين الرفيق و الوالد الرقيق و الأخ الشفيق و مفرع العباد فى الداهية.

الإمام أمين الله فى أرضه و حجته على عباده و خليفته فى بلاده و الداعى إلى الله و الذاب عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب مخصوص بالعلم موسوم بالحلم نظام الدين و عز المسلمين و غيظ المنافقين و بوار الكافرين.

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد و لا يعادله عالم و لا يوجد به بدل و لا له مثل و لا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منزلة و لا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذى يبلغ بمعرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول و تاهت الحلوم و حارت الأبواب و حسرت العيون و تصاغرت العظماء و تحيرت الحكماء و تقاصرت الحلما و حصرت الخطباء و جهلت الأبواب و كلت الشعراء و عجزت الأدباء و عيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله فأقرت بالعجز و التقصير. و كيف يوصف أو ينعت بكنهه أو يفهم شىء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه و يغنى غناه لا، كيف و أين و هو بحيث النجم من أيدي المتناولين و وصف الواصفين فأين الاختيار من هذا و اين العقول عن هذا و أين يوجد مثل هذا؟ أظنوا أن ذلك يوجد فى غير آل الرسول صلى الله عليه و آله؟ كذبتهم و الله أنفسهم و منتهم الأباطيل و ارتقوا مرتقى صعبار حضا تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة و آراء مضلة فلم يزدادوا منه إلا بعدا قاتلهم الله أتى يؤفكون؟ لقد راموا صعبا و قالوا إفكا و ضلوا ضاللا بعيدا و وقعوا فى الحيرة

إذ تركوا الإمام عن بصيرة و زين لهم الشيطان أعمالهم و صدّهم عن السبيل و كانوا مستبصرين رغبوا عن اختيار الله و اختيار رسوله إلى اختيارهم و القرآن يناديهم «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» و قال عزّ و جلّ «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» و قال عزّ و جلّ «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالِغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» و قال عزّ و جلّ: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»، أم طبع الله «على قلوبهم فهم لا يفقهون»، أم قالوا «سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمَعُونَ»، «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ»، و «قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا»، بل هو «فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

فكيف لهم باختيار الإمام و الإمام عالم لا يجهل راع لا ينكل معدن القدس و الطهارة و النسك و الزهادة و العلم و العبادة مخصوص بدعوة الرسول و هو نسل المطهرة البتول لا- مغمز فيه في نسب و لا يدانيه ذو حسب في البيت من قريش و الذروة من هاشم و العترة من الرسول و الرضا من الله شرف الأشراف و الفرع من عبد مناف نامى العلم كامل اللحم مضطلع بالإمامة عالم للسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله ناصح لعباد الله حافظ لدين الله.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأئِمَّةَ يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَ حِلْمِهِ مَا لَا- يُؤْتِيهِمْ غَيْرُهُمْ فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ «عِلْمُهُمْ ظ» فوق كلّ أهل زمانهم في قوله جلّ و عزّ «فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» و قوله جلّ و عزّ «وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» و قوله عزّ و جلّ في طالوت «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» و قال عزّ و جلّ نبيّه صلى الله عليه و آله «وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا». و قال عزّ و جلّ في الأئمة من أهل بيته و عترته و ذريته «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ»

«آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا».

وَأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَامُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ وَ أَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ وَ أَلْهَمَهُ الْعِلْمَ الْهَامَا فَلَمْ يَعِيَ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَ لَا يَحْيِرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ وَ هُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوفِقٌ مُسَدِّدٌ قَدْ أَمِنَ الْخَطَايَا وَ الزَّلَلَ وَ الْعَثَارَ وَ خَصَّه اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ شَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُوهُ أَوْ يَكُونُ مَخْتَارَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَيَقْدِمُوهُ تَعَدُّوا وَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَقِّ وَ نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْهُدَى وَ الشِّفَاءَ فَنَبَذُوهُ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَذَمَّهُمُ اللَّهُ وَ مَقْتَهُمْ أَنفُسَهُمْ فَقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ «وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» وَ قَالَ:

«فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا». انتهى الحديث الشريف.

«الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله هم آله عليهم السلام لا غير»

الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بلا فصل هو علي بن أبي طالب وبعده ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب المجتبي وبعده أخوه الحسين بن علي سيد الشهداء ثم ابنه علي ابن الحسين زين العابدين ثم ابنه محمد بن علي باقر علوم النبيين ثم ابنه جعفر بن محمد الصادق ثم ابنه موسى بن جعفر الكاظم ثم ابنه علي بن موسى الرضا ثم ابنه محمد بن علي الجواد التقى ثم ابنه علي بن محمد النقي الهادي ثم ابنه الحسن ابن علي العسكري ثم ابنه الإمام القائم المنتظر الحجة بن الحسن عليهم السلام.

و يدل عليه وجوه من الأدلة العقلية و النقلية أما العقلية فقد قدمنا البحث عنها و لا تنطبق إلا عليهم سلام الله عليهم و أما النقلية فكثير من الايات و الأخبار

المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله و ظهور معجزات كثيرة عنهم عليهم السلام عقيب ادعائهم الإمامة ممّا أتى بها متكلمو الشيعة في كتبهم الكلامية و رواها فرق المسلمين في آثارهم و أسفارهم القيمة و التعرض بذكر كل واحد منها و النقل عن ماخذها و تقرير دلالتها على التفصيل و البسط يؤدي إلى تأليف مجلّدات عليحدة و نحن بعون الله تعالى نحررها موجزة في ابحاثنا الاتية، و أنّما الأهمّ من غرضنا في المقام اقامة البراهين العقلية في وجود الإمام و قد أتينا بطائفة منها في ضمن هذه الخطبة التي في أوصاف آل محمّد عليهم السلام ليزداد الطالب للحق بصيرة.

ولكن لما كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وصف آل محمّد صلى الله عليه وآله بأنهم عيش العلم و موت الجهل و أنّهم دعائم الاسلام و غيرها من الأوصاف المذكورة في الخطب السابقة فلنذكر نبذة من أحوالهم و شذمة من آثارهم كي يكون أنموذجا للطالب في أنوار علومهم و عظم مقامهم و إن كانت عقولنا قاصرة عن اكتناه ما جبل في نفوسهم القدسية و الارتقاء إلى مرتبتهم العرشية و نعم ما اشار إليه العارف الرومي بالفارسية.

در نیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید و السلام

و في الحقيقة مدحنا إياهم عليهم السلام راجع إلينا اعنى أنا إذا مدحناهم مدحنا أنفسنا لأننا نخبر عن حسن سريرتنا و طيب سجيتنا و سلامة عين بصيرتنا كالذى يمدح الشمس يخبر عن شدة نور بصره و سلامة عينه و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يحبنا إلا مؤمن تقى و لا يبغضنا إلا منافق شقى. و نعم ما قال العارف المذكور أيضا:

مادح خورشيد مدّاح خود است كه دو چشمم روشن و نامرمد است

ذمّ خورشيد جهان ذمّ خود است كه دو چشمم كور و تاريخ و بد است

تو ببخشا بر كسى كاندر جهان شد حسود آفتاب كامران

تا ندش پوشيد هيچ از ديده ها و ز طراوت دادن پوسيده ها

يا ز نور بى حدش تانند كاست يا بدفع جاه او تانند خاست

نور مردان مشرق و مغرب گرفت آسمانها سجده كردند از شگفت

هر كسى كو حاسد كيهان بود آن حسد خود مرگ جاويدان بود

شمع حق را پف کنی تو ای عجزوز هم تو سوزی هم سرت ای گنده پوز

کی شود دریا ز پوز سگ نجس کی شود خورشید از پف منظمس

مه فشانند نور و سگ عوعو کند هر کسی بر خلقت خود می تند

ای بریده آن لب و حلق و دهان که کند تف سوی ماه آسمان

سوی گردون تف نیابد مسلکی تف برویش باز گردد بی شکی

تا قیامت تف بر او بارد زرب همچو تبت بر روان بو لهب

و کذا قال العارف الجامی فی الدفتر الأوّل من سلسلة الذهب.

مادح أهل بیت در معنی مدحت خویشان کند یعنی

مؤمنم موقنم خدای شناس وز خدایم بود امید و هراس

از کجیها در اعتقاد پاک نیست از طعن کج نهادم پاک

دوستدار رسول و آل ویم دشمن خصم بد سگال ویم

جوهر من ز دکان ایشانست رخت من از دکان ایشانست

إلی أن قال:

این نه رفض است محض ایمان است رسم معروف أهل عرفانست

رفض اگر هست حبّ آل نبیّ رفض فرض است بر ذکی و غبی (1)

«الإمام الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»

و اعلم أنّ تلك الأوصاف المذكورة في الخطب لا تصدق حقيقة إلا على آل محمد صلّى الله عليه وآله والمراد باله ليس مطلق من صحبه أو عاصره أو عاش معه لأنّ الضرورة قاضية على خلافه فانا لو نظرنا في صحابة الرسول صلّى الله عليه وآله و سبرناهم لوجدنا بعد

ص: 109

1- (1) - بيت العارف الجامی کانما یشیر إلى ما قال الشافعی: قالوا: ترفضت، قلت: کلاما الرفض دینی و لا اعتقادیلکن تولیت غیر شکخیر امام و خیر هادان کان حب الوصی رفضاننی أرفض العباد

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ كَانَ وَجُودَهُ حَيَاةَ الْعِلْمِ وَحَيَاتِهِ دَعَاةَ الْإِسْلَامِ وَ مِنْ أَزَاحَ الْبَاطِلَ وَ أَبْطَلَ الْمُنَاكِرَ وَ أَعَادَ الْحَقَّ إِلَى حُدِّهِ وَ مُسْتَقَرَّهُ، هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا غَيْرَ فَإِنَّ الْكُلَّ مُتَّفِقٌ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ فِي جَمِيعِ الْكِمَالَاتِ الْفَنَائِيَّةِ وَ الْبَدِيَّةِ وَ مَا طَعَنَ أَحَدٌ فِي حُكْمِهِ وَ فَعَلَهُ وَ قَوْلَهُ وَ عِلْمَهُ وَ صَدْرَتِ مِنْ غَيْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا لَوْ لَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَحَقَ الدِّينَ وَ هَلَكَ النَّاسُ كَمَا أَذْعَنَ الْجَمِيعُ بِهَا وَ نَقَلَهَا رِوَاةَ السَّنَةِ فِي جَوَامِعِهِمْ وَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ حَدُوثِ مَعْضَلٍ يُضْرَبُونَ بِهِ الْمِثْلَ بِقَوْلِهِمْ:

قَضِيَّةٌ لَا أَبَا حَسَنِ لَهَا.

قَالَ الْقَاضِي الْعَضُدُ الْإِيحِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي مَبْحَثِ الْإِمَامَةِ مِنَ الْمَوَاقِفِ: عَلِيُّ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ الذِّكَاةِ وَ الْحِرْصِ عَلَى التَّعَلُّمِ وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْلَمُ النَّاسِ وَ أَحْرَصُهُمْ عَلَى ارْتِشَادِهِ وَ كَانَ فِي صِغَرِهِ فِي حَجْرِهِ وَ فِي كِبَرِهِ خَتْنًا لَهُ يَدْخُلُ عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ وَ ذَلِكَ يَقْتَضِي بُلُوغَهُ فِي الْعِلْمِ كُلِّ مَبْلَغٍ، وَ أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَاتَّصَلَ بِخِدْمَتِهِ فِي كِبَرِهِ وَ كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ، وَ الْقَضَاءُ يَحْتَاجُ إِلَى جَمِيعِ الْعُلُومِ وَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» وَ أَكْثَرَ الْمَفْسَّرِينَ عَلَى أَنَّهُ عَلِيُّ وَ لِأَنَّهُ نَهَى عَمْرَ عَنِ رَجْمِ مَنْ وُلِدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ وَ عَنِ رَجْمِ الْحَامِلَةِ فَقَالَ عَمْرٌ: لَوْ لَا عَلِيُّ لَهَلَكَ عَمْرٌ، وَ لِقَوْلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ كَسَرْتَ لِي الْوَسَادَةَ ثُمَّ جَلَسْتَ عَلَيْهَا لَقَضَيْتَ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الزُّبُورِ بِزُبُورِهِمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ، وَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ اللهُ مَا مِنْ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ أَوْ سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَ فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ، وَ لِأَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ فِي خُطْبِهِ مِنْ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ وَ الْعَدْلِ وَ النَّبُوَّةِ وَ الْقَضَاءِ وَ الْقَدْرِ مَا لَمْ يَقَعْ مِثْلُهُ فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ، وَ لِأَنَّ جَمِيعَ الْفُرُقِ يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ فِي الْأَصُولِ وَ الْفُرُوعِ وَ كَذَا الْمُتَّصِفُونَ فِي عِلْمِ تَصْفِيَةِ الْبَاطِنِ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَئِيسِ الْمَفْسَّرِينَ تَلْمِيزُهُ وَ كَانَ فِي الْفِقْهِ وَ الْفَصَاحَةِ فِي الدَّرَجَةِ الْقَصْوَى، وَ عِلْمِ النَّحْوِ أَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ وَ هُوَ الَّذِي أَمْرًا بِالْأَسْوَدِ الدَّنْثَلِيِّ بِتَدْوِينِهِ وَ كَذَا عِلْمِ الشُّجَاعَةِ وَ مِمَارَسَةِ الْأَسْلِحَةِ وَ كَذَا عِلْمِ الْفِتْوَى وَ الْأَخْلَاقِ. إِلَى آخِرِ مَا قَالِ فَرَاغَ..

و فى الكافى بإسناده إلى أبان بن أبى عیاش عن سلیم بن قیس الهلالى فى ذیل خطبة نقل صدرها الرضى رضوان الله علیه فى نهج البلاغة (الخطبة 208) و وعدنا نقل الذیل قبیل هذا، عنه علیه السلام: و قد كنت أدخل على رسول الله صلى الله علیه و آله كل يوم دخلة و كل ليلة دخلة فىخلینى فیها أدور معه حیث دار و قد علم أصحاب رسول الله صلى الله علیه و آله انه لم یصنع ذلك بأحد من الناس غیرى فربما كان فى بیتی یا تینى رسول الله صلى الله علیه و آله أكثر ذلك فى بیتی و كنت إذا دخلت علیه بعض منازلہ أخلانى و أقام عنى نساءه فلا یبقى عنده غیرى و إذا أتانى للخلوة معى فى منزلى لم یقم عنى فاطمة و لا أحدا من بنى و كنت إذا سألتہ أجبنى و إذا سکت عنه و فنیت مسائلى ابتدأنى فما نزلت على رسول الله آیه من القرآن إلا أقرأنیها أو أملاها على فکتبتها بخطى و علمنى تأویلها و تفسیرها و ناسخها و منسوخها و محکمها و متشابها و خاصها و عامها و دعى الله أن یعطینى فهمها و حفظها فما نسیت آیه من کتاب الله تعالى و لا علما أملاها على و کتبتہ منذ دعا الله لى بما دعا و ما ترک شیئا علمه الله من حلال و لا حرام و لا أمر و لا نهى كان أو یكون و لا کتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنیه و حفظته فلم أنس حرفا واحدا ثم وضع یده على صدرى و دعى الله لى أن یملا قلبى علما و فهما و حکما و نورا فقلت یا رسول الله أبى أنت و أمى منذ دعوت الله لى بما دعوت لم أنس شیئا و لم یفتنى شیئا لم أکتبه. أفتتخوف على النسیان فیما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسیان و الجهل.

و أيضا کتبه و رسائله و خطبه و حکمه من أوضح البراهین على ذلك و قد تحیرت فى بعضها العقول و خضعت له افکار الفحول لاشتمالها على اللطائف الحکمیة و المباحث العقلیة و المسائل الالهیة فى توحید الله و صفاته عز اسمه و لم ینقل لأحد من كبار الصحابة و فصحاءهم و لا من العرفاء الشامخین و الحکماء المتألهین نحو خطبة واحدة منها لا لفظا و لا معنى بل کلهم عیال له و کفى ببطل العلم فخرا ان یتناول من مآذبه و یرتوى من مشرع فصاحته.

و هذا هو عبد الحمید الذى قال فیہ ابن خلکان فى وفيات الأعیان: أو غالب

عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب البليغ المشهور كان كاتب مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني امية وبه يضرب المثل في البلاغة حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد و ختمت بابن العميد و كان في الكتابة وفي كل فن من العلم و الأدب إماما و عنه أخذ المترسلون و لطريقته لزموا و لاثاره اقتفوا و هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل و مجموع رسائله مقدار ألف ورقة و هو أول من اطال الرسائل و استعمل التحميدات في فصول الكتاب فاستعمل الناس ذلك بعده - قال: حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح ففاضت ثم فاضت، و يعنى بالأ صلح أمير المؤمنين عليًا عليه السلام.

و هذا هو ابن نباتة قائل الخطبة المنامية - الذي قال فيه ابن خلكان:

أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة صاحب الخطب المشهورة كان إماما في علوم الأدب و رزق السعادة في خطبه التي وقع الاجماع على أنه ما عمل مثلها و فيها دلالة على غزارة علمه و جودة قريحته - قال: حفظت من الخطابة كنزا لا يزيد الانفاق الا سعة و كثرة حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب.

و هذا هو الحكيم البارع الالهى المولى صدرا قدس سره تمسك في الفصل الثالث من الموقف الثاني من المجلد الثالث من الأسفار الأربعة المعنون بقوله في تحقيق القول بعينية الصفات الكمالية للذات الأحدية - بقوله عليه السلام في نفى المعاني و الصفات الزائدة عن ذاته تعالى، فقال:

و قد وقع في كلام مولانا و إمامنا مولى العارفين و إمام الموحدين ما يدل على نفى زيادة صفات الله تعالى بأبلغ وجه و أكد حيث قال عليه السلام في خطبة من خطبة المشهورة: أول الدين معرفته، و كمال المعرفة التصديق به، و كمال التصديق به توحيده و كمال التوحيد الا خلاص له، و كمال الا خلاص له نفى الصفات عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف و شهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصفه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزاه، و من جزاه فقد جهله، و من أشار

إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من قال فيم فقد ضمّنه، و من قال عليهم فقد أخلى عنه.

انتهى كلامه المقدّس على نبينا و عليه و آله السّلام و الاكرام و هذا الكلام الشريف مع و جازته متضمن لأكثر المسائل الالهية ببراهاينها و لنشر إلى نبد من بيان أسرارّه و أنموذج من كنوز أنواره. ثمّ نشرحه في ذلك الفصل بما تيسّر له من فهم أسرار كلماته عليه السّلام.

و لله درّ من قال: إنّ كلامه عليه السّلام دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين و كأنّ روح القدس نفث في روع الشريف الرّضى رضى الله عنه أن سمّى ما جمعه من كلامه عليه السّلام بنهج البلاغة.

و هذا هو خصمه النّاصب و محاربه المعاند الجاحد و عدوّه و مبغضه الذي يجتهد في وصمه و يلعنه على المنابر و أمر الناس بلعنه امام الفئة الباغية معاوية بن أبي سفيان قال لعبد الله بن أبي محجن الثقفي لما قال له أتى أتيتك من عند الغبيّ الجبان البخيل ابن أبي طالب، فقال معاوية: لله أنت! أتدرى ما قلت؟ أمّا قولك: الغبيّ، فو الله لو أنّ ألسن النّاس جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفها لسان عليّ؛ و أمّا قولك: إنّ جبان، فثكلتك امّك، هل رأيت أحدا قطّ بارزه إلاّ قتله؟ و أمّا قولك: إنّه بخيل فو الله لو كان له بيتان أحدهما من تبر و الآخر من تبين لأنفد تبره قبل تبينه. فقال الثقفي. فعلام تقاتله إذا؟ قال: على دم عثمان، و على هذا الخاتم الذي من جعله في يده جازت طينته و اطعم عياله و ادّخر لأهله. فضحك الثقفي ثمّ لحق بعليّ فقال: يا أمير المؤمنين هب لى يدي بجرمي لا دنيا أصبت و لا آخرة. فضحك عليّ عليه السّلام ثمّ قال: أنت منها على رأس امرك و إنّما يأخذ الله العباد بأحد الأمرين «نقله ابن قتيبة الدينوري في الإمامة و السياسة».

و قال ابن حجر في صواعقه: أخرج أحمد أن رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال: سل عنها عليّا فهو أعلم، قال: جوابك فيها أحب إليّ من جواب عليّ قال:

بسّ ما قلت لقد كرهت رجلا كان رسول الله يغره بالعلم غرّا و لقد قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى و كان عمر إذا أشكل عليه شيء

ثم إن قولنا و ما طعن فيه أحد مما شهد له المخالف و الموالف و إن كان الخصم ربما يشتمه و يسبه كشم الوطواط الشمس. و من الشواهد في ذلك ما كتبه المورخون و الرواة و المحدثون خلفا عن سلف ان اناسا لما اجتمعوا و تبادلوا إلى ولاية الأمر و اتفق لأبي بكر ما اتفق و بدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفا من إدراك عليّ عليه السلام الأمر لم يجدوا فيه عليه السلام مطعنا و لا مغمزا إلا عابوه بالدعابة فاستمسكوا بها في منعه عليه السلام عن الخلافة و ممن أتى بما قلنا الفاضل الشارح ابن أبي الحديد المعتزلى في الموضوعين من مقدمة شرحه على نهج البلاغة حيث قال في سجاجة اخلاقه عليه السلام (ص 6 ج 1 طبع الطهران 1304): و أما سجاجة الأخلاق و بشر الوجه و طلاقة المحيّا و التّبسم فهو المضروب به المثل فيه حتىّ عابه بذلك اعداؤه قال عمرو بن العاص لأهل الشام: انه ذو دعابة و قال عليّ عليه السلام في ذاك: عجبنا لابن النابغة يزعم لأهل الشام ان فيّ دعابة و انى امرؤ تلعبه اعافس و امارس، و عمرو بن العاص انما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله لما عزم لاستخلافه: لله أبوك لو لا دعابة فيك، إلا ان عمر اقتصر عليها و عمرا زاد فيها و سمجها.

ثم قال (ص 11 منه): و أمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس و أعظمهم اراقة للدم و أزهدهم و أبعد الناس عن ملاذ الدنيا و أكثرهم وعظا و تذكيرا بأيام الله و مثلاته و أشدهم اجتهادا في العبادة و ادابا لنفسه في المعاملة و كان مع ذلك ألطف العالم أخلاقا و أسفرهم وجهها و أكثرهم بشرا و أوفاهم هشاشة و بشاشة و أبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر أو تجهّم مباعدا أو غلظة و فظاظة تنفر معهما نفس أو يتكدر معهما قلب حتىّ عيب بالدعابة و لما لم يجدوا فيه مغمزا و لا مطعنا تعلقوا بها و اعتمدوا في التنفير عليها. مصراع: و تلك شكاة طاهر عنك عارها. انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

بعد الصفح عن الاثار الباقية عن على عليه السلام الدالة على علو رتبته ورفعة منزلته بحيث لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون علما و حكمة وزهدا و معرفة بالله، نجد روايات متواترة متظافرة عن النبى صلى الله عليه وآله منقولة من جوامع الفريقين مما لا تحصى كثرة و كذا آيات كثيرة قرآنية فى أنه عليه السلام خليفة رسول الله بلا فصل و وصيه و أخوه و انه أفضل من غيره و اعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و باب مدينة العلم و أنه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعده و أنه قاضى دينه صلى الله عليه وآله «بكسر الدال» و أنه ولي كل مؤمن و مؤمنة من بعده صلى الله عليه وآله و أنه نفس رسول الله و أن الله أذهب عنه الرجس و طهره تطهيرا و غيرها مما دونت لها و لضبط طرقها و اسانيدها كتب مفصلة عليحدة ملأت الافاق فهو عليه السلام عيش العلم و دعامة الاسلام

الإمام الثانى و الثالث

سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله و ريحانتاه و سيّدا شباب أهل الجنة الحسن و الحسين سلام الله عليهما. قال ابن الأثير فى اسد الغابة فى معرفة الصحابة و كذا فى كثير من كتب جوامع الفريقين و التفاسير العديدة بالأسانيد الكثيرة و الطرق المتظافرة: نزلت هذه الاية على النبى صلى الله عليه وآله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فى بيت ام سلمة فدعا النبى صلى الله عليه وآله عليه و آله فاطمة و حسينا فجللهم بكساء و على خلف ظهره ثم قال: هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا قالت ام سلمة: و أنا معهم يا رسول الله؟ قال: أنت على مكانك أنت إلى خير.

ثم قال ابن الأثير: بإسناده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى و لن ينفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وفيه عن البراء قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعا الحسن بن على عاتقه و هو يقول: اللهم إنى احبّه فأحبّه.

وفيه عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسياب.

وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله سمى الحسن والحسين والمحسن بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر.

أقول: فى هذا الحديث إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام أنت منى بمنزلة هارون من موسى.

وروى الشيعة عنه صلى الله عليه وآله متواتراً: انه قال للحسين عليه السلام: هذا ابني إمام ابن إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم.

والأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله من الفريقين مشتركة فيهما ومنفردة فى كل واحد منها الدالة على امامتها وفضلها على غيرهما وأنهما على الحق حيث دارا ودار مما لا تحصى كثرة.

الإمام الرابع

هو سيّد الساجدين وزين العابدين وقدوة السالكين والزاهدين امام الثقلين ذو الثغفات أبو الحسن على بن الحسين صلوات الله عليهما خلف عليه السلام كتاباً جذب عقول الحكماء المتألهين إلى دقائق حقائقه وشحذ افكار العلماء الشامخين فى درك أسرار لطائفه فغاصوا فى بحار معانيه لاقتناء درره وشمروا عن ساق الهمة لاجتناء ثمره فنالتهم العائدة من تلك المائدة الالهية بقدر الوسع والقابلية ألا وهو زبور آل محمد وانجيل أهل البيت الصحيفة الكاملة السجادية. أرايت هل تيسر لأحد من العلماء المتبحرين فى الفنون العديدة أن يحذو حذوه عليه السلام فى أداء تلك المعانى الجزيلة بتلك العبارات الوجيزة الجميلة و هل تجد لأسلافنا الماضين من غير بيت الال من نسج المعانى بالألفاظ على ذلك المنوال؟ ولعمري و ما عمري على بهين لو أعيد عبد الحميد وعوضد بابن العميد على أن يأتى بمثل دعاء منها لرايت أنه لا يلوم إلا نفسه ولا يروم إلا رسمه.

ولله درّ الحكيم البارع والعالم الجامع المتضلع فى الفنون العلمية صاحب

الكتب القيمة صدر الدين المدنى على بن أحمد نظام الدين الحسينى الحسنى حيث قال فى مقدمة شرحه على صحيفة سيّد الساجدين الموسوم برياض السالكين:

واعلم أن هذه الصحيفة الشريفة عليها مسحة من العلم الالهى وفيها عبقة من الكلام النبوى كيف لا وهى قبس من نور مشكاة الرسالة و نفضة من شميم رياض الإمامة حتّى قال بعض العارفين: إنّها تجرى مجرى التنزيلات السماوية و تسير مسير الصحف اللوحية و العرشية لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفة و ثمار حدائق الحكمة و كان اخيار العلماء و جها بذ القدماء من السلف الصالح يلقبونها بزبور آل محمّد و انجيل أهل البيت، قال الشيخ الجليل محمّد بن على بن شهر آشوب فى معالم العلماء فى ترجمة المتوكل بن عمير: روى عن يحيى بن زيد بن على عليه السّلام دعاء الصحيفة و تلقب بزبور آل محمّد. ثمّ قال: و أمّا بلاغة بيانها فعندها تسجد سحرة الكلام و تدعن بالعجز عنها مداراة الأعلام و تعترف بأن النبوة غير الكهانة و لا يستوى الحقّ و الباطل فى المكانة و من حام حول سمائها بغاسق فكره الواقب رمى من رجوم الخذلان بشهاب ثاقب حكى ابن شهر آشوب فى مناقب آل أبى طالب عليه السّلام ان بعض البلغاء بالبصرة ذكرت عنده الصحيفة الكاملة فقال: خذوا عني حتّى املى عليكم مثلها فأخذ القلم و أطرق رأسه فما رفعه حتّى مات، و لعمرى لقد رام شططا فنال سخطا. انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

«كلام طنطاوى صاحب التفسير فى الصحيفة السجادية»

قال بعض علمائنا المعاصرين فى مقدمته على صحيفة سيّد الساجدين (ص كح طبع طهران عاصمة ايران 1361 هـ): و إنّى فى سنة 1353 هـ بعثت نسخة من الصحيفة الشريفة إلى العلامة المعاصر الشيخ جوهرى طنطاوى صاحب التفسير المعروف مفتى الاسكندرية ليطالعها فكتب إليّ من القاهرة وصول الصحيفة و شكر لى على هذه الهدية السنّية و أطرى فى مدحها و الثناء عليها - إلى أن قال: و من الشقاء أنّا إلى الان لم نقف على هذا الأثر القيم الخالد من موارث النبوة و أهل البيت و إنّى كلّما تأملتُها رأيتها فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق - إلى آخر ما قال:

ثم سأل عنى هل شرحها أحد من علماء الاسلام فكتبت اليه أسامى من شرحه ممن كنت أعلم به و قدمت لسماحته رياض السالكين للسيد عليخان و كتب فى جواب وصوله إني مصمم و مشتمر الذيل على أن أكتب شرحا على هذه الصحيفة العزيزة.

انتهى.

«كلام محيي الدين الاعرابي (او المغربي) فيه عليه السلام»

قال فى المناقب: صلوات الله و ملائكته و حملة عرشه و جميع خلقه من أرضه و سمائه على آدم أهل البيت، المنزه عن كيت و ما كيت، روح جسد الإمامة، شمس الشهامة، مضمون كتاب الابداع، حلّ تعمية الاختراع سرّ الله فى الوجود، إنسان عين الشهود، خازن كنوز الغيب مطلع نور الإيمان كاشف مستور العرفان، الحجة القاطعة، و الدرّة اللامعة، ثمرة شجرة طوبى القدسيّة، ازل الغيب و أبد الشهادة، السرّ الكلّ فى سرّ العبادة، و تد الأوتاد و زين العباد، إمام العالمين، و مجمع البحرين، زين العابدين علىّ بن الحسين عليهما السلام.

«كلام محمد بن طلحة الشافعي فيه عليه السلام»

هذا زين العابدين و قدوة الزاهدين و سيّد المتقين و امام المؤمنين، شمته يشهد له أنّه من سلالة رسول الله، و سمته يثبت مقام قربة من الله زلفى، و ثناته يسجل بكثرة صلواته و تهجده، و اعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده، درت له أخلاق التقوى فيعوقها، و اشرفت لربه أنوار التاييد فاهتدى بها، و ألقتة أوراد العبادة فانس بصحبته، و خالفته و ظائف الطاعة فتحلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، و ضمّاء هواء حرّ دليلا استرشد به فى مفازة المسافرة، و له من الكرامات و خوارق العادات ما شوهد بالأعين الباصرة، و ثبت بالاثار المتواترة، و شهد له أنّه من ملوك الآخرة.

قال أحمد بن خلّكان فى وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان فى ترجمته عليه السلام:

أبو الحسن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام المعروف بزین العابدين و يقال له: علىّ الأصغر و ليس للحسين عقب إلاّ من ولد زين العابدين هذا و هو أحد الأئمة

الاثناعشر و من سادات التابعين، قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، و كان يقال لزين العابدين عليه السلام ابن الخيرتين لقوله صَلَّى الله عليه و آله: لله تعالى من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش و من العجم فارس. و ذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار أن الصحابة لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات ليزجرد أيضا فباعوا السبايا و أمر عمر ببيع بنات يزجرد فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: ان بنات الملوک لا يعاملن معاملة كغيرهنّ من بنات السوق، فقال: كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال: يقوّمن و مهمما بلغ من ثمنهنّ قام به من يختارهنّ فقوّمن فأخذهنّ علي بن أبي طالب عليه السلام فدفع واحدة لعبد الله بن عمر و الأخرى لولده الحسين و الأخرى لمحمّد بن أبي بكر فأولد عبد الله أمته ولده سالما و أولد الحسين أمته زين العابدين عليه السلام و اولد محمّد أمته القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة و أمهاتهم بنات يزجرد.

ثمّ قال: و حكى المبرّد في كتاب الكامل ما مثاله يروى عن رجل من قريش لم يسمّ لنا قال: كنت أجالس سعيد بن المسيّب فقال لى يوماً: من أخوالك؟ فقلت: امي فتاة فكأنّي نقصت في عينه فامهلت حتّى دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلمّا خرج من عنده قلت: يا عم من هذا؟ فقال: يا سبحان الله العظيم أتجهل مثل هذا هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر، قلت: فمن أمّه؟ فقال فتاة، قال: ثمّ أتاه القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصديق فجلس عنده ثمّ نهض قلت: يا عمّ من هذا؟ قال: أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا هذا القاسم بن محمّد ابن أبي بكر قلت: فمن أمّه قال: فتاة فامهلت شيئاً حتّى جاءه علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام فسلم عليه ثمّ نهض قلت: يا عمّ من هذا فقال: هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهره هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فقلت:

من أمّه؟ فقال: فتاة فقلت: يا عم رأيتني نقصت من عينك حين قلت لك: امي فتاة أفما بالى بهؤلاء اسوة قال فجللت في عينه جدّاً.

ثمّ قال: و كان زين العابدين كثير البرّ بأمّه حتّى قيل له: إنك من أبرّ

النَّاسِ بِأَمِّكَ وَ لَسْنَا نَرَاكَ تَأْكُلُ مَعَهَا فِي صَحْفَةٍ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إِلَى مَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ عَيْنُهَا فَأَكُونَ قَدْ عَقَّقْتُهَا. إِلَى أَنْ قَالَ: وَ فُضَائِلُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَ مَنَاقِبِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ. وَ كَانَتْ وِلَادَتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَعْضِ شَهْرٍ سَنَةِ 38 لِلْهِجْرَةِ وَ تَوَفَّى سَنَةَ 94 وَ قِيلَ 99 وَ قِيلَ 92 لِلْهِجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ وَ دُفِنَ فِي الْبَقِيعِ فِي قَبْرِ عَمِّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْقَبَةِ الَّتِي فِيهَا قَبْرُ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ إِنَّ لِفَارِسِ مِيدَانَ الشَّعْرِ سَحْبَانَ عَصْرِهِ أَبِي فِرَاسِ هَمَامِ بْنِ غَالِبِ بْنِ الصَّعْصَعَةِ الْمَلْقَبِ بِالْفِرْزَدِقِ التَّمِيمِيِّ الْمَجَاشِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَدْحِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَصِيدَةَ غَزَاءٍ بَلَغَتْ فِي جُودَةِ أَلْفَاظِهَا وَ عَذُوبَةِ مَعَانِيهَا غَايَةَ تَسْتَشْهِدُ بِأَيَّاتِهَا الْأَدْبَاءَ وَ الْحَرِيِّ فِيهَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ وَ إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لِسِحْرًا، أَشَارَ فِيهَا إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ عَلَوِّ رَتْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ سَمَّوْ دَرَجَتِهِ وَ شَرَّ ذِمَّةٍ مِنْ مَنْزِلَةِ شَأْنِهِ وَ مَكَانَةِ أَمْرِهِ فِي وَاقِعَةٍ اقْتَضَتْ ذَلِكَ كَمَا نَشِيرُ إِلَيْهَا، وَ أَتَى بِبَعْضِ آيَاتِهَا أَبُو تَمَامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسِ الطَّائِي فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَمَاسَةِ (الْحَمَاسَةُ 708) الَّتِي دَلَّتْ عَلَى غَزَاةِ فَضْلِهِ وَ اتِّقَانِ مَعْرِفَتِهِ بِحَسَنِ اخْتِيَارِهِ مَعْنُونًا بِقَوْلِهِ: وَ قَالَ الْفِرْزَدِقُ يَمْدَحُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مُبْتَدَأً بِقَوْلِ الْفِرْزَدِقِ: إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَانِلَهَا، وَ بَعْدَهُ: هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ، وَ بَعْدَهُ: يَكَادُ يَمْسُكُهُ، وَ بَعْدَهُ: أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ، وَ بَعْدَهُ:

بَكَفِهِ خَيْرَانَ، وَ بَعْدَهُ يَغْضَى حَيَاءً، وَ خَتَمَ بِهِ. وَ كَذَا أَتَى بَعْشَرِينَ بَيْتًا مِنْهَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي فِي تَرْجُمَةِ الْفِرْزَدِقِ (الْجُزْءُ التَّاسِعُ عَشْرُ ص 40 طَبْعٌ سَاسِي) وَ كَذَا أَتَى بَعْدَهُ آيَاتٌ مِنْهَا الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى عِلْمُ الْهُدَى فِي أَمَالِيهِ الْمَعْرُوفِ بِغُرْرِ الْفَوَائِدِ وَ دُرْرِ الْقَلَائِدِ، وَ كَذَا ذَكَرَ سَبْعًا وَ عَشْرِينَ مِنْهَا أَحْمَدُ بْنُ خَلْكَانٍ فِي وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ عِنْدَ تَرْجُمَةِ الْفِرْزَدِقِ، وَ كَذَا غَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الْمُؤَلِّفِينَ وَ أَعَاظِمِ الْمُؤَرِّخِينَ وَ لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهِمْ لِأَنَّ الْقَضِيَّةَ بَلَغَتْ فِي وَضُوحِهَا كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ وَ يَعَدُّ مِنْ مُتَوَاتِرَاتِ الْأَخْبَارِ وَ الْآثَارِ.

وَ أَمَّا تِلْكَ الْوَاقِعَةُ الْمَوْعُودَةُ فَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ الْهَاشِمِيُّ عَنْ حَيَّانِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَنْزِيِّ عَنْ مَجَالِدٍ عَنْ

الشعبي قال: حجّ الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة و كان هشام بن عبد الملك قد حجّ في ذلك العام فرأى عليّ بن الحسين في غمار الناس في الطواف فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينيّة تتراءى فيها عذارى الحيّ وجوهها؟ فقالوا: هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقال الفرزدق: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته: إلى آخر ما أتى بها، وقال بعد نقل القصيدة: فغضب هشام فحبسه بين مكّة و المدينة فقال:

أ تحبسنى بين المدينة و التي إليها قلوب الناس يهوى منيها

تقلّب رأسا لم يكن رأس سيد و عينا له حواء باد عيوبها

فبلغ شعره هشاما فوجّه فأطلقه. و قال في ينايع المودّة: و كان هشام أحول.

و قال ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة الفرزدق: و تنسب إليه مكرمة يرجى له بها الجنة و هي أنّه لما حجّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه فطاف و جهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر لكثرة الزحام فنصب له منبر و جلس عليه ينظر إلى الناس و معه جماعة من أعيان أهل الشام فينما هو كذلك إذا أقبل زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم و كان من أحسن الناس وجهها و أطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتّى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام فيملكون، و كان الفرزدق حاضرا فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء - إلى آخر ما ذكر من ابيات تلك القصيدة.

و نحن نذكر القصيدة بتمامها تيمّنا بها و نشرح بعض ما يحتاج إليه بال تفسير و السؤال:

يا سائلى أين حلّ الجود و الكرم عندى بيان إذا طلا به قدموا

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم(1)

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى أحمد المختار والده صلّى عليه إلهى ما جرى القلم(2)

لويعلم الركن من ذا جاء يلثمه لخرّ يلثم منه ما وطى القدم(3)

هذا علىّ رسول الله والده أمست بنور هداه تهتدى الأمم(4)

هذا الذى عمّه الطيار جعفر و المقتول حمزة ليث حبه قسم

هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة و ابن الوصى الذى فى سيفه سقم(5)

إذا رآته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم(6)

ص:122

1- (2) قال المرزوقى فى شرحه: «هذا» يعنى على بن الحسين بن على صلوات الله عليه «الذى تعرف البطحاء وطأته» من بين وطات الناس إذا مشوا عليها وفيها. و البطحاء: أرض مكة المنبطحه، و كذلك الأبطح و بيوت مكة التى هى للأشراف بالأبطح، و التى هى فى الروابى و الجبال للغرباء و أوساط الناس. انتهى و البيت بيت الله زاده الله شرفا. و الحرم حرمه و فى كتاب الحج من التهذيب للشيخ الطوسى باسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: حرم الله حرمه بريدا فى بريد. و الحل ما جاوز الحرم.

2- (4) لم يأت بهذا البيت أبو الفرج فى الأغانى و ابن خلكان فى وفيات الأعيان و كذا لم يذكر فى كثير من النسخ و انما أتى به المجلسى فى البحار و يوجد فى بعض النسخ أيضا و هو قريب من البيت السادس الذى يوجد فى النسخ غالبا فلا بعد أن يكون ملحقا بالقصيدة

3- (5) و فى نسخة: من قد جاء يلثمه. لثمه من بابى ضرب و علم: قبله. خر: انكب على الأرض.

4- (6) الامم فاعل كلا الفعلين على سبيل التنازع. و فى نسخة مجالس المؤمنين للقاضى تهتدى الظلم. اى امست الامم أو الظلم تهتدى بنور هداه.

5- (8) فى نسخة: فى سيفه نقم.

6- (9) قال المرزوقى فى شرحه على الحماسة: فائدة إلى فى قوله «إلى مكارم هذا» الانتهاء، و الجملة فى موضع المفعول لقال و المعنى ان الكريم إذا انتهى إلى درجة مكارم هذا وقف، لانها الغاية السامية و المرتبة التى لا متجاوز منها إلى ما هو أعلى.

ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت عن نيلها عرب الاسلام والعجم(1)

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم(2)

ص:123

1- (10) فى نسخة الاغانى: ينمى إلى ذروة الدين التى قصرت عنها الاكف و عن ادراكها القدم ينمى على صيغة المجهول يائى اى ينسب و يسند إلى ذروة العز. و الذروة بالضم و الكسر: اعلى الشىء. عرب فاعل لقصرت و العجم عطف عليها. و تستعمل العرب مؤنثة على تأويل الأمة و القبيلة و الطائفة و نحوها كما يقال العرب العرباء و العاربة و العرب المستعربة و المتعربة. و العجم كالعرب.

2- (11) ركن الحطيم مرفوع على انه فاعل يمسكه. و عرفان مضاف منصوب على انه مفعول له اى يكاد يمسكه ركن الحطيم لان عرف راحته. و الراحة هنا الكف جمعها الراح قال ابن جنى فى التنبيه: يجوز فى البيت اوجه: احدها نصب العرفان على انه مفعول له و رفع ركن الحطيم على انه فاعل يكاد، أو فاعل يمسكه عرفان لركن البيت و يجوز رفعهما جميعا أى يكاد يمسكه أن عرف راحته ركن الحطيم فيرفع العرفان بيكاد أو يمسكه و يرفع ركن الحطيم بانه العارف و إذا نصبت عرفان راحته على انه مفعول له كنت مخيرا فى نصبه ان شئت بيكاد و ان شئت يمسكه و لا يجوز نصب العرفان و الركن جميعا لثلا يبقى الفعل بلا فاعل. و الاستلام: تناول الحجر مشتق من السلام بالكسر اى الحجر. و استلم الحجر لمسه اما بالقبلة أو باليد و لا يهمز لانه مأخوذ من السلام و هو الحجر كما تقول استنوق الجمل و بعضهم يهزمه كما قال الجوهري فى الصحاح. و الحطيم: كعليم قال المرزوقى: الجدار الذى عليه ميزاب الكعبة فكانه حطم بعض حجره. أقول: هذا سهو من المرزوقى و الصواب أن الحطيم هو ما بين الحجر الأسود و باب الكعبة زادها الله شرفا و عظمة. و لا يخفى ان الاستلام هو لمس الحجر الأسود كما دريت و بين ذلك الركن الذى فيه الحجر الأسود و بين الجدار الذى عليه ميزاب الكعبة بون بعيد فالقول بان من جاء للاستلام يكاد يمسكه الجدار الذى عليه ميزاب الكعبة مع كثرة البعد..... بينهما و اختلاف جهتهما و عدم المناسبة بينهما ظاهر التهافت فبأى وجه يصح حمل الشعر عليه؟ و لعل منشأ سهوه ظاهر عبارة الجوهري فى الصحاح حيث قال: قال ابن عباس: الحطيم الجدر يعنى جدار حجر الكعبة. و الحطيم و ان جاء فى تفسيره و تعيينه من البيت و جوه و لكن أهل البيت أدري بما فى البيت ففى الكافى لثقة الاسلام الكلينى قدس سره باسناده عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن افضل موضع فى المسجد يصلّى فيه؟ قال: الحطيم ما بين الحجر و باب البيت: قلت و الذى يلى ذلك فى الفضل؛ فذكر انه عند مقام إبراهيم صلّى الله عليه. الحديث. و فى من لا يحضره الفقيه للصدوق رضوان الله عليه: قال الصادق عليه السلام: ان تهيأ لك أن تصلّى صلواتك كلها الفرائض و غيرها عند الحطيم فافعل فانه افضل بقعة على وجه الأرض و الحطيم ما بين باب البيت و الحجر الأسود و هو الموضع الذى فيه تاب الله على آدم. الحديث. و فى النهاية الأثرية: يحطمكم الناس أى يدوسونكم و يزدحمون عليكم و منه سمى حطيم مكة و هو ما بين الركن و الباب. فالمراد من البيت انه عليه السلام ابن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) الذى شرف به هذه المواضع فهى عارفة به و إذا جاء الى المستلم يكاد يتمسك به الركن تمييزا لراحته عن راحة غيره. و فى البحار نقلا عن الخرائج: روى أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير ثم عمر وها فلما اعيد البيت و أرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود فكلما نصبه عالم من علمائهم أوقاض من قضاتهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل و يضطرب و لا يستقر الحجر فى مكانه فجاءه على بن الحسين عليهما السلام و أخذه من أيديهم و سمى الله ثم نصبه فاستقر فى مكانه و كبر الناس و لقد لهم الفرزدق فى قوله: يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

1- (12) و ليس قولك من هذا؟ كما فى الرواية الاتية المنقولة فى البحار عن الاختصاص لما أراد هشام أن يصغر منه قال: من هو؟ بضائره
اى بضاره. و فى الصحاح: ضاره يضوره..... و يضيره ضيرا و ضورا أى ضره، قال الكسائى سمعت بعضهم يقول لا ينفعى و لا
يضورنى. العرب بضم الأول و سكون الثانى و العرب بفتحهما واحد و كذا العجم و العجم.

يغضى حياءً ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم (1)

في كفه خيزران ريحه عقب من كف أروع في عرينه شمم (2)

ص: 125

1- (13) هذا البيت المذكور أيضا في جامع الشواهد، يغضى الأولى على صيغة المعلوم والثاني على المجهول من الاغضاء يقال: فلان أغضى عينه إذا طبق جفنيها حتى لا يبصر. قال المرزوقي: قوله «يغضى حياءً» أي لحيائه يغض طرفه فهو في ملكته و كالمخزل له، و «يغضى من مهابته» أي ويغضى معه مهابة له، فمن مهابته في موضع المفعول له، كما أن قوله «حياءً» انتصب لمثل ذلك و المفعول له لا يقام مقام الفاعل كما أن الحال و التمييز لا يقام واحد منهما مقام الفاعل، ثم قال: فان قيل: إذا كان الأمر على هذا فأين الذي يرتفع بيغضى؟ قلت: يقوم مقام فاعله المصدر كأنه قال: ويغضى الاغضاء من مهابته. و الدال على الاغضاء يغضى، كما أنك إذا قلت: سير يزيد يومين لك أن تجعل القائم مقام الفاعل المصدر كأنه قيل: سير السير يزيد يومين و هو أحد الوجوه التي فيه فاعلمه. انتهى ما اردنا من نقل كلامه. و كذا في جامع الشواهد قال: يغضى بصيغة المجهول و نائب فاعله ضمير المصدر أي الاغضاء. أقول: لما كان الإغضاء ادناء الجفون فيغضى يدل في كلا الموضوعين على مفعوله اعنى الطرف و لما كان من مهابته لا يقوم مقام نائب الفاعل لعدم صحة المعنى حينئذ فيدل هو أيضا على أن نائب الفاعل محذوف و لا يكون ذلك الطرف الأول لانه لا يصح أن يقال فلان أغضى طرفه من مهابته بل يغضى طرف غيره من مهابته. و الفاء في فما و يروى مكانه فلا للتعليل أيضا و يكلم بصيغة المجهول و ضميره يرجع اليه عليه السلام فمعنى البيت هو عليه السلام يغضى طرفه من حياءه و يغضى طرف الناس من مهابته و لاجل مهابته لا يقدر أحد ان يتكلم معه (عليه السلام) إلا حين يتسم.

2- (14) خيزران بفتح أوله و ضم ثالته قال في الصحاح: اسم شجر و هو عروق القناة و الجمع الخيازر و الخيزران القصب. قال المرزوقي في شرح الحماسة: يعنى به المخصرة.....يمسكها الملوك بأيديهم يتعبثون بها. في البحار: نقل كلام يناسب المقام فيه غرابية، قال الزمخشري في الفائق: على بن الحسين (عليهما السلام) مدحه الفرزدق فقال: في كفه جهني ريحه عقب، من كف أروع في عرينه شمم. قال القتيبي: الجهني: الخيزران و معرفتي هذه الكلمة عجيبة و ذلك ان رجلا من أصحاب الغريب سألتني عنه فلم أعرفه فلما أخذت من الليل مضجعي أتاني آت في المنام ألا أخبرته عن الجهني قلت: لم أعرفه قال: هو الخيزران فسألته شاهدها فقال: هدية طريفة في طبق مجنة فهبت و أنا أكثر التعجب فلم ألبث إلا يسيرا حتى سمعت من ينشد: في كفه جهني، و كنت أعرفه في كفه خيزران، انتهى. قال المرزوقي: قوله «ريحه عقب» إذا فتح الباء فمخرجه المصدر كأنه نفس الشيء؛ أو على حذف المضاف، و الأصل ذات عقب، و إذا كسرت فهو اسم الفاعل و معناه اللاصق بالشيء لا يفارقه. يريد ان رائحته تبقى فهي تشم الدهر من كف أروع، و هو الجميل الوجه. ثم قال: و الشمم: الطول. و العرين: الأنف و ما ارتفع من الأرض و أول الشيء و تجعل العرين كناية عن الأشراف و السادة و إذا قرن الشمم بالعرين أو الأنف فالقصد إلى الكرم. لذلك قال حسان بن ثابت: بيض الوجوه كريمة أحسابهمشم الأنوف من الطراز الأول انتهى ما قاله المرزوقي في شرح هذا البيت. أقول: جعل العرائن كناية عن الأشراف و السادة مما لا كلام فيه قال الشاعر: ان العرائن تلقاها محسدة و لا ترى للثام الناس حسادا و لكن الظاهر من قول الفرزدق «في عرينه شمم» انه يصفه عليه السلام بانه جميل الوجه، حسن المحيا، صحيح الخلقة أشم الأنف أي أفنى الأنف ضيق المنخرين ليس بأفطس فان الفطسة عيب و عاهة و الحجج الالهية سليمة عن العيوب و العاهات خلقا و دينا كما اشرفنا اليه قبل. قال الجوهرى: الفطس بالتحريك: تطامن قصبه الأنف و انتشارها و الرجل أفطس و الاسم الفطسة لانه كالعاهة. و الشمم ارتفاع قصبه الأنف مع حسنها و استواء اعلاها و انتصاب..... الارنية او ورود الأرنبة و حسن استواء القصبه و ارتفاعها أو أن يطول الأنف و يدق و تسيل روثة فان ورود الأرنبة و شم العرين دليل النجابة و هذا مراد من قال: العرب انما ينجح بالشمم نفا عن انفهم الفطس الذي

يكون فى الزنج. و جاء فى وصف شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله كما فى السيرة الحلبية (ص 371 ج 3 طبع مصر) رواية انه (صلى الله عليه وآله) دقيق العين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم و فسر الأشم فى السيرة بقوله اى مرتفعا. وفى الكافى لثقة الاسلام الكلينى باسناده عن جابر قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: صف لى نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام: كان نبى الله (صلى الله عليه وآله) ابيض مشرب بالحمرة - إلى أن قال -: يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، الحديث و كنى بأشرف أنفه ورود الماء عند شربه عن ستر رأسه المنخرين و ميله إلى قدام (كما فى الوافى ص 160 ج 2) و عن عدم كونه كانف الزنج. وفى البحار للمجلسى رحمه الله (ص 107 ج 11 الكمپانى) نقلا عن مناقب ابن شهر آشوب فى شمائل جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: كان الصادق عليه السلام ربع القامة أزهر الوجه حالك الشعر جعدا أشم الأنف. وفى كتاب سرّ الأدب فى مجارى كلام العرب المعروف بفقته اللغة تأليف أبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى فى الفصل السابع عشر فى اوصاف الأنوف المحمودة و المذمومة: الشمم: ارتفاع قسبة الأنف مع استواء أعلاها. القنا: طول الأنف و دقة ارنبته و حذب فى وسطه. الفطس: تطامن قصبته مع ضخم ارنبته. إلى آخر ما قال. و أما ما استشهد به المرزوقى من بيت الحسان فهو ما جوزة الشريف علم الهدى فى أماليه (فى باب المعمرين فى ترجمة ذى الاصبع العدوانى) بعد ما احتمل ذلك المعنى الذى اخترناه. على ان الشم فى بيت الحسان جمع اشم و الاشم كما فى المعاجم: السيد ذو الانفة، و لأحد أن يدعى ان الشم إذا قرن بالانف فالقصد إلى الكرم لا الشمم بالعنين و ذلك لان الانف نسب اليه الحمية و الغضب و العزة و الذلة حتى قال الشاعر كما فى مفردات الراغب: إذا غضبت تلك الأنوف لم أرضهاو لم اطلب العتبي و لكن أزيدها و لذا قيل شمع فلان بأنفه للمتكبر، و ترب أنفه للذليل، و أنف فلان من كذا بمعنى استتكف حتى قيل الانفة الحمية و لم ينقلوا للعنين هذه المعانى مع أن مادته لا يحتملها فتأمل.

ينشقُّ ثوب الدجى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم(1)

ما قال لا قطّ إلاّ فى تشهده لو لا التشهد كانت لاؤه نعم

مشتقة من رسول الله نبعته طابت مغارسه و الخيم و الشيم(2)

حمّال أثقال أقوام إذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم(3)

إن قال قال بما تهوى جميعهم وإن تكلم يوما زانه الكلم(4)

ص:128

1- (15) فى كثير من النسخ: ينشق نور الهدى عن نور غرته. و فى البحار: ينجاب نور الهدى، و ما اخترناه مطابق الاغانى يقال: انجاب الثوب إذا انشق و انجابت السحابة إذا انكشفت و كذلك الظلم فى البيت.

2- (17) نبعته اى أصله، يقال فلان من نبعة كريمة اى من أصل كريم. و فى عدة النسخ: طابت عناصره. و المختار موافق للأغانى و المغارس واحد المغرس كالمجلس اى موضع الغرس. و الخيم بالكسر و سكون الثانى: الطبيعة و السجية. و الشيم بكسر الأول و فتح الثانى جمع الشيمة بالكسر فالسكون: الطبيعة و الخلق أيضا.

3- (18) فى الكافى كما فى ص 176 من الجزء الثانى من الوافى عن أبى عبد الله عليه السّلام - إلى أن قال - : و كان على بن الحسين عليهما السّلام يخرج فى الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيها الصرر من الدنانير و الدراهم حتى يأتى بابا بابا فيقرعه ثم ينيل من يخرج اليه فلما مات على بن الحسين عليهما السّلام فقدوا ذاك فعلموا أن عليا عليه السّلام كان يفعلها و فى الأغانى: انه كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به. و الروايات فى ذلك أكثر من أن تحصى.

4- (19) فى بعض النسخ: بما يحوى جميعهم.

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدما وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم (1)

من جده دان فضل الأنبياء له وفضل امته دانته له الأمم

عم البرية بالاحسان وانتشعت عنها العماية والإملاق والظلم

كلتا يديه غياث عم نفعهما يستو كفان ولا يعرفهما عدم

سهل الخليفة لا تخشى بواده يزينه خصلتان الحلم والكرم (2)

لا يخلف الوعد ميمون نقيته رحب الفناء أريب حين يعترم (3)

من معشر حبههم دين وبغضهم كفر، وقربهم منجى ومعتصم

يستدفع السوء والبلوى بحبههم ويستزاد به الاحسان والنعم (4)

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم (5)

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيل هم (6)

لا يستطيع جواد بعد جودهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا (7)

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم (8)

ص: 129

1- (21) في نسخة: الله فضله قدما وشرفه.

2- (25) في وفيات الأعيان: يزينه اثنان حسن الخلق والشيم.

3- (26) في وفيات الأعيان: مأمون نقيته. وهذا من تصحيح النساخ والصواب ما اخترناه وفي صحاح اللغة للجوهري: النقية: النفس

يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس. انتهى. وقال آخر: واني لميمون النقية منجحو ان كان مطلوبى سنا الشمس فى البعد

4- (28) فى الاغانى: يستدفع الشر والبلوى بحبههم يسترب به الاحسان. وفى نسخة ويسترق به الاحسان.

5- (29) فى نسخة: فى كل بر، وفى اخرى: فى كل فرض والمختار مطابق الاغانى والوفيات.

6- (30) فى نسخة: من خير خلق الله.

7- (31) فى نسخ: بعد غايتهم.

8- (32) الأزمة بالفتح: الشدة والضيقه والقحط.

يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم خيم كريم وأيد بالندی ديم(1)

لا يقبض العسر بسطا من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا(2)

أي القبائل ليست في رقابهم لأوليّة هذا أوله نعم(3)

من يعرف الله يعرف أوليّه فالدين من بيت هذا ناله الأمم(4)

بيوتهم في قريش يستضاء بها في النائبات وعند الحكم إن حكموا

فجلده من قريش في ارومتها محمّد وعلّي بعده علم

بدر له شاهد والشعب من احد والخندقان ويوم الفتح قد علموا(5)

وخير وحنين يشهدان له وفي قريظة يوم صلّم قتم

مواطن قد علت في كلّ نائبة على الصحابة لم اکتتم كما كتموا

ص:132

1- (33) الديق كالشيم جمع الديمة كالشيمة: وهي مطر تدوم أياما. وفي نسخة: بالندی هضم.

2- (34) أثروا: مشتقة من الثروة.

3- (35) في بعض النسخ: أي الخلائق ليست، لاولوية هذا. أتى بهذا البيت في الحماسة وقال المرزوقي في شرحه: يريد أن طوائف الناس

مغمورون بنعمه أو نعم سلفه يعنى النبي والوصى عليهما السلام لانهم اهدتوا بدعائهم و فارقوا الهلك والضلالة بارشادهم وداللتهم فلا

قبيل إلا ورقابهم قد شغلت بما قدمت من منهم، و ذممهم قد رهنت بما حملت من عوارفهم.

4- (36) في نسخة: أولوية ذا، وفي أخرى: والدين.

5- (39) ذكر ابن هشام في السيرة اشعارا من الذين قالوا في غزوة الخندق على هيئة التشبية والجمع منها قوله (ص 254 ج 2 طبع 1375

ه): وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس في يوم الخندق: كانهم إذا صالوا وصلناباب الخندقين مصافحونا وهذا البيت في قصيدة له. و منها ما

قاله كعب في الرد على ضرار في قصيدة هذا البيت منها (ص 256): بباب الخندقين كأن أسد اشوابكهن يحمين العرينا و منها ما قال ابن

الزبيرى من قصيدة آخرها (ص 258): لو لا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطير سغب و ذئاب و لا يخفى أن المراد بالخندقين

والخنادق في اشعار السيرة الخندق و التشبية و الجمع باعتبار جهتي الباب و الاطراف. و كذا مراد الفرزدق في البيت نعم لو لم يكن في

البيت التالي قوله: و في قريظة يوم، لا يمكن أن يقال ان المراد بالخندقين غزوة الخندق و غزوة بنى قريظة لان بعد غزوة الخندق اقبل غزوة بنى

قريظة بلا تراخ و ان المسلمين لما ظفروا عليهم و حاصروهم كما في السيرة الهشامية (ص 240 ج 2) حسبهم رسول الله صلّى الله عليه و

آله و سلم بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم إلى سوق المدينة فخندق بها

خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم اليه أرسالا و انزل الله تعالى (ص 245) في أمر الخندق و أمر بنى قريظة

من القرآن القصة في سورة الاحزاب: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا»

الاية و الجنود قريش و غطفان و بنو قريظة و كانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله «إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ

أَسْفَلَ مِنْكُمْ». الآية. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة و الذين جاءوهم من اسفل منهم قريش و غطفان إلى آخر ما قال. فليتأمل. ثم ان العارف الجامي نظم تلك الواقعة و ترجم تلك القصيدة في الدفتر الأول من سلسلة الذهب بالفارسية و أجاد. و بعض تلك الأبيات: پور عبد الملك بنام هشامدر حرم بود با اهالی شامی زد اندر طواف کعبه قدملیکن از ازدحام أهل حرماستلام حجر ندادش دستبهر نظاره گوشه بنشستتاگهان نخبه نبی و ولیزین عباد بن حسین علیدر کساء بها و حله نوربر حریم حرم فکند عبورهر طرف می گذشت بهر طوافدر صف خلق می فتاد شکافزد قدم بهر استلام حجرگشت خالی ز خلق راه و گذرشامی کرد از هشام سؤالکیست این با چنین جمال و جلال؟ از جهالت در آن تعلل کردوز شناسائیش تجاهل کرد.....گفت شناسمش ندانم کیستمدنی یا یمانی یا مکی استبوفرأس آن سخنور نادر بود در جمع شامیان حاضرگفت من میشناسمش نیکوزو چه پرسى بسوى من کن روان کس است این که مکه و بطحازمزم و بوقییس و خیف و مناحرم و حل و بیت و رکن حطیمنانودان و مقام ابراهیمروه مسعی صفا حجر عرفاتطیبه و کوفه کربلا و فراهتر یک آمد بقدر او عارفبر علو مقام او واقفقره العین سید الشهدا استغنیچه شاخ دوحه زهرا استمیوه باغ احمد مختارلاله راغ حیدر کرار إلى أن قال: چون هشام آن قصیده غراکه فرزدق همی نمود انشا کرد از آغاز تا باخر گوشخونش اندر رگ از غضب زد جوشبر فرزدق گرفت حالی دقهمچو بر مرغ خوش نوا عقعقساخت بر چشم شامیان خوارشحبس فرمود بهر آن کارشاگرش چشم راست بین بودیراست کردار و راست دین بودیدست بیداد ظلم نگشادیجای آن حبس خلعتش دادیای بسا راست بین که شد مبدلاز حسد حس او شده أحولاًنکه احوال بود ز اول کار چون شود حالش از حسد هشدار أقول: فی البيت الأخير و الذی قبله بسطیرین اشاره إلى أن هشام کان أحوالاًنکه احوال بود ز اول کار چون شود السجاد علیه السلام إلى فرزدق و ما جرى بينهما ثم أردفه بمدح فرزدق و ختم القصيدة به فقال: مستعد شد رضای رحمان رامستحق شد ریاض رضوان راز آنکه نزدیک حاکم جائز کرد حق را برای حق ظاهر أقول: البيت الأخير اشاره إلى الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أفضل الأعمال كلمة حق يقولها بين يدي امام جائز.

وقال ابن خَلِّكان: لَمَّا سَمِعَ هِشامُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ غَضِبَ وَحَبَسَ الْفَرَزْدَقَ وَأَنْفَذَ لَهُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمًا فَرَدَّهَا وَقال: مَدَحْتَهُ لِلَّهِ تَعَالَى لَا لِلْعَطَاءِ فَقَالَ: إنا أَهْلُ بَيْتِ إِذا وَهَبنا شَيْئًا لا نَسْتَعِيدُهُ قَبْلُها.

وَفِي الْبَحْرِ تَقْلا عَنِ الْاِخْتِصَاصِ بِإِسْنادِهِ: عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يَوْسُفَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْعَلَوِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَمْهُورٍ، عَنِ أَبِي عَثْمَانَ الْمَازِنِيِّ، عَنِ كَيْسَانَ، عَنِ جَوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ عَنِ هِشامِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ فَرَغانِ وَكانَ مِنْ رِواةِ الْفَرَزْدَقِ قال: حَجَّجْتَ سَنَةَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوانَ فَنَظَرَ إِلى عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَارادَ أَنْ يَصْغَرَ مِنْهُ فَقَالَ: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

فَقُلْتُ عَلِيَّ الْبَدِيهَةَ الْقَصِيدَةَ الْمَعْرُوفَةَ: هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلِّهِمْ، هَذَا التَّقِيُّ النُّقْى الطَّاهِرُ الْعَلَمُ، حَتَّى أَتَمَّها وَكانَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَصِلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَحَرَمَهُ تِلْكَ السَّنَةَ فَشَكِيَ ذَلِكَ إِلى عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ سَأَلَهُ أَنْ يَكَلِّمَهُ فَقَالَ: أَنَا أَصْلُكَ مِنْ مَالِي بِمِثْلِ الَّذِي كانَ يَصِلُكَ بِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَصَنِّي عَنِ كِلامِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ يا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لا رِزَأَتَكَ شَيْئًا وَ ثِوابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْاِجْلِ أَحَبَّ إِليَّ مِنْ ثِوابِ الدُّنْيا فِي الْعاجِلِ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمِعاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ وَكانَ أَحَدَ سَمِحاءِ بَنِي هاشِمٍ لِفَضْلِ عَنصَرِهِ وَ أَحَدَ اِدْبائِها وَ ظَرَفائِها فَقَالَ لَه: يا أَبا فِراسٍ كَمَ تَقْدِرُ الَّذِي بَقِيَ مِنْ عَمْرِكَ؟ قال: قَدَرُ عَشْرِينَ سَنَةً قال: فَهَذِهِ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ اعْطَيْتُكَها مِنْ مَالِي وَ اعْفُ أَبا مُحَمَّدَ أَعزَّهُ اللَّهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فِي أَمْرِكَ فَقَالَ: لَقَدْ لَقَيْتُ أَبا مُحَمَّدَ وَ بَدَّلَ لِي مالَهُ فَأَعْلَمْتَهُ أَنَّي أَخَرْتُ ثِوابَ ذَلِكَ لِأَجْرِ الْاِخْراةِ. انْتَهَى.

بِإِبانِ كانَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ أَيْضًا. ثُمَّ إِنَّ الْبَقْرَ تَشابَهَ عَلِيَّ الرَّوايِ حَيْثُ أَخَذَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوانَ مَكانَ هِشامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

«الإمام الخامس»

أَبُو جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْمَلقَبُ بِالْباقِرِ. قالَ ابْنُ خَلِّكانَ فِي تارِخِهِ وَ كانَ الْباقِرُ عالِما سَيِّدا كَبِرا وَ ائِما قِيلَ لَه الْباقِرُ لِأَنَّهُ تَبَقَّرَ فِي الْعِلْمِ أَيْ تَوَسَّعَ

والتبقر التوسع وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبيّ على الأجل

أقول: ذلك الشاعر القرظي.

وقال ابن الحجر في الصواعق المحرقة: أبو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض أى شقها وأثار مخبئاتها و مكامنها فلذلك هو أظهر من مخبئات كنوز المعارف و حقائق الأحكام و اللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية و السريرة و من ثم قيل: هو باقر العلم و جامع و شاهر علمه و رافعه صفا قلبه و زكى علمه و عمله و طهرت نفسه و شرفت خلقه و عمرت أوقاته بطاعة الله و له من الرسوخ فى مقامات العارفين ما يكملّ عنه السنة الواصفين و له كلمات كثيرة فى السلوك و المعارف لا تحتملها هذه العجالة.

قال المفيد فى الارشاد: و لم يظهر عن أحد من ولد الحسن و الحسين عليهما السلام من علم الدين و الاثار و السنة و علم القرآن و السيرة و فنون الاداب ما ظهر عن أبى جعفر عليه السلام و روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة و وجوه التابعين و رؤساء فقهاء المسلمين و صار بالفضل به علما لأهله تضرب به الأمثال و تسير بوصفه الاثار و الاشعار و فيه يقول القرظي: يا باقر العلم، البيت. و قال مالك بن أعين الجهنى يمدحه عليه السلام.

إذا طلب الناس علم القرآن كانت قریش عليه عيالا

وإن قيل أين ابن بنت النبي نلت بذاك فروعاً طوالا

نجوم تهلل للمدلجين جبال تورث علما جبالا

و روى بإسناده عن الشريف أبى محمد الحسن بن محمد قال: حدّثنى جدّى قال حدّثنا محمد بن القاسم الشيبانى قال: حدّثنا عبد الرحمن صالح الأزدي عن أبى مالك الجهنى عن عبد الله بن عطاء المكى قال: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم

عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي عليهما السلام شيئا قال: حدثني وصي الأوصياء ووارث علوم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام.

قال فيه: وروى مخول بن إبراهيم عن قيس بن الربيع قال: سألت أبا إسحاق السبيعي عن المسح على الخفين فقال: أدركت الناس يمسحون حتى لقيت رجلا من بني هاشم لم أر مثله قط محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام فسألته عن المسح فنهاني عنه وقال: لم يكن علي أمير المؤمنين عليه السلام يمسح وكان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين قال أبو إسحاق: فما مسحت منذ نهاني عنه قال قيس بن الربيع و ما مسحت أنا منذ سمعت أبا إسحاق.

إلى أن قال: وكان مع ما وصفناه من الفضل في العلم والسود والرياسة والإمامة ظاهر الجود في الخاصة والعامة مشهود الكرم في الكافة معروفا بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله.

وقد روى أبو جعفر عليه السلام أخبار المبتدأ وأخبار الأنبياء وكتب عنه المغازي وأثروا عنه السنن واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبوا عنه تفسير القرآن وروا عنه الخاصة والعامة الأخبار وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء وحفظ عنه الناس كثيرا من علم الكلام وألف عليه السلام كتابا في تفسير القرآن رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية كذا نقل ابن النديم في الفهرست.

وبالجملة مناقبه ومعجزاته ومكارم أخلاقه والروايات المنقولة عنه والروايات الآخذون منه من الصحابة والتابعين وتلامذته ومعالي أموره وغرائب شأنه وأحوال أصحابه ومناظراته والقصائد في مدحه عليه السلام أكثر وأشهر من أن يخفى على أحد نقلها الفريقان في تصانيفهم ولو أثبتناها ههنا لكثير الخطب.

كشاف أسرار العلوم وبحر الحقائق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه. قد تحيرت العقول دونه وأخرست الألسن فيه كيف لا وهو شمس سماء العلم والمعرفة والتوحيد قد استنار الكلّ من نور وجوده واستفادوا من رشحات فيضه واستمطروا سحاب علمه واستدروا سماء جوده واغترفوا من بحر معارفه واستضاءوا من مشكاة حقائقه، أشرقت أضواء علومه عالم الانسانية وأثمرت شجرة عنصره الطيبة ما ملأت الافاق من الأصول الكلية الحكيمية والعلوم الغريبة المكنونة القيمة والقواعد الرصينة الفقهية والمطالب النورية لتزكية الباطن وتهذيب النفس والمسائل الجامعة الاجتماعية لحفظ نظام الحوزة البشرية حتى بلغ عدد الاخذين عنه عليه السلام والمتعلمين من حضرته إلى أربعة آلاف رجل من أهل الحجاز والشام والعراق والخراسان والفراس وغيرها، ودوّنت في مجلسه الشريف أربعمائة مصنف في العلوم هي المسماة بالاصول الأربعمائة فراجع اصول الكافي وكتاب التوحيد للصدوق والاحتجاج للطبرسي وغيرها من الكتب الحاوية للحقائق الصادرة عنه عليه السلام حتى يتضح لك انه عليه السلام كيف أسّس قواعد التوحيد وشيّد أركانه وقلع الشبهات الناشئة من الآراء السخيفة المعوجة وأظهر اسرار الايات القرآنية وبتونها مما كلّت عندها الألسن والهت لديها الأحلام فهو عليه السلام عيش العلم وموت الجهل ودعامة الاسلام.

هر بوی که از مشک و قرنفل شنوی از دولت آن زلف چو سنبل شنوی

«كلام المفيد فيه عليه السلام»

قال رحمه الله في الارشاد: وكان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام من بين اخوته خليفة أبيه محمد بن علي عليهما السلام ووصيه القائم بالإمامة من بعده وبرز علي جماعتهم بالفضل وكان أنبهم ذكرا وأعظمهم قدرا وأجلهم في العامة والخاصة

ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في امامته ما بهرت القلوب وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات. إلى أن قال: والأخبار فيما حفظ عنه عليه السلام من العلم والحكمة والبيان والحجة والزهد والموعظة وفنون العلم كله أكثر من أن تحصى بالخطاب أو تحوى بالكتاب.

«كلام كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي»

«فيه عليه السلام»

قال في كتابه: جعفر بن محمد الصادق ابن أبي محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام ذو علوم جمّة وعبادة موفورة وأوراد مواصلة وزهادة بينة وتلاوة كثيرة تتبع معاني القرآن الكريم واستخرج من بحر جواهره واستنتج عجائبه وقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليه نفسه، رؤيته تذكرة الآخرة، واستماع كلامه تزهّد في الدنيا، والافتداء بهديه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذرية الرسالة، نقل الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريح، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستاني وغيرهم وعدوا أخذهم عنه عليه السلام منقبة شرفوا بها، وفضيلة اكتسبوها.

«كلام القاضي عبد الرحمن بن أحمد العضد الأيجي»

«الشافعي فيه عليه السلام»

قال في مبحث الإمامة من المواقف: الثامن اختصاصه (يعني علياً عليه السلام)

ص: 137

بصاحبه كفاطمة و ولدين كالحسن و الحسين و هما سيّدا شباب أهل الجنة ثم اولاد اولاده ممن اتفق الأنام على فضلهم على العالمين حتى كان أبو يزيد سقاء في دار جعفر الصادق رضى الله عنه و معروف الكرخي بواب دار عليّ بن موسى الرضا.

«كلام الشيخ العارف محيي الدين الأعرابي او المغربي»

«فيه عليه السّلام»

قال في المناقب: صلوات الله و ملائكته و حملة عرشه و جميع خلقه من أرضه و سمائه على استاذ العالم و سند الوجود مرتقى المعارج و منتهى الصعود، البحر الموّج الأزلي، و السراج الوهاج الأبدى ناقد خزائن المعارف و العلوم، محتد العقول و نهاية الفهوم، عالم الأسماء، دليل طرق السماء، الكون الجامع الحقيقي، و العروة الوثقى الوثيقى، برزخ البرازخ، و جامع الأضداد، نور الله بالهداية و الارشاد، المستمع القرآن من قائله، الكاشف لأسراره و مسائله، مطلع شمس الأبد جعفر بن محمّد عليه صلوات الله الملك الأحد.

«كلام أبي يزيد البسطامي فيه عليه السّلام»

قال القاضي الشهيد نور الله مرقده في المجلس السادس من مجالس المؤمنين: قال المولى نور الدين جعفر البدخشي رحمه الله في كتاب الأحباب: إن السلطان طيفور المعروف بأبي يزيد البسطامي قدّس سرّه قد صحب كثيرا من المشايخ ثم جاء إلى حضرة امام الصادق و صحبه مستفيضا من الصادق فقال: لو لم أصل إلى الصادق لمتّ كافرا مع انه كان بين الأولياء كجبرئيل بين الملائكة، و كانت هدايته نهاية السالكين.

«ما قال مؤلف تعقيب التقريب»

قال الأمير عليّ من علماء العامة صاحب تعقيب التقريب اى تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: روى عن جعفر الصادق الأئمة و خلق لا يحصون.

«الاربلى الشافعى الاشعرى»

قال فى وفیات الأعيان المعروف بتاريخ ابن خلّكان: أبو عبد الله جعفر الصادق ابن محمّد الباقر أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته وفضله أشهر من أن يذكر وله كلام فى صنعة الكيمياء والزجر و الفال و كان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفى الطرطوسى قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق و هى خمسمائة رسالة.

ثم بعد نبذة من ذكر كرامته عليه السلام لما اراد المنصور إشخاصه إلى العراق معه عند مسيره إلى المدينة قال: و حكى كشاجم فى كتاب المصائد و المطارد أنه عليه السلام سأل أبا حنيفة فقال عليه السلام: ما تقول فى محرم كسر رباعية طيبى؟ فقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله ما أعلم ما فيه. فقال عليه السلام له: أنت تتداهى و لا تعلم أن الطيبى لا يكون له رباعية و هو ثنى أبدا. انتهى.

أقول: أنه عليه السلام و إن كان صادقا فى مقالته لكن المروى عن أئمتنا و المسلم عندنا الإمامية ان النبى صلى الله عليه و آله سمّاه الصادق ليتميز من المدعى للإمامة بغير حقّها جعفر الكذاب.

«كلام ابن قتيبة فى علمه (عليه السلام) بالجفر»

قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى 272 هـ صاحب التصانيف الكثيرة كما فى الفهرست لابن النديم، فى كتاب ادب الكاتب: و كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق ابن محمّد الباقر فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة.

قال الشيخ العلامة البهائى فى شرح الأربعين: قد تظافت الأخبار بأن النبى صلى الله عليه و آله أملى على أمير المؤمنين عليه السلام كتابى الجفر و الجامعة و أن فيهما علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة.

وقد مرّ في البحث عن القياس الخبر المرّوي من الكافي عن أبي شيبة قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة املاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وخط عليّ عليه السلام بيده ان الجامعة لم تدع لأحد كلاما فيها علم الحلال والحرام الحديث (ص 58 م 1 من الوافي).

وفي الكافي والارشاد وينايع المودّة للشيخ سليمان (ص 162 الطبع الناصري) عن أبي عبد الله عليه السلام انه كان يقول: علمنا غابر و مزبور و نكت في القلوب و نقر في الاسماع و أن عندنا الجفر الأحمر و الجفر الأبيض و مصحف فاطمة عليها السلام و أن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج.

فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أمّا الغابر فالعلم بما يكون، و أمّا المزبور فالعلم بما كان، و أمّا النكت في القلوب فهو الالهام، و النقر في الاسماع حديث الملائكة نسمع كلامهم و لا نرى أشخاصهم، و أمّا الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله و لن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، و أمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى و انجيل عيسى و زبور داود و كتب الله الأولى، و أمّا مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث و اسماء كلّ من يملك إلى أن تقوم الساعة، و أمّا الجامعة فهي كتاب طوله سبعون ذراعا املاء رسول الله صلّى الله عليه وآله من فلق فيه و خط عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده فيه و الله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة حتّى أن فيه أرش الخدش و الجلدة و نصف الجلدة.

وقد عنون جعفر الصادق عليه السلام الشيخ أحمد عليّ البوني في كتابه الموسوم بشمس المعارف الكبرى من ص 306 إلى ص 316 طبع مصر و سيأتي طائفة من قوله و قول المحقق الشريف في شرح المواقف و شعر أبي العلاء المعري فيه في الإمام الثامن عليه السلام.

«ذكر عدة ممن أخذوا عنه عليه السلام»

قد ذكرنا أن المستضيئين من نبراس وجوده و المغترفين من بحر جوده بلغوا

إلى أربعة آلاف رجل و صنف ابن عقدة كتاب الرجال لأبي عبد الله عليه السلام عددهم فيه. ونحن نذكر ههنا عدة من الاعلام الذين أخذوا عنه و ندع ترجمتهم خوفا للإطالة.

فمنهم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت أحد أئمة المذاهب الأربعة عند أهل السنة و في المناقب عن مسند أبي حنيفة قال الحسن بن زياد سمعت أبا حنيفة و قد سئل من أفته من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال يا أبا حنيفة إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهبيء له من مسائلك الشداد فهيات له أربعين مسألة ثم بعث إليّ أبو جعفر (يعنى المنصور) و هو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه و جعفر عليه السلام جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر عليه السلام ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه فأومى إليّ فجلست ثم التفت إليه فقال:

يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة قال: نعم أعرفه ثم التفت إليّ فقال يا با حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك فجعلت ألقى عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا و أهل المدينة يقولون كذا و نحن نقول كذا فربما تابعنا و ربما تابعهم و ربما خالفنا جميعا حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخلّ منها بشيء ثم قال أبو حنيفة:

أليس ان أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟.

قال السيّد الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار في أحوال الصادق عليه السلام:

و مناقبه كثيرة تكاد تقوت عند الحاسب و يحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب روى عنه جماعة من أعيان الأئمة و اعلامهم كيحيى بن سعيد و ابن جريح و مالك ابن أنس و الثوري و ابن عيينة و أبي حنيفة و أبي أيوب السجستاني و غيرهم.

و في الخصال للشيخ الصدوق (العدد 190 من الخصال الثلاث) مالك بن أنس فقيه المدينة يقول: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فيقدم لي مخدة و يعرف لي قدرا و يقول: يا مالك أتى احبك فكنت أسرّ بذلك و أحمد الله عليه و كان عليه السلام لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إمّا قائما و إمّا قائما و إمّا ذاكرا و كان من عظماء العباد و أكابر الزهاد الذين يخشون الله عزّ و جلّ و كان كثير

الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد فاذا قال: قال رسول الله اخضر مرة واصفر اخرى حتى ينكره من يعرفه و لقد حججت معه سنة فلما استوت راحلته عند الاحرام كان كلما همم بالتلبية انقطع الصوت فى حلقه و كاد يختر من راحلته فقلت: قل يا ابن رسول الله فلا بد لك أن تقول فقال: يا ابن ابي عامر كيف أجسر أن أقول لبيك اللهم لبيك وأخشى أن يقول عز وجل لا لبيك ولا سعديك.

وقال مالك بن أنس: ما رأيت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق عليه السلام فضلا وعلما وعبادة وورعا. و كان مالك كثيرا ما يدعى سماعه وربما قال: حدثني الثقة يعنيه عليه السلام.

و منهم: شعبة بن الحجاج، و عبد الله بن عمرو و روح بن القاسم و سليمان بن بلال و إسماعيل بن جعفر و حاتم بن إسماعيل و عبد العزيز بن المختار و وهيب بن خالد و إبراهيم بن طهمان و الحسن الصالح و عمر بن دينار و أحمد بن حنبل و محمد بن الحسن. و كان أبو يزيد البسطامي طيفور السقاء خدمه و سقاه ثلاث عشرة سنة و قال أبو جعفر الطوسي: كان إبراهيم بن أدهم و مالك بن دينار من غلمانه.

قال أبو حاتم: جعفر الصادق ثقة لا يسأل عن مثله. و دخل إليه عليه السلام سفيان الثوري يوما فسمع منه كلاما أعجبه فقال: هذا والله يا ابن رسول الله الجوهر، فقال له: بل هذا خير من الجوهر و هل الجوهر إلا الحجر.

و منهم أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان و محمد بن إسحاق صاحب المغازى و السير و غيرهم المذكور فى كتب الفريقين ك فهرست الشيخ الطوسي و نور الأبصار للشبلنجي و الصواعق لابن حجر و ينابيع المودة للشيخ سليمان و الخلاصة للعلامة و غيرها.

و منهم من كان من أصحابه عليه السلام و أخذ عنه و فاز فوزا عظيما و أفاد غيره أيضا كأبان بن تغلب و اسحاق بن عمار الصيرفي و بريد بن معاوية العجلي و أبي حمزة الثمالي و حريز بن عبد الله السجستاني و حمران بن أعين الشيباني و أخيه زرارة و صفوان بن مهران الجمال و عبد الله بن أبي يعفور و عمران بن عبد الله القمي و فضيل

ابن يسار البصرى و فيض بن المختار الكوفى و ليث بن البخترى و محمد بن مسلم و معاذ بن كثير و معلّى بن خنيس و أبى المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى و يونس الظبيان الكوفى و مؤمن الطاق.

فى الفهرست لابن النديم: أبو جعفر محمد بن النعمان الأحول هو من أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام و كان حسن الاعتقاد و الهدى حاذقا فى صناعة الكلام سريع الحاضر و الجواب و له مع أبى حنيفة مناظرات:

منها لما مات جعفر الصادق عليه السلام قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق: قد مات إمامك. قال: لكن إمامك لا يموت إلى يوم القيامة (و فى بعض النسخ: قال لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى إبليس.

و قال له أبو حنيفة: ما تقول فى المتعة؟ قال حلال. قال: أفسرك أن تكون أخواتك و بناتك يمتّع بهن؟ قال: شىء قد أحله الله تعالى ان كرهته مما خبلنى و لكن ما تقول أنت فى النبيذ؟ قال: حلال. قال: أفسرك أن تكون أخواتك و بناتك نباذات هن؟ و قال له أبو حنيفة يوما: أ لسنا صديقين؟ قال: بلى. قال: و أنت تقول بالرجعة؟ قال: إى و أيم الله. قال: فانى شديد الحاجة و أنت متمكّن فلو أنك أقرضتني خمسمائة درهم أتسع بها و أردّها عليك فى الرجعة كنت قد قضيت حقى و وصلت إلى غفل، قال: أنا لأقول إنّ الناس يرجعون.

و فى البحار عن كتاب مقتضب الأثر لابن عيّاش عن عبد الله بن محمد المسعودى عن الحسن بن محمد الوهيبى عن عليّ بن قادم عن عيسى بن داب قال: لمّا حمل أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام عن سريره و أخرج إلى البقع ليدفن قال أبو هريرة الشاعر العجلى:

أقول و قد راحوا به يحملونه على كاهل من حامله و عاتق

أ تدرّون ما ذا تحملون إلى الثرى ثبيرا ثوى من رأس علياء شاهق

غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ترابا و أولى كان فوق المفارق

أي صادق بن الصادقين الية بابائك الأطهار حلقة صادق

لحقا بكم ذو العرش أقسم في الوري فقال تعالى ربّ المشارك

نجوم هي اثنا عشرة كن سبعا إلى الله في علم من الله سابق

«الإمام السابع»

أبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام. كلّت الألسنة دون كلماته القاهرة و حارت العقول لدى معجزاته الباهرة. ادعيته تذيب الصمّ الصلاب، و مناظراته حجة لأولى الألباب، وجوده اكسير فلزات العرفاء و معيار نقود الأصفياء. قد علم الخافقان أنّه باب الحوائج إلى الله، و اذعن الفرقتان أنّه كاشف اسرار كتابه تعالى.

«ما قال الخطيب في تاريخ بغداد فيه عليه السّلام»

في تاريخ ابن خلّكان: قال الخطيب في تاريخ بغداد: كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته و اجتهاده. روى أنّه دخل مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله فسجد سجدة في أوّل الليل و سمع و هو يقول في سجوده: عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى و يا أهل المغفرة فجعّل يردها حتّى أصبح و كان سخيا كريما و كان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها ألف دينار - إلى أن قال: و ذكر أيضا أن هارون الرشيد حجّ فأتى قبر النبيّ صلّى الله عليه و آله زائرا و حوله قريش و افناء القبائل و معه موسى بن جعفر فقال: السّلام على يا رسول الله يا ابن عمّ افتخارا على من حوله، فقال موسى: السّلام عليك يا أبت، فتغير وجه هارون الرشيد و قال: هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا. إلى آخر ما قال و ذكر بعض معجزاته عليه السّلام فراجع.

«ما قال كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي»

«فيه عليه السّلام»

قال: أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن

أبى طالب عليهم السّلام هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكثير التهجد، الجادّ في الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادة و ظهور خوارق العادات، المواظب على الطاعات، يبيت الليل ساجدا وقائما، ويقطع النهار متصدقا وصائما و لفرط علمه و تجاوزه عن المعتدّين عليه دعى كاظما، كان يجازى المسىء بالاحسان و عن الجانى بالبرّ و العفو و الاحسان، و لكثرة عبادته ليلا و نهارا كان يسمى العبد الصالح، و يعرف فى العراق باب الحوائج إلى الله لإنجاح مطالب المتوسلين به إلى الله و كراماته تحار فيه العقول، و تقضى بأنّ له عند الله قدم صدق لا يزول.

«ما قال على بن عيسى الاربلى صاحب كشف الغمة»

«فيه عليه السّلام»

مناقب الكاظم و فضائله و معجزاته الظاهرة و دلائله و صفاته الباهرة و مكارمه تشهد أنه بلغ قمة الشرف و علاها، و سمي إلى أوج المزايا فبلغ اعلاها، طالت اصوله فسمت إلى أعلى رتب الجلال، و طابت فروعها ففعلت إلى حيث لا- تنال، يأتيه المجد من كلّ أطرافه و يكاد الشرف يقطر من أعطافه، السحاب الماطر قطرة من كرمه، و العباب الزاخر نعمة من نعمه، و اللباب الفاخر عبد من عبيده و خدمه، الاباء عظام، و الأبناء كرام عنصره من أكرم العناصر، و أبأؤه بدور بواهر، و امهاته عقيلات عباهر، و هو أحد النجوم الزواهر، كم له من فضيلة جليلة و منقبة بعلو شأنه كفيّلة، اليه ينسب العلماء و عنه يأخذ العظماء و منه يتعلم الكرماء، هم الهداة إلى الله و هم الأمناء على اسرار الغيب، و هم المطهرون من الرجس و العيب، هم النجوم الزواهر فى الظلام و هم الشموس المشرقة فى الأيام، هم الذين أوضحوا شعائر الاسلام، و عرفوا الحلال و الحرام، فلهم كرم الأبوّة و النبوّة، و هم معادن الفتوة و المروءة، السماح فى طبائعهم غريزة، الأقوال و إن طالت فى مدائحهم و جيزة قليلة، بحور علم لا ينزف، و أقمار عزّ لا يخسف، و شمس مجد لا يكسف.

يا آل طه ان ودّى لكم باق على حبكم اللازم.

«فيه عليه السّلام»

قيل له رحمه الله في مرض موته في بغداد (كما في مجالس المؤمنين للقاضي وروضات الجنات للخوانساري): ألا توصي علي حمل جسدك إلى مشهد النجف الأشرف الأطهر؟ فقال: لا بل استحيى من وجه سيدي الإمام الهمام موسى بن جعفر عليهما السّلام أن أمر بنقل جسدي من أرضه المقدسة إلى موضع آخر. وقد نقلوا نظير هذه الواقعة للشيخ المفيد أيضا.

وبالجملّة الروايات العلميّة الحكميّة والفقهية والأخلاقيّة والاجتماعيّة والكرامات العالية الأقدار الخارقة العوائد من هذا الوليّ الأعظم بلغت إلى حدّ لا يعدّ ولا يحصى ونعم ما قال ابن طلحة الشافعيّ المقدم ذكره فيه عليه السّلام أيضا:

ولا- يؤتوها إلاّ من أفاضت عليه العناية الربانيّة أنوار التأييد، ودزت له أخلاف التوفيق وازلفتة من مقام التقديس والتطهير وما يلقّونها إلاّ الذين صبروا وما يلقّونها إلاّ ذو حظّ عظيم.

«الإمام الثامن»

أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام قال ابن خلّكان الشافعيّ الأشعريّ في تاريخه: وكان المأمون زوّجه ابنته ام حبيب في سنة اثنتين ومأتين وجعله وليّ عهده وضرب اسمه على الدينار والدرهم وكان السبب في ذلك أنّه استحضر اولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين الكبار والصغار واستدعى عليّا المذكور فأنزله أحسن منزلة وجمع له خواصّ الأولياء وأخبرهم أنّه نظر في أولاد العباس وأولاد عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحقّ بالأمر من عليّ الرضا فبايع له بولاية عهده وأمر بإزالة السواد من اللباس والاعلام ولبس الخضر - إلى أن قال: وفيه يقول أبو نواس:

قيل لي أنت أحسن الناس طرّا في فنون من المقال النبويه

لك من جيّد القريض مديح يثمر الدرّ في يدي مجتنيه

فعلی ما تركت مدح ابن موسى و الخصال التي تجتمع فيه

قلت لا أستطيع مدح امام كان جبريل خادما لأبيه

و كان سبب قوله هذه الآيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك ما تركت خمرا و لا طردا و لا معنى إلا قلت فيه شيئا و هذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئا، فقال: و الله ما تركت ذلك إلا إعظاما له و ليس قدر مثلي أن يقول في مثله ثم أنشد بعد ساعة هذه الآيات.

ثم قال ابن خلّكان: و فيه يقول أبو نواس أيضا و له ذكر في شذور العقود في سنة احدى و مأتين او سنة اثنتين و مأتين:

مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر

الله لما برا خلقا فأتقنهم صفاكم و اصطفاكم أيها البشر

فانتم الملاء الأعلى و عندكم علم الكتاب و ما جاءت به السور

و قال الفخر الرازي: إن أبا يزيد البسطامي كان يفتخر بأنه يستقي الماء لدار جعفر بن محمد الصادق عليه السلام و كان معروف الكرخي أسلم على يد أبي الحسن الرضا علي بن موسى و كان بواب داره إلى أن مات.

روى المفيد في الارشاد باسناده إلى معاوية بن حكيم عن نعيم القابوسي عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إن ابني علي أكبر ولدي و آثرهم عندي و أحبهم إلي و هو ينظر معي في الجفر و لم ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي.

و قال المحقق الشريف في شرح المواقف في مبحث تعلق العلم الواحد بمعلومين: إن الجفر و الجامعة كتابان لعلي كرم الله وجهه و قد ذكر فيهما على طريق علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم و كان الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما و يحكمون بهما. و في كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى الرضا إلى المأمون: أنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرف أبؤك فقبلت منك عهدك إلا أن الجفر و الجامعة يدلان على أنه لا يتم. و لمشايع

المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيها إلى أهل البيت ورأيت بالشام نظماً اشير اليه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر و سمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين.

انتهى.

وروى ثقة الاسلام الكليني في الكافي و المفيد في الارشاد و كثير من اعظم المحدثين عن الإمام الصادق عليه السلام أحاديث كثيرة في أن الجفر و الجامعة كانا عنده عليه السلام و أنّهما لا يزالان عند الأئمة يتوارثونهما واحدا بعد واحد.

وقال العلامة التفتازاني الشافعي في شرح المقاصد في مبحث الإمامة بعد ما قال في المحقق العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي ما قال، قال: و العظماء من عترة النبي و أولاد الوصي الموسومون بالدراية المعصومون في الرواية لم يكن معهم هذه الأحقاد و التعصبات و لم يذكروا من الصحابة إلا الكمالات و لم يسلكوا مع رؤساء المذهب من علماء الاسلام إلا طريق الإجلال و الإعظام و ها هو الإمام علي بن موسى الرضا مع جلالة قدره و نباهة ذكره و كمال علمه و هداه و ورعه و تقواه قد كتب على ظهر كتاب عهد المأمون له ما ينبىء عن وفور حمده و قبول عهده و التزام ما شرط عليه و أن كتب في آخره: و الجامعة و الجفر يدلان على ضد ذلك - إلى أن قال: و هذا العهد بخطهما موجود الان في المشهد الرضوى بخراسان.

«اشعار أبي العلاء المعري في جفر أهل البيت»

قال ابن خلّكان في تاريخه في ذيل ترجمة عبد المؤمن بن عليّ القيسي:

قال ابن قتيبة: هو جلد جفر ادّعوا أنه كتب لهم فيه الإمام كلّما يحتاجون إلى علمه و كلما يكون إلى يوم القيامة. ثمّ قال ابن خلّكان: قلت و قولهم: الإمام يريدون به جعفر الصادق عليه السلام و إلى هذا الجفر اشار أبو العلاء المعري بقوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر

و مرآة المنجم و هي صغرى ارته كلّ عامرة و قفر

و قوله في مسك جفر، المسك بفتح الميم و سكون السين المهملة الجلد.

و الجفر بفتح الجيم و سكون الفاء و بعدها راء من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر

و جفر جنباه و فصل عن امه و الأثنى جفرة. و كانت عادتهم أنّهم فى ذلك الزمان يكتبون فى الجلود و العظام و الخزف و ما شاكل ذلك و الله سبحانه و تعالى يعلم.

انتهى كلام ابن خلكان.

أقول: المراد من قوله «مرآة المنجم» هو الاسطرلاب و هو اسم لالة مشتملة على حجرة و عضادة و صفحة عنكبوت و صفائح مرسوم فيها خطوط مستقيمة و مستديرة تامة و ناقصة متوازية و غير متوازية يعرف بها كثير من أحوال الفلكيات و الأرضيات و الزمانيات حتى أن العلامة الفلكى عبد الرحمن بن عمر الصوفى المتوفى سنة 376 هـ صنف كتابا فى العمل بالاسطرلاب أنجاه إلى 386 أبواب كل باب فى معرفة شىء من الأحوال المذكورة.

و كلمة اسطرلاب على ما ذهب اليه حمزة الاصبهاني (كما نقل العلامة أبوريحان البيرونى فى رسالته الموسومة بافراد المقال و كذا فى كتابه الموسوم بالتفهيم) معربة استاره ياب، أى مدرك النجوم.

و قال البيرونى: و ممكن أن يكون معربا من اليونانية فان اسمه باليونانية اسطرلابون و اسطر هو النجم بدليل أن علم الهيئة يسمى عندهم اسطرونوميا.

(افراد المقال ص 69 طبع حيدر آباد الدكن 1367 هـ).

و قال فى التفهيم: اسطرلاب چیست؟ اين آلتى است يونانيان را، نامش اسطرلابون اى آيينه نجوم. و حمزة اسپاهانى او را از پارسى بيرون آورده كه نامش ستاره ياب است.

و الصواب ما ذهب اليه البيرونى كما اختاره المعرى فى البيت حيث قال مرآة المنجم و يوافقه ما فى اللغة الفرنسية أن كلمة الاسطرلاب باليونانية مركبة من *Astre* اى الكوكب و *Lambanein* اى المرأة أو الميزان و لذا فسره كوشيار بميزان الشمس كما نقل عنه الفاضل البيرجندى فى شرحه على رسالة الاسطرلاب للخواجه نصير الدين الطوسى. و كان الصحيح ان يفسره بميزان الكوكب لأن كلمة *Astre* لا تفيد معنى الشمس و لم يذكر فى المعاجم أن الشمس أحد معانيها

ثم إن في أحاديثنا فسر الجعفر بأنه جلد ثور لا أنه من جلد اولاد المعز كما فسره ابن خلّكان ففي الكافي لثقة الاسلام الكليني (الوافي ص 135 م 2) باسناده إلى ابن رئاب عن الحذاء قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجعفر؟ فقال عليه السلام: هو جلد ثور مملوّ علما. الحديث.

«الإمام التاسع»

أبو جعفر محمّد بن عليّ بن موسى الملقب بالجواد والتقوى صلوات الله وسلامه عليه قال ابن خلّكان في ترجمته عليه السلام: وكان يروى مسندا عن آبائه إلى عليّ بن أبي طالب عليهم السلام أنه قال: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني:

يا عليّ ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار. يا عليّ عليك بالدّلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا عليّ أعذ باسم الله فان الله بارك لأمتي في بكورها وكان يقول: من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة. وقال جعفر بن محمّد بن يزيد: كنت ببغداد فقال لي محمّد بن منده بن مهريز: هل لك أدخلك عليّ محمّد بن عليّ الرضا؟ فقلت: نعم، قال: فادخلني عليه فسلمنا وجلسنا فقال: حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إن فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النّار قال: ذلك خاص بالحسن والحسين عليهما السلام وله حكايات وأخبار كثيرة.

انتهى ما أردنا من نقل كلام ابن خلّكان.

أقول: ومن تلك الأخبار والحكايات الدّالة على وفور علمه وتبريزه على كافة أهل الفضل والعلم مع صغر سنه احتجاجه على يحيى بن اكثم قاضى زمانه في مجلس المأمون عند جمّ غفير من أهل العلم والفضل رواه الشيخ المفيد في الارشاد والشيخ الجليل الطبرسي في الاحتجاج وأتى به المجلسي في المجلد الرابع من البحار وغيرهم من أعظم العلماء الأخيار في جوامعهم المحتوية من أخبار الأئمة الأطهار. قال في الارشاد: وكان المأمون قد شعف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان فزوجه ابنته ام الفضل وحملها معه إلى المدينة

و كان متوفرا على إكرامه و تعظيمه و إجلال قدره.

قال: و روى الحسن بن محمد بن سليمان عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن الريان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته ام الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام بلغ ذلك العبّاسيين فغلظ عليهم و استكبروه و خافوا أن ينتهى الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرضا عليه السلام فخاضوا في ذلك و اجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه فقالوا: نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذى قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإننا نخاف أن تخرج به عنّا أمرا قد ملكناه الله و تنزع منّا عزّا قد ألبسناه، فقد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا و ما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم و التصغير بهم و قد كتنا فى وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتّى كفانا الله المهمّ من ذلك فالله الله أن تردنا إلى غمّ قد انحسر عنّا و اصرف رأيك عن ابن الرضا عليه السلام و اعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم و بين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه و لو انصفتهم القوم لكانوا أولى بكم، و أمّا ما كان يفعله من قبلى بهم فقد كان به قاطعا للرحم و أعوذ بالله من ذلك و الله ما ندمت على ما كان منّى من استخلاف الرضا و لقد سألته أن يقوم بالأمر و أنزعه عن نفسى فأبى و كان أمر الله قدرا مقدورا، و أمّا أبو جعفر محمد بن عليّ قد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل فى العلم و الفضل مع صغر سنّه و الاعجوبة فيه بذلك و أنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأى ما رأيت فيه.

فقالوا: إنّ هذا الفتى و إن رافك منه هديه فإنّه صبى لا معرفة له و لا فقه فأمهله ليتأدّب و يتفقّه فى الدين ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم إنّى أعرف بهذا الفتى منكم و أن هذا من أهل بيت علمهم من الله و مواده و إلهامه لم يزل أبأوه أغنياء فى علم الدّين و الأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه فخلّ بيننا وبينه نصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة فإن أصاب الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأى أمير المؤمنين، وإن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم. فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضى الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ووعده بأموال نفيسة على ذلك وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوما للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن أكثم بين يديه وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أأذن لى يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له المأمون: استأذنه فى ذلك. فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أأذن لى جعلت فداك فى مسألة؟ قال له أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول جعلنى الله فداك فى محرم قتل صيدا؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: قتله فى حلّ أو حرم، عالما كان المحرم أم جاهلا، قتله عمدا أو خطأ، حرّا كان المحرم أم عبدا، صغيرا كان أو كبيرا، مبتدئا بالقتل أم معيدا، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد كان أم من كبارها، مصرّا على ما فعل أو نادما، فى الليل كان قتله للصيد أم نهارا، محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرما؟ فتحير يحيى بن أكثم وبان فى وجهه العجز والانتقطاع ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لى

فى الرأى. ثمّ نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرتم الان ما كنتم تنكرونه؟ ثمّ أقبل على أبى جعفر عليه السّلام فقال له: أتخطب يا أبأ جعفر؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: اخطب جعلت فداك لنفسك فقد رضيتك لنفسى وأنا مزوجك أمّ الفضل ابنتى وإن رغب قوم لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: الحمد لله إقرارا بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصا لوحدايته و صلى الله على محمد سيّد بريته والأصفياء من عترته أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه: «وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» ثمّ إنّ محمد بن على بن موسى يخطب أمّ الفضل بنت عبد الله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وهو خمسمائة درهم جيادا، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟ قال المأمون: نعم، قد زوجتك يا أبأ جعفر أمّ الفضل ابنتى على الصداق المذكور فهل قبلت النكاح؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: قد قبلت ذلك ورضيت به.

فأمر المأمون: أن يقعد الناس على مراتبهم فى الخاصة والعامة.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتا تشتهب أصوات الملاحين فى محاوراتهم فاذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من الفضة مشدودة بالجبال من الإبريسم على عجل مملوءة من الغالية فأمر المأمون أن يخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية ثمّ مدّت إلى دار العامة فطيبوا منها ووضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم.

فلمّا تفرق الناس وبقى من الخاصة من بقى قال المأمون لأبى جعفر عليه السّلام:

إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: نعم إنّ المحرم إذا قتل صيدا فى الحلّ وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه فى الحرم فعليه الجزاء

مضاعفا، فاذا قتل فرخا في الحِلِّ فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتل في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش و كان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبيا فعليه شاة، فإن قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه و كان إحرامه بالحجّ نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء، و في العمدة له المأثم و هو موضوع عنه في الخطاء، و الكفارة على الحرّ في نفسه، و على السيّد في عبده، و الصغير لا كفارة عليه، و هي على الكبير واجبة، و النادم يسقط بندمه عنه عقاب الاخرة، و المصّرّ يجب عليه العقاب في الاخرة.

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك، فان رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟ فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك إليك جعلت فداك فان عرفت جواب ما تسألني عنه و إلاّ استفتته منك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار فكان نظره إليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له؛ فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت عشاء الاخرة حلّت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأة و بما ذا حلّت له و حرمت عليه؟ فقال له يحيى بن أكثم: و الله ما اهتدى لى جواب هذا السؤال و لا أعرف الوجه فيه، فان رأيت أن تقيدها؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبيّ في أوّل النهار فكان نظره إليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الاخرة كفر عن الظهار فحلّت له، فلما كان في نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه،

فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب أو يطرف القول فيما تقدّم من السؤال؟ قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى.

فقال لهم: ويحكم إن أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل وإن صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله صلّى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام وهو ابن عشر سنين وقبل منه الإسلام وحكم له به ولم يدع أحدا في سنّه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السّلام وهما ابنا دون ست سنين ولم يبايع صبيا غيرهما؟ أفلا تعلمون الان ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض يجرى لاخرهم ما يجرى لأولهم؟ قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين.

ثم نهض القوم فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السّلام وصار القواد والحجاب والخاصّة والعامّة لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السّلام فاخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنّية وأقطاعات فأمر المأمون بنثرها على القوم في خاصّته فكان كلّ من وقع في يده بندقه أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فاطلق له ووضع البدر فنثر ما فيها على القواد وغيرهم وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا وتقدّم المأمون بالصدقة على كافة المساكين ولم يزل مكرما لأبي جعفر عليه السّلام معظما لقدره مدّة حياته يؤثّر على ولده وجماعة أهل بيته.

بيان: المراد بابن الرضا هو أبو جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليهما السّلام، راقك منه أي عجبه وسرّه، الهدى بالفتح ثمّ السكون: السيرة والهيئة والطريقة وهو فاعل لقولهم راقك، على مسألة يحيى بن أكثم أي أن يستدعوا منه. واليدست بالفتح ثمّ السكون: الوسادة ويقال بالفارسيّة تشك. المسورة كمكينة المتكأ من آدم. لجلج أي تردّد. اخطب جعلت فداك لنفسك: جعلت فداك معترضة

وقعت في البين و لنفسك متعلق بقوله: اخطب. جيادا جمع الجيّد، و هو ضدّ الرّدىّ.

و الإبريسم معرّب أبريشم. العجل كالأجل: الالة التي تحمل عليها الأثقال و يقال بالفارسية: غارى. الغالية: الطيب. ظاهر منها: أى قال لها: ظهرك علىّ كظهر امّى كما بين في الفقه.

«الإمام العاشر»

أبو الحسن علىّ الهادى النقىّ ابن محمّد الجواد ابن علىّ الرضا عليهم السّلام و يعرف بالعسكرى أيضا كما أن ابنه الإمام الحادى عشر معروف بهذا القلب و سيأتى وجهه. قال ابن خلّكان في تاريخه في ترجمته عليه السّلام و المسعودى في مروج الذهب في ذكر خلافة المتوكل باسناده إلى محمّد بن يزيد المبرد قالوا: و قد كان سعى به إلى المتوكل و قيل إنّ في منزله سلاحا و كتبها من شيعته و أوهموه أنّه يطلب الأمر لنفسه فوجّه إليه بعدة من الأتراك ليلا فهجموا عليه في منزله على غفلة فوجدوه وحده في بيت مغلق و عليه مدرعة من شعر و على رأسه ملحفة من صوف و هو مستقبل القبلة يترنّم بايات من القرآن الكريم في الوعد و الوعيد و ليس بينه و بين الأرض بساط إلاّ الرمل و الحصا فأخذ علىّ الصورة التي وجد عليها و حمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثّل بين يديه و المتوكل يستعمل الشراب و في يده كأس فلما رآه أعظمه و أجلسه إلى جانبه و لم يكن في منزله شىء مما قيل عنه و لا حجة يتعلّل عليه بها فناوله المتوكل الكأس الّذى كان بيده فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى و دمي قط فاعفنى منه فأعفاه. و قال: أنشدنى شعرا أستحسنه فقال: إني لقليل الرواية في الشعر، فقال: لا بدّ أن تنشدى شيئا فأنشده:

باتوا علىّ قتل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزّلوا بعد عز من منازلهم(1) فاودعوا حفرا يابّس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة و التيجان و الحلل؟

أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود تنتقل(2)

قد طالما أكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد اكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

ص:156

1- (1) (عن معاقلهم - خ ل)

2- (2) (تقتل - خ)

وطالما كنزوا الأموال وادّخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطّلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: فأشفق من حضر على عليّ عليه السّلام وظنوا أن بادرة تبدر منه إليه قال: والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتّى بلت دموعه لحيته و بكى من حضره ثمّ أمر برفع الشراب ثمّ قال له: يا أبا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها اليه وردّه إلى منزله من ساعته مكرما.

ونقل القصة ثقة الاسلام الكليني في الكافي والفيض (ره) في الوافي (ص 195 م 2) والشيخ الجليل المفيد في الارشاد أعجب ما نقله ابن خلّكان، قال المفيد: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمّد، عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن ابن النعيم ابن محمّد الطاهري قال: مرض المتوكل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت فلم يجسر أحد أن يمسه بحديدة فنذرت امه إن عوفى أن تحمل إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السّلام مالا جليلا من مالها وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرّجل يعني أبا الحسن عليه السّلام فسألته فأنه ربّما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك فقال: ابعثوا اليه فمضى الرسول ورجع فقال: خذوا كسب الغنم فديفوه بماء الورد وضعوه على الخراج فأنه نافع باذن الله، فجعل من يحضر المتوكل يهزأ من قوله فقال لهم الفتح: وما يضرك من تجربة ما قال فوالله إنّي لأرجو الصلاح به فأحضر الكسب و ديف بماء الورد ووضع على الخراج فانفتح و خرج ما كان فيه وبشّرت امّ المتوكل بعافية فحملت إلى أبي الحسن عليه السّلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها واستقل المتوكل فلما كان بعد أيّام سعى البطحائي بأبي الحسن عليه السّلام إلى المتوكل وقال: عنده أموال وسلاح فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلا ويأخذ ما يجده عنده من الأموال والسلاح ويحمل إليه، قال إبراهيم بن محمّد:

قال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السّلام بالليل ومعى سلّم فصعدت منه إلى السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة فلم أدر كيف أصل إلى الدار فناداني أبو الحسن عليه السّلام من الدار يا سعيد مكانك حتّى يأتوك بشمعة فلم

ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدت عليه جبة صوف وقلنسوة منها و سجدته على حصير بين يديه و هو مقبل على القبلة فقال لى : دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئا و وجدت البدره مختومه بخاتم ام المتوكل و كيسا مختوما معها.

فقال لى أبو الحسن عليه السلام دونك المصلّى فرفعته فوجدت سيفا فى جفن ملبوس فأخذت ذلك و صرت إليه فلمّا نظر إلى خاتم امّه على البدره بعث إليها فخرجت إليه فسألها عن البدره فأخبر بعض خدم الخاصّة أنها قالت: كنت نذرت فى علتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالى عشرة آلاف دينار فحملتها إليه و هذا خاتمى على الكيس ما حرّكه و فتح الكيس الاخر فاذا فيه أربعمائة دينار فأمر أن يضم إلى البدره بدره اخرى و قال لى : احمل ذلك إلى أبى الحسن عليه السلام و اردد عليه السيف و الكيس بما فيه فحملت ذلك إليه و استحيت منه فقلت له: يا سيدى عزّ على دخولى دارك بغير اذنك و لكننى مأمور فقال لى: «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».

بيان: الخراج بالضم ما يخرج فى البدن من القروح كالدمل و شبهه. و فى الصحاح: الكسب بالضم عصارة الدهن و قال بعض أهل اللغة: هو ما تلبّد من أبعاد الشاة و لهذا اضيف الكسب إلى الغنم و جاء فى الكافى كسب الشاة مكان كسب الغنم.

دافه بالشىء أى خلطه. ضعوه فعل أمر. استقل المتوكل أى رفع علقته و برأ.

عزّ علىّ أى اشتدّ و صعب على دخولى دارك بغير اذنك. و فى الكافى: سعى إليه البطحائى العلوى.

أقول: تلك الأبيات مذكورة فى الديوان المنسوب إلى جدّه و سميّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليهم السلام و تنتهى إلى خمسة و عشرين بيتا، و فضائله و مناقبه و معجزاته و احتجاجاته فى التوحيد و سائر العلوم الدينيّة و الدنياويّة على المخالف و المؤلف حجة قاطعة على اولى الدراية و النهى فى سموّ مقامه و تكامل فضله و وفور علمه و امامته و خلافته.

فى الاحتجاج: سئل أبو الحسن عليه السلام عن التوحيد فقيل له: لم يزل الله وحده لا شىء معه ثم خلق الأسماء بديعا و اختار لنفسه الأسماء و لم تزل الأسماء و الحروف

معه قديمة. فكتب عليه السلام: لم يزل الله موجودا ثم كَوّن ما أراد لا راذاً لقضائه ولا معقّباً لحكمه تاهت أو هام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين و اضمحلت أفاويل المبطلين عن الدرک لعجيب (لعظيم - خ ل) شأنه أو الوقوع بالبلوغ على علوّ مكانه فهو بالموضع الذي لا يتناهى وبالمكان الذي لم تقع عليه فيه عيون باشارة ولا عبارة هيهات هيهات.

وفيه أيضا: قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم الحد عليه فأسلم فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه شركه و فعله وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام وسأله عن ذلك فلما قرأ الكتاب كتب: يضرب حتى يموت، فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين سل عن هذا فإنه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجيء به سنة فكتب اليه: إن فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم تجيء به سنة ولم ينطق به كتاب فبين لنا لم أوجب عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّةً وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا » الآية. فأمر به المتوكل فضرب حتى مات.

وكذا غيرها من الاحتجاجات الانيقة العلمية رواها ثقات المحدثين. وبالجملة وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وتكامل علومه وفضله و جميع خصال الخير فيه و كانت أخلاقه كلها خارقة للعادة كاخلاق آبائه عليهم السلام و لو ذكرنا جميع محاسنه الكريمة و آثاره العلمية لطلال الكتاب بها.

«الإمام الحادي عشر»

أبو محمد الحسن العسكري ابن عليّ الهادي عليهما السلام. قال ابن خلكان في تاريخه:

هو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية و هو والد المنتظر صاحب السرداب و يعرف بالعسكري و أبوه عليّ يعرف بهذه النسبة - إلى أن قال: و العسكري بفتح العين المهملة و سكون السين المهملة و فتح الكاف و بعدها راء هذه النسبة إلى

سرّ من رأى ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر وانما نسب الحسن المذكور إليها لأنّ المتوكّل أشخص أباه عليّاً إليها و اقام بها عشرين سنة و تسعة أشهر فنسب هو و ولده هذا إليها. انتهى كلامه.

و فى الخرائج و الجرائح للراوندى: كانت أخلاقه كاخلاق رسول الله صلّى الله عليه و آله و كان رجلاً أسمر حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حدث السن له جلاله و هيبة و هيئة حسنة تعظمه العامّة و الخاصّة اضطراراً يعظمونه لفضله و يقدونه لعفاه و صيانتة و زهده و عبادته و صلاحه و اصلاحه و كان جليلاً نبيلاً فاضلاً كريماً يحمل الأثقال و لا يتضعض للنواكب أخلاقه خارقة للعادة على طريقة واحدة.

و فى الاحتجاج للطبرسى بإسناده إلى أبى يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد و أبى الحسن علىّ بن محمّد بن سيّار أنّهما قالاً: قلنا للحسن أبى القائم: إنّ قوما عندنا يزعمون أن هاروت و ماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بنى آدم و أنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدّنيا و أنّهما افتتنا بالزهرة و ارادا الزنا بها و شربا الخمر و قتلنا النفس المحرمة و أنّ الله يعذبهما ببابل و أنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر و أنّ الله مسح تلك المرأة هذا الكوكب الذى هو الزهرة؟ فقال الإمام عليه السّلام: معاذ الله من ذلك إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بالطفاف الله فقال عزّ و جلّ لهم « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمّرون » و قال « و له من فى السّماوات و الأرض و من عنده » - يعنى الملائكة - « لا يسهّ تكبرون عن عبادته و لا يستحسرون يسبّحون اللّيل و النهار لا يقترنون » و قال فى الملائكة . « بلّ عبادٌ مكرّمون لا يسهّ بقوّة بالقول و هم بأمّره يعملون » - إلى قوله: « مشفقون » كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء فى الأرض و كانوا كالأنبياء فى الدّنيا و كالأئمة أفيكون من الأئمة قتل النّفس و الزنا؟!.

ثمّ قال عليه السّلام: أو لست تعلم أنّ الله لم يخل الدّنيا من نبيّ أو إمام من البشر؟ أو ليس الله تعالى يقول « و ما أرسلنا من قبلك » - يعنى إلى الخلق - « إلاّ رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى » فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة و حكّاما

وإِذَا ارسلوا إلى أنبياء الله.

قالا: قلنا له عليه السلام: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا. فقال عليه السلام: لا بل كان من الجنّ أما تسمع أن الله تعالى يقول: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ» فاخبر انه كان من الجن و هو الذى قال الله تعالى «وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ».

وقال الإمام عليه السلام: حدّثني أبي عن جدّي عن الرّضا عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله اختارنا معاشر آل محمّد و اختار النبيين و اختار الملائكة المقربين و ما اختارهم إلا على علم منه بهم أنّهم لا يوقعون ما يخرجون به عن ولايته و ينقطعون به عن عصمته و ينصّمون به إلى المستحقين لعذابه و نعمته.

قالا: قلنا: فقد روى لنا إنّ عليّا صلوات الله عليه لما نصّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله بالإمامة عرض الله ولايته على فنام و فنام من الملائكة فأبوها فمسخهم الله ضفادع، فقال عليه السلام: معاذ الله هؤلاء المتكذبون علينا، الملائكة هم رسل الله كسائر أنبياء الله إلى الخلق أفيكون منهم الكفر بالله؟ قلنا: لا. قال: فكذلك الملائكة إنّ شأن الملائكة عظيم و إنّ خطبهم لجليل. انتهى.

و بالجملة ان فضائله و مناقبه و معجزاته و احتجاجاته و شيمه و علومه و زهده و كمال عقله و عصمته و شجاعته و كرمه و كثرة اعماله المقربة إلى الله تعالى و اجتماع خلال الفضل فيه تنادى بأعلى صوتها تقدمه على كافة أهل عصره و إمامته الرياسة الالهية على جميع من سواه و أعرضنا عن تفصيلها روما للاختصار.

«كلام محيي الدين الاعرابي أو المغربي فيه (عليه السلام)» قال في المناقب: صلوات الله و ملائكته و حملة عرشه و جميع خلقه من أرضه و سمائه على البحر الزاخر، زين المفاخر، الشاهد لأرباب الشهود، الحجّة على ذوى الجحود، معرّف حدود حقائق الربانيّة، منوّع أجناس العالم السبحانية، عنقاء قاف القدم، العالى عن مرقاة الهمم، وعاء الأمانة، محيط الإمامة، مطلع الأنوار

«الإمام الثاني عشر»

المسمّى باسم رسول الله صلّى الله عليه وآله والمكّنّى بكنيته الذي بيمنه رزق الوري وببقائه بقيت الدنيا خاتم الأوصياء و شرف الأرض و السماء بقية الله في أرضه و المنتقم من أعدائه الحجّة من آل محمّد صاحب الزمان و خليفة الرّحمن إمامنا و مولانا ابن الحسن العسكري عجلّ الله تعالى فرجه كان سنّه عند وفاة أبيه خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة و فصل الخطاب و جعله آية للعالمين و آتاه الحكمة كما آتاه يحيى صبيبا و جعله إماما في حال طفوليته كما جعل عيسى في المهدي نبيا هو المعصوم من الزلات و المقوم للعصاة سيرته سيرة آباءه عليه و عليهم السّلام خارقة للعادة، و كان الخبر بغيبته ثابتا قبل وجوده و بدولته مستفيضا قبل غيبته و هو صاحب السيف من أئمة الهدى عليهم السّلام و القائم بالحق المنتظر لدولة الإيمان الذي يملأ الله به الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما.

و الأخبار من رسول الله صلّى الله عليه وآله بأسانيد كثيرة و طرق عديدة من الفريقين في أن المهدي عليه السّلام من ولده صلّى الله عليه و آله يواطى اسمه اسمهم و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب و يملأ الله به الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا، بلغت إلى حدّ التواتر حتّى أن الشيخ الحافظ أبا عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي المتوفى سنة 658 هـ صاحب كتاب كفاية الطالب صنع كتابا على خمسة و عشرين بابا كلّ من طرق علماء السنة و روايتهم عاريا عن أحاديث الشيعة في أخبار صاحب الزّمان عليه السّلام سماه كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان و هذا الكتاب طبع بايران سنة 1324 هـ في ذيل كتاب الغيبة لشيخ الطائفة الامامية الشيخ محمّد بن حسن الطوسي. و قال في مقدمة الكتاب:

و سمّيته بالبيان في أخبار صاحب الزّمان و عزّيته عن طرق الشيعة تعرية تركيب الحجّة إذ كل ما تلقته الشيعة بالقبول و إن كان صحيح النقل فإنّما هو خزّيت منارهم و خدارية زمارهم فكان الاحتجاج بغيره أكد و فيه أبواب:

الباب الأول فى ذكر خروجه عليه السّلام فى آخر الزمان.

الباب الثّانى فى قوله صلّى الله عليه وآله المهدي من عترتى من ولد فاطمة.

الباب الثّالث فى ذكر المهدي من سادات أهل الجتّة.

الباب الرّابع فى أمر النّبىّ صلّى الله عليه وآله بمبايعة المهدي عليه السّلام.

الباب الخامس فى ذكر نصرة أهل المشرق للمهدي عليه السّلام.

الباب السادس فى مقدار ملكه بعد ظهوره عليه السّلام.

الباب السابع فى بيان انه يصلّى بعيسى عليه السّلام.

الباب الثّامن فى تحلية النّبىّ صلّى الله عليه وآله المهدي عليه السّلام.

الباب التاسع فى تصريح النّبىّ صلّى الله عليه وآله بأنّ المهديّ من ولد الحسين عليه السّلام.

الباب العاشر فى ذكر كرم المهدي عليه السّلام.

الباب الحادى عشر فى الرد على من زعم أنّ المهدي عليه السّلام هو المسيح بن مريم الباب الثّانى عشر فى قوله صلّى الله عليه وآله لن تهلك امة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدي فى وسطها.

الباب الثّالث عشر فى ذكر كنيته وانه يشبه النّبىّ صلّى الله عليه وآله فى خلقه.

الباب الرّابع عشر فى ذكر اسم القرية التى يكون فيها خروج المهدي عليه السّلام.

الباب الخامس عشر فى ذكر الغمامة التى تظلّ المهدي عليه السّلام(1).

الباب السابع عشر فى ذكر صفة المهدي عليه السّلام و لونه و جسمه(2).

الباب التاسع عشر فى ذكر كيفية اسنان المهدي عليه السّلام.

الباب العشرون فى ذكر فتح المهدي عليه السّلام القسطنطينية.

الباب الحادى والعشرون فى ذكر خروج المهدي عليه السّلام بعد ملك الجبارة.

الباب الثّانى والعشرون فى قوله صلّى الله عليه وآله المهدي عليه السّلام إمام صالح.

الباب الثّالث والعشرون فى ذكر تنعم الأمة زمن المهدي عليه السّلام.

الباب الرابع والعشرون في أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله أن المهدي خليفة الله.

الباب الخامس والعشرون في الدلالة على جواز كون المهدي عليه السلام حيا

ص:163

1- (1) هذه الصفحة مطابقة للأصل وقد سقط منها الباب السادس عشر و الباب الثامن عشر و لم يتيسر لي تحصيل المصدر حتى أراجعه فأثبتته على ما هو عليه. «المصحح»

2- (2) هذه الصفحة مطابقة للأصل وقد سقط منها الباب السادس عشر و الباب الثامن عشر و لم يتيسر لي تحصيل المصدر حتى أراجعه فأثبتته على ما هو عليه. «المصحح»

باقيا مذ غيبته. ثم أخذ في نقل الاحاديث المنقولة من كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب العامة لكل باب.

وإن ساعدنا التوفيق تأتي بطائفة من المطالب العلمية الاخر قمعا لبعض الشبهات الموهومة الموهونة في المقام في ضمن كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

(اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبياناته - إلخ) ونسأل الله ونرجو من رحمته الله الواسعة ان يوفقنا لذلك فإنه ولي التوفيق.

واعلم أن ما حررنا ونقلناه في المقام قطرة من بحار علمهم ورشحة من سماء فيضهم وكفى لطالب الحق العالم البصير شاهدا أن المستضيئين من أنوار علومهم لا يعدون ولا يحصون كثرة و ما تقوّه أحد بأنهم عليهم السلام أخذوا تلك المعارف الالهية من غيرهم و اشتغلوا بالدراسة لدى عالم بل اتفق محققو الامة و منصفوها بأن كل واحد منهم عليهم السلام أفضل عصره في جميع الكمالات و الفضائل و المحامد و الخصائل فتنبّه و تيقن بأن علومهم لدنية و انهم حجج الله تعالى المنصوبون من عنده و المعصون مما لا يليق لهم.

قال المؤلف الشارح الفقير المفتاح إلى رحمة ربه و المشتاق إلى حضرة جنابه نجم الدين الحسن بن عبد الله الطبري الاملى: أشهد أن هؤلاء أمتي و سادتي و قادتى أئمة الهدى و مصابيح الدجى و ينابيع الحسنى من فاضل طينتهم خلقت، و بحبهم ولدت، و بحبهم أعيش و بحبهم أموت و بحبهم ابعث حيا إنشاء الله تعالى و بهم أتولى و من أعدائهم أتبرأ. قد افلح من استمسك بذيل ولايتهم و فاز من دخل في حصن أمنهم و شرفهم و اغترف من قاموس علمهم و ارتوى من بحر جودهم و من اعرض عنهم فان له معيشة ضنكا و هو فى الآخرة من الخاسرين. لأنهم عليهم السلام شهداء الله على خلقه و خلفاؤه فى أرضه و أبواب رحمته و انهم نور الله و ولاة أمره و خزنة علمه و عيبة و حيه و بهم عرف الصواب و علم الكتاب فمن أطاعهم فقد أطاع الله و من عصاهم فقد عصاهم العروة الوثقى و الوسيلة إلى الله جلّ و علا. صدق

ولّى الله الأعظم أبو عبد الله الصادق عليه السلام حيث قال لخثيمة (الكافي). وفي الوافي ص 128 م 2): يا خثيمة نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله ونحن وديعة الله في عباده ونحن حرم الله الأكبر ونحن ذمة الله ونحن عهد الله فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. فلنعد إلى شرح جمل الخطبة الشريفة بعون الله تعالى فنقول:

انه عليه السلام ذكر فيها لال محمّد عليهم السلام أوصافا وهذه الأوصاف على الكمال والتمام لا يليق إلا بهم ولا يصدق إلا عليهم فانه لا يتصف بمجموعها إلا من كان مؤيدا من الله ومنصوبا من عنده وبالجملة على من جعله الله تعالى خليفة له واماما للناس قوله عليه السلام: (هم عيش العلم) أى هم حياة العلم ونفسه يدور معهم حيث داروا ومتى كان الإمام كان العلم وسائر الصفات الكمالية الانسانية وبالجملة ان العلم حتى بهم فكأنما العلم ذو جسد روحه آل محمّد عليهم السلام ومن تتبع الكتب العلميّة يجد أن أنوار علوم الأئمة اشرفت الأرض و انارت القلوب و أضاءت النفوس فعليك بنهج البلاغة و الصحيفة الكاملة و مجلّدات الكافي و التهذيب و الاستبصار و من لا يحضره الفقيه و روايات مجلّدات البحار و تفاسير علماء الإماميّة و غيرها ممّا لا تحصي كثرة بل فى تاليف العامة أيضا حتى ترى بعين اليقين انّ الكل عيالهم عليهم السلام فى حقائق الأصول و دقائق الفروع.

«كلام ابن الجوزى فى على أمير المؤمنين و على» «زين العابدين عليهما السلام» المنقول عن ابن الجوزى فى خصائص الأئمة، فانه قال: لو لا أمير المؤمنين علىّ عليه السلام لما كمل توحيد المسلمين و عقائدهم إذا التّبّى صلّى الله عليه وآله لم تحصل له الفرصة إلا بقدر أداء امهات العقائد و الفروع و أما دقائقها من كون الصفات مثلا قسمين:

ذاتية و فعلية و أن أيها عين ذاته تعالى و أيها ليست بعينها و غيرها من دقائق المطالب

ورقاقتها فإنّ المسلمين عيال على أمير المؤمنين متعلمون منه. - إلى أن قال في حق مولانا سيد الساجدين ما محصله: ان عليّ بن الحسين زين العابدين له حق التعليم في الاملاء و الإنشاء و كيفية المكالمة و المخاطبة و عرض الحوائج إلى الله تعالى فإنه لولاه لم يعلم المسلمون كيف يتكلمون و يتفوهون سبحانه في حوائجهم فان هذا الإمام عليه السّلام علّمهم بأنّه متى ما استغفرت فقل كذا و متى ما استسقيت فقل كذا و متى ما خفت من عدوّ فقل كذا - إلخ - و قد روى عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقهاء العامة من العلوم ما لا تحصى كثرة و حفظ عنه من المواعظ و الأدعية و فضائل القرآن و الحلال و الحرام و المغازى و الأيّام ما هو مشهور بين العلماء.

و هذا هو الصادق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين استضاء من مشكاة وجوده و ارتوى من بحر جوده أربعة آلاف رجل مما تلوناه عليك و بعض آثارهم و أقوالهم في حق استاذهم الصادق عليه السّلام.

قوله عليه السّلام: (و موت الجهل) أى هم موت الجهل يعنى أنّ الجهل يموت بوجودهم عليهم السّلام و ذلك كما باسراق النور الحسى كنور الشمس مثلا تزول الظلمة و تموت و لا يجتمعان كذلك بنور العلم تموت ظلمة الجهل فلما كان آل محمّد صلّى الله عليه و آله شمس سماء العلم و المعرفة و ارواح اجساد العلوم و الحقائق و عيش العلم فلا محالة تعدم ظلمة الجهل بهم.

قوله عليه السّلام: (يخبركم حلمهم عن علمهم). الحلم هو طمأنينة النفس بحيث لا يحركها الغضب بسهولة و لا يزعجه المكروه بسرعة فهو ضد الغضب، و الحلم من اشرف الكمالات النفسية بعد العلم و لذا ترى كلما يسأل عن العلم أو يمدح يقارن بالحلم قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: اللهم أغننى بالعلم و زيتنى بالحلم.

و قال أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام «كما يأتي في باب المختار من حكمه»:

ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك و لكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك.

و في باب صفة العلماء من الكافي عن أبي عبد الله عليه السّلام: اطلبوا العلم و تزينوا

وفيه عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نعم وزير الإيمان العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الحلم الرّفق ونعم وزير الرفق الصبر.

وانما كان حلمهم عليهم السّلام يخبركم عن علمهم لأن الحلم يلازم العلم بمواقع الحلم.

وفي الارشاد للمفيد: روى إسحاق بن منصور السلولى قال: سمعت الحسن ابن صالح يقول: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام يقول: ما شيب شىء بشىء أحسن من حلم بعلم.

وفي البحار وغيره من كتب الأخبار: لمّا مات الحسن بن عليّ عليهما السّلام وأخرجوا جنازته حمل مروان سريره فقال له الحسين عليه السّلام: أتحمل سريره؟ أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ فقال مروان: إنى كنت أفعل ذلك بمن يوازي (يوازن - خ ل) حلمه الجبال.

ثمّ جاء في بعض النسخ كما في شرح المعتزلى وينايع المودّة بعد قوله هذا قوله: (وظاهرهم عن باطنهم) فإنّ الظاهر عنوان الباطن فالأفعال الحسنة الصادرة عنهم والأخلاق الكريمة البارزة منهم تدلّ على حسن سريرتهم وإخلاصهم لأنّ بدن الانسان بمنزلة مدينة مدبّره وسلطانها هو القلب اعنى العقل وسائر القوى عمّاله وجنوده فاذا سلم القلب لا يصدر منه إلاّ الخير فان القوى حينئذ كانت باسرها تحت اشارة العقل وتديرها ووقعت مصالحة و مسالمة بينها و العقل تستعملها فى المواضيع اللاتقة بها على ما ينبغى لها قال عزّ من قائل «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا». كما أن العقل إذا صار مغلوب القوى غلبت على الانسان الشرور ولا يبرز منه إلاّ الأفعال الحيوانية و الاثار الشيطانية فيسقط فى مهاوى المهلكة كما قال تعالى «وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فى الانسان مضغة إذا هى سلّمت و صحّت سلم بها سائر الجسد فاذا سقمت سقم بها سائر الجسد وفسد و هى القلب

و نعم ما قال العارف المعروف مجدود بن آدم السنائي في الحديقة:

دل آن کس که گشت بر تن شاه بود آسوده ملک از او و سپاه

بد بود تن چه دل تباه بود ظلم لشکر ز ضعف شاه بود

این چنین پر خلل دلی که ترا است دد و دیوند با توزین دل راست

پاره گوشت نام دل کردی دل تحقیق را بحل کردی

این که دل نام کرده ای بمجاز رو به پیش سگان کوی انداز

از تن و نفس و عقل و جان بگذر در ره او دلی بدست آور

آن چنان دل که وقت پیچاپیچ اندر او جز خدا نیابی هیچ

دل یکی منظری است ربّانی خانه دیو را چه دل خوانی

از در نفس تا بکعبه دل عاشقان را هزار و یک منزل

و لقد تكلمنا في ذلك و أتينا ببعض الاشعار و الامثال في شرح الخطبة 231 عند قوله عليه السلام ألا إن اللسان بضعة من الانسان فراجع.

قوله عليه السلام: (و صمتهم عن حكم منطقهم) لا يخفى أنّ الصمت في موقع الكلام قبيح كالكلام في موقع الصمت و سيأتي في باب المختار من حكمه عليه السلام، الحكمة 282 قوله عليه السلام: لا- خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل. و ما اجاد كلام الشيخ السعدى:

دو چیز طیره عقلست دم فرو بستن بوقت گفتن و گفتن بوقت خاموشی

و العارف بمواقع السكوت يكون عارفا بمواقع الكلام أيضا فصمته في موقعه يدلّ على أن منطقته يكون على حكمة و صواب فمن لم يعلم مواقع السكوت يتكلم بما لا يعنيه و يسكت عن ما يعنيه. فصمتهم عليهم السلام عن ما لا يعنيه، يخبركم على أن منطقهم يكون على حكمة و واقعا في محله.

ثمّ أنّه سئل السّجّاد علیّ بن الحسين عليهما السلام عن الكلام و السكوت أيهما أفضل فقال: لكل واحد منهما آفات فاذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت قيل: كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ الله عزّ و جلّ ما بعث الأنبياء و الأوصياء

بالسكوت انما بعثهم بالكلام و لا استحقت الجنة بالسكوت و لا استوجبت ولاية الله بالسكوت و لا توقيت النار بالسكوت و ما كنت لأعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام و لست تصف فضل الكلام بالسكوت.

ثم إن في بعض النسخ جاءت العبارة هكذا: (وصمتهم عن منطقتهم) و في بعض النسخ كما اخترناه و على هذا يمكن أن يقرأ الحكم بضم الحاء و سكون الثانى أى صمتهم يخبركم عن حكم منطقتهم يعنى أن حكم منطقتهم صواب و حقيقة كما تقول: ذلك الشئ يكون حكمه كذا، و يمكن أن يقرأ بكسر الحاء و فتح الثانى جمع الحكمة كما علم.

قوله عليه السلام: (لا يخالفون الحق) فان الحق فى كل شئ هو العدل المحض الذى وسط الافراط و التفريط و آل محمد صلوات الله عليهم هم الأئمة المهديون من الله يهدون بأمر الله و ينظرون بنور الله و قد دريت مما قدّمنا ان الحجج الالهية لمكان عصمتهم لا يعدلون عن الحق طرفة عين أبدا و هم الموازين القسط و المعايير الحق و المناهج الصدق و على بينة من ربهم. قال الله تعالى «وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَّلَ» (الكهف - 107) و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: على مع القرآن و القرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض(1). فعلى عليه السلام يكون مع الحق إلى يوم القيامة كما نصّ به

ص: 169

1- (1) هذه الرواية رواها كثير من نقلة الأحاديث و حملة الأخبار فى جوامعهم منهم الشيخ الاجل المفيد قدس سره فى كتاب الجمل (ص 209 طبع نجف) قال: روى المسعودى عن هاشم بن الوليد عن ابن سعيد التميمى عن أبى ثابت مولى أبى ذر قال: شهدت مع أمير المؤمنين على عليه السلام الجمل فلما رأيت عائشة واقفة بين الصفيين و معها طلحة و الزبير، قلت: ام المؤمنين و زوجة الرسول (صلى الله عليه و آله) و حوارى الرسول و صاحبه باحد فدخلنى ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلاة الظهر كشف الله ذلك عن قلبى و قلت: على أمير المؤمنين و أخو سيد المرسلين و أولهم اسلاما لم يكن بالذى يقدم على شبهة فقاتلت معه قتالا شديدا فلما انقضى الحرب أتيت المدينة فسرت الى بيت ام سلمة فاستأذنت عليها فقبل من هذا؟ فقلت: سائل، فقالت: أطعموا السائل؛ فقلت: انى و الله لم أسأل طعاما و لكنى مولى أبى ذر رجعت أسأل عن دينى فقالت مرحبا بك فقصصت عليها قصتى؛ فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطاؤها؟ فقلت انى بينما احس ذلك اذ كشف الله عن قلبى فقاتلت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى فرغ، فقالت احسنت انى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: ان عليا مع القرآن و القرآن مع على لا يفترقان حتى يردا الحوض. و كذا اخرج الطبرانى فى الأوسط عن ام سلمة قالت ام سلمة قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول على مع القرآن و القرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض. (منه)

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الحق مع عليّ حيث دار والأخبار في ذلك المعنى من طرق الفريقين لا تحصى كثرة. وكذا الكلام في باقى الأئمة الاحد عشر الحق معهم حيث داروا لعصمتهم. وفي الكافي بإسناده عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه.

قوله عليه السلام: (ولا يختلفون فيه) فان كثرة الأقوال من واحد فى مسألة واحدة او اختلاف الاثنين أو أكثر فيها انما يكون بجهلهم عن الحق لأن الحق لا يكون إلا واحدا ولا يتكثر ولا يتغير.

ففى التهذيب لشيخ الطائفة قدس سره بإسناده عن أبى مريم عن أبى جعفر عليه السلام (ص 60 م 1 من الوافى) قال: قال عليّ صلوات الله عليه: لو قضيت بين رجلين بقضية ثم عادا إلى من قابل لم ازدهما على القول الأول لأن الحق لا يتغير.

وحيث إن الحق مع آل محمد حيث دار فلا يتطرق الاختلاف فى أقوالهم وآرائهم لأن علومهم من معدن واحد وعين واحدة وذواتهم عليهم السلام من نور واحد كما صرحوا به فى كثير من الأخبار وفى بعضها خلقنا واحد و علمنا واحد و فضلنا واحد و كلنا واحد عند الله و فى رواية: ونحن شىء واحد.

وفى الكافي بإسناده إلى حماد بن عيسى وغيره قالوا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول:

حديثى حديث أبى و حديث أبى حديث جدّى و حديث جدّى حديث الحسين و حديث الحسين حديث الحسن و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قول الله تعالى.

وفيه باسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحديث اسمعه منك أرويهِ عن أبيك أو أسمعهُ من أبيك أرويهِ عنك؟ قال: سواء إلا أنك ترويهِ عن أبي أحب إليّ. وقال أبو عبد الله عليه السلام لجميل: ما سمعت منّي فاروه عن أبي.

وفى الكافى أيضا فى حديث طويل (الوافى ص 14 م 2) عن أبى جعفر عليه السلام فقد مكن ولاية الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله بالعلم ونحن هم فاسألونا فان صدقناكم فأقرّوا و ما أنتم بفاعلين أمّا علمنا فظاهر، أما أبان أجلنا الذى يظهر فيه الدين منا حتى لا يكون بين الناس اختلاف فان له أجلا من ممرّ اللّيلى والأيام إذا أتى ظهر و كان الأمر واحدا، و أيم الله لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف و لذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد علينا و لنشهد على شيعتنا و ليشهد شيعتنا على الناس، أبى الله تعالى أن يكون فى حكمه اختلاف أو بين أهل علمه تناقض، الحديث قوله عليه السلام: (هم دعائم الاسلام) شبه الدين بالبيت أو الفسطاط مثلا و آل محمد صلى الله عليه وآله بدعائمه و كما أن البيت قائم بالدعائم والأركان كذلك الاسلام بال محمد و ذلك لما دريت أنفا أن الله تعالى انزل القرآن تبياننا لكلّ شىء و ما فرط فى الكتاب من شىء و كذا علمت انه ما من أمر يختلف فيه اثنان الا وله أصل فى كتاب الله و لكن لا تبلغه عقول الرجال، فلا بدّ للقرآن من قيم مؤيد بتأييدات سماوية حافظ للدين و مبين للكتاب المبين و ذلك القيم المبين فى كلّ عصر لا بدّ أن يكون خازن علم الله و عيبة وحيه و أن تكون أفعاله معهودة من الله حتى يحفظ الدين به و آل محمد صلى الله عليه وآله ولاية أمر الله و خزنة علمه.

فى الكافى باسناده عن الحسن بن موسى عن عليّ عن عمه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاية امر الله و خزنة علم الله و عيبة وحي الله.

وفيه عن سدير عن أبى جعفر عليه السلام قال له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: نحن خزّان علم الله و نحن تراجمة وحي الله نحن الحجّة البالغة على من دون السماء و من فوق الأرض.

قوله عليه السلام: (و ولائج الاعتصام) أى هم أهل أن يعتمد الورى عليهم و يتخذوهم ولائج و يتمسّكوا بهم، فإنهم منار الهدى و اعتصام الورى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله

مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجي و من تخلف عنها هوى.

و فى المجلس السادس و التسعين من أمالى الصدوق باسناده إلى الحكم بن الصلت عن أبى جعفر محمد بن على عن أبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: خذوا بحجزة هذا الأنزع يعنى علياً عليه السلام فانه الصديق الأكبر و هو الفاروق يفرق بين الحق و الباطل من أحبه هداه الله و من أبغضه أبغضه الله و من تخلف عنه محقه الله و منه سبطا امتى الحسن و الحسين و هما ابناى و من الحسين أئمة الهدى اعطاهم الله علمى و فهمى فتولّوهم و لا تتخذوا وليجة من دونهم فيحلّ عليكم غضب من ربكم و من يحلل عليه غضب من ربه فقد هوى و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

قوله عليه السلام:(بهم عاد الحق فى نصابه) أى بوجودهم أو بتصرفهم و ولايتهم رجع الحق إلى حدّه و مستقره و أصله و قد علم ممّا قدمنا فى هذه الخطبة أنّ الحجج الالهية هم الموازين القسط و انهم يهدون بأمر الله و لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و أنّ الرياسة إذا كانت بيدهم كان الزمان نورانيا لأنهم يحكمون بالعدل و ينطقون بالقسط و يعملون بالحق و بعد الحق ليس إلا الضلال فلو كانت الرياسة بيد غيرهم كانت الظلمات غالبية و الأباطيل رائجة و أحكام الله معطلة و يسدّ الباطل مسدّ الحق فانظر إلى الذين تولوا امور المسلمين ممّن لم يكونوا من بيت آل العصمة كالأمويين و العباسيين و غيرهم كيف شوّها الدين و لعبوا به و روجوا الباطل و عنوا به و ردّوا الأمة على أديبارهم القهقرى و أخذوا مال المسلمين طعمة لهم و لو لا سبل الهدى آل محمد صلوات الله عليهم فى قباهم لانمحت اعلام الهدى فانظر إلى سيرة أمير المؤمنين على عليه السلام بعد من تمصوا الخلافة كيف خلص الدين من المهالك و بين الحق على أوضح المسالك و لله در محمد بن الحبيب الضبى قائلا:

لو لا الأئمة واحدا عن واحد درس الهدى و استسلم الاسلام

كل يقوم مقام صاحبه إلى أن ينتهى بالقائم الأيام

قوله عليه السلام:(و انزاح الباطل عن مقامه) أى بهم زال الباطل و ذهب عن مقام الحق فان زمن ولاية أمراء الجور اقيم الباطل مقام الحق هذا ان ارجعنا

الضمير إلى الحق وإن ارجعناه إلى الباطل فالمعنى أن الباطل لما عمل به صار في قبال الحق ذا محلّ ومقام، فبال محمد صلى الله عليه و آله زهق الباطل و اجتثت شجرته الخبيثة من أصله.

قوله عليه السلام: (و انقطع لسانه عن منبته) استعار للباطل لسانا و الضمير في منبته كمقامه يحتمل الوجهين فالمعنى على الأول أنّ الباطل في منبت الحق كشوك نبت في ترعة أو كبقل مرّ نبت في زرع مزرعة فال محمد جثوا نبات الباطل من روضة الحق و انقطع لسان الباطل كناية عن اضمحلاله أو عن سكوته لأنّ قطع اللسان كثيرا ما يجعل كناية عن السكوت.

و في كلمتي لولا و لو ما من باب الحروف من شرح أنموذج الزمخشري قيل:

ان سائلا دخل على النبي صلى الله عليه و آله و أنشد بيتا فقال النبي صلى الله عليه و آله لبعض الصحابة: أقطع لسانه فاذهبه ذلك البعض ليقطع لسانه فلقاه عليّ عليه السلام فقال له: ما تريد بهذا الرجل؟ فقال: أقطع لسانه، فقال عليّ عليه السلام: أحسن إليه فان الإحسان يقطع اللسان فرجعا إلى النبي صلى الله عليه و آله فقالا له: أى شىء تعنى بالقطع يا رسول الله؟ فقال: الإحسان.

و أمّا على الوجه الثانى فظاهر معناه و لا يبعد أن يجعل كلمة «لسانه» كناية عن النبات كما أن لسان الحمل و لسان الثور و لسان الكلب و لسان العصافير و غيرها مما هي مذكورة في الكتب الطبيّة كالتحفة و غيره أسام لنباتات، كما يحتمل أن يكون المراد من لسان الباطل لسان من ينطق به و ينصره.

قوله عليه السلام: (عقلوا الذين عقل وعاء و رعاية لا عقل سماع و رواية فان روات العلم كثير و رعاته قليل) يأتي منه عليه السلام في باب المختار من حكمه (كلمة الحكمة 98) قوله: اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن روات العلم كثير و رعاته قليل.

و في اصول الكافي (ص 45 م 1 من الوافي) بإسناده إلى طلحة بن زيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن روات الكتاب كثير و إن رعاته قليل و كم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية و الجهلاء يحزنهم

حفظ الرواية فراع يرعى حياته وراع يرعى هلكته فعند ذلك اختلف الراعيان و تغاير الفريقان.

و فى الروضة منه (ص 24 م 14) من قول أبى جعفر عليه السّلام فى رسالته إلى سعد الخير: بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فانى أوصيك بتقوى الله - إلى أن قال:

و كل امة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه و ولّاهم عدّوهم حين تولوه و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه و حرّفوا حدوده فهم يروونه و لا يرعونه و الجهال يعجبهم حفظهم للرواية و العلماء يحزنهم تركهم للرعاية. الحديث بطوله.

و فى اصول الكافى بإسناده عن الحلبي عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام (فى آخر الحديث): ألا لا خير فى علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير فى قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير فى عبادة ليس فيها تفكر.

و اعلم أن النيل إلى درك حقائق ما فى الكتاب و السنّة و الفوز إلى فهم أسرارهما و التعقل و التدبّر فى معانيهما إنّما يتأتى للأوحدى من الناس الذى تنزّه عن الهواجس النفسانيّة و تخلص عن الوسواس النفسانيّة فرزق القوة العقليّة الوقادة و قدس القلب و تلطيف السرّ لأن الوصول إلى العلوم اليقينيّة ثمرة التقوى و التوجه التام إلى الله تعالى و بالتقوى يتقرب العبد إلى عالم النور و يصير من سنخه فاذا تحصل له ملكة سالحة و استعداد تامّ و سعة و جودية فيتيسر له استكشاف حقائق ما أوحى إلى سفراء الله و استعمال ما اريد به و استنباط الأحكام الالهية منه قال عزّ من قائل: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ» و قال تعالى: «وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» (آخر العنكبوت). و قال تعالى: «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسَدْنَا لَهُمْ مَاءً غَدَقًا» (الجن - 17) و قال فى المجمع: و فى تفسير أهل البيت عن أبى بصير قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام قول الله «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» قال:

هو و الله ما أنتم عليه «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسَدْنَا لَهُمْ مَاءً غَدَقًا». و عن بريد العجلي عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلّمونه من الأئمة انتهى ما فى المجمع من تفسير الآية.

والمروى عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام كما في أمالي الصدوق قال عليه السلام ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة و المدينة الحصينة هي القلب المجتمع، كما مرّ آنفاً.

وفي نهج البلاغة (الخطبة 187) قال عليه السلام: إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة وأحلام رزينة. ونعم ما قال محمد بن محمود الاملى صاحب نقائس الفنون بالفارسية:

بهوس راست نيايد بتمنى نشود اندر اين راه بسى خون جگر بايد خورد

ولا ريب أن الفائز بهذه النعمة العظمية والنائل بهذه السعادة الكبرى لا يكون إلا قليلاً من المخلصين ونعم ما قال افلاطن الحكيم (ص 8 رسالة زينون الكبير اليونانى طبع حيدر آباد الدكن 1349 هـ): إن شاق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كل طائر و سرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كل سائر وكان الشيخ الرئيس أخذ منه حيث قال فى آخر النمط التاسع من الاشارات:

جلّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحداً بعد واحد ولذا يكون رعات العلم قليل. وأما حفظ ألفاظ الكتاب و السنة ونقلهما و تصحيحهما و تجويد قراءتهما و ضبط اصطلاحات العلوم ونحوها فلا يحتاج إلى كثير تجسّم و تحمل مشقّة و عناء ولذا يكون روايتها كثير.

ثم إن أسلوب الكلام يقتضى أن يقال: فان روات الدين كثير و رعاته قليل و انما عدل من الدين إلى العلم اشارة إلى أن الدين هو العلم و ما يحتويه الكتاب و السنة علم ليس إلا قال الله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ» - إلى قوله: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: 157) وقال تعالى كذا: العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء.

وقال تعالى: «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (الحديد: 9) فما انزل معه علم ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

فی الکافی عن اَبی البختری عن اَبی عبد الله علیه السلام قال: اِنَّ العلماء ورثة الانبياء و ذاك اِنّ الانبياء لم يورثوا درهما و لا دینارا و اِنما اورثوا احادیث من احادیثهم فمن اأخذ بشيء منها فقد اأخذ حظا و افرا - الحدیث. و الحمد لله رب العالمین.

الترجمة

این یکی از خطبه های ولیّ الله اعظم است که در آن آل محمد صلوات الله علیهم اجمعین را بأوصافی نام می برد:

آل محمد زندگی دانش و مرگ نادانی اند (بوجودشان دانش زنده است و نادانی مرده) بردباریشان از دانششان آگاهی می دهد، و خاموشیشان از حکمت (یا - از حکم) گفتارشان. (بردباری بجا حاکی از پختگی عقل و علم است و خاموشی بجا دلیل بر صواب گفتار که آن گفتار نیز بجا و صواب است) نه با حق مخالفت کنند و نه در آن اختلاف. ایشان ستون خانه اسلام اند و معتمد و راز دار کسی که چنگ بذیل عنایتشان در زند، بوجود ایشان حق بجای خود آمد و باطل از جایش بر کنده و زبانش از رستگارش بریده شد. دین را در دل نگاشته و حرمت آن را نگاهداشته اند نه چون کسی که فقط آنرا شنیده و روایت کرده (که بحقیقت آن نرسیده و واقع آنرا نیافته است) چه راویان علم بسیارند و پاس داران آن کم.

و من کلامه علیه السلام و هو المأنان و الثامن

اشارة

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

قاله لعبد الله بن العباس و قد جاءه برسالة من عثمان و هو محصور یسأله فیها الخروج اإلی ماله بینبع لیقلّ هتف الناس باسمه للخلافة من بعد أن کان سأله مثل ذلك من قبل فقال له علیه السلام:

ص: 176

يا ابن عباس ما يريد عثمان أن يجعلني إلا جملا ناضحا بالغرب أقبل و أدبر بعث إليّ أن اخرج، ثم بعث إليّ أن اقدم، ثم هو الان يبعث إليّ أن اخرج و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما.

اللغة

قال ياقوت الحموي في مراصد الاطلاع: (ينبع) بالفتح ثم السكون و الباء موحدة مضمومة و عين مهملة «على وزن ينصر» مضارع نبع: حصن و قرية عتاء على يمين رضوى لمن كان منحدرًا من أهل المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى.

و هي لبني حسن بن عليّ بن أبي طالب و فيها عيون عذاب و واديها يليل يصب في عنقها قيل: أقطعها عمر عليًا رضى الله عنه. انتهى كلامه. و في النهاية أيضا انها قرية كبيرة بها حصن على سبع مراحل من المدينة من جهة البحر. و قيل على أربع مراحل.

و في أخبارنا انه من أوقف عليّ أمير المؤمنين عليه السلام اجرى عينه. و ان صحّ الأول فلا منافاة بينهما كما لا يخفى. و الله تعالى يعلم.

قال الجوهري في الصحاح: (الهتف): الصوت، يقال: هتفت الحمامة تهتف هتفا و هتف به هتافا أي صاح به. و قوس هتافة و هتفى أي ذات صوت. و المراد هنا أن الناس كانوا ينادون باسمه عليه السلام للخلافة.

(الناضح) بالحاء المهملة: البعير الذي يستقى عليه الماء من النضح بمعنى الرش و الشرب دون الرىّ كالنضح بالخاء المعجمة و قيل: النضح بالمعجمة أبلغ منه و قيل: دونه، و يؤيد الأول قوله تعالى «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ» أي فوّارتان غزيرتان و لكن لا يقال للبعير الذي يستقى عليه الناضح بالمعجمة. و انشئ الناضح: الناضحة و جمعها نواضح قال قسام بن رواحة السنبسيّ (الحماسة 330)

لبس نصيب القوم من أخويهمطراد الحواشي و استراق التواضح

وَأَمَّا سَمَى الَّذِي يَسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءَ نَاضِحًا أَوْ الَّذِي يَسْتَقَى عَلَيْهَا الْمَاءَ نَاضِحَةً أَوْ نَوَاضِحًا لِأَنَّهُ جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَنْضِحُ الزَّرَاعَاتِ وَالنَّخِيلَ. وَهَمْ يَسْمَوْنَ الْأَكْثَارَ النَّضْحَ أَيْ الَّذِي يَنْضِحُ عَلَى الْبَعِيرِ أَيْ يَسُوقُ النَّاضِحَةَ يَسْقَى نَخْلًا.

وَيُقَالُ لِأَنثَى النَّاضِحِ السَّانِيَةِ أَيْضًا.

قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ 747: النَّضْحُ كَالنَّضْحِ إِلَّا أَنَّ النَّضْحَ لَهُ أَثَرٌ وَالْعَيْنُ تَنْضِحُ بِالْمَاءِ. وَكَذَلِكَ الْكَوْزُ. وَالنَّضِيحُ الْعِرْقُ لِأَنَّ جَرْمَ اللِّسَانِ يَنْضِحُ بِهِ وَسَمَّى أَبُو ذُؤَيْبٍ الْهَذْلَى سَاقِي النَّخْلِ نَضْحًا كَمَا سَمَّى الْبَعِيرَ الَّذِي يَسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءَ النَّاضِحَ. فَعَلَى ذَلِكَ قَالَ الْهَذْلَى:

هَبْطَنَ بَطْنِ رَهَاطٍ وَاعْتَصَبَنَ كَمَا يَسْقَى الْجَذُوعَ خِلَالَ الدَّوْرِ نَضْحًا

(الغرب) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة: الدلو العظيمة. سميت الدلو غربا لتصور بعدها في البئر.

ثُمَّ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسِ بْنِ أَبِي عَامِرِ السُّلَمِيِّ الصَّحَابِيُّ قَبْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ فِي آيَاتٍ لَهُ:

أَرَاكَ إِذَا قَدِ صَرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا يُقَالُ لَهُ بِالْغَرْبِ أَدْبَرَ وَأَقْبَلَ

وَآتَى سَبْعَةَ آيَاتٍ مِنْهَا أَبُو تَمَامٍ فِي الْحَمَاسَةِ 149 الَّتِي نَقَلَهَا.

الاعراب

كَلِمَةٌ مَا نَافِيَةٌ. وَكَلِمَةٌ أَنْ بِالْفَتْحِ وَالسُّكُونِ حَرْفٌ مَصْدَرِي نَاصِبٌ لِيَجْعَلَنِي فَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ لِيُرِيدَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيِبَهَا» وَكَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا. وَكَلِمَةٌ أَنْ إِذَا كَانَتْ مَصْدَرِيَّةً تَقَعُ فِي مَوْضِعَيْنِ أَحَدَهُمَا فِي الْإِبْتِدَاءِ فَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» وَالثَّانِي بَعْدَ لَفْظِ دَالٍ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْيَقِينِ فَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ» الْآيَةَ. وَفِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ كَمَا عَلِمَ. وَفِي مَوْضِعِ جَرٍّ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ» الْآيَةَ. وَاسْتِثْنَاءً مَفْرُغٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَيَأْتِي اللَّهُ»

«إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» فقولته عليه السلام جملاً ناضحاً معمولاً يجعلني وناضحاً صفةً للجمل وبالغرب متعلقٌ بكلِّ واحدٍ من أقبل وأدبر لا بالناضح والشاهد بيت العباس بن مرداس المقدم أنفاً ويمكن أن يقرأ «أقبل» على صيغة الأمر وكذا «أدبر» أى يقول لى عثمان: أقبل وأدبر كما يقول النضاح للجمل الناضح، والظاهر أن صيغة التكلم فيهما كما اخترناها انسب بأسلوب العبارة. بعث إلى. إلخ بيان لقوله المقدم كان سائلاً سأله عن قوله كيف جعلك جملاً ناضحاً إلخ؟ فاجاب بعث إلى إلخ وقوله: والله لقد دفعت، اخبار عن نفسه أنه دفع عنه غير مرة كما يأتي فى الشرح، وكلمة أن فى المواضع الثلاثة دون الاولى والاخرة مفسرة بمنزلة أى. والشرط فى المفسرة أن تكون مسبوقه بجمله فيها معنى القول دون حروفه نحو قوله تعالى «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ» وقوله تعالى «وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْسُرُوا» ويصح أن يقرأ «أخرج» فى الموضوعين و«أقدم» على هيتى التكلم والأمر واللام فى لقد دفعت لام جواب القسم كقوله تعالى: «تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا» وقوله تعالى «تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ».

المعنى

إشارة

سيأتى ذكر ما فعل عثمان بن عفان فى أوان رئاسته و أيام أمارته و ما فعل الناس به عند قول أمير المؤمنين على عليه السلام من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة و جبهة الأنصار و سنام العرب - إلخ فى أول باب المختار من كتبه و رسائله.

قول الرضى رضى الله عنه (و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع - اه) ان الصحابة بأجمعهم اجمعوا على حربه لما رأوا منه أشياء منكره تفرع سمعك و كانوا يومئذ بين خاذل و قاتل حتى حصروه فى داره و منعه من الماء أياما و آخر الأمر قتلوه فى بيته بين ولده و نسائه فى المدينة و دار الهجرة و هو بين ظهرانى المسلمين حتى قيل إن المجمعين على قتل عثمان كانوا أكثر من المجمعين على بيعته لأجل أحداثه التى نقومها منه.

وإما سأله الخروج إلى ينبع ليقبّل هتف الناس باسمه للخلافة، وذلك

لما رأى ان ميل الناس إلى عليّ عليه السّلام و كانوا يذكرونه عليه السّلام على رءوس الأشهاد و يهتفون أى ينادون باسمه للخلافة.

قال الطبرى فى تاريخه (ص 409 ج 3 طبع مصر 1357 هـ) قالوا لعثمان:

إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحققت بها الخلع و ما كان لنا أن نرجع حتّى نخلعك و نستبدل بك من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله من لم يحدث مثل ما جربنا منك و لم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا و اعتزل أمرنا فان ذلك اسلم لنا منك و اسلم لك منا.

أقول: و هم يعنون بذلك الصحابى الذى لم يحدث مثل ما احدث عثمان أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام لما سنبين أن قلوب الجماعة كانت معه عليه السّلام و لذا خاف عثمان من ذلك كل الخوف حتّى رأى أن لو يخرج عليّ عليه السّلام من بينهم كان الأمر عليه أهون.

قال الشّارح كمال الدّين ابن ميثم البحرانى: و قد كان قصده بتلك الرسالة من بين سائر الصحابة لأحد أمرين أحدهما ما اخترناه، و الثانى: انه كان يعتقد أنّ له شركة مع النّاس فى فعلهم به و كانت بينهما هناة فكان بعثه له من بين الجماعة متعينا لأنّهم ان رجعوا بواسطته فهو الغرض و ان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد و هو تأكد ما نسبه إليه من المشاركة فى أمره و بقاء ذلك حجة عليه لمن بعده ممّن يطلب بدمه حتّى كان بسبب هذا الغرض الثانى ما كان من الوقائع بالبصرة و صفين و غيرهما. انتهى.

أقول: هذا الأمر الثّانى ينافى ما صرّح به الرضى رضوان الله عليه حيث علل سؤال عثمان خروجه عليه السّلام إلى ينبع بقوله: ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة و لا شك أن الرضى كان اعرف بذلك منه على أنه ينافى أيضا قوله عليه السّلام: و الله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثما. و قوله عليه السّلام المنقول من الطبرى كما يأتى: و الله ما زلت أذبّ عنه حتّى أنّى لأستحى. و مع ذلك ينافى قوله عليه السّلام: ثمّ بعث إلى أن اقدم أيضا. لأن عثمان لو رأى أنّ له عليه السّلام شركة معهم فى قتله ما

سأله الاقدام من ينبع إليه و هذا بعيد جدًا إلا أن يقال إنما عرضه ذلك الغرض بعد قدومه المدينة من ينبع فسأله الخروج إليه ثانيا و لكنه ينافى الأولين كما دريت، فالصواب هو الأمر الأول المختار.

قوله عليه السلام: (يا ابن عباس ما يريد عثمان أن يجعلني إلا جملا ناضحا بالغرب اقبل و ادبر) هذا يقال لمن كان مستخرا لغيره و ينقاد فعله و قوله كانه لا رأى له و لا اعتبار و لا تدبر و لا اختيار متى قال الغير له أدبر عن كذا يدبر و إذا قال له أقبل له كذا يقبل. كالبعير الناضح يقال له ادبر و اقبل بالغرب و هو ينقاد و يلتزم. قال العباس بن مرداس السلمى الصحابي كما فى الحماسة لأبى تمام (الحماسة 149):

ابلع أبا سلمى رسولا يروعه و لو حلّ ذا سدر و أهلى بعسجل

رسول امرىء يهدى إليك نصيحة فإن معشر جادوا بعرضك فابخل

و إن يؤوك مبركا غير طائل غليظا فلا تنزل به و تحوّل

و لا تطمعن ما يعلفونك إنهم أتوك على قرباهم بالممثّل

أبعد الإزار مجسدا لك شاهدا اتيت به فى الدار لم يتزّيل

أراك إذا قد صرت للقوم ناضحا يقال له بالغرب أدبر و أقبل

فخذها فليست للعزيز بحطّة و فيها مقال لا مرىء متدلّل

قوله عليه السلام: (بعث إلى أن اخرج، ثم بعث إلى أن أقدم، ثم هو الان يبعث إلى أن اخرج):

هذا شرح و تفسير لقوله المقدم أن عثمان اراد ان يعامل معه معاملة النضاح للنضاح فقال عليه السلام: بعث إلى أن اخرج من المدينة إلى ينبع ثم بعث إلى أن أقدم من ينبع إليها ثم هو الان بعث ان عباس و يطلب خروجه إلى ينبع ثانيا.

قوله عليه السلام (و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما).

و كان عثمان قد قسم المال و الأرض فى بنى امية فبدأ ببني أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف و اعطى بنى عثمان مثل ذلك و قسم فى

بنى العاص و فى بنى العيص و فى بنى حرب و لانت حاشية عثمان لاولئك الطوائف و أبى المسلمون إلا قتلهم و أبى إلا تركهم قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه: فلما نزل القوم ذا خشب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع فلما رأى عثمان ما رأى جاء عليًا فدخل عليه بيته فقال يا ابن عمّ إنّه ليس لى مترك و إن قرابتى قريبة و لى حقّ عظيم عليك و قد جاء ما ترى من هؤلاء القوم و هم مصبحى و أنا أعلم أن لك عند الناس قدرا و أنّهم يسمعون منك فأنا احبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنيّ - إلى أن قال: فركب عليّ و ركب معه نفر من المهاجرين و كلّهم على و محمّد ابن مسلمة و هما اللذان قدما فسمعوا مقالتهما و رجعا.

و قال (ص 433) بإسناده عن عكرمة عن ابن عبّاس لما حصر عثمان الحصر الاخر، قال عكرمة فقلت لابن عبّاس أو كانا حصرين؟ فقال ابن عبّاس الحصر الأوّل حصر اثنتى عشرة و قدم المصريون فلقبهم عليّ عليه السّلام بذى خشب فردّهم عنه و قد كان و الله عليّ له صاحب صدق. إلى آخر ما قال.

ثمّ قال الطبرى و المسعودى: و لما انصرفوا فصاروا إلى الموضع المعروف بحمّس إذا هم بسلام على بعير و هو مقبل من المدينة فتأملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فأقرّ و أظهر كتابا إلى ابن أبى سرح صاحب مصر: إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان و اقتل فلانا و افعل بفلان كذا و أحصى أكثر من فى الجيش و أمر فيهم بما أمر فرجعوا إلى المدينة و حصروا عثمان فى داره و منعه الماء فأشرف على الناس و قال: ألا أحد يسقينا؟ - إلى أن قال: فبلغ عليا طلبه الماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء. قال المسعودى: فلما بلغ عليًا أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن و الحسين و مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرتة و أمرهم أن يمنعوه منهم.

قال الطبرى: (ص 410) و كان عثمان يسترجع ممّا يرى على الباب فقال مروان: إن كنت تريد أن تذبّ عنه فعليك بابن أبى طالب فانه متستر و هو لا يجبه فخرج سعد حتّى أتى عليًا و هو بين القبر و المنبر فقال: يا أبا حسن قم فداك أبى و امى جنتك و الله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد تصل رحم ابن عمّك و تأخذ بالفضل

عليه و تحقن دمه و يرجع الأمر على ما نحبّ قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى فقال على عليه السلام: تقبل الله منه يا أبا إسحاق و الله ما زلت أذبّ عنه حتى أنى لأستحي - إلى آخر ما قال.

و قال أيضا: لمّا حصروا عثمان جاء قوم عليا عليه السلام فكلّموه فى عثمان فاقبل على عليه فجعل يخبره ما وجدوا فى كتابهم - إلى أن قال: ثمّ أقبل عثمان على على عليه السلام فقال: إن لى قرابة ورحما و الله لو كنت فى هذه الحلقة لحللتها منك فاخرج إليهم فكلّمهم فانهم يسمعون منك إلى آخر ما قال و سيأتى تفصيله.

أقول: لو لا تصريح الرضى بقوله: يسأله فيها الخروج إلى ما له بينع، لأمكن أن يفسّر قوله عليه السلام أن اخرج و أن أقدم بما قدمنا من الطبرى و المسعودى اى اخرج إلى الناس فردّهم عنى، و كذا أن أقدم أى أقدم إلى كما دريت انه مرة استغاثه بالنصرة و مرّة استسقاها فقال: أ لا أحد يسقينا. و مرّة دخل عليه بيته عليه السلام و سأله أن يرّد الناس عنه.

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: حتى خشيت أن أكون آثما. يحتمل وجوها الأوّل ما يتبادر إليه الذهن و يلوح له بدوا أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام نها عثمان غير مرّة عن الاحداث التى كان يرتكبها و بالغ فى النهى فلم ينته منها - كما سنتلو طائفة منها عنقريب فى أوّل باب المختار من كتبه و رسائله عليه السلام انشاء الله تعالى - و كذا قد دفع عنه غير مرة كما دريت و مع ذلك كلّ لم ينته و لم ينته فكان عثمان آثما فى أفعاله المخالفة للدين و مصرا عليها و لا كلام أن معاونة الإثم إثم أيضا فلو تظاهر عليه بالإثم كان عليه السلام اثما قال تعالى: «تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ العُدْوَانِ» (المائدة - 4) و ذمّ تعالى قوما أيضا فى الكتاب بقوله: «وَ تَرى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فى الْإِثْمِ وَ العُدْوَانِ» الاية (المائدة - 68).

الثانى انه عليه السلام اراد منه أنى و الله لقد دفعت عنه كره بعد كره حتى خشيت أن ألقى نفسى فى الهلكة و يقتلنى الناس و قتل النفس حرام فمن ارتكبه آثم.

الثالث أن يكون المراد انى خشيت الإثم بما نلت منهم لما جاهدتهم فى الدفع عنه من الضرب و الشتم و غلظ القول و امثالها.

تنبیه

لا- شبهة أن الايات و الأخبار التى جاءت فى فضيلة الجهاد لا ينالها يد إنكار بل هى من ضروريات الدين فلو كان عثمان إماما عدلا مستحقا للدفاع عنه لرأى علىّ عليه السلام الجهاد دونه واجبا سواء كان قتل أو قتل و ما يتفوه بقوله: ما يريد إلا أن يجعلنى جملا ناضحا، أو بقوله: لقد خشيت أن أكون آثما. فتبصّر.

الترجمة

این یکی از کلام امیر المؤمنین علیه السلام است که بعبد الله بن عباس فرمود.

ابن عباس از جانب عثمان هنگامی که محصور بود و مردم گرد خانه او را در مدینه محاصره کرده بودند، نزد آن حضرت آمد که آن بزرگوار از مدینه بیرون رود و به ینبع که از آن حضرتش بود بسر برد تا مردم نامش را برای خلافت کمتر یاد کنند و بدان شعار ندهند و فریاد نزنند، و مثل این خواهش را پیش از این باره نیز از آن جناب کرده بود، امیر المؤمنین علیه السلام در جواب ابن عباس فرمود:

ای پسر عباس! عثمان جز این نمی خواهد که مرا چون شتر آبکش گرداند بیایم و بروم (مسخر او باشم) یک بار بمن فرستاد که (از مدینه) بیرون رو (و در ینبع باش) باز فرستاد که (از ینبع بیا) اکنون باز می گوید از مدینه بیرون رو و در ینبع بسر ببر، سوگند به خدا بس که (در حق او دفاع کردم و مرگ و دشمن را) از او دفع کردم بیم آن دارم که گناهکار باشم.

إشارة

و الثلاثون من المختار في باب الخطب،

يحث فيه أصحابه على الجهاد

و الله مستأديكم شكره، و مورثكم (أو - مورثكم) أمره، و ممهلكم في مضمار ممدود (محدود - خ ل) لتنازعوا سبقه، فشدوا عقد المازر، و اطووا فضول الخواصر، لا تجتمع عزيمة و وليمة. ما أنقض النوم لعزائم اليوم و أمحى الظلم لتذاكير الهمم.

اللغة

يقال: استأدى فلانا مالا إذا صادره و اخذه منه. و استأديت ديني عند فلان أي طلبته و في كثر اللّغة استنداء طلب أداى چیزی كردن فقوله عليه السلام (مستأديكم شكره) أي طالب منكم أدائه على نعمه، (ممهلكم) أي معطيكم مهلة، يقال أمهله إذا أنظره و أجله، (مضمار) الموضوع الذي تضم فيه الخيل للسباق أي تحضر له لتنازعوا و تتنافسوا في سبقه و يقال بالفارسية: میدان اسب دوانی. و جای ریاضت دادن اسبان. المضمار أيضا مدة تضمير الخيل، أي اسم للمكان و الزمان و جاء بمعنى غاية الفرس في السباق أيضا. (سبق) في الصحاح: السبق بالتحريك: الخطر الذي يوضع بين أهل السباق. يعني هو الخطر الذي يتراهن عليه المسابقون و يأخذه السابق منهم. و في منتهى الأرب: سبق محرّكة: آنچه گرویندند بر آن بر اسب دوانیدن و تیر انداختن و جز آن، أسباق جمع، (العقد) جمع العقدة كالغرف جمع الغرفة أي ما يمسك الشيء و يوثقه. (المازر) جمع المئزر و المئزرة أي الإزار كاللحاف و الملحف و الملحفة جمعها ملاحف. (اطووا) من الطىّ و أصل الطىّ: الثنى

و القبض و ضدّ النشر. قال الشاعر:

طوتك خطوب دهرک بعد نشر

(الخواصر) جمع الخاصرة أى الشاكلة و بالفارسية: تهیگاه میان و فى منتهى الأرب خاصرة كصاحبة تهیگاه و آنچه میان سرسرين و کوتاه ترين استخوان پهلو است قال الحسين بن مطير فى أبيات له (الحماسة 460)

مخصّرة الأوساط زانت عقودها بأحسن ممّا زيّنتها عقودها

يريد أنها دقيقة الخصور غير واسعة الجنوب. و قال آخر:

فتى لا يرى قدّ القميص بخصره و لكنّما تقرى القرى مناكبه

(الوليمة) طعام العرس و قيل كلّ طعام صنع لدعوة أو غيرها و قيل كلّ طعام يتخذ لجمع الجمع و لائم لكنها ههنا كناية عن لذات الدنيا و خفض العيش و الدعة.

و (الظلم) كالغرف جمع الظلمة كالغرفة و المراد بها الليل و (التذاكير) جمع تذاكر لأن التذكرة جمعها تذاكر.

الإعراب

اللام من لتتنازعا جارة للتعليل متعلقة بالممهل و الفعل منصوب بأن الناصبة المصدرية المقدرة أى لأن تتنازعا. و الفاء فى فشدوا فصيحة تنبىء عن محذوف يدلّ عليه ما قبلها أى إذا أمهلكم الله فى مضمار لتتنازعا سبقة فشدوا عقد المازر.

و ما أنقض و أمحى صيغتا تعجب اى و ما امحى الظلم.

المعنى

كلامه عليه السلام فى التحريض على القتال و الحثّ على الجهاد و فضل المجاهدين و فى ذم القاعدين عنه ذكر فى عدة مواضع من النهج كلّها كاف شاف لفظا و معنى على حدّ لا يتأتى لأحد أن ينسج المعانى بالألفاظ بذلك المنوال و من تأملها حق التأمل درى أنها فوق كلام المخلوق.

على أنّها كما تدلّ على قدرة بيانه كذلك يدلّ على كمال شجاعته و قدرته الروحيّة و مما بلغ إلى حدّ التواتر أنّ صولته و سطوته و شجاعته أعجزت الأبطال

وقد أقر أعداؤه بذلك ما ولى عليه السلام عن أحد قط مع طول ملاقاته الحروب و كثرة من لاقاه من صناديد الأعداء و من تأمل الأخبار فى الغزوات علم أن قواعد الاسلام ثبتت بجهاده عليه السلام و أن هذه القوة ما كانت بقوة جسدانية بل بتأييدات الهيّة كما قال عليه السلام: و الله ما قلعت باب خبير بقوة جسدانية بل بقوة الهيّة و نعم ما اشار إليه العارف الرومى:

این چراغ شمس کو روشن بود نز فتيله پنبه و روغن بود

سقف گردون کانچنین دائم بود نز طناب و استنى قائم بود

قوت جبريل از مطبخ نبود بود از دیدار خلاق و دود

همچنین این قوت ابدال حق هم ز حق دان نز طعام و از طبق

جسمشان را هم ز نور اسرشته اند تا ز روح و از ملک بگذشته اند

على انه عليه السلام فى بعضها يعلم فنون الحرب و فى بعضها قانون تعبىة العسكر و فى بعضها وظيفة المجاهد قبال الخصم من الأفعال و الأقوال لارشاده و هدايته و فى بعضها وظيفته قباله للحراب و القتال كقوله عليه السلام: انه تعالى يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفًا كآتهم بنیان مرصوص فقدّموا الدارع و أخروا الحاسر و عضوا على الأضراس فآته أنبا للسيوف على الهام و التووا فى أطراف الرماح فآته أمور للأسنة و غضوا الأبصار فآته أربط للجاش و أسكن للقلوب و أميتوا الأصوات فآته أطرده للفشل و أولى بالوقار. و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلوها و لا تجعلوها إلا فى أيدى شجعانكم فانّ المانعين للذمار و الصّابرين على نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم و يكشفونها رحم الله امرء منكم آسا أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك لائمة و يأتي به دنائة و لا تعرضوا لمقت الله و لا- تقروا من الموت فانّ الله سبحانه تعالى يقول: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تَمُنَّوْنَ إِلَّا قَلِيلًا» و أيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة فاستعينوا بالصبر و الصّلاة و الصدق فى النية فانّ الله تعالى بعد الصبر ينزل النصر.

ولو تعرضنا لكلماته عليه السلام في الجهاد والمجاهد لكثير بنا الخطب فالأولى بنا الان أن نشئ القلم على تفسير جمل كلامه هذا عليه السلام.

قوله عليه السلام: (و الله مستأديكم شكره) أى إن الله تعالى طالب منكم أداء شكره على نعمه والقيام به كما أمر به فى مواضع كثيرة من كتابه كقوله تعالى «وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (البقرة - 168) وقوله تعالى «وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونَ» (البقرة - 148) وقوله تعالى: «وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (النحل - 116) وغيرها من الآيات.

ثم ان ههنا كلاما وهو ان كلامه عليه السلام يكون فى حث أصحابه على الجهاد وأى ارتباط لقوله عليه السلام «و الله مستأديكم شكره» بالجهاد؟ الجواب أن أداء الشكر بإزاء نعمته إنما هو باختلاف النعم وموارده فكما أن التوبة عن المعاصى مثلا ليست التكلم بالاستغفار أو تبت وأمثالهما بل التوبة على الغضب إنما هى رد مال الغير إليه والعزم على تركه فى الاستقبال والتوبة على ترك الصلاة قضاؤها كذلك وهكذا فى كل معصية كانت التوبة بحسبها، كذلك شكر النعمة إنما يكون بحسبها فقد يكفى التكلم بالحمد لله مثلا فى أداء الشكر بإزاء نعمة ولما كان دين الله و كتابه الحاوى لسعادة الدارين والداعى إلى الخير والهدى من أعظم نعمه فمن كفر بهذه النعمة العظمى فقد خسر خسرا مبينا وعدم الكفران بها وأداء الشكر لها أن يتنعم بها ويحفظها ويمنعها من كيد الأجنب وسبيله الجهاد فالله يطالب أداء شكره بإزاء هذه النعمة الكبرى أى الجهاد فى سبيله لحفظ الدين ورفع كيد المعاندين.

و الحمد لله رب العالمين.

قوله عليه السلام: (و مورثكم أمره) أمره تعالى هو سلطانه ودولته الحققة فى الأرض يورثه عباده الصالحين والمحافظين على رعاية أمره ونهيه من اقامة الصلاة وأداء الزكاة والقيام بالجهاد وغيرها من الفرائض والانتهاى مما نهى وحرم قال:

عز من قائل: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران - 134) وقوله تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي»

«الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» الآية (النور - 55) وقوله تعالى: «وَأَوْزَتَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطُوهَا» الآية (الأحزاب - 28). وقوله تعالى: «فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ» (محمد - 38).

ثم ان كلامه عليه السلام هذا يشير أيضا إلى أن أمر الدولة سيرجع إليكم و يزول أمر بنى امية كما أفاد الفاضل الشارح المعتزلى.

قوله عليه السلام: (و ممهلكم فى مضمار ممدود لتتنازعا سبقه) وفى بعض النسخ فى مضمار محدود و كلاهما حق فان المضمار الممدود اى العمر محدود لا محالة «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَفِدُّونَ» (النحل-64).

شبه عليه السلام الاجال المقدرة التى ضربت للناس أعنى مدة حياتهم بالمضمار للخيال لغاية السبق فان الدنيا متجر أولياء الله و مكسب الصلحاء ليس للانسان إلا أن يسارع إلى مغفرة من ربه و يسابق غيره فى الاتصاف بالأوصاف الالهية و التخلق بالأخلاق الربانية حتى يتقرب إلى حضرته جلّ و علا، فان تلك الغاية القصوى هى سبق السالكين و منتهى رغبة الراغبين.

ثم لما كان كلامه عليه السلام فى الحثّ على الجهاد فلا بدّ أن يكون دالاً على فضل المجاهدين خاصة فى حرصهم بالمنافسة فى سبق مضمار القتال و هو الجدة و الراضون و الغفران و الحياة الطيبة و العيش الرغد، و قال عليه السلام فى بعض خطبه الماضية فى تحضيضه على القتال: معاشر المسلمين إن الله قد دلکم على تجارة تنجیکم من عذاب أليم و تشفى بکم على الخیر العظیم: الايمان بالله و برسوله و الجهاد فى سبيله و جعل ثوابه مغفرة الذنب و مساكن طيبة فى جنات عدن. إلى آخر ما قال.

و كذا قال عليه السلام فى (الخطبة 27): أما بعد فانّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه. إلى آخرها.

وقال عزّ من قائل: «و لا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيلِ الله أموالاً بلّ أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ»

«مِنْ حَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» (آل عمران - 166).

قوله عليه السلام: (فشدوا عقد المازر) عقد الإزار كناية عن الجدّ و التشمير يقال:

فلان شدّ عقد إزاره أو كشف عن ساقيه أو شمّر عن ساقيه أو شمّر ذيله إذا تهيأ لأمر هائل و خطب عظيم و فطّيع لأنّ من عادة التّاس أن يشدّوا عقد إزارهم أو يشمّروا عن سوقهم و ذبولهم و يقلصوا أكمامهم عند الأمور الصعبة لأن الشدّ و التشمير عندها أمكن للقراع و الدفاع فإنّ من شدّ عقد الإزار أمن من انحلاله و لا يشغله عما هو بصدده فيمضى في عمله غير خائف على انه كان أسرع للمشى و أبعد عن العثار كما إذا شدّ و ضين الابل و الخيل و نحوهما أمن القتب أو الهودج أو السرج و أمثالها و من عليها من الاضطراب بخلاف إذا كان قلقا. و قالت العوراء ابنة سبيع (الحماسة 395).

طَيَّان طَاوَى الْكَشْحَ لَا يَرْخَى لِمَظْلَمَةِ إِزَارِهِ

تريد انه عقد الإزار شديدا إذا نابته النوائب لا يرخي إزاره، و كذا من شمّر ذيله قال قيس بن زهير بن جذيمة العبسي:

وإذا شمّرت لك عن ساقها فويها ربيع فلا تسأم

و قال الاخر:

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا و جدّت الحرب بكم فجدّوا

و كذا يقال لأمر هائل اشتدّ أنه شمّر أو شمّر عن ساقيه. قال الشّاعر (الحماسة 640).

و مستعجل بالحرب و السلم حظه فلما استثيرت كلّ عنها محافره

و حارب فيها بامرئء حين شمّرت من القوم معجاز لئيم مكاسره

أى حين شمّرت و كشفت الحرب عن ساقها. و في الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (ص 129 طبع مصر 1318 هـ) ممّا سأل نافع بن الأرزق ابن عباس أنّه قال له: اخبرني عن قوله تعالى «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» قال: عن شدّة الاخرة أما سمعت

قول الشاعر؟ قد قامت الحرب بنا عن ساق.

قوله عليه السلام: (واطووا فضول الخواصر) الظاهر والأنسب في المقام أن مراده عليه السلام من هذه الجملة كالتى سبقتها ارشاد إلى الجدد والتهيأ للقتال فان لثياب العرب سعة فاضلة فاذا طووا فضول الخواصر عليها وقلصوا الذبول كان القتال والمشى لهم أهون وأمكن فان الفضول تمنع عن الجلد والاسراع وتعوق عن السبق والحراك. وهذا المعنى يقال بالفارسية: میان بستن، كمر بستن و امثالهما قال المسعود بن سعد بن سلمان في مدح سيف الدولة:

بربسته میان و در زده ناوک بگشاده عنان و در چده دامن

(1) أو أن مراده عليه السلام أن ما طال من الثياب التّفوه و اطووه على الخاصرة وذلك لأنّ من شرع بجدد و اجتهاد في عمل يطوى ما فضل من إزاره طولاً و يلتفّ بقدميه على خاصرته و يجعله محكما فيها لئلا يمنعها عن المشى و الجدد و السراع كما يقال بالفارسية: دامن بكمز زد و دامن در چیده و کاتما أراد هذا المعنى من قال: قوله عليه السلام و اطووا فضول الخواصر أى ما فضل من مازركم يلتفّ على اقدامكم فاطووه حتّى تخفوا في العمل و لا يعوقكم شىء عن الاسراع في عملكم.

و بالجملة على الوجه الأوّل طوى ما فضل و زاد من الثياب عرضاً و سعة على الخاصرة و على الثانى طوى ما فضل و زاد طولاً عليها.

و يمكن أن يجعل الأمر بطوى فضول الخواصر كناية عن النهى عن كثرة الأكل لأنّ الكثير الأكل لا يطوى فضول خواصره لامتلائها بل يملئها، و القليل الأكل يأكل في بعضها و يطوى بعضها على أن البطنة تذهب الفطنة و تمنع عن الحملة على الفتنة و كانت العرب عند الحرب تمسك عن الأكل و الشبع لذلك و كثيرا ما يوجد في اشعارهم و امثالهم مدح خميص البطن، ياس الجنين، منضم الضلوع، متقارب الجنين، أهضم، طاوى الكشح، مطوى الكشح و الجنب، طيان، صغير البطن، مهضوم الجنين. قليل الطعم، طى البطن، ضامر البطن و نظائرها الكثيرة المتقاربة المعنى كما يوجد في أمثال الفرس و أشعارهم مما لا يحصى كثرة قال السعدى:

ص: 191

1- (1) در چده مخفف در چیده.

اسب لاغر میان بکار آید روز میدان نه گاو پرواری

و ذهب إلى هذا المعنى الشارح الفاضل المعتزلى و اتى بثلاثة أبيات شاعها حيث قال: قال الشاعر:

كلوا فى بعض بطنكم و عّفوا فان زمانكم زمن خميص

و قال أعشى باهلة:

طاوى المصير على العزا متصلت بالقوم ليلة لا ماء و لا شجر

و قال الشقري:

و اطوى على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطة ما رى تغار و تقتل

و ذهب الشارح الفاضل البحراني إلى أنّ طىّ فضول الخواصر كناية عن الأمر بترك ما يفضل من متاع الدنيا على قدر الحاجة من ألوان الطعوم و الملابس و سائر قينات الدنيا و أصله أن للخواصر و البطون احتمال أن يتسع لما فوق قدر الحاجة من المأكل فذلك القدر المتسع لما فوق الحاجة هو فضول الخواصر و كنى بطيها عمّا ذكرناه من لوازم ذلك الطىّ ترك تلك الفضول. انتهى.

أقول: بيان البحراني رحمه الله و إن كان له مناسبة ما بالجهد فإنّ المجاهد يعرض عن نفسه و الدنيا و ما فيها لكن إرادة هذا المعنى من قوله عليه السلام لا يخلو من تكلف بل بعيد جدًا غاية البعد و إلاّ فإن من كلام إلاّ و له مناسبات بعيدة و ملازمات غريبة و الصواب أن يفسّر قوله عليه السلام الاتى «لا تجتمع عزيمة و وليمة» بهذا المعنى أو قريب منه. و لو قيل: فليكن هذه الجملة التالية قرينة على ارادة ذلك المعنى من الأولى ردّ بلزومه التكرار و التأسيس خير منه و لو كان تأكيدا. فتأمل.

قوله عليه السلام: (لا تجتمع عزيمة و وليمة) أى من اهتمّ بأمر و اراد ارادة جازمة على تحصيله و اقتنائه لا بدّ أن يغضى عينه عن اللذات و الدعة و خفض العيش فكنى بالوليمة عنها كما مضى و لا تقتنى الفضائل النفيسة إلاّ بالكفّ عن اللذائذ النفسية و لا تنال درجات الكمال إلاّ بمقاساة الشدائد و ركوب الأهوال

ص: 192

و نعم ما قال الممتبى:

لولا المشقة ساد الناس كلهم فالجود يفقر و الإقدام قتال

قال الله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ».

قوله عليه السلام: (ما أنقض النوم لعزائم اليوم): هذه الجملة و التي تليها بصيغة التعجب و هما توكدان الأولى و المراد واحد أى أن الاشتغال بالمشتبهات الدنيّة البدنيّة يشبط الانسان عن الوصول إلى المقامات العالية. فان من عزم على أمر فى اليوم فنام لم ينجح بالمراد فيكون نوم يومه ناقض روم يومه. أو إذا عزم فى اليوم على أمر يفعله فى الليل أو فى الغد باكرا و نام فى الليل لم يظفر بالحاجة كالمسافر مثلا إذا أراد فى اليوم أن يسير مسافة طويلة تلازم الأقدام بها بكرة حتى ينال المطلوب فنام و لم يباكر لم يفز به و ما اجاد قول السعدى بالفارسية:

خواب نوشين بامداد رحيل باز دارد پياده را ز سبيل

قوله عليه السلام: (و أمحى الظلم لتذاكير الهمم). لأن من اهتم فى اليوم مثلا بعمل فى الليل و إذا جاء الليل غلبه النوم تمحو الظلمة أى يمحو نوم الليل ذلك التذكار. قال الممتبى:

بقدر الكد تكتسب المعالى و من طلب العلى سهر الليالى

تروم العرّ ثم تنام ليلا يغوص البحر من طلب اللئالى

الترجمة

از جمله كلمات بلاغت نظام اسد الله الغالب كرّار غير فرار على بن أبى طالب است كه ياران خود را بر جهاد بر مى انگيزاند: خداوند اداى شكرش را از شما خواهان است. و امرش را بشما ارث دهنده (يعنى دولت حق و سلطان و حكومت الهى بدست دوستان خدا و صالحان خواهد آمد. «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ» الاية - نور - 55). و شما را در ميدان محدود عمر مهلت

داده است تا با یکدیگر مسابقت کنید و گوی سبقت را بر بایید. پس بند میان را استوار کنید و دامن در چینی که آهنگ کار با تن پروری درست نیاید. خواب، عزیمت روز را چه خوب شکننده و بستر شب یاد همتها را چه نیک نابود کننده است.

باب المختار من كتب مولينا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله

اشاره

إلى أعدائه و امراء بلاده، و يدخل في ذلك ما اختير

من عهده عليه السلام إلى عمّاله و وصاياه لأهله و أصحابه.

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره اليهم من المدينة

اشاره

إلى البصرة و هو الكتاب الأول من المختار من كتبه عليه السلام.

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الكوفة جبهة الأنصار و سنام العرب أمّا بعد فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه:

إنّ الناس طعنوا عليه فكنّت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه و أقلّ عتابه و كان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، و أرفق حدائهما العنيف، و كان من عائشة فيه فلتة غضب فاتيح له قوم فقتلوه، و بايعنى الناس غير مستكرهين و لا مجبرين، بل طائعين مخيّرين. و اعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها، و جاشت جيش المرجل و قامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوكم إنشاء الله.

قول الرضى رضوان الله عليه: عهوده إلى عمّاله يقال: عهد إلى فلان أوصاه وشرط عليه، قال الجوهري في الصحاح: العهد: الأمان، و اليمين، و الموثق، و الذمة، و الحفاظ، و الوصيّة و قد عهدت إليه أى أوصيته و منه اشتق العهد الذى يكتب للولادة. و فى المنجد: العهد ما يكتبه وليّ الأمر للولادة يأمرهم فيه بأجراء العدالة و كان يعرف بالفرمان و الجمع عهود. و الوصايا جمع الوصية كغنية بمعنى النصيحة و يقال بالفارسية: اندرز، و هو اسم من الإيضاء: و بمعنى ما يعهده الإنسان بعد وفاته من وصى يصى إذا وصل الشئ بغيره لأن الموصى يوصل تصرفه بعد الموت بما قبله و الأخير هو المقرر فى كتب الفقه و فى هذا الباب يذكر وصاياه عليه السّلام على كلّ واحد من المعنيين.

قوله عليه السّلام: (جبهة) الجبهة للنّاس و غيره معروفة و هى ما بين الحاجبين إلى قصاص مقدم الرأس أى موضع السجود من الرأس و لذا سمى المنزل العاشر من منازل القمر جبهة لأن كواكبها الأربع كالجبهة للكواكب الموسومة بالأسد و يقال: جبهة الأسد لذلك. فى الصحاح و اللّسان، الجبهة من الناس بالفتح: الجماعة يقال جاءتنا جبهة من الناس أى جماعة منهم. و على الأول يقال لأعيان النّاس و أشرفهم و سادتهم و رؤسائهم جبهة من حيث إنّ الجبهة أعلا الأعضاء و أسناها و تسميتهم بذلك كتسميتهم بالوجوه. و المراد بالأنصار ههنا الأعوان و ليس يريد بهم بنى قبيلة و الأنصار جمع نصير كشريف و أشرف لا جمع ناصر لأنّه يجمع على النّصر كصاحب و صحب.

(السنام) بفتح أوّله كالسحاب: حلبة فى ظهر البعير. الجمع: أسنمة.

و يقال بالفارسية: كوهان شتر. و من حيث إن السنام أعلا أعضاء البعير يقال لأعلا كلّ شئ سنامه قال حسّان بن ثابت:

و إنّ سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم و والدك العبد

و كذا يقال السنام لمعظم كلّ شئ و منه الحديث: الجهاد سنام الدين و لذا

يقال لكبير القوم ورفيعهم سنامهم كما هو المراد من قوله عليه السلام سنام العرم. والصواب أن يكون السنام قرينة على أن المراد بالجبهة هو معناها الأول. (العيان) بالكسر كالضراب مصدر عاين يقال عاينه معاينة وعاينا إذا شاهده وراه بعينه لم يشك في رؤيته إياه. (طعن) فيه و عليه بالقول طعنا و طعنانا من بابى نصر و منع: قدحه و عابه. و هو فى الأصل كما فى المفردات للراغب: الضرب بالرمح و بالقرن و ما يجرى مجراهما ثم استعير للوقعة قال الله تعالى: «وَ طَعَنَّا فِي الدِّينِ» - «وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ».

(الاستعتاب) من الأضداد يقال استعتبه إذا أعطاه العتبي و كذا إذا طلب منه العتبي، و العتبي هى الرضا. يقال: استعتبته فأعتبني أى استرضيته فأرضاني قال الله تعالى:

«وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ» (حم: 25) فالمعنى على الوجه الثانى أنى طلبت منه العتبي و الرضا بمعنى أن يرجع عما أحدث مما صار سبب سخط القوم و طعنهم عليه حتى يرضوا عنه. و هذا هو الأنسب بالمقام أو طلبت من القوم العتبي له على ما سيوضح فى الشرح إنشاء الله تعالى و فى الكنز: استعتاب خوشنودى خواستن و آشتى خواستن و بازگشتن خواستن از بدى و غير آن.

«بحث لغوى»

فى قوله عليه السلام (اقل عتابه) لطيفة لغوية لم يتعرضها الشراح و المترجمون بل فى تفسيره عدلوا عن الصواب و ذلك لأن كلمة اقل ليس بمعنى اقل الشىء إذا جعله قليلا أو أتى بقليل و بالجملة أن معنى اقل ليس قبال اكثر و إن جعل قبالة فى اللفظ كما ذهب إليه القوم على ما هو ظاهر كلام الشارحين المعتزلى و البحرانى و صريح ترجمة المولى فتح الله القاسانى حيث قال: و كم مى گردانيدم سرزنش او را و المولى الصالح القزوينى حيث قال: و كمر وقت عتاب مى نمودم، و كذا غيرهما من المترجمين بل الصواب أن المراد من اقل هنا النفى أى ما عاتبت عليه و هذا اللفظ يستعمل كثيرا فى نفي أصل الشىء قال الفاضل الأديب ابن الأثير فى مادة - ق ل ل - من النهاية: و فى الحديث انه كان يقلّ اللغو أى لا يلغو أصلا و هذا اللفظ يستعمل

فى نفى أصل الشىء كقوله تعالى: «فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ» انتهى قوله.

و الشيخ الإمام أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى الأصفهانى فى شرحه على الاختيار المنسوب إلى أبى تمام الطائى المعروف بكتاب الحماسة (طبع القاهرة 1371 هـ - 1951 م) فى شرح الحماسة 13 لتأبط شرا (ص 95) قوله:

قليل التشكى للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

قال: واستعمل لفظ القليل، والقصد إلى نفي الكلّ، وهذا كما يقال فلان قليل الاكتراث بوعيد فلان، والمعنى لا يكثرث. وعلى ذلك قولهم: قلّ رجل يقول كذا، وأقلّ رجل يقول كذا، والمعنى معنى النفى، وليس يراد به إثبات قليل من كثير.

ثم قال: فإن قيل: من أين ساغ أن يستعمل لفظ القليل وهو للإثبات فى النفى؟ قلت: إن القليل من الشىء فى الأكثر يكون فى حكم ما لا يتعدّ به ولا يعرّج عليه لدخوله بخفة قدره فى ملكة الفناء والدروس والإتحاء، فلمّا كان كذلك استعمل لفظه فى النفى على ما فى ظاهره من الإثبات محترز من الردّ ومجملين فى القول، ويكون كالتعريض الذى أثره أبلغ وأنكى من التصريح، وقوله: «كثير الهوى» طابق القليل بقوله كثير من حيث اللفظ لا أنه أثبت بالأول شيئا نورا فقابله بكثير.

وفى شرح الحماسة 105 (ص 322) قول الشاعر:

فقلت لها لا تنكرينى فقلّ ما يسود الفتى حتّى يشيب و يصلعا

قال: وقوله «قلّ ما» يفيد النفى هنا وما تكون كافة لقلّ عن طلب الفاعل وناقلة له عن الاسم إلى الفعل، فاذا قلت: قلّ ما يقوم زيد فكأنك قلت ما يقوم زيد، يدلّ على ذلك أنهم قالوا: قلّ رجل يقول ذاك إلا زيد، وأجرى مجرى ما يقول ذاك إلا زيد.

وفى شرح الحماسة 165 لتأبط شرا أيضا (ص 492) قوله:

قليل غرار النوم أكبر همّه دم الثّار أو يلقي كميا مسفعا

قال: فإن قيل ما معنى قليل غرار النوم؟ وإذا كان الغرار القليل من النوم بدلالة قولهم ما نومه إلا غرارا فكيف جاز أن تقول: قليل غرار النوم و أنت لا تقول هو قليل قليل النوم؟ قلت: يجوز أن يراد بالقليل النفي لا إثبات شيء منه والمعنى:

لا ينام الغرار فكيف ما فووه؟ وفي شرح الحماسة 271 لدريد بن الصمة (ص 819) قوله:

قليل التشكى للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد

قال: يريد بقوله «قليل» نفي أنواع التشكى كلها عنه؛ على هذا قوله تعالى «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» وقولهم: قل رجل يقول كذا وأقل رجل يقول ذاك.

والمعنى أنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته والمصائب تتجدد عليه فى ذويه وعشيرته وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده إلخ.

وفى شرح الحماسة 447 لمحمد بن أبى شحاذ (ص 1201) قوله:

وقل غناء عنك مال جمعته إذا كان ميراثا و اراك لاحد

قال: المراد بذكر القلة ها هنا النفي لا إثبات شيء قليل فيقول: لا يغنى عنك مال تجمععه إذا ذهب عنه و تركته لورثتك إلخ.

وفى مفردات الراغب: و قليل يعبر به عن النفي نحو قلما يفعل كذا إلا قاعدا أو قائما و ما يجرى مجراه و على ذلك حمل قوله تعالى «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» وإتفاضا رواه قوله تعالى «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» بنفى الايمان عنهم لأن ظاهر الآية تدل على ذلك قال تعالى: «أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ قالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» (82 و 83 من البقرة) و إن كان يمكن أن تجعل الآية المتقدمة عليها و هى قوله تعالى: «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ» قرينة على ارادة القلة فى قبال الكثرة فيها أو يؤول بوجه اخرى على استفادة ذلك المعنى كما ذكر فى التفاسير و لكن إفادة القليل معنى النفي فى كلام العرب كثير، ففى مجمع البيان فى تفسير هذه الآية قال: و الذى يليق بمذهبنا أن يكون المراد به لا إيمان لهم أصلا و إنما وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط أى ما رأيت هذا قط.

وإنما اخترنا النفي من قوله عليه السلام اقل عتابه، وأعرضنا عن حمله على ظاهره لدقيقة نأتى بها فى الشرح.

وليعلم أن هذه اللفظة قد يستعمل فى الكثرة على ما صرح به المرزوقى فى شرح الحماسة أيضا حيث قال: وقالوا أيضا أقل رجل يقول ذلك إلا زيد وأنهم أجروا خلافه مجراه فيقول: كثر ما يقول زيد وعلى ذلك هذا البيت.

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

انتهى (ص 322 شرح الحماسة 105). ولا يخفى أن هذا الاستعمال نزر جدا بخلاف الأول.

واعلم أنه يمكن أن يكون قوله عليه السلام «اقل عتابه» من أقل فلان الشيء إذا أطاقه وحمله ورفع. قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَدِّ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ» (الأعراف: 56) أى حملت الرماح سحاباً ثقالاً، ومنه قوله صلى الله عليه وآله فى أبى ذر رضى الله عنه: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر. ووجه التفسير على هذا الوجه يعلم فى الشرح إن شاء الله تعالى.

ففى الجمع بين أقل بهذا المعنى بل بالمعنى الأول أيضا تحسين بديع وهو مراعاة النظير من وجوه تحسين الكلام المقرر فى فنّ البديع و مراعاة النظير أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصودين ههنا نحو قوله تعالى «الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» و بالفارسية نحو قول الشاعر هر چه آن خسرو كند شیرین بود.

(عتاب) بالكثرة مصدر ثان من باب المفاعلة كضراب يقال عتابه عليه معاتبه وعتابا إذا لومه و واصفه الموجدة و خاطبه الإدلال. (الوجيف) وجف الشيء بمعنى اضطرب، قال تعالى: «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ» و الوجيف ضرب من سير الإبل و الخيل فيه سرعة و اضطراب، أو جفت البعير: أسرعته. و فى أقرب الموارد:

وجف الفرس و البعير: عدا و سار العنق، و فى حديث على: أهون سيرهما فيه الوجيف

(حداء) بكسر أوله وضمه أيضا ككتاب و ذباب واوى من حدود: سوق الابل والغناء لها. يقال حدا الابل وبالابل يحدو حدوا و حداء و حداء من باب نصر ساقها و غنى لها فهو حد. يقال حدث الريح السحاب أى ساقتها. (العنيف) الشديد من القول و السير. و الذى ليس له رفق بركوب الخيل. عنف به و عليه من باب كرم لم يرفق به و عامله بشدة. (الفلته) بالفتح، فى الصحاح يقال كان ذاك الأمر فلته أى فجأة إذا لم يكن عن تردد و لا تدبر. و فى أقرب الموارد: حدث الأمر فلته أى فجأة من غير تردد و لا تدبر حتى كأنه افتلت سريعا، قال: يقال: كانت بيعة أبى بكر فلته.

(اتيح) تاح له الشىء يتوح توحا من باب نصر و اتيح له الشىء قدر له و تهيىء و أتاح الله له الشىء أى قدره له، قاله فى الصحاح. قال انيف بن حكيم النبهانى:

و تحت نحور الخيل حرشف رجلة تتاح لغرات القلوب نبالها

و هو من آيات الحماسة (الحماسة 33 و 209) وصفهم بأن نبالهم تقدر للقلوب الغازة.

(مستكرهين) قال الفاضل الشارح المعتزلى: و قد ذكر أن خط الرضى رضوان الله عليه مستكرهين بكسر الراء و الفتح أحسن و أصوب و إن كان قد جاء استكرهت الشىء بمعنى كرهته. انتهى.

أقول: الاستكراه قد جاء بمعنى الاكراه كما جاء بمعنى عد الشىء و وجدانه كريها و من الأول حديث رفع عن امّتى الخطاء و ما استكروهوا عليه. أى ما اكروهوا عليه.

فلو قرئ المستكرهين بفتح الراء لكان بمعنى المكرهين و الإكراه و الإجبار واحد.

وقالوا فى المعاجم: أكرهه على الأمر: حملة عليه قهرا، و كذا قالوا أجبره على الأمر أكرهه عليه فلو قرئ بالفتح للزم التكرار لأنه و المجبرين حينئذ بمعنى واحد فالكسر متعين كما اختاره الرضى. و المستكره بالكسر بمعنى الكاره أى ناخوش و ناپسند دارنده يقال: استكرهت الشىء أى كرهته كما أشار إليه الفاضل الشارح، و فى منتهى

الأرب في لغة العرب: استكراه: بنا خواست و ستم بر كاری داشتن، و ناخوش شمردن.

و المراد بدار الهجرة مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ الْمُنْقُولِ مِنَ الرَّوَانْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الْمَرَادُ بِدَارِ الْهَجْرَةِ هَهُنَا الْكُوفَةُ الَّتِي هَاجَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهَا.

أقول: و هذا عجيب جداً و إنما هو من طغيان قلمه رحمه الله لأنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام أخبر أهل الكوفة بأنَّ المدينة قد قلعت بأهلها و جاشت جيش المرجل على أنَّه عليه السَّلام حين كتب الكتاب إليهم كان نازلاً في ذى قار بعيداً عن الكوفة و لم يصل إلى الكوفة و لم يقيم فيها بعد فكيف يكتب إليهم يخبرهم عن أنفسهم و هذا ظاهر لا عائدة في الإطالة.

وقيل: يحتمل أن يريد بدار الهجرة دار الإسلام و بلادها.

أقول: و لا يخفى ضعف هذا الاحتمال و تكلفه و سيتضح في الشرح أن المراد من المدينة مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَتْ إِلَّا.

(قلعت بأهلها) يقال قلع المنزل بأهله إذا لم يصلح لاستيطانهم و منه قولهم كما في الصحاح، هذا منزل قلعة بالضمّ أى ليس بمستوطن.

و يمكن أن يقرأ الفعلان مجهولين و تكون الباء في الموضعين بمعنى مع فيكون أكد للمراد كما لا يخفى؛ أو يقال: الباء زائدة للتأكيد و الفعل معلوم في كلا الموضعين كقوله تعالى: «وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً» لأن القلع متعد بنفسه يقال قلعه إذا انتزعه من أصله أو حوّله عن موضعه و المراد أن المدينة فارقت أهلها و أخرجتهم منه و كذا قلعوا بها أى انهم فارقوها و خرجوا منها و لم يستقروا فيه.

(المرجل): القدر اسم آلة على وزن مفعّل. (بادروا) أى سارعوا أمر من المبادرة.

الاعراب

إشارة

يمكن أن يكون جبهة الأنصار و سنام العرب صفتين لأهل الكوفة كما يمكن أن يكونا بدلين بدل البعض من الكل أو الكلّ من الكلّ.

«إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا» بيان للأخبار. «من المهاجرين» ظرف مستقر منصوب

محلا صفة للرجل، ويمكن أن تكون جملتا اكثر استعتابه و اقلّ عتابه صفتين له أيضا لأن الجملة نكرة، ولكن الظاهر أن الجملتين حالان لضمير كنت. لا يقال:

فلم لم يأت بالواو الحالية؟ لأننا نقول: المضارع المثبت المجرد من قد لا يقترن بالواو لأنه يشبه اسم الفاعل في الزنة والمعنى والواو لا تدخل اسم الفاعل وكذلك ما أشبهه ويكون قوله عليه السلام على وزان قوله تعالى «وَلَا تَمُنُّنَّ تَسَّ تَكْثُرُ» فجملة تستكثر حال من فاعل تمنن المستتر فيه ولا تكون مقترنة بالواو وفي الألفية لابن مالك.

و ذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا و من الواو خلت

قال بعض: أهون سيرهما بدل من طلحة والزبير والوجيف خبر كان وكذا الكلام في أرفق حدائهما العنيف لأنها عطف على الأولى. قلت: الصواب أن ما ذهب إليه ذلك البعض وهم لأنّ الوجيف خبر أهون وجملة أهون سيرهما فيه الوجيف خبر كان وكذا الحكم في الجملة الثانية وذلك لأنّ الوجيف لو كان خبر كان لصحّ حمله على الزبير وطلحة أن يقال طلحة و جيف مثلا وليس كذلك لأن السير و جيف لما دريت أن الوجيف نوع من سير الابل، على أن فيه معايب اخرى لا تخفى على العارف بأحكام البدل و تركيب الجمل.

«من عائشة» يتعلق بفلتة قدم لسعة الظروف. و فلتة اسم كان ولم يقل كانت لأن تأنيث اسمه مجازي، وفيه خبر كان قدم على الاسم لأنه ظرف: «فاتيح» الفاء للتسيب لأن من قوله عليه السلام: إنّ الناس إلى هنا بيان مبدء سبب قتل القوم عثمان؛ أي إنّ الناس لما طعنوا عليه... فقد ر له قوم فقتلوه على وزان قوله تعالى «فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ». و الفاء في فقتلوه للترتيب الذكرى لأن أكثر وقوعه في عطف المفصل على المجمل نحو قوله تعالى: «فَقَدَّ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» و المقام كذلك أيضا. ويمكن أن تكون للتعقيب نحو قوله تعالى: «أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ» و الفاء في «فأسرعوا» فصيحة و التقدير: إذا كان الأمر انجرّ إلى كذا فأسرعوا. اه

نقل الكتاب على صورة اخرى

قد نقل ذلك الكتاب الذى كتبه عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره إليهم من المدينة إلى البصرة على صورة اخرى قريبة مما فى النهج فى بعض الجمل الشيخ الأجل المفيد قدس سره فى كتابه المترجم بالجمل، أو النصرة فى حرب البصرة (ص 116 طبع النجف) وهذه صورته.

بسم الله الرحمن الرحيم من على بن أبى طالب إلى أهل الكوفة أما بعد فإني اخبركم من أمر عثمان حتى يكون أمره كالعيان لكم: إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اظهر معه عتبه وأكره وأشقى به و كان طلحة و الزبير أهون سيرهما الرجيف و قد كان من أمر عائشة و قتلها ما عرفتم فلما قتلها الناس بايعاني غير مستنكرين طائعين مختارين و كان طلحة و الزبير أول من بايعني على ما بايعا به من كان قبلي ثم استأذنانى فى العمرة و لم يكونا يريدان العمرة فنقضا العهد و أذنا فى الحرب و أخرجنا عائشة من بيتها يتخذانها فتنة فسارا إلى البصرة و اخترت السير إليهم معكم و لعمري إياى تجيبون انما تجيبون الله و رسوله و الله ما قاتلتهم و فى نفسى شك و قد بعثت إليكم ولدى الحسن و عمارا و قيسا مستنفرين لكم فكونوا عند ظنى بكم و السلام.

أقول: و نقل الكتاب الدينورى فى الإمامة و السياسة أيضا (ص 66 ج 1 طبع مصر 1377 هـ).

المعنى

إشارة

إنما الحرى فى المقام أن نذكر

الأحداث التى أحدثها عثمان

إشارة

مما نقمها الناس منه و طعنوا عليه و صارت سبب قتله ثم نتبعه علة وقوع فتنة الجمل.

أما أحداثه فنذكر طائفة منها ههنا عن الطبرى و المسعودى و غيرهما.

قال المسعودى فى مروج الذهب

:

1 - ذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون

و مائة ألف دينار و ألف ألف درهم

وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار و خلف خيلا كثيرا وإبلا.

ص:203

2 - اقتنى فى أيامه جماعة من أصحابه الضياع و الدور منهم الزبير بن العوام

بنى داره بالبصرة و ابنتى أيضا دورا بمصر و الكوفة و الاسكندرية و ما ذكر من دوره و ضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية. و بلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار و خلف الزبير ألف فرس و ألف عبد و ألف أمة و خططا بحيث ذكرنا من الأمصار.

3 - و كذلك طلحة بن عبيد الله التيمى

ابنتى داره بالكوفة المعروفة بالكناس بدار الطلحيتين و كانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار و قيل أكثر من ذلك و بناحية سراة أكثر مما ذكرنا. و شيد داره بالمدينة و بناها بالاجر و الجصّ و الساج.

4 - و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى

ابنتى داره و وسعها و كان على مربطه مائة فرس و له ألف بعير و عشرة آلاف من الغنم و بلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة و ثمانين ألفا.

5 - و ابنتى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق

فرغ سمكها و وسع فضاءها و جعل أعلاها شرفات.

6 - و قد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب

و الفضة ما كان يكسر بالفئوس

غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمة مائة ألف دينار.

7 - و ابنتى المقداد داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على أميال

من المدينة

و جعل أعلاها شرفات و جعلها مجصّصة الظاهر و الباطن.

8 - و مات يعلى بن أمية و خلف خمسمائة ألف دينار

و ديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة ألف دينار.

ثم قال المسعودى: وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الأموال في أيامه ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بيّنة وحجّ عمر فأنفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة ستة عشر ديناراً وقال لولده عبد الله: لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا. ولقد شكّا الناس أميرهم سعد بن أبي وقاص و ذلك في سنة إحدى وعشرين فبعث عمر محمّد بن مسلمة الأنصاري حليف

ص: 204

بنى عبد الأشهل فخرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسألهم عنه فحمده بعضهم و ساءه بعض فعزله و بعث إلى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر و عثمان ابن حنيف على الخراج و عبد الله بن مسعود على بيت المال و أمره أن يعلم الناس القرآن و يفقههم فى الدين و فرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها و سواقطها لعمار بن ياسر و الشطر الاخر بين عبد الله بن مسعود و عثمان بن حنيف فأين عمر ممن ذكرنا و أين هو عمن وصفنا؟ و فى الشافى للشريف المرتضى علم الهدى: و من ذلك أنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التى هى عدّة للمسلمين نحو ما روى أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش زوّجهم بناته أربعمائة ألف دينار و أعطى مروان مائة ألف على فتح افريقيّة و يروى خمس إفريقية و غير ذلك و هذا بخلاف سيرة من تقدم فى القسمة على الناس بقدر الاستحقاق و ايثار الأبعد على الأقارب.

«جواب القاضى عبد الجبار فى المغنى عن ذلك و اعتذاره منه»

قال - كما نقل عنه علم الهدى فى الشافى -: و أمّا ما ذكره من ايثاره أهل بيته بالأموال فقد كان عظيم اليسار كثير الأموال فلا يمتنع أن يكون إنّما أعطاهم من ماله و إذا احتمل ذلك و جب حمله على الصحة و حكى عن أبى على أنّ الذى روى من دفعه إلى ثلاثة نفر من قريش زوّجهم بناته مائة ألف دينار لكل واحد إنّما هو من ماله و لا رواية تصحّ فى أنّه أعطاهم ذلك من بيت المال و لو صحّ ذلك لكان لا يمتنع أن يكون أعطى من بيت المال ليردّ عوضه من ماله لأنّ للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك كما له أن يقرض غيره.

قال: ثمّ حكى القاضى عن أبى على أنّ ما روى من دفعه خمس افريقيّة لما فتحت إلى مروان ليس بمحفوظ و لا منقول على وجه يوجب قبوله و إنّما يرويه من يقصد التشنيع على عثمان. و حكى عن أبى الحسين الخياط أن ابن أبى سرح لمّا غزا البحر و معه مروان فى الجيش ففتح الله عليه و غنموا غنيمة اشترى مروان الخمس من أبى سرح بمائة ألف و أعطاه أكثرها ثمّ قدم على عثمان بشيرا بالفتح

وقد كانت قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب له ماله بقى عليه من المال وللإمام فعل ذلك ترغيباً في مثل ذلك الأمور.

قال: قال وهذا الصنيع منه كان في السنة الأولى من امامته ولم يتبرأ أحد منه فيها فلا وجه للتعلق به وذكر فيما أعطاه لأقاربه أنه وصلهم لحاجتهم ولا يمتنع مثله في الإمام إذا رآه صلاحاً. وذكر في اقطاعه بنى امية القطائع ان الأئمة قد تحصل في أيديهم الضياع لا مالك لها من جهات ويعلمون أنه لا بدّ فيها ممن يقوم باصلاحها وعمارته فيؤدّي عنها ما يجب من الحقّ وله أن يصرف ذلك إلى من يقوم به وله أيضاً أن يزيد بعضاً على بعض بحسب ما يعلم من الصلاح والتألف وطريق ذلك الاجتهاد.

«اعتراض الشريف علم الهدى على القاضي»

قال في الشافى: فأما قوله في جواب ما يسأل عنه من ايثاره أهل بيته بالأموال أنه لا يمتنع أن يكون إنما أعطاهم من ماله، فالرواية بخلاف ذلك وقد صرح الرجل أنه كان يعطى من بيت المال صلة لرحمه ولما وقف على ذلك لم يعتذر منه بهذا الضرب من العذر ولا قال إنّ هذه العطايا من مالى ولا اعتراض لأحد فيه.

وقد روى الواقدي بإسناده عن الميسور بن عتبة أنه قال: سمعت عثمان يقول إن أبا بكر وعمر كانا يتناولان في هذا المال ظلف أنفسهما وذوى أرحامهما وإني ناولت فيه صلة رحمي.

وروى عنه أنه كان بحضرته زياد بن عبيد الله الحارثي مولى الحارث بن كلدة الثقفي وقد بعث أبو موسى بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين أهله وولده بالصحاف ففاضت عينا زياد دموعاً لما رأى من صنيعه بالمال فقال: لا تبك فإن عمر كان يمنع أهله وذوى أرحامه ابتغاء وجه الله وأنا أعطى أهلي وقرايتى ابتغاء وجه الله. وقد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة.

وروى الواقدي بإسناده قال: قدمت إبل من أهل الصدقة على عثمان فوهبها

للحرث بن الحكم بن أبي العاص.

أقول: كان الحرث هذا ابن عم عثمان فقد قدمنا أن الحكم بن أبي العاص كان عمّه.

قال: وروى أيضا أنه وليّ الحكم بن أبي العاص صدقات قضاة فبلغت ثلاثمئة ألف فوهبها له حين أتاه بها.

وروى أبو مخنف والواقدي جميعا أنّ الناس أنكروا على عثمان إعطائه سعيد ابن أبي العاص مائة ألف فكلّمه عليّ عليه السلام والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن في ذلك فقال: إن لي قرابة ورحما، فقالوا: أما كان لأبي بكر وعمر قرابة و ذوورحم؟ فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في عطاء قرابتي. قالوا: فهديهما والله أحبّ إلينا من هديك.

وقد روى أبو مخنف أنّه لما قدم على عثمان عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص من مكة و ناس معه أمر لعبد الله بثلاثمئة ألف و لكلّ واحد من القوم مائة ألف فصكّ بذلك على عبد الله بن الأرقم و كان خازن بيت المال فاستكثره و ردّ الصكّ به و يقال: إنّهُ سأل عثمان أن يكتب بذلك كتاب دين فأبى ذلك و امتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم، فقال له عثمان: إنّما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازنا للمسلمين و إنّما خازنك غلامك و الله لا ألى لك بيت المال أبدا فجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر و يقال: بل ألقاها إلى عثمان فدفعها عثمان إلى نائل مولاه.

و روى الواقدي: أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت المال إلى عبد الله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمئة ألف درهم فلما دخل بها عليه قال له:

يا با محمّد إنّ أمير المؤمنين أرسل إليك يقول إنا قد شغلناك عن التجارة و لك ذو رحم ذات حاجة ففرّق هذا المال فيهم و استعن به على عيالك، فقال عبد الله بن الأرقم:

ما لي إليه حاجة و ما عملت لأن يثيني عثمان و الله لئن كان هذا من مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن اعطى ثلاثمئة ألف درهم، و لئن كان من مال عثمان ما أحبّ

أن أزره من ماله شيئاً و ما فى هذه الأمور أوضح من أن يشار إليه و ينبته عليه.

و أما قوله «لو صحَّ أنه أعطاهم من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض» فليس بشيء لأن الروايات أولاً يخالف ما ذكره و قد كان يحب «يجب ظ» لما نقم عليه ووجه الصحابة إعطاء أقاربه من بيت المال أن يقول لهم: هذا على سبيل القرض و أنا أردّ عوضه و لا يقول ما تقدم ذكره من أننى أصل به رحمى.

على أنه ليس للإمام أن يقترض من بيت المال إلا ما ينصرف فى مصلحة للمسلمين مهمة يعود عليهم نفعها أو فى سدّ خلّة و فاقة لا يتمكّنون من القيام بالأمر معها فأما أن يقترض المال لينتدح و يمرح فيه مترفى بنى امية و فسّاقهم فلا أحد يجيز ذلك.

فأما قوله حاكيا عن أبى على «أن دفعه خمس أفريقيّة إلى مروان ليس بمحفوظ و لا- منقول» فتعلل منه بالباطل لأن العلم بذلك يجرى مجرى الضرورى و مجرى ما تقدّم بسائره، و من قرأ الأخبار علم ذلك على وجه لا يتعرض فيه شكّ كما يعلم نظائره.

و قد روى الواقدى عن اسامة بن زيد عن نافع مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال: أغزانا عثمان سنة سبع و عشرين أفريقيّة فأصاب عبد الله بن سعد بن أبى سرح غنائم جلييلة فأعطى عثمان مروان بن الحكم تلك الغنائم و هذا كما ترى يتضمن الزيادة على الخمس و يتجاوز إلى إعطاء الكل.

و روى الواقدى عن عبد الله بن جعفر، عن ام بكر بنت الميسور قالت: لمّا بنى مروان داره بالمدينة دعى الناس إلى طعامه و كان الميسور ممن دعاه فقال مروان و هو يحدّثهم: و الله ما انفتت فى دارى هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال الميسور: لو أكلت طعامك و سكتّ كان خيرا لك لقد غزوت معنا أفريقيّة و انك لأقلنا مالا و رقيقا و أعوانا و أخفنا ثقلا فأعطاك ابن عمّك خمس أفريقيّة و عملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين.

وروى الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف أنّ مروان ابتاع خمس افرقيّة بمأتي ألف أو بمائة ألف دينار و كلم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان، و هذا بعينه هو الذي اعترف به أبو الحسين الخياط و اعتذر بأن قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب لمروان ثمن ما ابتاعه من الخمس لَمَّا جاءه بشيرا بالفتح على سبيل الترغيب، و هذا الاعتذار ليس بشيء لأنّ الذي روينا من الأخبار في هذا الباب خال من البشارة و إنّما يقتضى أنّه سأله ترك ذلك عليه فتركه أو ابتداء هو بصلته و لو أتى بشيرا بالفتح كما ادّعوا لما جاز أن يترك عليه خمس الغنيمة العائدة على المسلمين و تلك البشارة لا يستحق أن يبلغ البشير بها مأتي ألف دينار و لا اجتهاد في مثل هذا و لا فرق بين من جوّز أن يؤدي الاجتهاد إلى مثله و من جوّز أن يؤدي الاجتهاد إلى دفع أصل الغنيمة إلى البشير بها، و من ارتكب ذلك الزم جواز أن يؤدي الاجتهاد إلى جواز اعطاء هذا البشير جميع أموال المسلمين في الشرق و الغرب.

و أما قوله: «إنّ فعل ذلك في السنة الأولى من أيامه و لم يتبرّء أحد منه» فقد مضى الكلام فيه مستقصى.

فأمّا قوله: «إنّه وصل بنى عمّه لحاجتهم و رأى في ذلك صلاحا» فقد بيّنا أن صلته لهم كانت أكثر ممّا يقتضيه الحاجة و الخلة و أنّه كان يصل منهم المياسير و ذوى الأحوال الواسعة و الضيّاع الكثيرة، ثمّ الصلاح الذي زعم أنّه رآه لا يخلو من أن يكون عائدا على المسلمين أو على أقاربه، فان كان على المسلمين فمعلوم ضرورة أنّه لا صلاح لأحد من المسلمين في اعطاء مروان مأتي ألف دينار و الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم و ابن أسيد ثلاثمائة ألف درهم إلى غير ذلك ممن هو مذكور، بل على المسلمين في ذلك غاية الضرر، و إن أراد الصلاح العائد على الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بفساد أمر المسلمين و ينفعهم بما يضرّ به المسلمين.

فأمّا قوله «إن القطائع التي أقطعها بنى امية إنّما أقطعهم إياها لمصلحة يعود على المسلمين لأنّه كانت خرابا لا عامر لها فسلمها إلى من يعمرها و يؤدي الحقّ فيها» فأول ما فيه أنّه لو كان الأمر على ما ذكره و لم يكن هذه القطائع على سبيل الصلة و المعونة لأقاربه لما خفى ذلك على الحاضرين و لكانوا لا يعدّون

ذلك من مثالبه و لا يوافقونه عليه فى جملة ما واقفوه عليه من أحداثه. ثم كان يجب لو فعلوا ذلك أن يكون جوابه لهم بخلاف ما روى من جوابه، لأنه كان يجب أن يقول لهم: و أى منفعة فى هذه القطائع عاندة على قرابتي حتى يعدّوا ذلك من جملة صلاتي لهم و إيصال المنافع إليهم؟ و إنما جعلتهم فيها بمنزلة الأكرة الذين ينتفع بهم أكثر من انتفاعهم و ما كان يجب أن يقول ما تقدمت روايته من أنى محتسب فى اعطاء قرابتي و أن ذلك على سبيل الصلة لرحمى إلى غير ذلك ممّا هو خال من المعنى الذى ذكره. انتهى.

أقول: و من قوادحه ما فعل بعبد الله بن سعد قبل خلافته بعد ما هدر رسول الله صلّى الله عليه و آله دمه. تفصيله أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكنى أباً يحيى و هو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة أرضعت امه عثمان أسلم قبل الفتح و هاجر إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و كان يكتب الوحى لرسول الله صلّى الله عليه و آله ثم ارتدّ مشركاً و صار إلى قريش بمكة فقال لهم: إنى كنت اصرف محمّداً حيث اريد كان يملئ علىّ عزيز حكيم فأقول أو عليهم حكيم فيقول نعم كلّ صواب فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله بقتله و قتل عبد الله بن خطل و مقيس بن صبابه و لو وجدوا تحت أستار الكعبة ففرّ عبد الله بن سعد إلى عثمان بن عفان فغيبه عثمان حتى أتى به إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله بعد ما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له فصمت رسول الله صلّى الله عليه و آله طويلاً ثم قال: نعم فلمّا انصرف عثمان قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لمن حوله: ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار: فهلا أوأمت إلى يا رسول الله؟ فقال: إن النبى لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين؛ قاله فى اسد الغابة.

و فى الصّافى للفيض فى تفسير القرآن فى ضمن قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» (الأنعام: 94) فى الكافى و العياشى عن أحدهما عليهما السلام نزلت الاية فى ابن أبى سرح الذى كان عثمان استعمله على مصر و هو ممّن كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يوم فتح مكة هدر دمه و كان يكتب لرسول الله صلّى الله عليه و آله فاذا أنزل الله عزّ و جلّ إن الله عزيز

حكيم كتب إن الله عليم حكيم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: دعها فان الله عليم حكيم و كان ابن أبي سرح يقول للمناقضين إنّي لأقول من نفسى مثل ما يجيء به فما يغيّر علىّ فأنزّل الله تبارك و تعالى فيه الذى أنزل.

و القمى عن الصادق عليه السلام قال: إنّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة أسلم و قدم المدينة و كان له خطّ حسن و كان إذا أنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فكان إذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سميع بصير يكتب سميع عليم و إذا قال: و الله بما يعملون خبير يكتب بصير، و يفرق بين التاء و الياء و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هو واحد فارتدّ كافرا و رجع إلى مكّة و قال لقريش: و الله ما يدري محمّد ما يقول أنا أقول مثل ما يقول فلا ينكر علىّ ذلك فأنا أنزل مثل ما ينزل فأنزّل الله على نبيّه فى ذلك: - «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ» - إلى قوله: «مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» - فلما فتح رسول الله مكة أمر بقتله فجاء به عثمان قد أخذ بيده و رسول الله صلى الله عليه وآله فى المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أعاد فسكت ثم أعاد فقال هو لك فلما مرّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إلىّ فأقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأنبياء لا يقتلون بالاشارة فكان من الطلقاء.

و قال ابن هشام فى السيرة النبوية: قال ابن إسحاق: و كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد عهد إلى امرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقتلوا إلاّ من قاتلهم، إلاّ أنّه قد عهد فى نفر سّمّاهم أمر بقتلهم و إن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى.

قال: و إنما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله لأنّه قد كان أسلم و كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله الوحي فارتدّ مشركا راجعا إلى قريش ففرّ إلى عثمان بن عفان و كان أخاه للرضاعة فغيّبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن اطمأنّ الناس و أهل مكّة فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله صمت طويلا، ثمّ قال: نعم

فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لمن حوله من أصحابه: لقد صمّت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار: فهلاًّ أو مات إليّ يا رسول الله قال: إنّ النبي لا يقتل بالاشارة.

قال ابن هشام: ثمّ أسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ثمّ ولاه عثمان بن عفان بعد عمر.

وقال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن ضمن الآية المذكورة وقيل: المراد به عبد الله بن سعد بن أبي سرح أملى عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ذات يوم «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ» - إلى قوله تعالى - «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» فجرى على لسان ابن ابي سرح فتبارك الله احسن الخالقين فأملأه عليه وقال هكذا انزل فارتدّ عدو الله وقال: لئن كان محمّد صادقاً فلقد اوحى إليّ كما اوحى إليه ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال وارتدّ عن الاسلام وهدر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد اخذ بيده ورسول الله صَلَّى الله عليه وآله في المسجد فقال: يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ثمّ اعاد فسكت ثمّ اعاد فسكت فقال هو لك فلما مرّ قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لأصحابه:

ألم اقل من رآه فليقتله؟ فقال عباد بن بشر: كانت عيني إليك يا رسول الله ان تشير إليّ فأقتله، فقال صَلَّى الله عليه وآله: الأنبياء لا يقتلون بالاشارة.

اقول: لا كلام في ارتداد ابن أبي سرح وإثما الاختلاف في سبب ارتداده وجملة انه نبذ كتاب الله وراء ظهره واتخذة سخرية.

ولكن ما أتى به الفيض في الصافي من الرواية «في ان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إذا قال: سميع بصير يكتب ابن ابي سرح سميع عليم وإذا قال: والله بما يعملون خبير يكتب بصير ويفرق بين التاء والياء وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول هو واحد» ليست بصحيحة جدا لأنّ شدة عناية رسول الله صَلَّى الله عليه وآله واهتمامه بحفظ القرآن وحراسته عن التحريف والتغيير يمنعنا عن قبول ذلك وسيأتي التحقيق الأنيق بعيد هذا في ان هذا المصحف المكتوب بين الدفتين المتداول الان بين الناس جميع ما نزل عليه صَلَّى الله عليه وآله في نيف وعشرين سنة من غير زيادة ونقصان وتصحيف وتحريف وانّ تركيب السور

من الايات و ترتيب السور على ما هو فى المصحف توقيفى كان بأمر الله تعالى و أمر امين الوحي عليه السّلام و امر رسول الله صلّى الله عليه وآله.

على أنّ صدر كل آية يدل على انه يناسب و يقتضى كلمات خاصّة فى ختامها و لا يوافق غيرها كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام و فنون الأدب سيما كتاب الله الذى أعجز العالمين عن ان يتفوّهوا باتيان مثله و إن كان سورة منها نحو الكوثر ثلاث آيات.

مثلا أن قوله تعالى: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (الملك - 14 و 15) لا يناسب إنّه حكيم بذات الصدور، أو هو السميع الخبير مثلا فان فى الجمع بين يعلم و بين اللطيف لطيفة حكميّة يدركها ذوق التأمّل بخلاف الجمع بين يعلم و السميع.

وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (النور - 5 و 6) يناسب التوبة الغفور الرحيم دون أنّه عزيز ذو انتقام، أو حكيم عليم و أمثالها و كذا فى الايات الأخر فتدبر فيها بعين العلم و المعرفة.

على أنّ نرى الحجج الالهية يمنعون الناس عن التصرف فى الأدعية و تحريفها روى محمد بن بابويه عليه الرحمة فى كتاب الغيبة باسناده عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: سيصيبكم شبهة فتبقون بلا علم و لا إمام هدى و لا ينجو فيها إلا من دعا بدعاء الغريق؛ قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال عليه السّلام: تقول:

يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلّب القلوب ثبت قلبى على دينك؛ فقلت: يا مقلّب القلوب و الأبصار ثبت قلبى على دينك، فقال عليه السّلام: إنّ الله عزّ و جلّ مقلّب القلوب و الأبصار و لكن قل كما أقول: ثبت قلبى على دينك.

فاذا كان الدعاء توقيفيا و يردع الإمام عليه السّلام عن التحريف فكيف ظنك بالنبيّ صلّى الله عليه وآله مع القرآن.

إشارة

وغيرهما من بنى امية و مروان هو طريد رسول الله صلى الله عليه و آله الذى غربه عن المدينة و نفاه عن جواره.

أقول: إن الحكم و ابنه مروان كليهما كانا طريدى رسول الله صلى الله عليه و آله و الصواب أن يقال: ان الحكم هو طريد رسول الله صلى الله عليه و آله فان ابنه مروان كان طفلا حين طرده رسول الله صلى الله عليه و آله و السبب فى ذلك ان الحكم بن أبي العاص عم عثمان كان يحاكي مشية رسول الله صلى الله عليه و آله و ينقصه و كان يفعل ذلك استهزاء به و سخرية فرآه النبي صلى الله عليه و آله يوما و هو يفعل ذلك فقال له النبي صلى الله عليه و آله و قد غضب لذلك: أ تحكينى؟ اخرج من المدينة فلا جاورتنى فيها حيا و لا ميتا فطرده و ابنه مروان و نفاهما إلى بلاد اليمن و نفيهما بهما مطرودين مدة حياة النبي صلى الله عليه و آله فلمّا مات و ولى أبو بكر طمع عثمان أن يردهما فكلّم أبا بكر فى ذلك فزبره و أغلظ عليه و قال: أ تريدنى يا عثمان أن أوى طريد رسول الله صلى الله عليه و آله كالأ لا يكون ذلك، فسكت عثمان حتّى ولى عمر فكلّمه أيضا فى ردهما فأبأ عليه و قال: لا يكون منّى أن أوى طريد رسول الله و طريد أبى بكر اعزب عن هذا الكلام فسكت عثمان فلمّا ولى و استتم له الأمر كتب اليهما بأن أقدا المدينة فأقدمهما المدينة على رءوس الأشهاد مكرمين.

و قال ابن الأثير الجزرى فى اسد الغابة: الحكم بن أبي العاص بن امية الأموى أبو مروان بن الحكم يعدّ فى أهل الحجاز عم عثمان بن عفان أسلم يوم الفتح. و روى بإسناده إلى نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه و آله فمرّ الحكم بن أبي العاص فقال النبي صلى الله عليه و آله: ويل لأمّتى مما فى صلب هذا و هو طريد رسول الله صلى الله عليه و آله نفاه من المدينة إلى الطائف و خرج معه ابنه مروان.

و قد اختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه و آله و آله إياه فقليل: كان يتسمع سرّ رسول الله صلى الله عليه و آله و يطلع عليه من باب بيته و أنّه الذى أراد رسول الله صلى الله عليه و آله أن يفقأ عينه بمدرى فى يده لما اطلع عليه من الباب. و قيل: كان يحكى رسول الله صلى الله عليه و آله فى مشيته فالتفت يوما فرآه و هو يتخلج فى مشيته فقال: كن كذلك، فلم يزل يرتعش فى مشيته من يومئذ، فذكره عبد الرّحمان بن حسان بن ثابت فى هجائه لعبد الرّحمان بن الحكم:

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجا مجنوننا

يمسى خميص البطن من عمل التقى و يظل من عمل الخبيث بطينا

و معنى قول عبد الرحمان إن اللعين أبوك فروى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبى خيثمة أنها قالت لمروان بن الحكم حين قال لأخيها عبد الرحمان بن أبى بكر لَمَا امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد ما قال: و القصة مشهورة أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه و آله لعن أباك و أنت فى صلبه و قد روى فى لعنه و نقيه أحاديث كثيرة لا حاجة إلى ذكرها إلا أن الأمر المقطوع به أن النبى صلى الله عليه و آله مع حلمه و إغضائه على ما يكره ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم و لم يزل منفيًا حياة النبى صلى الله عليه و آله فلَمَا ولى أبو بكر الخلافة قيل له فى الحكم ليرده إلى المدينة فقال: ما كنت لأحلّ عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه و آله و كذلك عمر فلَمَا ولى عثمان الخلافة رده و قال: كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فوعدنى برده و توفى فى خلافة عثمان.

وفيه أيضا: مروان بن الحكم بن أبى العاص بن امية الأموى ابن عم عثمان ابن عفان بن أبى العاص و لم ير النبى صلى الله عليه و آله لأنه خرج إلى الطائف طفلا - لا - يعقل لما نفى النبى صلى الله عليه و آله اباه الحكم و كان مع أبيه بالطائف حتى استخلف عثمان فردهما و اسكتب عثمان مروان و ضمّه إليه و نظر إليه على يومنا فقال: ويلك و ويل امّة محمّد منك و من بنيك. و كان يقال لمروان: خيط باطل و ضرب يوم الدار على قفاه فقطع أحد علياويه فعاش بعد ذلك أوقص و الأوقص الذى قصرت عنقه، و لَمَا بويع مروان بالخلافة بالشام قال أخوه عبد الرحمان بن الحكم و كان ماجنا حسن الشعر لا يرى رأى مروان:

فو الله ما أدرى و إني لسائل حليلة مضروب القفا كيف تصنع

لحا الله قوما أمروا خيط باطل على الناس يعطى ما يشاء و يمنع

أقول: قول على عليه السلام لمروان: ويلك و ويل امّة محمّد منك و من بنيك، إشارة إلى ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله فى أبيه الحكم: ويل لأمتى ممّا فى صلب هذا.

«جواب القاضى عبد الجبار عن ذلك و اعتذاره منه»

نقل الشريف المرتضى علم الهدى فى الشافى جوابه عن ذلك عن كتابه المغنى إته قال: فأما ردّه الحكم بن أبى العاص فقد روى عنه إته لَمَا عوتب فى ذلك ذكر إته كان استأذن رسول الله صلّى الله عليه وآله وإتّما لم يقبل أبو بكر وعمر قوله لأنّه شاهد واحد وكذلك روى عنهما فكأنّما جعل ذلك بمنزلة الحقوق الّتى تخص فلم يقبل فيه خبر الواحد وأجرياه مجرى الشهادة فلمّا صار الأمر إلى عثمان حكم بعلمه لأنّ للحاكم أن يحكم بعلمه فى هذا الباب وفى غيره عند شيخينا ولا يفصلان بين حدّ وحقّ ولا أن يكون العلم قبل الولاية أو حال الولاية ويقولون إته أقوى فى الحكم من البيّنة والإقرار.

ثمّ ذكر عن أبى على أنّه يقطع به على كذب روايته فى إذن الرسول صلّى الله عليه وآله فى ردّه، فلا بد من تجويز كونه معذورا.

ثمّ سأل نفسه فى أن الحاكم إتّما يحكم بعلمه مع زوال التهمة وأن التهمة كانت فى ردّ الحكم قوية لقربته، وأجاب بأن الواجب على غيره أن لا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصحّ عليه لأنّه قد نصب منصبا يقتضى زوال التهمة عنه وحمل أفعاله على الصحة ولو جوّزنا امتناعه للتهمة لأدّى إلى بطلان كثير من الأحكام.

وحكى عن أبى الحسن الخيّاط أنّه لو لم يكن فى ردّه إذن من رسول الله صلّى الله عليه وآله لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد لأنّ النفى إذا كان صلاحا فى الحال لا- يمتنع أن يتغيّر حكمه باختلاف الأوقات وتغير حال المنفى وإذا جاز لأبى بكر أن يستردّ عمر من جيش اسامة للحاجة إليه وإن كان قد أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بنفوذه من حيث تغيرت الحال فغير ممتنع مثله فى الحكم.

«اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه»

اعترض عليه فى الشافى فقال: يقال له: أمّا ما ادعيته و بنيت الأمر فى قصّة الحكم من أن عثمان لما عوتب فى ردّه ادعى أن الرسول صلّى الله عليه وآله أذن له فى ذلك.

فهو شىء ما سمع إلا منك ولا يدرى من أين نقلته وفى أى كتاب وجدته وما رواه الناس كلّهم بخلاف ذلك.

وقد روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح أخرجته النبي صلى الله عليه وآله إلى الطائف وقال: لا تسكنني في بلد أبدا فجاءه عثمان فكلّمه فأبى، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك، ثم كان من عمر مثل ذلك فلما قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه فمشى في ذلك على عليه السلام والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر حتى دخلوا على عثمان فقالوا له: إنّك قد أدخلت هؤلاء القوم يعنون الحكم ومن معه وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أخرجهم وأبو بكر وعمر، وإنا نذكرك الله والاسلام ومعادك فإن لك معادا ومنقلبا وقد أبت ذلك الولاية من قبلك ولم يطمع أحد أن يكلمهم فيه وهذا سبب نخاف الله تعالى عليك فيه.

فقال: إن قرابتهم مني حيث تعلمون وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كلمته أطمعني في أن يأذن له وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم ولن يضركم مكانهم شيئا وفي الناس من هو شرّ منهم.

فقال عليّ عليه السلام: لا أحد شرا منه ولا منهم. ثم قال عليّ عليه السلام: هل تعلم أن عمر قال: والله ليحملن بنى أبي معيط على رقاب الناس والله لئن فعل ليقتلته؟ قال: فقال عثمان: ما كان منكم أحد يكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه وينال من المقدرة ما أنال إلا أدخله وفي الناس من هو شرّ منه. قال: فغضب عليّ عليه السلام قال: والله لتأتينا بشرّ من هذا إن سلمت وسترى يا عثمان غبّ ما تفعل، ثم خرجوا من عنده.

وهذا كما ترى خلاف ما ادّعه صاحب الكتاب لأنّ الرجل لما احتفل ادّعى أن الرسول صلى الله عليه وآله كان أطمعه في ردّه، ثم صرّح بأن رعايته فيه من القرابة هي الموجبة لردّه ومخالفة الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد روى من طرق مختلفة أن عثمان لما كلم أبا بكر وعمر في ردّ الحكم أغلظا له وزبراه وقال له عمر: يخرجك رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وتأمرنى أن أدخله والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل غير عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وآله والله لئن اشدق باثنين كما تشق الأبلهة أحبّ إليّ من أن اخالف لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمه، وإياك يا

ابن عفّان أن تعاودني فيه بعد اليوم. و ما رأينا عثمان قال في جواب هذا التعنيف و التوبيخ من أبي بكر و عمر: إن عندى عهدا من الرسول صلّى الله عليه و آله فيه لا استحق معه عتابا و لا تهجينا و كيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله صلّى الله عليه و آله معظم له بأن يأتي إلى عدوّ لرسول الله صلّى الله عليه و آله مصرّح بعداوتة و الوقعة فيه حتّى بلغ به الأمر إلى أن كان يحكى مشيته فطرده رسول الله صلّى الله عليه و آله و أبعد و لعنه حتّى صار مشهورا بأنّه طريد رسول الله صلّى الله عليه و آله فيؤويه و يكرمه و يرده إلى حيث اخرج منه و يصله بالمال العظيم و يصله إما من مال المسلمين أو ماله ان هذا العظيم كبير قبل التصفح و التأمل و التعلل بالتأويل الباطل.

فأما قول صاحب الكتاب «إن أبا بكر و عمر لم يقبلا قوله لأنّه شاهد واحد و جعلنا ذلك بمنزلة الحقوق التي تخصّ» فأول ما فيه أنّه لم يشهد عندهما بشيء في باب الحكم على ما رواه جميع الناس. ثمّ ليس هذا من الباب الذي يحتاج فيه إلى الشاهدين بل هو بمنزلة كلّ ما يقبل فيه أخبار الاحاد و كيف يجوز أن يجرى أبو بكر و عمر مجرى الحقوق ما ليس فيها.

وقوله: لا بدّ من تجويز كونه صادقا في روايته لأن القطع على كذب روايته لا سبيل إليه، ليس بشيء لأننا قد بيّنا أنّه لم يرو عن الرسول صلّى الله عليه و آله إذنا و إنّما ادعى أنّه، اطمعه في ذلك و إذا جوزنا كونه صادقا في هذه الرواية بل قطعنا على صدقه لم يكن معذورا.

فأما قوله: «الواجب على غيره أن لا يتّهمه إذا كان لفعله وجه يصحّ عليه لانتصابه منصبا يفضى إلى زوال التهمة» فأول ما فيه أن الحاكم لا يجوز أن يحكم بعلمه مع التهمة و التهمة قد يكون لها أمارات و علامات فما وقع فيها عن أمارات و أسباب تتهم في العادة كان مؤثرا و ما لم يكن كذلك و كان مبتدأ فلا تأثير له، و الحكم هو عمّ عثمان و قريبه و نسبيته و من قد تكلم فيه و في ردّه مرّة بعد اخرى و لوال بعد وال و هذه كلّها اسباب التهمة فقد كان يجب أن يتجنّب الحكم بعلمه في هذا الباب خاصّة لتطرق التهمة فيه.

فأمّا ما حكاه عن الخيّاط من «أن الرسول صلّى الله عليه وآله لو لم يأذن في ردّه لجاز أن يرده إذا رآه اجتهاده إلى ذلك لأن الأحوال قد تتغير» فظاهر البطلان لأنّ الرسول إذا حظر شيئاً أو أباحه لم يكن لأحد أن يجتهد في إباحة المحظور أو حظر المباح و من جوّز الاجتهاد في الشريعة لا- يقدم على مثل هذا لأنّه إنّما يجوز عندهم فيما لا نصّ فيه و لو جوّزنا الاجتهاد في مخالفة ما تناوله النصّ لم نأمن أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى تحليل الخمر و اسقاط الصلاة بأن يتغير الحال و هذا هدم للشريعة. فأمّا استشهاده باسترداد عمر من جيش اسامة فالكلام في الأمرين واحد و قد مضى ما فيه.

10 - ثمّ قال المسعودي: و كان عمّاله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط

إشارة

على الكوفة و هو ممن أخبر النّبىّ صلّى الله عليه وآله أنّه من أهل النّار

. و عبد الله بن أبي سرح على مصر و معاوية بن أبي سفيان على الشام و عبد الله بن عامر على البصرة، و صرف عن الكوفة الوليد بن عقبة و ولاها سعيد بن العاص و كان السبب في صرف الوليد و ولاية سعيد على ما روى أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه و مغنّيه من أول الليل إلى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلاً في غلائله فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلّى بهم أربعاً و قال: تريدون أن أزيدكم و قيل: أنّه قال في سجوده و قد أطال: اشرب و اسقني، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأوّل: ما تريد؟ لا زادك الله مزيد الخير و الله لا أعجب إلاّ ممن بعثك إلينا واليا و علينا أميراً و كان هذا القائل: عتاب بن غيلان الثقفي.

قال: و خطب النّاس الوليد فحصبه النّاس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح و يتمثل بأبيات لتأبط شرا:

و لست بعيداً عن مدام و قينة و لا بصفا صلد عن الخير معزل

و لكنني أروى من الخمر هامتي و أمشي الملا بالساحب المتسلسل

و في ذلك يقول الحطيئة كما في الشافي و المروج:

شهد الحطيئة يوم يلتقى ربّه إن الوليد أحقّ بالعدر

نادى و قد تمت صلاتهم أزيدكم ثملاً و ما يدري

ليزيدهم اخرى و لو قبلوا منه لزادهم على عشر

فأبوا أبا وهب و لو فعلوا لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانك في الصلاة و لو خلّوا عنانك لم تزل تجرى

و اشاعوا بالكوفة فعله و ظهر فسقه و مداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدي و أبو جندب بن زهير الأزدي و غيرهما فوجوده سكران مضطجعا على سريره لا يعقل فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر فانزعوا خاتمه من يده و خرجوا من فورهم إلى المدينة فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر فقال عثمان: و ما يدريكما أنه شرب خمرا؟ فقالا:

هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية و أخرجنا خاتمه فدفعاه إليه فرزأهما و دفع في صدورهما و قال: تنحيا عنّي فخرجا و أتيا عليّ بن أبي طالب عليه السلام و أخبراه بالقصة فأتى عثمان و هو يقول: دفعت الشهود و أبطلت الحدود فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه و لم يدل بحجة أقت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاها عثمان فاقاما الشهادة عليه و لم يدل بحجة فألقى عثمان السوط إلى عليّ فقال عليّ لابنه الحسن قم يا بنى فأقم عليه ما أوجب الله عليه فقال: يكفيه بعض ما ترى فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه أخذ عليّ السوط و دنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد و قال يا صاحب مكس، فقال عقيل بن أبي طالب و كان ممن حضر: إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت و أنت عالج من أهل صفورية - و هي قرية بين عكا و اللجون من أعمال الأردن من بلاد طبرية كان ذكر أن أباه كان يهوديًا منها - فأقبل الوليد يزوغ من عليّ فاجتذبه فضرب به الأرض و علاه بالسوط فقال عثمان:

ليس لك أن تفعل به هذا قال: بلى و شرّ من هذا إذا فسق و منع حقّ الله تعالى أن يؤخذ منه.

أقول: ان الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان أخا عثمان لأمه.

11 - و ولي عثمان الكوفة بعد الوليد بن عقبة سعيد بن العاص فلما دخل

ص: 220

سعيد الكوفة واليا أبا أن يصعد المنبر حتى يغسل وأمر بغسله وقال: ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه امور منكرة و اشتبه بالأموال وقال فى بعض الأيام و كتب به إلى عثمان إنما هذا السواد فطير لقريش فقال له الأشتر و هو مالک الحرث النخعي: أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز رماحنا بستانا لك و لقومك ثم خرج إلى عثمان فى سبعين راكبا من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص و سألوا عزله عنهم فمكث الأشتر و أصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شىء و امتدت أيامهم بالمدينة و قدم على عثمان امرأه من الأمصار، منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر و معاوية من الشام و عبد الله بن عامر من البصرة و سعيد بن العاص من الكوفة فأقاموا بالمدينة أياما لا يردهم إلى أمصارهم كراهة أن يرد سعيدا إلى الكوفة و كره أن يعزله حتى كتب إليه من أمصارهم يشكون كثرة الخراج و تعطيل الثغور فجمعهم عثمان و قال:

ما ترون؟ فقال معاوية أما أنا فراض بى جندى. و قال عبد الله بن عامر بن كريز ليكيفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلى و قال عبد الله بن سعد بن أبى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة و تولية غيره. و قال سعيد بن العاص إنك إن فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون و يعزلون و قد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الأحاديث و الخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر دابته فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد فاذا طلحة و الزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له: إينا فصار إليهما فقالا: فما وراءك؟ قال ابشر ما ترك شيئا من المنكر الا أتى به و أمر به و جاء الأشتر فقالا له إن عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد ردّ عليكم و أمر بتجهيزكم فى البعوث و بكذا و كذا.

فقال الأشتر: و الله قد كنا نشكو سوء سيرته و ما قمنا به خطباء فكيف و قد قمنا و ايم الله على ذلك لو لا انى انفدت النفقة و أنصيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى امنعه دخولها.

فقالا له: فعندنا حاجتك التي تقوتك في سفرك. قال: فاسلفاني إذا مائة ألف درهم فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسما بين أصحابه و خرج إلى الكوفة فسبق سعيد و صعد المنبر و سيفه في عنقه ما وضعه بعد. ثم قال: أما بعد فان عاملكم الذي انكرتم تعدييه و سوء سيرته قد ردّ عليكم و امر بتجهيزكم في البعوث فبايعوني على أن يدخلها فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة و خرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكة فلقى سعيدا بواقصة فأخبره بالخبر فانصرف إلى المدينة كتب الأشتر إلى عثمان انا و الله ما منعنا عاملك إلا ليفسد عليك عملك و من أحببت فكتب إليهم انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولّوه فنظروا فاذا هو أبو موسى الأشعري فولّوه.

أقول: هذا ما نقله المسعودي في مروج الذهب و غيره من المورخين بلا خلاف و من تأمل فيه يجد أن عثمان اضطر حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبي موسى و لم يصرف سعيدا مختارا بل ما صرفه جملة و انما صرفه أهل الكوفة عنهم.

و كان سعيد هذا أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان و لما قتل عثمان لزم بيته فلم يشهد الجمل و لا صفين فلما استقر الأمر لمعاوية أتاه و عاتبه معاوية على تخلفه عنه في حروبه فاعتذر هو فقبل معاوية عذره ثم ولّاه المدينة فكان يوليه إذا عزل مروان عن المدينة و يولى مروان إذا عزله. و قتل أبوه العاص يوم بدر كافرا قتله علي بن أبي طالب عليه السلام.

و في اسد الغابة: استعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط و غزا طبرستان فافتتحها و غزا جرجان فافتتحها سنة تسع و عشرين أو سنة ثلاثين و انتقضت آذربيجان فغزاها فافتتحها في قول.

في الشافى للشريف المرتضى علم الهدى: و من أحداث عثمان أنه ولي امور المسلمين من لا يصلح لذلك و لا يؤتمن عليه و من ظهر منه الفسق و الفساد و من لا علم له مراعاة لحرمة القرابة و عدولا عن مراعاة حرمة الدين و النظر للمسلمين حتى ظهر ذلك منه و تكزّر و قد كان عمر حذر من ذلك فيه من حيث وصفه بأنه كلف

بأقاربه وقال له إذا وليت هذا الأمر لا تسلط بنى أبي معيط على رقاب الناس فوجد منه ما حذره وعوتب في ذلك فلم ينفع العتب فيه وذلك نحو استعماله الوليد ابن عقبة وتقليده إياه حتى ظهر منه شرب الخمر واستعماله سعيد بن العاص حتى ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة، وتوليته عبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله ابن عامر بن كريز حتى يروى عنه في أمر ابن أبي سرح أنه لما تظلم منه أهل مصر و صرفه عنهم لمحمد بن أبي بكر وغيره ممن يرد عليه و ظفر بذلك الكتاب و لذلك عظم التظلم من بعد و كثر الجمع و كان سبب الحصار و القتل و حتى كان من أمر مروان و تسلطه عليه و على اموره ما قتل بسببه و ذلك ظاهر لا يمكن دفعه.

«اعتذار القاضي عبد الجبار من ذلك و جوابه عنه في المغني»

نقل عنه علم الهدى في الشافى أنه قال: أما ما ذكروه من توليته من لا يجوز أن يستعمل فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعى أنه حين استعمالهم علم من أحوالهم خلاف الستر و الصلاح لأن الذي ثبت عنهم من الأمور حدث من بعد و لا يمتنع كونهم في الأول مستورين في الحقيقة أو مستورين عنده و إنما يجب تخطيطه لو استعمالهم و هم في الحال لا يصلحون لذلك. فان قيل لما علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم، قيل له: كذلك فعل لأنه استعمال الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر منه فلما شهدوا بذلك جلده الحد و صرفه و قد روى مثله عن عمر لأنه ولي قدامة بن مظعون بعض أعماله فشهدوا عليه بشرب الخمر فأشخصه و جلده الحد فإذا عد ذلك في فضائل عمر لم يجز أن يعد ما ذكروه في الوليد من معائب عثمان؛ و يقال: إنه لما أشخصه اقيم عليه الحد بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام و اعتذر من عزله سعد بن أبي وقاص بالوليد بأن سعدا شكاه أهل الكوفة فأذاه اجتهاده إلى عزله بالوليد.

ثم قال: فأما سعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفة و ولي مكانه أبا موسى الأشعري، و كذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح عزله و ولي مكانه محمد بن أبي بكر و لم يظهر له في باب مروان ما يوجب أن يصرفه عما كان مستعملا فيه و لو كان ذلك طعنا لوجب مثله في كل من ولي و قد علمنا أنه عليه السلام ولي الوليد بن عقبة فحدث

منه ما حدث و حدث من بعض أمير المؤمنين الخيانة كالققعاق بن شور فأنه ولاه على ميسان (خراسان - ل خ) فأخذ مالها و لحق بمعاوية و كذلك فعل الأشعث ابن قيس بمال آذربايجان. و ولي أبا موسى الحكم و كان منه ما كان. و لا يجب أن يعاب أحد بفعل غيره.

فأما إذا لم يلحقه عيب في ابتداء الولاية فقد زال العيب فيما عداه. فقولهم: أنه قسم الولايات في أقاربه و زال عن طريقة الاحتياط للمسلمين و قد كان عمر حذر من ذلك فليس بعيب لأن تولية الأقارب كتولية الأبعد و أنه يحسن إذا كانوا على صفات مخصوصة.

و لو قيل إن تقديمهم أولى لم يمتنع ذلك إذ كان المولى لهم أشد تمكنا من عزلهم و الاستبدال بهم لمكان أقرب؛ و قد ولي أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس البصرة و عبيد الله بن عباس و قثم بن العباس مكة حتى قال الأشرع عند ذلك: على ما ذا قتلنا الشيخ أمس فيما يروى و لم يكن ذلك بعيب إذا أدى ما وجب عليه في اجتهاده.

«اعتراض علم الهدى عليه و ابطاله جوابه»

اعترض عليه الشريف المرتضى علم الهدى في الشافى أنه يقال له: أما اعتذاره في ولاية عثمان من ولاءه من الفسقة بانه لم يكن عالما بذلك من حالهم قبل الولاية و إنما تجدد منهم ما تجدد فعزلهم فليس بشيء يعول على مثله لأنه لم يول هؤلاء النفر إلا و حالهم مشهورة في الخلاعة و المجانة و التحرم و التهتك و لم يختلف اثنان في أن الوليد بن عقبة لم يستأنف التظاهر بشرب الخمر و الاستخفاف بالدين على استقبال ولايته الكوفة بل هذه كانت سنته و العادة المعروفة منه و كيف يخفى على عثمان و هو قريبه و لصيقه و أخوه لأمه من حاله ما لا يخفى على الأجانب الأبعد فلماذا قال له سعد بن أبي وقاص في رواية الواقدي و قد دخل الكوفة: يا با و هب أميراً أم زائراً؟ قال: بل أميراً، فقال سعد: ما أدري أحمقت بعدك أم كسست بعدى؟ قال:

ما حمقت بعدى و لا بعدك، و لكن القوم ملكوا فاستأثروا فقال سعد: ما أراك إلا صادقا.

و في رواية ابى مخنف لوط بن يحيى: ان الوليد لما دخل الكوفة مرّ على مجلس عمرو بن زرارة النخعي فوقف فقال عمرو: يا معشر بنى اسد بئس ما استقبلنا به «ج 14»

اخوكم ابن عفان من عدله ان ينزع عنا ابن ابي وقاص الهين اللين السهل القريب و يبعث علينا اخاه الوليد الأحمق الماجن الفاجر قديما و حديثا و استعظم الناس مقدمه و عزل سعد به و قالوا: اراد عثمان كرامة اخيه بهوان امّة محمّد صلّى الله عليه وآله.

و هذا تحقيق ما ذكرناه من أن حاله كانت مشهورة قبل الولاية لا ريب فيها على أحد فكيف يقال إنه كان مستورا حتى ظهر منه ما ظهر.

و في الوليد نزل قوله تعالى «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (السجدة - 20) فالمؤمن ههنا على بن أبي طالب عليه السلام و الفاسق الوليد على ما ذكره أهل التأويل.

و فيه نزل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصَوَّبُوا بِحُجُوبِهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» و السبب في ذلك انه كذب على بنى المصطلق عند رسول الله صلّى الله عليه وآله و ادعى أنهم منعوه الصدقة، و لو قصصنا مخازيه المتقدمة و مساويه لطال الشرح.

و أما شربه الخمر بالكوفة و سكره حتى دخل عليه من دخل و أخذ خاتمه من اصبعه و هو لا يعلم فظاهر قد سارت به الركبان و كذلك كلامه في الصلاة و التفاته إلى من يقتدى به فيها و هو سكران و قوله أزيدكم فقالوا لا قد قضينا صلاتنا حتى قال الحطينة في ذلك شعرا: شهد الخطيئة يوم يلقي ربه - الأبيات المذكورة آنفا و قال أيضا فيه:

تكلم في الصلاة و زاد فيها علانية و جاهر بالنفاق

و معج الخمر في سنن المصلّى و نادى و الجميع إلى افتراق

أزيدكم على أن تحمدوني فما لكم و مالي من خلاق

فأما قوله: «إنّه جلده و عزله» فبعد أى شىء كان ذلك؟ و لم يعزله إلا بعد أن دافع و مانع و احتج عنه و ناضل، فلو لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام قهره على رأيه لما عزله و لا مكّن من جلده.

و قد روى الواقدي أن عثمان لما جاءه الشهود يشهدون على الوليد بشرب الخمر أو عدهم و تهددهم. قال الراوى: و يقال: إنّه ضرب بعض الشهود أسواطاً فأتوا

أمير المؤمنين عليه السلام فشكوا فأتى عثمان فقال: عطلت الحدود وضربت قوما شهودا على أخيك فقلبت الحكم وقد قال عمر: لا تحمل بنى امية وآل أبى معيط على رقاب الناس، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئا من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنّة ولا عداوة أقمت على صاحبك الحدّ.

و تكلم فى مثل ذلك طلحة و الزبير و عايشة و قالوا أقوالا شديدة و أخذته الألسن من كلّ جانب فحينئذ عزله و مكّن من إقامة الحدّ عليه.

و روى الواقدي أن الشهود لمّا شهدوا عليه فى وجهه و أراد عثمان أن يحدّه ألبسه جبّة خزّ و أدخله بيتا فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه قال له الوليد انشدك الله أن تقطع رحمى و تغضب أمير المؤمنين فيكفّ، فلمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك أخذ السوط و دخل عليه فجلّده به فأبى عذر له فى عزله و جلده بعد هذه الممانعة الطويلة و المدافعة التامة.

و قصّة الوليد مع الساحر الذى يلعب بين يديه و يغرّ الناس بمكره و خديعته و أن جندب بن عبد الله الأزدي امتعض من ذلك و دخل عليه فقتله و قال له: أحى نفسك إن كنت صادقا و أن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر حتى أنكر الأزدي ذلك عليه فحبسه و طال حبسه حتى هرب من السجن معروفة مشهورة. أقول: و سيأتى نقل القصة.

قال: فان قيل: قد وليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله الوليد بن عقبة صدقة بنى المصطلق و وليّ عمر الوليد أيضا صدقة بنى تغلب فكيف يدعون أنّ حاله فى أنّه لا يصلح للولاية ظاهرة؟ قلنا: لا جرم أنّه غر رسول الله صلّى الله عليه وآله و كذب على القوم حتى نزلت الآية التى قدمنا ذكرها فعزله و ليس خطب ولاية الصدقة خطب ولاية الكوفة. فأما عمر لمّا بلغه قوله:

إذا ما شددت الرأس منى بمشور فويلك منى تغلب ابنة وائل

عزله. و أمّا عزل أمير المؤمنين عليه السلام بعض أمرائه لمّا ظهر منه الحدث كالقعقاع

ابن شور وغيره وكذلك عزل عمر قدامة بن مظعون لما شهدوا عليه بشرب الخمر و جلده له، فإنه لا يشبه ما تقدّم لأن كلّ واحد ممن ذكرناه لم يولّ الأمر إلاّ من هو حسن الظن عند توليته فيه حسن الظاهر عنده وعند النّاس غير معروف باللعب (باللّعنة - خ ل) ولا مشهور بالفساد، ثمّ لما ظهر منه ما ظهر لم يحام عنه ولا كذّب الشهود عليه و كابرهم بل عزله مختاراً غير مضطرّ و كلّ هذا لم يجرفى امراء عثمان، و لأنّنا قد بيّنا كيف كان عزل الوليد و إقامة الحدّ عليه.

فأمّا أبو موسى فإن أمير المؤمنين عليه السّلام لم يولّه الحكم مختاراً لكنّه غلب على رأيه و قهر على أمره و لا رأى لمقهور.

فأمّا قوله «إن ولاية الأقارب كولاية الأبعد بل الأبعد أجدر و أولى أن يقدم الأقارب عليهم من حيث كان التمكن من عزلهم أشدّ و ذكر تولية أمير المؤمنين عليه السّلام عبد الله و عبيد الله و قثما بنى العبّاس و غيرهم» فليس بشيء لأن عثمان لم تنقم عليه تولية الأقارب من حيث كانوا أقارب بل من حيث كانوا أهل بيت الظنّة و التهمة و لهذا حدّره عمر منهم و أشعر بأنّه يحملهم على رقاب النّاس، و أمير المؤمنين عليه السّلام لم يولّ من أقاربه متهما و لا - ظنينا و حين أحسّ من ابن عبّاس بعض الريبة لم يمهل و لا احتمله و كاتبه بما هو مشهور سائر ظاهر، و لو لم يجب على عثمان أن يعدل عن ولاية أقاربه إلاّ من حيث جعل عمر ذلك سبب عدوله عن النصّ عليه و شرط عليه يوم الشورى أن لا يحمل أقاربه على النّاس و لا يؤثرهم لمكان القرابة بما لا يؤثر به غيرهم لكان صادقا قويا فضلا عن أن ينضاف إلى ذلك ما انضاف من خصالهم الذميمة و طرائفهم القبيحة.

فأمّا سعيد بن العاص فإنّه قال فى الكوفة: إنّما السواد بستان لقريش تأخذ منه ما شئت و تترك حتّى قالوا له أ تجعل ما أفاء الله علينا بستانا لك و لقومك و نابذوه و أفضى ذلك الأمر إلى تسييره من سير من الكوفة و القصّة مشهورة ثمّ انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفة سعيدا من دخولها و تكلموا فيه و فى عثمان كلاما ظاهرا حتّى كادوا يخلعون عثمان فاضطرّ حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبى موسى

فلم يصرف سعيدا مختارا بل ما صرفه جملة و إنما صرفه أهل الكوفة عنهم.

12 - قال المسعودي: وفي سنة خمس و ثلاثين كثر الطعن على عثمان و ظهر عليه التكبر لأشياء ذكرها من فعله منها ما كان بينه و بين عبد الله بن مسعود و انحرف هذيل عن عثمان من أجله.

و في أسد الغابة: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي كان اسلامه قديما أول الاسلام سادس ستة في الاسلام و كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و هاجر الهجرتين جميعا إلى الحبشة و إلى المدينة و صلى القبليتين و شهد بدر و احد و الخندق و بيعة الرضوان و سائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه و آله، و أم عبد الله بن مسعود أم عبد بنت عبدود بن سوداء من هذيل أيضا.

و فيه بإسناده إلى عبد الرحمن بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا حدثنا بأقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه و آله هديا و دلا فأنخذ عنه و نسمع منه قال: كان أقرب الناس هديا و دلا و سممتا برسول الله صلى الله عليه و آله ابن مسعود و لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد هو من أقربهم إلى الله زلفى.

و فيه عن علي عليه السلام قال: أمر النبي صلى الله عليه و آله ابن مسعود فصعد على شجرة يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة ساقه فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

ما تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من احد.

و فيه عن حبة بن جوين عن علي عليه السلام قال: كنا عنده جلوسا فقالوا: ما رأينا رجلا أحسن خلقا و لا أرفق تعليما و لا أحسن مجالسة و لا أشد ورعا من ابن مسعود.

قال علي عليه السلام: انشدكم الله أ هو الصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد أني أقول مثل ما قالوا و أفضل.

و فيه في سبب اسلامه بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال: كنت غلاما يافعا في غنم لعقبة بن أبي معيط أرهاها فأتى النبي صلى الله عليه و آله و معه أبو بكر فقال: يا غلام هل معك من لبن؟ فقلت: نعم، و لكنى مؤتمن فقال: انتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فأنتيه بعناق أو جذعة فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه و آله فجعل يمسح الضرع و يدعو حتى

انزلت فأتاه أبو بكر بصحوة فاحتلب فيها ثم قال لأبي بكر: اشرب فشرب أبو بكر ثم شرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَهُ ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: اقلص فقلص فعاد كما كان. ثم أتيت فقلت:

يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَوْ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: إِنَّكَ غَلَامٌ مَعْلَمٌ فَلَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ سَبْعِينَ سُورَةً مَا نَازَعَنِي فِيهَا بَشَرٌ.

وفيه: وقال أبو طيبة مرض عبد الله فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكى؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال:

الطبيب أمرضني. قال: ألا أمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إنني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة إنني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: مَنْ قَرَأَ الْوَاقِعَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تَصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا. قال: وإنما قال له عثمان ألا أمر لك بعطائك لأنه كان قد حبسه عنه سنتين.

توفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين و ثلاثين من الهجرة و دفن ليلا اوصى بذلك و لم يعلم عثمان بدفنه فعاتب الزبير على ذلك و صَلَّى عليه عمّار و قيل صَلَّى عليه الزبير.

و في الشافى لعلم الهدى الشريف المرتضى: و قد روى كل من روى سيرة من أصحاب الحديث على اختلاف طرقهم ان ابن مسعود كان يقول: ليتني و عثمان برمل عالج يحثى على و احثى عليه حتى يموت الأعجز مني و منه.

وفيه: و رووا انه كان يطعن عليه فيقال له ألا- خرجت إليه لنخرج معك؟ فيقول: و الله لئن ازاول جبلا راسيا أحب إلي من أن ازاول ملكا مؤجلا. و كان يقول في كل يوم جمعة بالكوفة جاهرا معلنا: إن أصدق القول كتاب الله و أحسن الهدى هدى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَ كُلِّ مُحَدَّثٍ بَدْعَةٌ وَ كُلِّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَ كُلِّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ، و إنما يقول ذلك معرضا بعثمان حتى غضب الوليد من استمرار تعرّضه و نهاه عن خطبته هذه فكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان يستقدمه عليه.

وفيه: و روى أنه لما خرج عبد الله بن مسعود إلى المدينة مزعجا عن الكوفة

خرج النَّاس معه يشيِّعونَه وقالوا: يا با عبد الرَّحْمَن ارجع فو الله لا يوصل إليك أبدا فانا لا نأمنه عليك، فقال: أمر سيكون ولا احب أن أكون أوّل من فتحه.

أقول: الظاهر أنه يريد من قوله أمر سيكون قيام النَّاس على عثمان و قتلهم إيّاه لَمَّا رأى الأمور المحدثه المنكرة منه و كلام النَّاس و سخطهم فى عثمان و أفعاله.

و فى الشّافى: و قد روى عنه من طرق لا تحصى كثرة انه كان يقول: ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب. و تعاطى شرح ما روى عنه فى هذا الباب يطول و هو أظهر من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه. و انه بلغ من اصرار عبد الله على مظهرته بالعداوة أن قال لما حضره الموت من يتقبل منى وصية اوصيه بها على ما فيها؟ فسكت القوم و عرفوا الذى يريد فأعادها فقال عمار بن ياسر: فانا أقبلها. فقال ابن مسعود:

لا- يصلى على عثمان. فقال: ذلك لك. فيقال: انه لما دفن جاء عثمان منكرا لذلك فقال له قائل: إن عمارا ولى هذا الأمر. فقال لعمار: ما حملك على أن لم تؤذنى؟ فقال له: إنه عهد إلىّ ألاّ اؤذنك فوقف على قبره و أثنى عليه ثم انصرف و هو يقول رفعتم و الله بايديكم عن خير من بقى فتمثل الزبير بقول الشّاعر:

لأعرفنك بعد الموت تندبنى و فى حياتى ما زودتنى زادى

و فيه: لما مرض ابن مسعود مرضه الذى مات فيه فأثاه عثمان عائدا فقال:

ما تشتكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: رحمة ربى قال: ألا أدعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب أمرضى. قال فلا أمر لك بعطائك؟ قال: منعتنيه و أنا محتاج إليه و تعطينيه و أنا مستغن عنه. قال: يكون لولدك، قال: رزقهم على الله. قال:

استغفر لى يا با عبد الرحمن، فقال: أسأل الله أن يأخذ لى منك بحقى.

و فيه: ان كل من قرأ الأخبار علم أن عثمان أمر باخراجه من المسجد على أعنف الوجوه و بأمره جرى ما جرى عليه و لو لم يكن بأمره و رضاه لوجب أن ينكر على مولاه كسره لضلعه و يعتذر إلى من عاتبه على فعله بأن يقول: اننى لم أمر بذلك و لا رضيت من فاعله و قد انكرت على من فعله و فى علمنا بأن ذلك لم يكن دليل على

ما قلناه. وقد روى الواقدي بأسناده وغيره ان عثمان لما استقدمه المدينة دخلها ليلة جمعة فلما علم عثمان بدخوله قال: أيها الناس انه قد طرقتكم الليلة دويبة من تمشى على طعامه يقى و يسلمح. فقال ابن مسعود: لست كذلك و لكننى صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله يوم بدر و صاحبه يوم بيعة الرضوان و صاحبه يوم الخندق و صاحبه يوم حنين، قال: فصاحت عايشة أيا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه و آله؟ فقال عثمان: اسكتى.

ثم قال لعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى ابن قصي: أخرجته إخراجا عنيفا فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه. فقال ابن مسعود: قتلنى ابن زمعة الكافر بأمر عثمان.

و فى رواية اخرى أن ابن زمعة مولى لعثمان أسود كان مسدما طوالا.

و فى رواية اخرى أن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان.

و فى رواية أنه لما احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله انشدك الله أن تخرجنى من مسجد خليلي رسول الله صلى الله عليه و آله و هو الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه و آله: لساقا ابن امّ عبد أثقل فى الميزان يوم القيامة من جبل احد.

13 - قال المسعودى فى مروج الذهب و غيره: و من ذلك ما نال عمار بن ياسر

إشارة

من الفتن و الضرب و انحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله.

و فى تلخيص الشافى للشيخ الطوسى: و من ذلك إقدامه على عمّار حتى روى أنه صار به فتق و كان أحد من ظاهر المتظلمين على قتله و كان يقول: قتلناه كافرا.

أقول: قد ذكرنا فى المجلد الخامس عشر فى شرح الخطبة 236 طائفة من الأقوال و الأخبار فى ترجمة عمّار و مناقبه و فضائله فلا حاجة إلى الاعادة فراجع.

قال ابن جمهور الاحسائى فى المجلى: و من قوادح عثمان ضربه لعمار بن

ياسر حتّى أخذه الفتق على ما رواه الثقات من أهل السيرة ان عمّار بن ياسر قام فى المسجد يوماً و عثمان يخطب على المنبر فوبّخه بأحداثه و أفعاله فنزل عثمان فركضه برجله حتّى ألقاه على قفاه و داس فى بطنه برجله و أمر أعوانه من بنى امية فضربوه حتى غشى عليه و هو مع ذلك يشتم عماراً و يسبه و تركه و مضى إلى منزله فاحتمل عمّار إلى منزله و هو لما به فلما أفاق من غشوته دخل عليه الناس فلامه بعض و قال و ما لك و التعرض لعثمان و قد علمت أفعاله و أحداثه؟ فقال: إنما حملنى على ذلك كلام سمعت من رسول الله صلّى الله عليه و آله فأنه قال: أفضل الأعمال كلمة حق تقولها بين يدي إمام جائر فأردت أن أنال هذه الدرجة و أن لى و لعثمان موقفاً عند الله يوم القيامة.

«جواب القاضى عبد الجبار و شيخه أبى على عن ذلك»

قال علم الهدى فى الشافى: قال صاحب الكتاب «يعنى القاضى عبد الجبار صاحب الكتاب المعروف بالمغنى من الحجاج فى الإمامة»: فاما ما طعنوا به من ضربه عمّاراً حتى صار به فتق فقد قال شيخنا أبو على إن ذلك غير ثابت و لو ثبت انه ضربه للقول العظيم الذى كان يقوله لم يجب أن يكون طعنا لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك و ممّا يبيد صحة ذلك أن عماراً لا يجوز أن يكفره و لما يقع منه ما يستوجب الكفر لأن الذى يكفر به الكافر معلوم و لآئه لو كان قد وقع ذلك لكان غيره من الصحابة أولى بذلك و لوجب أن يجتمعوا على خلعه و لوجب أن لا يكون قتله لهم مباحاً بل كان يجب أن يقيموا إماماً يقتله على ما قدمنا القول فيه و ليس لأحد ان يقول انما كفرة من حيث وثب على الخلافة و لم يكن لها اهلا- لأننا قد بيّنا القول فى ذلك، لأنه كان مصوباً لأبى بكر و عمر على ما قدمنا من قبل، و قد بيّنا ان صحة إمامتهما يقتضى صحة إمامة عثمان.

و روى إن عمّاراً نازع الحسن عليه السلام فى أمره فقال عمّار قتل عثمان كافراً و قال الحسن عليه السلام قتل مؤمناً و تعلق بعضهما ببعض فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما ذا تريد من ابن أخيك؟ فقال إنى قلت كذا و قال الحسن عليه السلام كذا فقال أمير المؤمنين عليه السلام أتكفر برّبّ كان يؤمن به عثمان؟ فسكت عمّار.

و حكى عن الخياط أن عثمان لما تقم عليه ضربه لعمار احتجّ لنفسه فقال جاءنى

سعد وعمار فارسلا إلى أن اتتنا فانا نريد أن نذكرك اشياء فعلتها فارسلا إليهما أنى مشغول فانصرفا فمعد كما يوم كذا فانصرف سعد و أبي عمار أن ينصرف فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف فتناوله بعض غلمانى بغير أمرى و والله ما أمرت به و لا رضيت و ها أنا فليقتص منى قال: و هذا من أنصف قول و أعدله.

«اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى عليه»

قال علم الهدى فى جوابه: أنه يقال له: قد وجدناك فى قصة عثمان و عمار بين أمرين مختلفين: بين دفع لما روى من ضربه و بين اعتراف بذلك و تأول له و اعتذار منه بأن التأديب المستحق لا حرج فيه و نحن نتكلم على الأمرين:

أما الدفع لضرب عمار فهو كالانكار لوجود أحد يسمى عمارة أو لطلوع الشمس ظهورا و انتشارا و كل من قرأ الأخبار و تصفح السير يعلم من هذا الأمر ما لا تشبهه عنه مكابرة و لا مدافعة و هذا الفعل يعنى ضرب عمار لم يختلف الرواة فيه و إنما اختلفوا فى سببه:

فروى عباس عن هشام الكلبى عن أبى مخنف فى اسناده قال: كان فى بيت المال بالمدينة سبط فى حلى و جواهر فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه فى ذلك و كلموه فيه بكل كلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال:

لناخذن حاجتنا من هذا الفىء و إن زعمت أنوف أقوام فقال على عليه السلام إذا تمنع ذلك و يحال بينك و بينه فقال عمار: اشهد الله ان أنفى أول راغم من ذلك؛ فقال عثمان: أعلى يا ابن ياسر و سمية تجترىء؟ خذوه فأخذوه فدخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشى عليه ثم اخرج فحمل إلى منزل أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه و آله رحمة الله عليها فلم يصل الظهر و العصر و المغرب فلما أفاق توضأ و صلى و قال:

الحمد لله ليس هذا أول يوم اوذينا فيه فى الله فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى و كان عمار حليفا لبني مخزوم، يا عثمان أما على فأنقته و أما نحن فاجترأت علينا و ضربت أخانا حتى اشفيت به على التلف أما و الله لئن مات لأقتلن به رجلا من بني امية عظيم السيرة و إنك لها أنا ابن القسرية، قال: فأنهما قسريتان

و كانت أمّه و جدّته قسريتين من بجيلة فشتمه عثمان و أمر به فاخرج فأتى به أم سلمة فإذا هي قد غضبت بعمّار و بلغ عايشة ما صنع بعمّار فغضبت و أخرجت شعرا من شعر رسول الله صلّى الله عليه و آله و نعلا من نعاله و ثوبا من ثيابه و قالت: ما أسرع ما تركتم سنة رسولكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبيل بعد.

و روى آخرون أن السبب في ذلك أن عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل:

عبد الله بن مسعود فغضب على عمّار لكتمانته إياه موته إذا كان المتولى للصلاة عليه و القيام بشأنه فعندها وطىء عثمان عمارا حتّى أصابه الفتق.

و روى آخرون أن المقداد و طلحة و الزبير و عمارا و عدّة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله كتبوا كتابا عدّدوا فيه أحداث عثمان و خوفوه ربّه و أعلموه أنّهم موثبوه إن لم يقلع. فأخذ عمّار الكتاب فأتاه به فقرأه منه صدرا. فقال عثمان: أعلّيتّ تقدم من بينهم؟ فقال: لا أتى أنصحهم لك. فقال: كذبت يا ابن سمية. فقال: أنا و الله ابن سمية و أنا ابن ياسر فأمر غلماناه فمدّوا بيديه و رجله فضربه عثمان برجله و هي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق و كان ضعيفا كبيرا فغشى عليه.

فضرب عمّار على ما ترى غير مختلف فيه بين الرواة و إنّما اختلفوا في سببه، و الخبر الذي رواه صاحب الكتاب و حكاه عن الخياط ما نعرفه و كتب السير المعروفة خالية منه و من نظيره و قد كان يجب أن يضيفه إلى الموضوع الذي أخذه منه، فإنّ قوله و قول من اسند إليه ليسا بحجة. و لو كان صحيحا لكان يجب أن يقول بدل قوله ها أنا فليقتصّ منى و إذا كان ما أمر بذلك و لا رضيه و إنّما ضربه الغلام:

هذا الغلام الجاني فليقتصّ منه فإثمه أولى و أعدل و بعد فلا تنافى بين الروايتين لو كان ما رواه معروفا لأنّه يجوز أن يكون غلامه ضربه في حال اخرى و الروايات إذا لم تتعارض لم يجز اسقاط شيء منها.

فأمّا قوله: إن عمارا لا يجوز أن يكفره و لم يقع منه ما يوجب الكفر، فان تكفير عمّار له معروف قد جاءت به الروايات.

وقد روى من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أن عمارا كان يقول: ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع وأنا شرّ الأربعة و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأنا أشهد أنه قد حكم بغير ما أنزل الله.

وروى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل: بأى شىء أكفرتم عثمان؟ قال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله.

وروى عن حذيفة أنه كان يقول: ما فى عثمان بحمد الله أشكّ لكننى أشكّ فى قاتله أ كافر قتل كافرا أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتّى قتله و هو أفضل المؤمنين إيمانا.

فأمّا ما رواه من منازعة الحسن عليه السلام عمارا فى ذلك و ترافعهما فهو أولا غير رافع لكون عمّار مكفرا له بل هو شاهد من قوله بذلك. و إن كان الخبر صحيحا فالوجه فيه أن عمارا علم من لحن كلام أمير المؤمنين عليه السلام و عدوله عن أن يقضى بينهما بصريح القول: أنه متمسك بالتقيّة فأمسك عمّار لما فهم من غرضه.

فأمّا قوله لا- يجوز أن يكفره من حيث وثب على الخلافة لأنه كان مصوبا لأبى بكر و عمر و لما تقدّم من كلامه فى ذلك فلا بد إذا حملنا تكفير عمّار للرجل على الصحة من هذا الوجه أن يكون عمّار غير مصوب للرجلين على ما ادّعى.

فأمّا قوله عن أبى على أنه لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذى كان يقول فيه لم يكن طعنا لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك، فقد كان يجب أن يستوحش صاحب الكتاب أو من حكى كلامه من أبى على و غيره من أن يعتذر من ضرب عمار و قدّه حتّى لحقه من الغشى و ترك له الصلاة و وطيه بالاقدام امتهانا و استخفافا بشىء من العذر فلا عذر يسمع من إيقاع نهاية المكروه بمن روى أن النبى صلى الله عليه وآله قال فيه: عمّار جلدة ما بين العين و الأنف و متى تنك الجلد تدم الأنف.

وروى أنه صلى الله عليه وآله قال: ما لهم و لعمار يدعوهم إلى الجنّة و يدعونه إلى النار و روى العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة عن خالد بن الوليد

أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: مَنْ عَادَ عِمَارًا عَادَاهُ اللهُ وَ مَنْ أَبْغَضَ عِمَارًا أَبْغَضَهُ اللهُ.

وَأَيُّ كَلَامٍ غَلِيظٍ سَمِعَهُ مِنْ عِمَارٍ يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَلِكَ الْمَكْرُوهَ الْعَظِيمَ الَّذِي يَتَجَاوَزُ الْمَقْدَارَ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْحُدُودِ وَإِنَّمَا كَانَ عِمَارٌ وَ غَيْرُهُ يَنْثَوْنَ عَلَيْهِ أَحْدَاثُهُ وَمَعَايِبُهُ أحيانًا عَلَى مَا يَظْهَرُ مِنْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِ وَقَدْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَنْزِعَ عَمَّا يُوَاقِفُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ أَوْ أَنْ يَبِينَ عِذْرَهُ فِيهَا أَوْ بَرَاءَتَهُ مِنْهَا مَا يَظْهَرُ وَيَنْتَشِرُ وَيَشْتَهَرُ فَانْأَمَّ مَقِيمٌ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى تَوْبِيخِهِ وَتَفْسِيحِهِ زَجْرَهُ عَنْ ذَلِكَ بِوَعْظٍ أَوْ غَيْرِهِ وَ لَا يَقْدَمُ عَلَى مَا تَفْعَلُهُ الْجَبَابِرَةُ وَالْأَكَاسِرَةُ مِنْ شَفَاءِ الْغَيْظِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى وَ حَكَمَ بِهِ.

وَفِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ الدِّينُورِيِّ: ذَكَرُوا أَنَّهُ اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَتَبُوا كِتَابًا وَ ذَكَرُوا فِيهِ مَا خَالَفَ فِيهِ عُثْمَانُ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سُنَّةِ صَاحِبِيهِ - وَ بَعْدَ مَا أَتَى بِكَثِيرٍ مِنْ أَحْدَاثِهِ قَالَ: ثُمَّ تَعَاهَدَ الْقَوْمُ لِيُدْفَعَنَّ الْكِتَابُ فِي يَدِ عُثْمَانَ وَ كَانَ مِمَّنْ حَضَرَ الْكِتَابَ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَ الْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَ كَانُوا عَشْرَةَ فَلَمَّا خَرَجُوا بِالْكِتَابِ لِيُدْفَعُوهُ إِلَى عُثْمَانَ وَ الْكِتَابُ فِي يَدِ عِمَارٍ جَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ عَنْ عِمَارٍ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ فَمَضَى حَتَّى جَاءَ دَارَ عُثْمَانَ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأُذِنَ لَهُ فِي يَوْمِ شَاتٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَ عِنْدَهُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَ أَهْلَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ فَدَفَعَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ فَقَالَ لَهُ: أَنْتِ كَتَبْتِ هَذَا الْكِتَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَ مَنْ كَانَ مَعَكَ؟ قَالَ: كَانَ مَعِيَ نَفَرٌ تَفَرَّقُوا فَرَقًا مِنْكَ، قَالَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: لَا أَخْبِرُكَ بِهِمْ، قَالَ: فَلِمَ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ فَقَالَ مَرْوَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْأَسْوَدَ (يَعْنِي عِمَارًا) قَدْ جَرَّأَ عَلَيْكَ النَّاسَ وَ إِنَّكَ إِنْ قَتَلْتَهُ نَكَلْتِ بِهِ مِنْ وَرَائِهِ، قَالَ عُثْمَانُ: اضْرِبُوهُ فَضْرِبُوهُ وَ ضَرِبَهُ عُثْمَانُ مَعَهُمْ حَتَّى فَتَقُوا بَطْنَهُ فَغَشَى عَلَيْهِ فَجَرَّوهُ حَتَّى طَرَحُوهُ عَلَى بَابِ الدَّارِ - إِلَى آخِرِ مَا قَالَ.

14 - قَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي مَرْجِ الْذَهَبِ: وَ مِنْ ذَلِكَ فَعَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ فِي

مسجد الكوفة

وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ سَاكِنِي قَرْيَةِ مِنْ قَرْيِ الْكُوفَةِ مِمَّا يَلِي جِسْرَ بَابِلٍ يُقَالُ لَهُ: زَرَارَةُ يَعْمَلُ أَنْوَاعًا مِنَ الشَّعْبِذَةِ وَالسَّحْرِ يَعْرِفُ

ص: 236

بمطروى فاحضر فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل و هو أن أظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد ثم صار اليهودى ناقة يمشى على جبل ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ثم أمر السيف عليه فقام الرجل و كان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الأزدي فجعل يستعيد بالله من فعل الشيطان و من عمل يبعد من الرحمن و علم أن ذلك هو ضرب من التخيل و السحر فاخرط سيفه و ضرب به اليهودى ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه و قال: جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

و قد قيل ان ذلك كان نهارا و أن جندبا خرج إلى السوق و دنا من بعض الصياقلة و أخذ سيفا و دخل ف ضرب به عنق اليهودى و قال: إن كنت صادقا فأحى نفسك فأنكر عليه الوليد ذلك و أراد أن يقيده به فمنعه الأزدي فحبسه و أراد قتله غيلة و نظر السجّان إلى قيامه ليله إلى الصبح فقال له: انج بنفسك فقال له جندب: تقتل بى. قال: ليس ذلك بكثير فى مرضاة الله و الدفع عن ولى من أولياء الله، فلما اصبح الوليد دعا به و قد استعدّ لقتله فلم يجده فسأل السجّان فأخبره بهربه ف ضرب عنق السجّان و صلبه بالكناس.

قال ابن الأثير الجزرى فى اسد الغابة: جندب بن كعب بن عبد الله الأزدي أحد جنادب الأزدي و هو قاتل الساحر عند الأكثر و ممن قاله الكلبي و البخارى روى عنه الحسن.

قال: اخبرنا إبراهيم بن محمّد بن مهران الفقيه و غيره قالوا باسنادهم عن محمّد بن عيسى أخبرنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو معاوية عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن بن جندب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: حدّ الساحر ضربة بالسيف. قد اختلف فى رفع هذا الحديث فمنهم من رفعه بهذا الاسناد و منهم من وقفه على جندب.

و كان سبب قتله الساحر أن الوليد بن عقبة أبى معيط لما كان أميرا على

الكوفة حضر عنده ساحر فكان يلعب بين يدي الوليد يريه أنه يقتل رجلاً ثم يحييه ويدخل في فم ناقة ثم يخرج من حيائها فأخذ سيفاً من صيقل واشتمل عليه وجاء إلى الساحر فضربه ضربة فقتله ثم قال له: أحى نفسك ثم قرأ: «أَفْتَاتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» فرجع إلى الوليد فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حدّ الساحر ضربة بالسيف فحبسه الوليد فلما رأى السجّان صلواته وصومه خلى سبيله.

وفي الشّافي وتلخيصه: إنّ الوليد اراد أن يقتل جندبا بالساحر حتّى انكر الأزدي ذلك فحبسه وأطال حبسه حتّى هرب من السجن.

وقال في اسد الغابة: فأخذ الوليد السجّان فقتله وقيل: بل سجنه فأتاه كتاب عثمان باطلاقه وقيل: بل حبس الوليد جندبا فأتى ابن أخيه إلى السجّان فقتله وأخرج جندبا فذلك قوله:

أفي مضرب السحّار يحبس جندب و يقتل أصحاب التّبيّ الأوائل

فان يك ظني بابن سلمى ورهطه هو الحق يطلق جندب و يقاتل

وانطلق إلى أرض الروم فلم يزل يقاتل بها المشركين حتى مات لعشر سنوات مضين من خلافة معاوية.

15 - ومن ذلك قصة قتل الهرمزان

إشارة

وقد قدّمنا الكلام فيه في شرح الخطبة 236 وجملته أن عثمان عطل الحدّ الواجب في عبيد الله بن عمر فانه قتل الهرمزان بعد اسلامه فلم يقده به وقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام يطلبه لذلك. وتلك القصّة على الاجمال أنّ الهرمزان كان من عظماء فارس وكان قد اسر في بعض الغزوات و جىء به إلى المدينة فأخذه عليّ عليه السّلام فأسلم على يديه فأعتقه عليّ عليه السّلام فلما ضرب عمر في غلس الصبح واشتبه الأمر في ضاربه سمع ابنه عبيد الله قوم يقولون: قتله العليّ فظن أنهم يعنون الهرمزان فبادر عبيد الله إليه فقتله قبل أن يموت عمر فسمع عمر بما فعله ابنه فقال: قد أخطأ عبيد الله إنّ الذي ضربني أبو لؤلؤة وإن عشت لأقيدنه به فإن عليّاً لا يقبل منه الدية وهو مولاه فلما مات عمر وتولى عثمان طالب عليّ عليه السّلام بقود عبيد الله وقال: إنّه قتل مولاي ظلماً وأنا وليّه فقال عثمان: قتل بالأمس عمر

و اليوم يقتل ابنه حسب آل عمر مصابهم به و امتنع من تسليمه إلى عليّ عليه السّلام و منع عليّاً حقّه و لهذا قال عليّ عليه السّلام لأن أمكنني الدهر منه يوماً لأقتلته به فلما ولّى عليّ عليه السّلام هرب عبيد الله منه إلى الشّام و التجأ إلى معاوية و خرج معه إلى حرب صفين فقتله عليّ عليه السّلام في حرب صفين قال الأحسائي في المجلى: فانظر إلى عثمان كيف عطل حقّ عليّ عليه السّلام و خالف الكتاب و السنة برأيه و الله تعالى يقول «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَاناً».

و قال أبو جعفر الطبر في التاريخ: بعد ما بايع النَّاس عثمان جلس في جانب المسجد و دعا عبيد الله بن عمرو و كان محبوباً في دار سعد بن أبي وقاص و هو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جفينة و الهرمزان و ابنة أبي لؤلؤة و كان يقول: و الله لأقتلنّ رجلاً ممّن شرك في دم أبي يعرض بالمهاجرين و الأنصار فقام إليه سعد فنزع السيف من يده و جذب شعره حتّى أضجعه إلى الأرض و حبسه في داره حتّى أخرجه عثمان إليه فقال عثمان لجماعة من المهاجرين و الأنصار: أشيروا عليّ في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق، فقال عليّ أرى أن تقتله فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس و يقتل ابنه اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إنّ الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان و لك على المسلمين سلطان إنّما كان هذا الحدث و لا سلطان لك قال عثمان: أنا وليهم و قد جعلتها دية و احتملتها في مالي.

قال: و كان رجل من الأنصار يقال له زياد بن ليبيد البياضى إذا رأى عبيد الله ابن عمر قال:

ألا يا عبيد الله ما لك مهرب و لا ملجأ من ابن أروى و لا خفر

أصبت دماً و الله في غير حلّه حراماً و قتل الهرمزان له خطر

على غير شيء غير أن قال قائل أتتّهون الهرمزان على عمر

فقال سفيه و الحوادث جمّة نعم اتّهمه قد أشار و قد أمر

و كان سلاح العبد في جوف بيته يقلّبها و الأمر بالأمر يعتبر

فشكى عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن ليبيد و شعره فدعا عثمان زياد بن ليبيد فنهاه قال: فانشأ زياد يقول في عثمان:

أبا عمر و عبيد الله رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان

فإنك إن غفرت الجرم عنه فأسباب الخطا فرسا رهان

أ تعفو إذ عفوت بغير حقّ فما لك بالذي تحكى يدان

فدعا عثمان زياد بن ليبيد فنهاه و شذبه.

«اعتذار القاضي عبد الجبار من تعطيل عثمان الحد الواجب»

«في عبيد الله بن عمر»

تقل علم الهدى في الشافى عن عبد الجبار بقوله: ثم ذكر ما نسب إليه من تعطيل الحدّ في الهرمزان و حكى عن أبي على أنه لم يكن للهرمزان وليّ يطلب بدمه و الإمام وليّ من لا وليّ له و للوليّ أن يعفو كما له أن يقتل. و قد روى أنه سأل المسلمين أن يعفوا عنه فأجابوا إلى ذلك.

قال القاضي: و انما أراد عثمان بالعفو عنه ما يعود إلى عزّ الدّين لأنه خاف أن يبلغ العدو قتله فيقال: قتلوا إمامهم و قتلوا ولده و لا يعرفون الحال في ذلك فيكون شماتة.

و حكى عن الخياط أن عامة المهاجرين أجمعوا على الإيقاد بالهرمزان و قالوا: هو دم سفك في غير ولايتك فليس له وليّ يطلب به و أمره إلى الإمام فاقبل منه الدّية فذلك صلاح المسلمين.

قال: و لم يثبت أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان يطلبه ليقنته بالهرمزان لأنه لا يجوز قتل من عفى عنه وليّ المقتول و إنّما كان يطلبه ليضع من قدره و يصغر من شأنه.

قال: و يجوز أن يكون ما روى عن عليّ عليه السّلام انه قال: لو كنت بدل عثمان

لقتله، يعنى أنه كان يرى ذلك أقوى فى الاجتهاد و أقرب إلى التشدد فى دين الله.

«اعتراض علم الهدى على القاضى»

اعترض عليه الشريف المرتضى علم الهدى فى الشافى بقوله: فأما الكلام فى قتل الهرمزان وفى العدول عن قتل قاتله و اعتذاره من ذلك بما اعتذر به من انه لم يكن له وليّ لأنّ الإمام وليّ من لا وليّ له و له أن يعفو كما له أن يستوفى القود، فليس بشيء لأنّ الهرمزان رجل من أهل فارس و لم يكن له وليّ حاضر يطالب بدمه و قد كان يجب أن يبذل الإنصاف لأولياءه و يؤمنوا متى حضروا حتّى ان كان له وليّ يطالب و حضر و طالب.

ثمّ لو لم يكن له وليّ لم يكن عثمان وليّ دمه لأنه قتل فى أيام عمر فصار عمر وليّ دمه و قد أوصى عمر على ما جاءت به الروايات الظاهرة بقتل ابنه عبيد الله إن لم يقم البينة العادية على الهرمزان و جفينة أنهما أمرا أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بقتله و كانت وصيته بذلك إلى أهل الشورى فقال: أيكم وليّ هذا الأمر فليفعل كذا و كذا ممّا ذكرناه، فلما مات عمر طلب المسلمون إلى عثمان إمضاء الوصية فى عبيد الله بن عمر فدافع عنها و عللهم فلو كان هو وليّ الدّم على ما ذكره لم يكن له أن يعفو و أن يبطل حدًا من حدود الله تعالى و أىّ شماتة للعدوّ فى إقامة حدود الله تعالى؟ و إنّما الشماتة كلّها من اعداء الاسلام فى تعطيل الحدود؛ و أىّ حرج فى الجمع بين قتل الأب و الابن حتّى يقال كره أن ينتشر الخبر بأنّ الإمام و ابنه قتلا و إنما قتل أحدهما ظلما بغير أمر الله و الاخر بأمر الله تعالى.

و قد روى زياد بن عبد الله البكائى عن محمّد بن إسحاق عن أبان بن صالح أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أتى عثمان بعد ما استخلف فكلمه فى عبيد الله و لم يكلمه أحد غيره فقال: اقتل هذا الفاسق الخبيث الذى قتل امرا مسلما؛ فقال عثمان: قتلوا أباه بالأمس و أقتله اليوم و إنّما هو رجل من أهل الأرض فلما أبى عليه مرّ عبيد الله على على عليه السّلام فقال له يا فاسق ايه أما و الله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لأضربنّ عنقك فلذلك خرج مع معاوية على أمير المؤمنين عليه السّلام.

وروى القناد عن الحسن بن عيسى بن زيد عن أبيه أنّ المسلمين لما قال عثمان إنّى قد عفوت عن عبيد الله بن عمر قالوا: ليس لك أن تعفو عنه. قال: بلى إنّى ليس لجفينة و الهرمزان قرابة من أهل الاسلام و أنا أولى بهما لأنّى ولىّ أمر المسلمين و قد عفوت فقال علىّ عليه السّلام إنّى ليس كما تقول إنّما أنت فى أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين و إنّما قتلتهما فى إمرة غيرك و قد حكم الوالى الذى قبلك الذى قتلنا فى امارته بقتله و لو كان قتلتهما فى امارتك لم يكن لك العفو عنه فاتق الله فانّ الله سائلك عن هذا. فلما رأى عثمان أنّ المسلمين قد أبوا إلاّ قتل عبيد الله أمره فارتحل إلى الكوفة و ابنتى و أقطعه بها دارا و ارضا و هى التى يقال لها كويشة ابن عمر فعظم ذلك عند المسلمين و اكبروه و كثر كلامهم فيه.

وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام أنّه قال:

ما أمسى عثمان يوم ولىّ حتّى نقموا عليه فى أمر عبيد الله بن عمر حيث لم يقتله بالهرمزان.

فأمّا قوله: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يطلبه ليقبله بل ليضع من قدره فهو بخلاف ما صرّح به عليه السّلام من أنّه لم يكن إلاّ لضرب عنقه.

و بعد فإنّ ولىّ الدّم إذا عفى عنه على ما ادّعوا لم يكن لأحد أن يستخفّ به و يضع من قدره كما ليس له أن يقتله.

وقوله: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يجوز أن يتوعده مع عفو الإمام عنه فإنما يكون صحيحا لو كان ذلك العفو مؤثرا و قد بينا انه غير مؤثر.

وقوله: يجوز أن يكون عليه السّلام ممّن يرى قتله أقوى فى الاجتهاد و أقرب إلى التشدّد فى دين الله فلا شك أنه كذلك و هذا بناء منه على أن كلّ مجتهد مصيب و قد بينا أن الأمر بخلاف ذلك، و إذا كان اجتهاد أمير المؤمنين عليه السّلام يقتضى قتله فهو الذى لا يسوغ خلافه.

16 - فى المجلى: و من قوادحه عمله بالتكبر و اظهاره لاعماله الجابرة

و تزيينه بزىّ الجاهليّة و الملوك خلافا لما كان عليه التّبيّ صلى الله عليه و آله و أصحابه من

التواضع والزهد وطريقة الصلحاء فاستعمل الحجاب والغلمان ولبس الحرير والتزين بالمذهب و ضرب البوقات على بابه وكل هذه اعمال مخالفة للشريعة الأحمدية و ما كان عليه الصحابة و الخلفاء المتقدمين عليه و لهذا نعموا عليه و ظهر بين المهاجرين و الأنصار فسقه و طلبوا منه الاعتزال عن امرتهم فأبى فقتلوه لعلمهم باستحقاقه لذلك و أن الخلافة لا يجوز لمن هو معلن بالفسق.

17 - و فيه: و من قوادحه عيهم إياه بأنه لم يحضر غزاة بدر

التي كانت أول حرب امتحن به المؤمنون فجلس في بيته و تعلل بمرض زوجته و كذلك بيعة الرضوان لم يحضرها و تخلف عنها متعللاً بموت زوجته مع أن الله تعالى يقول في أهلها «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» فكان محروماً من ذلك الرضا و يوم احد انهزم و فرّ من الزحف أفبح فرار حتى أنه بقي في هزيمته مدة ثلاثة أيام لا يلتفت إلى وراه حتى وصل إلى قرية قريب مكة يقال لها:

السوارقية و لما رجع إلى المدينة بعد أن علم بسلامة النبي صلى الله عليه و آله قال له النبي صلى الله عليه و آله:

لقد ذهب فيها عريضة يا عثمان و لم يرد جواباً خجلاً مما فعله.

18 - و فيه: و من قوادحه أن الصحابة أجمعهم أجمعوا على حربته لأجل

أحداثه التي نعموها عليه

و كانوا يومئذ بين خاذل و قاتل حتى قتلوه في بيته بين ولده و نسائه في المدينة و دار الهجرة و منعه من الماء ثلاثة أيام و هو بين ظهراي المسلمين مع أنه خليفتهم و إمامهم لم يحم عنه منهم محام و لا له منهم قائم و ذلك دليل على اجماعهم على قتله و استحلالهم لدمه كما أجمعوا على خلافته حتى قال بعض العلماء: إن المجمعين على قتل عثمان كانوا أكثر من المجمعين على بيعته و ما ذاك إلا لعظم أحداثه حتى بقي ثلاثة أيام مرمياً على الكناسة بعد قتله لم يجسر أحد أن يدفنه حتى قام ثلاثة نفر من بنى أمية فأخذوه بالليل بعد انتصافه سرقة و دفنوه لكيلا يعلم بهم أحد و ذلك دليل على عظم أحداثه و كبر معاصيه في الإسلام و أهله فلو لا أنه كان مستحقاً لما فعلوه به، إلى آخر ما قال. و سنذكر تفصيل الكلام في قتله و ما ذكروا في المقام.

19 - و فيه: و من قوادحه قصته المشهورة مع أهل مصر

و ذلك أنه لما كثرت أحداثه و ظهرت بين المسلمين كثرت الشكايات منه و من عماله فورد إلى المدينة جماعة من أهل مصر يشكون من عامله عليهم عبد الله بن أبي سرح - إلى أن قال:

و عزل عثمان عن أهل مصر عامله و قال: تختاروا لأنفسهم من شاءوا فقالوا: نريد محمد بن أبي بكر فاستعمله على مصر و كتب له بها عهدا بحضرة الكل. ثم إن أهل مصر مع عاملهم محمد بن أبي بكر لما خرجوا من المدينة كتب عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح كتابا إنك متى قدم عليك محمد بن أبي بكر و أصحابه المصريين فاقتلهم و اصلبهم و ابق على عملك - إلى آخر ما قال و سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

20 - و منها - كما في الامامة و السياسة لابن قتيبة الدينوري -: تركه

المهاجرين و الأنصار

لا يستعملهم على شيء و لا يستشيرهم و استغنى برأيه عن رأيهم.

21 - و فيه أيضا: إداره القطن و الأرزاق

و الأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة و السلام ثم لا يغزون و لا يذبون.

22 - و فيه أيضا: و ما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط

و أنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس و إنما كان ضرب الخليفين قبله بالدرّة و الخيزران.

و في الشافى و تلخيصه: أنه جلد بالسوط و من كان قبله يضرب بالدرّة.

23 - في المجلى: و من قوادحه إحراقه المصاحف

إشارة

التي هي كلام الله العزيز الواجب على أهل الاسلام تعظيمه و القيام بحرمته و أنهم أجمعوا على أن من استخف بحرمته كان مرتدا خارجا من الإسلام و لا شيء في الاستخفاف ابلغ من الحرق بالنار، فقد نقل أهل السيرة أنه لما أراد اجتماع الناس على مصحفه طلب المصاحف التي كانت في أيدي الناس حتى جمعها كلها ثم أنه أحرقها. و في رواية اخرى أنه وضعها في قدر و طبخها بالنار حتى تمزقت و تفرقت و لم يبق منها غير مصحف عبد الله بن مسعود فإنه طلبه منه فمنعه و لم يسلمه إليه فضربه على ذلك حتى كسر بعض أضلاعه و منعه عطاءه و

بقى عبد الله مريضاً حتّى مات ودخل عليه عثمان فى مرضه و طلب منه أن يحلّه فلم يرض أن يحلّه، و كيف صحّ له التهجم

ص: 244

على الكتاب العزيز بهذه الأفعال الشنيعة وكيف صحّ له أن يضرب رجلاً من أكابر الصحابة وفضلائهم وعلماهم على منعه ملكه لا يسلمه إليه حتّى مات بسبب ذلك الضرب، و من المعلوم لكل أن كلّ ذلك الفعل مخالف للشريعة محرم بالكتاب و السنة.

و فى الشافى: ثمّ من عظيم ما أقدم عليه جمعه الناس على قراءة زيد و إحراقه المصاحف و إبطاله ما شك أنّه منزل من القرآن و أنّه مأخوذ عن الرسول صلّى الله عليه و آله و لو كان ذلك مما يسوغ لسبق إليه الرسول عليه السّلام و لفعله أبو بكر و عمر.

«اعتذار القاضى عبد الجبار فى المغنى من ذلك»

قال الشريف علم الهدى فى الشافى نقلاً عن القاضى أنّه حكى عن أبى علىّ فى قصّة ابن مسعود و ضربه أنّه قال: لم يثبت عندنا ضربه إياه و لا صحّ عندنا طعن عبد الله عليه و لا إكفاره له و الذى يصحّ فى ذلك أنّه كره منه جمع الناس على قراءة زيد و إحراقه المصاحف و ثقل ذلك عليه كما يثقل على الواحد منا تقديم غيره عليه و ذكر أن الوجه فى جمع الناس على قراءة واحدة تحصين القرآن و ضبطه و قطع المنازعة فيه و الاختلاف. قال القاضى: و ليس لأحد أن يقول لو كان واجبا لفعله رسول الله صلّى الله عليه و آله و ذلك أن الإمام إذا فعله صار كأنه فعله و لأن الأحوال فى ذلك يختلف. و قد روى عن عمر انه كان قد عزم على ذلك فمات دونه، و ليس لأحد أن يقول إنّ إحراقه المصاحف إنّما كان استخفافاً بالدين و ذلك لأنه إذا جاز من الرسول صلوات الله عليه أن يخرب المسجد الذى بنى ضرارا و كفرًا فغير ممتنع إحراق المصاحف.

«اعتراض الشريف المرتضى فى الشافى على القاضى»

قال بعد ما اثبت ضرب عثمان ابن مسعود و طعنه عثمان - فأما قوله: إن ابن مسعود سخط جمعه الناس على قراءة زيد و إحراقه المصاحف و اعتذاره من جمع الناس على قراءة واحدة بأن فيه تحصين القرآن و قطع المنازعة و الاختلاف فيه، ليس بصحيح و لا شك فى أن ابن مسعود كره إحراق المصاحف كما كرهه

جماعة من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و تكلموا فيه و ذكروا الرواة كلام كل واحد منهم في ذلك مفصلاً و ما كره عبد الله من تحريم قراءته و قصر الناس على قراءة غيره إلا مكروها و هو الذى يقول النبي صَلَّى الله عليه وآله: من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد.

و روى عن ابن عباس أنه قال قراءة ابن ام عبد هي القراءة الأخيرة إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان يعرض عليه القرآن في كل سنة في شهر رمضان فلما كان العام الذى توفى فيه صَلَّى الله عليه وآله عرض عليه دفعتين و شهد عبد الله ما نسخ منه و ما صحّ فهي القراءة الأخيرة.

و روى شريك عن الأعمش قال: قال ابن مسعود: لقد أخذت من في رسول الله صَلَّى الله عليه وآله سبعين سورة و أن زيد بن ثابت لغلّام يهودى في الكتاب له ذوابة.

أقول: قال في اسد الغابة: قال أبو وائل: لما شق عثمان المصاحف بلغ ذلك عبد الله فقال: لقد علم أصحاب محمد أنى أعلمهم بكتاب الله و ما أنا بخيرهم و لو أتى أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله منى تبلغنيه الأبل لأتيته، فقال أبو وائل: فقامت إلى الخلق أسمع ما يقولون، فما سمعت أحدا من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه. انتهى.

قال الشريف علم الهدى: فأما اختلاف الناس في القراءة و الأحرف فليس بموجب لما صنعه عثمان لأنهم يروون أن النبي صَلَّى الله عليه وآله نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شاف كاف فهذا الاختلاف عندهم في القرآن مباح مسند عن الرسول صَلَّى الله عليه وآله فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع في الحروف ما هو مباح فلو كان في القراءة الواحدة تحصين القرآن كما ادعى لما أباح النبي صَلَّى الله عليه وآله في الأصل إلا القراءة الواحدة لأنه أعلم بوجوه المصالح من جميع أمته من حيث كان مؤيداً بالوحي موقفاً في كل ما يأتي و يذر و ليس له أن يقول: حدث من الاختلاف في أيامه ما لم يكن في أيام الرسول صَلَّى الله عليه وآله و آله و لا من جملة ما أباحه و ذلك أن الأمر لو كان على هذا لوجب أن ينهى عن القراءة الحادثة و الأمر المبتدع و لا يحمله ما حدث من القراءة على تحريم المتقدم المباح بلا شبهة.

وقول صاحب الكتاب: إن الإمام إذا فعل ذلك فكأن الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله فعله.

فتعلّل بالباطل منه وكيف يكون ما ادعى وهذا الاختلاف بعينه قد كان موجودا في أيام الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله وما نهى عنه فلو كان سببا لانتشار الزيادة في القرآن وفي قطعه تحصين له لكان عليه السلام بالنهي عن هذا الاختلاف أولى من غيره، اللهم إلا أن يقال: أنه حدث اختلاف لم يكن فقد قلنا إن الأمر لو كان على هذا - إلخ.

و أما قوله: إن عمر كان قد عزم على ذلك فمات دونه، فما سمعناه إلا منه (1) فلو فعل ذلك أى فاعل كان لكان منكرا.

فأما اعتذاره من أن إحراق المصاحف لا يكون استخفافا بالدين بحمله إياه على تخريب مسجد الضرار والكفر فيبين الأمرين بون بعيد لأن البنيان إنما يكون مسجدا وبيتا لله تعالى بنية الباني وقصده و لو لا ذلك لم يكن بعض البنيان بأن يكون مسجدا أولى من بعض ولما كان قصده في الموضوع الذي ذكره غير القربة والعبادة بل خلافها وضدها من الفساد والمكيدة لم يكن في الحقيقة مسجدا وان سمي بذلك مجازا وعلى ظاهر الأمر، فهدمه لا حرج فيه وليس كذلك ما بين الدفتين لأنه كلام الله تعالى الموقر المعظم الذي يجب صيانته عن البذلة والاستخفاف فأى نسبة بين الأمرين.

ثم قال علم الهدى: قال صاحب الكتاب «يعنى القاضى عبد الجبار صاحب المغنى» فأما جمعه الناس على قراءة واحدة فقد بيّن أن ذلك من عظيم ما حصّن به القرآن لأنه مع هذا الصنيع قد وقع فيه من الاختلاف ما وقع فكيف لو لم يفعل

ص: 247

1- (1) رواه السيوطى فى الاتقان وابن النديم فى الفهرست قال: قال محمد بن اسحاق: حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط - إلا أن قال مسندا: ان زيد بن ثابت قال: ارسلت إلى أبى بكر فأتيته فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر ان عمر أتانى فقال لى ان القتل قد استحر بالقراء يوم اليمامة وانى أخشى أن يستحر القتل فى القراء فى المواطن كلها فيذهب كثير من القرآن فأرى أن يجمع القرآن بحال - إلى آخر ما قال فراجع (ص 36 طبع مصر) ولكن الحق كما قال علم الهدى: أى فاعل فعل ذلك كان منكرا. منه.

ذلك ولو لم يكن فيه إلا إطباق لجميع على ما أتاه من أيام الصحابة إلى وقتنا هذا لكان كافيا.

واعترض عليه علم الهدى حيث قال: أمّا ما اعتذر به من جمع الناس على قراءة واحدة فقد مضى الكلام عليه مستقصى وبيّنا أن ذلك ليس تحصينا للقرآن ولو كان تحصينا لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبيح القراءات المختلفة. وقوله: لو لم يكن فيه إلا إطباق الجميع على ما أتاه من أيام الصحابة إلى وقتنا هذا، ليس بشيء لأننا نجد الاختلاف في القراءات الرجوع فيها إلى الحروف مستمرا في جميع الأوقات التي ذكرها إلى وقتنا هذا وليس نجد المسلمين يوجبون على أحد التمسك بحرف واحد؛ فكيف يدعى إجماع الجميع على ما أتاه عثمان؟ فإن قال: لم أعن بجمعه الناس على قراءة واحدة إلا أنه جمعهم على مصحف زيد لأن ما عداه من المصاحف كان يتضمن من الزيادة والنقصان مما عداه ما هو منكرو.

قيل له: هذا بخلاف ما تضمنه ظاهر كلامك أولا ولا تخلو تلك المصاحف التي تعدّ مصاحف زيد من أن تتضمن من الخلاف في الألفاظ والكلم ما أقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وأباحت قراءته فان كان كذلك فالكلام في الزيادة والنقصان يجري مجرى الكلام في الحروف المختلفة وأن الخلاف إذا كان مباحا و مرويا عن الرسول صلى الله عليه وآله و منقولا فليس لأحد أن يحظره. وان كانت هذه الزيادة والنقصان بخلاف ما أنزله الله تعالى و ما لم يبيح الرسول صلى الله عليه وآله تلاوته فهو أسوأ ثناء على القوم الذين يقرون بهذه المصاحف كابن مسعود وغيره وقد علمنا أنه لم يكن منهم إلا من كان علما في القرائه و الثقة و الأمانة و النزاهة عن أن يقرأ بخلاف ما أنزله الله و قد كان يجب أن يتقدم هذا الإنكار منه من غيره لأنّ انكار الزيادة في القرآن و النقصان لا يجوز تأخيره عن ولى الأمر قبله.

أقول: زيد بن ثابت هو أحد كتّاب الوحي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله الوحي وغيره. قال في اسد الغابة و كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بالسريانية فأمر

زيدا فتعلمها. قال: وكان زيد عثمانيا ولم يشهد مع عليّ شيئا من حروبه وكان يظهر فضل عليّ وتعظيمه. وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر و عثمان كما في الفهرست لابن النديم أيضا.

وهو الذي ذكر المسعودي في مروج الذهب عن سعيد بن المسيّب أن زيد ابن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفئوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار اقتناها من عثمان لأنه كان عثمانيا.

وفي الشافى لعلم الهدى أنّه روى الواقدي أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار وهو يدعوهم إلى نصر عثمان فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حيّة المازني فقال له جبلة: ما يمنعك يا زيد أن تذب عنه أعطاك عشرة ألف دينار وأعطاك حدائق من نخل ما لم ترث من أبيك مثل حديقة منها.

انظر أيها القارئ الكريم في أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله زيدا بتعلّم السريانيّة نظر دقّة أنّه صلّى الله عليه وآله كان في نشر العلوم وتوسعة المعارف على ذلك الحدّ من الاهتمام ولم يكن دأبه العصبيّة والجمود على لسان واحد ولغة واحدة ولا ريب أن لسان كلّ قوم سلّم للوصول إلى معارفهم ونيل علومهم ودرك فنونهم ولم يمنع الناس نبى عن الارتقاء ولم يحرم عليهم ما فيه سعادتهم بل الأنبياء بعثوا لترويج العلوم وتهذيب النفوس وتشحيد العقول قال عزّ من قائل «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» إلا أنّ الأوباش وعبيد الدنيا المأسورين في قيود الوسوس الشيطانية والمحرومين من اللذات الروحانية والمحجوبين عن جناب الربّ جلّ جلاله والمغفلين عن معنى التمدّن والتكامل لما تعودوا بما لا يزدادهم من الحق إلا بعدا و ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اشمازوا عمّا جاء من الشارع الحكيم فيما لم يوافق غرضا من أغراضهم الدنية.

«التبيان في عدم تحريف القرآن»

لما انجزّ البحث إلى إحراق عثمان مصاحف فلا بأس أن نشير إلى عدم تحريف القرآن الكريم في المقام فأنّه كثيرا ما يتوهم بل كثيرا ما يسأل عن تحريفه

وزيادته ونقصانه، ويختلج في بعض الأذهان أن ما بين الدفتين الذي بأيدي المسلمين الان ليس هو جميع ما أنزل على الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.

واعلم أن الحق المحقق المبرهن بالبراهين القطعية من العقلية و التقلية أن ما فى أيدي الناس من القرآن الكريم هو جميع ما أنزل الله تعالى على رسوله خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله و ما تطرق إليه زيادة و نقصان أصلا؛ و مبلغ سوره مائة و أربع عشرة سورة من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الان بلا ريب و أن ترتيب الايات فى السور توقيفى إتما كان بأمر النبي صلى الله عليه وآله كما أخبر به الأمين جبرائيل عن أمر ربه، و أن الناس كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل رحلته يعرفون السور بأساميها، و أن رسم الخط فى القرآن المجيد هو الرسم المكتوب من كتاب الوحي فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله، و أن آية بسم الله الرحمن الرحيم لم تكتب فى أول البراءة لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور 113 مرة و انها جزء كل سورة كما أنها جزء آية النمل بل انها آيتان فيه. و أن ما جاء من الأخبار و الاثار فى جمع جم غفير من الصحابة القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وآله أو بعد رحلته كما ورد أن جمع القرآن وقع على عهد أبى بكر فليس المراد أنهم رتبوا الايات فى السور و سيأتى الكلام فى تحقيق ترتيب السور أيضا.

و كلما ذكرنا هو مذهب المحققين من علمائنا الإمامية رضوان الله عليهم و غيرهم من علماء العامة هداهم الله إلى الصواب و من ذهب إلى خلاف ذلك فقد خبط خبط عشواء و سلك طريقة عمياء.

ثم إنا لو أتى بالبراهين فى كل واحد مما اشرفنا إليها و نبين بطلان قول المخالف على التفصيل لطلال بها الكتاب و انتشر الخطاب و كثر بنا الخطب لكننا نورد جملة منها فإن فيها كفاية إن شاء الله تعالى لمن كان له قلب.

واعلم أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من الأخبار المتواترة فى فضائل السور بأساميها بل فى فضائل بعض آيات القرآن و فى وضع الايات فى كل موضع خاص بأمر أمين الوحي، و أن بعض السور افتتح ببعض من الحروف المقطعة دون بعض

مثلا ان البقرة افتتحت بالهم، و يونس بالر، و الرعد بالمر، و الأعراف بالمص، و مريم بكهيعص، و الشعراء بطسم، و النمل بطس، و المؤمن بحم، و الشورى بحمعسق، و هكذا فى السور الأخر، و أن بعضها لم يفتح بها و أن سورة البراءة ليست مبدوةً بسم الله الرحمن الرحيم، و قوله تعالى: «سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا» (النور - 2) وقوله تعالى (البقرة - 22) «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». وقوله (يونس - 39) «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» وقوله تعالى (التوبة - 88) «وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِهَا بِاللَّهِ» إلخ. وقوله (هود - 16) «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» - أدلة قطعية على أن تركيب السور من الايات كان بأمر النبى صلى الله عليه وآله و انها كانت مرتبة موسومة بأساميها فى عهده صلى الله عليه وآله قبل ارتحاله يعرفها الناس بها.

نقل أمين الاسلام فى تفسيره مجمع البيان و الزمخشري فى الكشاف و السيوطى فى الاتقان وغيرهم من أجلاء العلماء عن ابن عباس و السدى أن قوله تعالى:

«وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقرة - 280) آخر آية نزلت من الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وآله و أن جبرئيل عليه السلام قال له صلى الله عليه وآله ضعهما فى رأس الثمانين و المائتين من البقرة، و هذا القول كأنما إجماعى و إنما الاختلاف فى مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزولها، فعن ابن عباس انه صلى الله عليه وآله عاش بعدها احدا و عشرين يوما، و قال ابن جريح: تسع ليال و قال سعيد ابن جبير و مقاتل: سبع ليال و فى الكشاف: قيل ثلاث ساعات.

أقول: وضع جميع الايات فى مواضعها كان بأمر الله تعالى و إن لم يذكر فى الجوامع لكل واحدة واحدة منها رواية عليحدة و لا ضير أن تكون الاية المتقدمة على آية فى السورة متأخرة عنها نزولا.

قال الزمخشري فى أول التوبة من الكشاف: فإن قلت: هلا صدرت باية

التسمية كما فى سائر السور؟ قال: قلت: سأل عن ذلك ابن عثمان عنهما فقال:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال: اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا و توفى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبين لنا أين نضعها - إلخ.

أقول: فالرواية دالة صريحة على أن تركيب السور بالآيات كان بأمره صلى الله عليه وآله وأن آية البسملة لم ينزل مع البراءة وإلا لجعلها فى أولها وأن البسملة نزلت مائة و ثلاث عشرة مرة مع كل سورة مفتحة بها وهذه الرواية مروية فى المجمع والاعتقان أيضا.

وروى الطبرسى فى المجمع وغيره فى التفاسير والجوامع والسير عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا سورة البقرة و سورة آل عمران فانهما الزهراوان وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف أقول: فالحديث يدل صريحا على أن هاتين السورتين كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مرتبتين متداولتين يعرفهما الناس.

وروى السيوطى فى الاعتقان والمفسرون منهم الطبرسى فى أول سورة هود روى الثعلبى بإسناده عن إسحاق عن أبى جحيفة قال: قيل: يا رسول الله قد أسرع إليك الشيب قال صلى الله عليه وآله: شيبتى هود وأخواتها.

وفى رواية اخرى عن أنس بن مالك عن أبى بكر قال: قلت يا رسول الله: عجل إليك الشيب قال صلى الله عليه وآله: شيبتى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتيك حديث الغاشية.

قال الطبرسى فى الفن الرابع من مقدمة مجمع البيان: وقد شاع فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال: أعطيت مكان التوراة السبع الطول و مكان الإنجيل المثانى و مكان الزبور المثين و فضلت بالمفصل. و رواها السيوطى فى الاعتقان وغيره أيضا فى جوامعهم.

بيان

كلمة: الطول مكتوبة فى النسخ المطبوعة وغيرها غالبا بالألف أعنى الطوال

ولكنه تصحيف و الصواب الطول كصرد جمع الطولى مؤنث الأطول قال ابن الأثير فى النهاية: وقد تكرر فى الحديث: اوتيت السبع الطول و الطول بالضم جمع الطولى مثل الكبرى فى الكبرى و هذا البناء يلزمه الالف و اللام أو الإضافة قال: و منه حديث ام سلمة كان يقرأ فى المغرب بطولى الطوليين ثنية الطولى و مذكرها الأطول أى الله كان يقرأ فيها بأطول السورتين الطويلتين يعنى الأنعام و الأعراف - انتهى و كذا فى القاموس و مجمع البحرين.

أقول: إن هذه الأحاديث و أمثالها المروية من الفريقين عن رسول الله صلى الله عليه و آله مما لا تعدّ كثرة تدلّ على أن السور كانت مرتبة قبل رحلة الرسول صلى الله عليه و آله و كان الناس يعرفونها بأسمائها فلا حاجة إلى نقل جميع الأخبار الواردة فى فضائل السور.

نعم إن ترتيب السور القرآن ليس على ترتيب النزول بل إن ترتيب آيات السور أيضا ليس على ترتيب النزول سواء كانت السورة نزلت جملة واحدة كسورة الأنعام كما فى مجمع البيان و كثير من المفصل أو لم تكن.

ثم إن مما هممت على أن ترتيب الايات فى السور كان من أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أن بعض السور كالأنعام مثلا نزلت جملة واحدة، و أن أكثر آيات السور نزلت نجوما و لا كلام فى أن بعضها مقدم على البعض نزولا و تركيب السور منها ليس بترتيب نزولها ظاهرا و مع ذلك ركبت على نحو كان بين الايات المتسقة فى السور كمال البلاغة و الفصاحة على حدّ تحدّى الله تعالى عباده بالأتيان بعشر سور أو بسورة من القرآن و قال: «لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (الكهف - 91) و أنى للبشر أن يؤلف جملا شتى نزلت فى نيف و عشرين سنة فى أحكام مختلفة تبلغ إلى ذلك الحدّ من الإعجاز؟ فهل يسع أحدا أن يقول إن ترتيبها كذلك فى السور لم يكن بأمر الله تعالى و أمر رسوله؟ فاتتبهوا يا اولى الالباب «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء - 85).

على أن الآيات لو لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مرتبة وأن الصحابة رتبوها بعده صلى الله عليه وآله كما توهم شاذمة قليل من غير تدبر وعمق لم يكن لقوله تعالى: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ» - أو «بِعَشْرِ سُورٍ»، و أمثالها معنى. قال السيوطي في الفصل الأول من النوع 18 من الاتقان: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك فقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته و عبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وآله وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.

ثم كثيرا ما يقرع سمعك في التفاسير والشروح أن هذه الآية مرتبطة بتلك الآية وتلك بهاته، مثلا قال الطبرسي في المجمع قوله تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى» (النساء - 3) متصلة بقوله تعالى: «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» (النساء - 127) فمرادهم أن تلك الآيات متصل بعضها ببعض معنى وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضا كالمبين للمجمل والمقيد للمطلق والخاص للعام قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في النهج الخطبة 131: كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله - إلخ. والمراد من قوله عليه السلام: يشهد بعضه على بعض أن بعضه يصدق بعضا ولا يضاده كما قال الله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء - 85) وقال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» (البقرة - 173) وليس مرادهم أن تلك الآيات متصلة بالأخرى لفظا لما دريت من أن الآيات رتبت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمره وعليه جمهور العلماء المحققين.

أقول: ومن جهة ارتباط المعنى عدت سورتا والضحي والانشرح واحدة وجوزت قراءتهما في السورتين بل لم تجز قراءة واحدة منهما في الفريضة مع أنه ورد النهي عن القرآن بين السورتين في ركعة فريضة ويجب أن يقرأ بين السورتين بسم الله الرحمن الرحيم لأنها جزء السورة وقول الشيخ الطوسي قدس الله سره

بترك البسملة بين السورتين عليل لا يوافقه دليل، وكذا الفيل وقريش، قال السيد بحر العلوم قدس سره فى الدرّة.

ووالضحى والإشراح واحدة بالاتفاق والمعانى شاهدة

كذلك الفيل مع الإيلاف وفصل بسم الله لا ينافى

وإنما قيدنا الركعة بالفريضة لأنه يجوز الجمع بين سور كثيرة فى النوافل فاذا جمعها وجب أن يقرأ البسملة مع كل سورة وفى النوع 19 من الاتقان قال:

وفى كامل الهذلى عن بعضهم انه قال: الضحى والم نشرح سورة واحدة نقله الإمام الرازى فى تفسيره عن طاوس وغيره من المفسرين.

واعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم جزء آية من سورة النمل بل إنها آيتان فيها وأنها آية من كل سورة ولذا من تركها فى الصلاة سواء كانت الصلاة فرضاً أو ندباً بطلت صلاته ويجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة وهو مذهب أصحابنا الإمامية وبين فقهاء الأمة فيها خلاف وإن وافقنا فيه أكثرهم بل هو مذهب جلّ علماء السلف لو لا الكلّ.

قال فى تفسير المنار: اجمع المسلمون على أن البسملة من القرآن وأنها جزء آية من سورة النمل. واختلفوا فى مكانها من سائر السور فذهب إلى أنها آية من كل سورة علماء السلف من أهل مكة فقهاءهم وقرائهم ومنهم ابن كثير وأهل الكوفة ومنهم عاصم والكسائى من القراء وبعض الصحابة والتابعين من أهل المدينة والشافعى فى الجديد واتباعه والثورى وأحمد فى أحد قوليه والامامية، ومن المروى عنهم ذلك من علماء الصحابة على عليه السلام وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة ومن علماء التابعين سعيد بن جبير وعطاء والزهرى وابن المبارك، وأقوى حججهم فى ذلك إجماع الصحابة ومن بعدهم على إثباتها فى المصحف أول كل سورة سوى سورة براءة مع الأمر بتجريد القرآن عن كل ما ليس منه. ولذلك لم يكتبوا آمين فى آخر الفاتحة، وأحاديث منها ما أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انزلت على أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وروى

أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ وَفِي رِوَايَةِ انْقِضَاءِ السُّورَةِ - حَتَّى يَنْزَلَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخِينَ. وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا قَرَأْتُمْ الْحَمْدَ لِلَّهِ فَاقْرَءُوا بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهَا أَمُّ الْقُرْآنِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِحْدَى آيَاتِهَا. وَذَهَبَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّامِ وَأَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ مِنْ قِرَاءِ الْبَصْرَةِ إِلَى أَنَّهَا آيَةٌ مَفْرُودَةٌ أَنْزَلَتْ لِبَيَانِ رَعُوسِ السُّورِ وَالْفَصْلِ بَيْنِهَا، وَعَلَيْهِ الْحَنْفِيَّةُ، وَقَالَ حَمْزَةُ مِنْ قِرَاءِ الْكُوفَةِ وَرَوَى عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهَا آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ دُونَ غَيْرِهَا وَثَمَّةُ أَقْوَالٌ أُخْرَى شَاذَّةٌ (قَالَ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ).

أقول: لم يكن لهؤلاء الشاذة القائلين بأن البسملة آية واحدة نزلت مرة واحدة فقط حجة قاطعة يعتد بها ولو أتوا بحجة فهي داحضة بلا مرية وارتباب، وكيف؟ وأن كثيرا من الآيات كزرت في القرآن نحو آية فبأى آلاء ربكما تكذبان إحدى و ثلاثين مرة في الرحمن، وآية ويل يومئذ للمكذبين عشر مرات في المرسلات، وآية إنا كذلك نجزي المحسنين أربع مرات في الصفات، وآية ألم ستّ مرات: في مفتح البقرة، آل عمران، العنكبوت الروم، لقمن، السجدة، وآية الر خمس مرات: في مفتح يونس، هود، يوسف، إبراهيم الهجر، وآية حم ستّ مرات: مفتح المؤمن، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف و مع سورة الشورى «حم عسق» تصير سبع مرات، وآية «طسم» مرتين: مفتح الشعراء والقصص. وقوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (النمل - 85) و (الروم - 54) إلا أن كلمة «هادي» في الثانية مكتوبة بلاياء أعني «بهاد العمي» اتباعا للمصاحف التي كتبت على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا سَيَأْتِي تَحْقِيقُهُ. وَكَذَا طَائِفَةٌ مِنْ آيَاتِ أُخْرَى

كررت في القرآن فأنى يجوز لهؤلاء أن يقولوا إنها نزلت مرة واحدة و ما دليلهم على ذلك فلم لم يكن البسملة نازلة كأخواتها غير مرة؟ على أن مذهبهم يضاد صريح كثير من الأخبار المصرحة في أن البسملة نزلت بعددها في القرآن، مع أن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمين و ذابهم و سيرتهم تجريد القرآن عن كل ما ليس منه؛ و في النوع 18 من الإتيان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله: لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن.

و قال في أول التوبة من تفسير المنار: و لم يكتب الصحابة و لا من بعدهم البسملة في أولها لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور قال: هذا هو المعتمد المختار في تعليقه و قيل رعاية لمن كان يقول إنها مع الأنفال سورة واحدة و المشهور انه لنزولها بالسيف و نبذ العهود و قيل غير ذلك ممّا في جعله سببا و علة نظر، و قد يقال: انه حكمة لا علة و ممّا قاله بعض العلماء في هذه الحكمة أنها تدل على أنّ البسملة آية من كلّ سورة أى لأن الاستثناء بالفعل كالأستثناء بالقول معيار العموم انتهى.

و قال في الإتيان (أول النوع 19 منه). اخرج القشيري الصحيح أنّ التسمية لم تكن في البراءة لأن جبرئيل عليه السلام لم ينزل بها فيها.

و في الشاطبية:

و بسمل بين السورتين [ب] سنّة [ر] جال [ن] موها [د] ربة و تجمّلا

قال ابن القاصح في الشرح: أخبر أن رجلا بسملا بين السورتين آخذين في ذلك بسنة، نموها أى رفعوها و نقلوها و هم قالون و الكسائي و عاصم و ابن كثير و اشار اليهم بالباء و الراء و النون و الدال من قوله بسنة رجال نموها درية. و أراد بالسنة التي نموها كتابة الصّحابة لها في المصحف و قول عائشة رضی الله عنها اقرءوا ما في المصحف و كان النبي صلى الله عليه وآله لا يعلم انقضاء السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ففيه دليل على تكرير نزولها مع كلّ سورة.

أقول: و روى عن أئمتنا عليهم السلام نحو الرواية المروية عنها كما في تفسير العياشي

عن صفوان الجمال قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام: ما أنزل الله من السماء كتابا إلا و فاتحته بسم الله الرحمن الرحيم وإتما كان يعرف انقضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء للاخرى.

و كذا فى الكافى عن يحيى بن أبى عمير الهذلى قال: كتبت إلى أبى جعفر عليه السلام جعلت فداك تقول فى رجل ابتداء بسم الله الرحمن الرحيم فى صلاة وحده فى أم الكتاب فلما صار إلى غير ام الكتاب من السورة تركها فقال العياشى: ليس بذلك بأس فكتب عليه السلام بخطه: يعيدها مرتين على رغم أنفه يعنى العياشى.

و صحیحة محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثانى و القرآن العظيم هى الفاتحة قال: نعم قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع قال: نعم هى أفضلهنّ و غيرها من الروايات و الأخيرة تختصّ بأم الكتاب.

و مهما تصلها أو بدأت براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسما

قال الشارح: تصلها الضمير فيه لبراءة اضمر قبل الذكر على شريطة التفسير يعنى أن سورة براءة لا بسملة فى أولها سواء وصلها القارى بالأنفال أو ابتداء بها؛ ثم ذكر الحكمة فى ترك البسملة فى أولها فقال لتنزيلها بالسيف يعنى أن براءة نزلت على سخط و وعيد و تهديد و فيها السيف. قال ابن عباس سألت عليّا رضى الله عنه لم لم تكتب فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: لأن بسم الله أمان و براءة ليس فيها أمان نزلت بالسيف.

أقول: لا كلام فى أن المختار المعتمد فى تعليل ترك البسملة أول البراءة هو عدم نزولها معها كما مضى غير مرّة و اختاره العالم عبده فى تفسيره و لو تؤمّل فى الأقوال الاخر حيث تصدّوا لتركها فى براءة لعلم أن دليلهم عليل و من قال:

القول «بأن ترك البسملة فى براءة لنزولها بالسيف و نبد العهود و البسملة آية رحمة» حكمة لا علة، فنعم القول هو لأن البسملة مذكورة فى أول كثير من السور بدئت بالعذاب نحو: هل أتيتك حديث الغاشية و سئل سائل بعذاب واقع و نحوهما و على هذا القول يحمل قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كما أتى به فى المجمع (أول سورة

برائة) و شرح الشاطبية انه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأن بسم الله للأمان و الرحمة و نزلت براءة لرفع الأمان بالسيف. و بالجملة العمدة فى ذلك هى السماع و التعبد، و الأخبار الواردة فى ذلك نحو قوله عليه السلام لا تنافيا فانه عليه السلام يبين عدم نزولها فى براءة بتلك الحكمة فهى ما نزلت معها كما صرح القشيري و غيره ان جبرئيل عليه السلام لم ينزل بها فيها.

فاذا علمت أن البسملة جزء من السور آية على حيالها فاعلم أنه يترتب عليه كثير من المسائل الفقهيّة: مثلا من ابتداء بقراءة الفاتحة و لو نوى البسملة جزءا من الإخلاص مثلا لم تصح صلواته و كذا لو نوى فى الإخلاص بسملة الفاتحة أو السورى الأخرى، و من كان جنبا و قلنا يحرم عليه قراءة سور العزائم لا قراءة آيات السجدة فقط فلو قرأ البسملة ناويا على أنها جزء من إحداها فعل حراما.

و من يصلّى الظهرين يجب اخفاتها عليه كما أن من يصلّى العشاءين و الصبح يجب جهرها عليه؛ و نظائرها و من جمع الفيل و القريش و الضحى و الانشراح يجب أن ييسمّل بين السورتين.

«البيان فى ترتيب سور القرآن»

لا شك أن تركيب السور من الايات توقيفى أعنى أن وضع كلّ آية فى موضع معين من السور التى لم تنزل جملة واحدة كان بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله أخبر به جبرئيل عن أمر ربه و هو اجماع المسلمين قاطبة كما حققناه و إنّما قلنا فى السور التى لم تنزل جملة واحدة لأنّ السور التى نزلت جملة واحدة أعنى دفعة واحدة فالأمر فيها أوضح لأنها نزلت مترتبة الايات أولا كسورة الفاتحة و الأنعام و كثير من المفصّل (1).

و إنما الكلام فى أن ترتيب سور القرآن فى الدفتين على تلك الهيئة المشهودة لنا الان أولها الفاتحة و آخرها الناس هل وقع فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و بأمره أيضا

ص: 259

1- (1) المراد بالمفصل السور القصار من بعد الحواميم إلى آخر القرآن كما فى الفن الرابع من مقدّمات مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ره و كذا فى الاتقان للسيوطى فى خاتمة النوع التاسع عشر.

أم لا؟ وبالجملة أن ترتيب السور أيضا كترتيب الايات توقيفى أم لا؟ و الحق هو الأول كالأول و ذلك لأن القرآن كان على عهد النبى صلى الله عليه وآله مجموعا مدونا جمعه غير واحد من الصحابة و قرءوه على النبى صلى الله عليه وآله و كان ترتيب السور كما هو فى المصحف الان كترتيب الايات بأمر النبى صلى الله عليه وآله و هو مذهب المحققين من علماء المسلمين قديما و حديثا و من عدل عنه تمسك ببعض الأخبار الشاذ الواحد أو الموضوع أو لم يصل إلى فهم مراد الخبر و نحن فى غنى عن نقل أقوالهم و ردّها و إبطالها لأنّها لا يزيد إلا تطويل كلام لا طائل فيه فان الأمر بيّن.

قال ابن النديم فى الفهرست (ص 41 طبع مصر، الفن الثالث من المقالة الأولى): الجماع للقرآن على عهد النبى صلى الله عليه وآله و آلته على بن أبى طالب رضوان الله عليه، سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد رضى الله عنه، أبو الدرداء عويمر ابن زيد رضى الله عنه، معاذ بن جبل بن أوس رضى الله عنه، أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان، ابى بن كعب بن قيس بن مالك بن امرىء القيس، عبيد بن معاوية، زيد بن ثابت بن الضحاك.

و أتى السيوطى فى النوع العشرين و غيره من الإتقان بعدة من جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وآله بطرق مختلفة من كبار المؤلفين قال: روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود و سالم و معاذ و ابى بن كعب.

و قال: أخرج النسائى بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كلّ ليلة فبلغ النبى صلى الله عليه وآله فقال اقرأه فى شهر - الحديث.

قال: و أخرج ابن أبى داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظى قال:

جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و آلته خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل و عبادة ابن الصامت و ابى بن كعب و أبو الدرداء و أبو أيوب الأنصارى. و غيرها من الأخبار الواردة فى أن القرآن جمع على عهد النبى صلى الله عليه وآله و آلته و كم من روايات دالة على أنّ عدّة من الصحابة قرأ القرآن عليه مرارا منهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و عبد الله بن مسعود و زيد بن ثابت و ابى بن كعب و غيرهم.

هؤلاء ممن جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وقرءوه عليه و ختموه عليه عدّة ختمات فكيف لم يكن القرآن على عهده مجموعاً مرتّباً و احتمال أنّهم قرءوه و ختموه عليه صلى الله عليه وآله مبنوئاً مبتوراً مبتوراً جدّاً و من تأمل أدنى تأمل فى نظم السور و شدة اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله فى حراسة القرآن و توقّيه عن اجتهاد أحد و إعمال ذوق و سليقة فيه و عنايته بحفظه و قوله صلى الله عليه وآله إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و أهل بيتى إلخ المروى من المسلمين بطرق كثيرة و فى الرواية الواردة من فرق المسلمين فى معارضة جبرئيل القرآن عليه صلى الله عليه وآله فى كلّ سنة مرة و فى السنة التى توفى صلى الله عليه وآله فيها مرتين و غيرهما من الأخبار فى هذا المعنى علم أنه كان مجموعاً مرتّباً آياته و سوره على ما هو فى المصحف الان بلا تغيير و تبديل و زيادة و نقصان.

بيان

فى مادة - ع رض - من النهاية الأثيرية: أن جبرئيل عليه السلام كان يعارضه صلى الله عليه وآله فى كلّ سنة مرّة و أنّه عارضه العام مرتين؛ أى كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن من المعارضة بمعنى المقابلة و منه عارضت الكتاب بالكتاب أى قابلته به.

و فى الفصل الثامن النوع الثامن عشر من الإتقان: قال أبو بكر بن الأنبارى: أنزل الله القرآن كلّهُ إلى سماء الدنيا ثمّ فرّقه فى بضعة و عشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث و الاية جواباً لمستخبر و يوقف جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله على موضع الاية و السورة فاتساق السور كاتساق الايات و الحروف كلّهُ عن النبي صلى الله عليه وآله و آله فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

و قال الكرماني فى البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب و عليه كان صلى الله عليه وآله يعرض على جبرئيل كلّ سنة ما كان يجتمع عنده منه و عرضه عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين و كان آخر الايات نزولاً «وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» فأمره جبرئيل أن يضعها بين آيتى الربا و الدين.

وقال الطّيبى: انزل القرآن أولاً- جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدّنيا ثمّ نزل مفرداً على حسب المصالح ثمّ اثبت في المصاحف على التّأليف و النظم المثبت في اللّوح المحفوظ.

وقال البيهقى فى المدخل: كان القرآن على عهد النّبىّ صلّى الله عليه وآله مرتّباً سورة وآياته على هذا التّرتيب - إلخ.

وقال أبو جعفر النّحاس: المختار أنّ تأليف السور على هذا التّرتيب من رسول الله صلّى الله عليه وآله الحديث واثلة اعطيت مكان التّوراة السبع الطول، قال: فهذا الحديث يدلّ على أنّ تأليف القرآن مأخوذ عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله و أنّه من ذلك الوقت - إلخ.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الايات موضعها إنّما كان بالوحى.

ثمّ السيوطى بعد نقل أقوال اخر من الأعظم فى أنّ ترتيب السور كترتيب الايات توقيفى قال: قلت: و ممّا يدلّ على أنّ ترتيب السور توقيفى كون الحواميم رتبت ولاء و كذا الطواسين و لم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها و فصل بين طسم الشعراء و طسم القصص بطس مع أنّها أقصر منهما و لو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء و اخرت طس عن القصص و كذا نقل عدّة أقوال فى النوع 62 منه فى مناسبة الايات و السور و ترتيب كلّ واحد منهما على هذا النهج بأمره تعالى.

أقول: الأمر أبلغ من الصبح و أبين من الشمس فى رائعة النهار فى أنّ تركيب سور هذا السّفر القيم الالهى و ترتيبها على هذا الأسلوب البديع لم يكن إلاّ بأمره تعالى و من قال فى القرآن غير ما حققنا افترى على الله و اختلق على كتابه و رسوله.

و ذهب شردمة إلى أنّ ترتيب السور لم يكن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله و إنّما رتبت على عهد أبى بكر.

أقول: لو سلمنا بعد الإغماض عن ما تمسّكوا بها و استدلّوا عليها و اغتروا

بظاهاها، أن سور القرآن رتبت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فإن أول من جمع القرآن بعده صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين وهو عليه السلام كان عالما فيما نزلت الايات و أين نزلت و على من نزلت و كبار الصحابة تعلموا القرآن منه عليه السلام و أخذوه عنه عليه السلام و لا ريب أنه عليه السلام كان أعرف بالقرآن من غيره و أجمعت الأمة على أنه كان حافظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و قرأه عليه مرارا فلا ريب أن جمعه و ترتيبه حجة على أنه عليه السلام معصوم كما بيّنا في شرح الخطبة 237 و كلّ ما جاء به المعصوم مصون من الخلل و حجة على بني آدم و هذا الترتيب المشهود الان في المصاحف و قراءته هو ترتيبه و قراءته عليه السلام.

قال الفاضل الشارح المعتزلى في مقدمة شرحه على النهج في فضائله عليه السلام (ص 6 طبع ايران 1304 هـ): أما قراءة القرآن و الاشتغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب اتفق الكل على أنه عليه السلام كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفته للبيعة بل يقولون تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن لأنه لو كان مجموعا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما احتاج إلى أن تشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله و إذا رجعت إلى كتب القرآن وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن العلاء و عاصم بن أبي النجود و غيرهما لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن بن السلمي القارى و أبو عبد الرحمن كان تلميذه و عنه أخذ القرآن فقد صار هذا الفن من الفنون التي ينتهى إليه أيضا مثل كثير مما سبق. انتهى قوله.

أقول: قد وردت أخبار كما أتى بها السيوطى في الاتقان و غيره في جوامعهم أن أمير المؤمنين عليه السلام و غيره جمعوا القرآن فذهب قوم إلى أن السور رتبت في الدفتين باجتهاد الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جمودا على ظاهرها و قد غفلوا أن ظاهرها لا تنافى أن يكون ترتيب السور و وضع كلّ واحدة منها في موضع خاص كما في المصحف الان بأمر النبي صلى الله عليه وآله كما هو الحق فياىك أن تعنى من قول

الفاضل المذكور وغيره أن القرآن جمع بعد النبي أن ترتيب السور كان بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَنَزِيدُكَ بَيَانًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

قال ابن النديم في الفهرست (41 طبع مصر من الفن الثالث من المقالة الأولى):

قال ابن المنادي حدّثني الحسن العباس قال: أخبرت عن عبد الرّحمان بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير عن عليّ عليه السّلام أنّه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَضَعُ عَنْ ظَهْرِهِ رِدَائِهِ حَتَّى يَجْمَعَ الْقُرْآنَ فَيَجْلِسُ فِي بَيْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَجْمَعَ الْقُرْآنَ فَهُوَ أَوْلُ مَصْحَفٍ جَمَعَ فِيهِ الْقُرْآنَ مِنْ قَلْبِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ الْمَصْحَفُ عِنْدَ أَهْلِ جَعْفَرٍ وَرَأَيْتُ أَنَا فِي زَمَانِنَا عِنْدَ أَبِي يَعْلَى حِمَزَةَ الْحَسَنِيِّ رَحِمَهُ اللهُ مَصْحَفًا قَدْ سَقَطَ مِنْهُ أَرْوَاقٌ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَتَوَارَثُهُ بَنُو حَسَنِ عَلِيٍّ مَرَّ الزَّمَانِ.

وقد روى السيوطي في النوع الثامن عشر من الاتقان بسند حسن عن عبد خير قال: قال عليّ عليه السّلام: لما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ آلَيْتُ أَنْ لَا أَخْذَ عَلِيٌّ رِدَائِي إِلَّا لَصَلَاةٍ جَمَعَةَ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ فَجَمَعْتَهُ.

وروى أيضا بطريق آخر عن محمّد بن سيرين عن عكرمة قال لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد عليّ بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر قد كره بيعتك فأرسل إليه - إلى أن قال: قال أبو بكر: ما أفعدك عنّي؟ قال: رأيت كتاب الله يزداد فيه فحدثت نفسي أن لا ألبس رداي إلا لصلاة حتى أجمعه قال له أبو بكر: فأتك نعم ما رأيت، قال محمّد: فقلت لعكرمة: ألقوه كما أنزل الأوّل فالأوّل؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا.

قال: ابن الحجر في الصواعق المحرقة (ص 76 طبع مصر) باسناده عن سعيد ابن مسيب قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلاّ عليّ عليه السّلام وقال واحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وقال أيضا أخرج ابن سعد عن عليّ عليه السّلام قال:

والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إن ربّي وهب لي

قلبا عقولا و لسانا ناطقا. وقال: أخرج ابن سعد قال عليّ عليه السّلام: سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل.

قال: وأخرج الطبراني في الأوسط عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول:

عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض.

وفي الاتقان (طبع مصر 1318 ص 74 ج 1) قال ابن حجر: وقد ورد عن عليّ أنّه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبيّ صلّى الله عليه وآله أخرجه ابن أبي داود.

أقول: ابن حجر هذا هو الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني صاحب كتاب الاصابة في معرفة الصحابة و تقريب التهذيب وغيرهما توفي سنة 852 هـ و صاحب الصواعق المحرقة سميّه أحمد بن محمّد بن عليّ الهيثمي مات سنة 973 هـ و جلال الدين السيوطي مات سنة 910 هـ. ثمّ يستفاد ممّا روى ابن حجر أن القرآن الذي جمع عليّ عليه السّلام غير القرآن المرتبة سوره على ما هو المصحف الان فهو عليه السّلام أراد أن يبين في هذا الجمع ترتيب نزول السور و الايات كما أن عالما يفسر القرآن و يبين فيه وجوه القراءات و آخر يبين في تفسيره لغات القرآن و آخر غريبه و آخر يجمع الأخبار الواردة المناسبة لكلّ آية في تفسيره و غيرها من التفاسير المختلفة أغراضا فان الكلّ ميّسر لما خلق له و يؤيد ما ذهبنا إليه قوله عليه السلام نقله ثقة الاسلام الكليني في باب اختلاف الحديث من اصول الكافي باسناده عن سليم بن قيس الهلالي - في حديث طويل إلى أن قال عليه السّلام: فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطّي و علّمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها و خاصّها و عامّها و دعى الله أن يعطيني فهمها و حفظها فما نسيت آية من كتاب الله و لا علما أملاها عليّ و كتبتة منذ دعا الله لي بما دعا و ما ترك شيئا علّمه الله من حلال و لا حرام و لا أمر و لا نهى كان أو يكون و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علّمني و حفظته فلم أنس حرفا واحدا ثمّ وضع يده على صدرى و دعى الله لي أن يملأ قلبي علما و فهما و حكما و نورا فقلت يا نبي الله بأبي أنت و أمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم

أنس شيئاً ولم يفتنى شيء لم أكتبه أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل.

وقوله عليه السلام: كما فى البحار (ج 19 ص 126): ولقد جئتهم بكتاب كمالاً مشتملاً على التأويل والتنزيل والمحكم والمشابه والناسخ والمنسوخ إلخ - فعلى هذا لا يسع أحداً أن يقول بتأنيده عليه السلام جمع السور وربتها ولم تكن السور مرتبة على عهد النبي صلى الله عليه وآله والأخبار الأخرى أيضاً الدالة على أن أبابكر وغيره جمعوه من هذا القبيل لا يدل على أن ترتيب سور القرآن لم يكن بأمر النبي صلى الله عليه وآله فمن تمسك بها لذلك الغرض فقد أخطأ.

قال الطبرسى فى المجمع قوله تعالى «وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» (التحریم - 4): قرأ الكسائى وحده عرف بالتخفيف والباقون عرف بالتشديد واختار التخفيف أبو بكر بن عياش وهو من الحروف العشر التى قال: إني أدخلتها فى قراءة عاصم من قراءة على بن أبى طالب عليه السلام حتى استخلصت قراءته يعنى قراءة على عليه السلام وهى قراءة الحسن وأبى عبد الرحمن السلمى وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ إنساناً بالتشديد حصبه - انتهى.

أقول: أبو بكر بن عياش وحفص بن سليمان البزاز راويان لعاصم بن أبى النجود بهدلة وعاصم من القراء السبعة الذين تواترت قراءاتهم ولكن اعراب القرآن المتداول الآن إنما هو بقراءة حفص عن عاصم ويستفاد مما نقل الطبرسى عن ابن عياش أن قراءة عاصم هى قراءة أمير المؤمنين على بن أبى طالب روى له الفداء إلا فى عشر كلمات أدخلها أبو بكر فى قراءة عاصم حتى استخلصت قراءة على عليه السلام فالقراءة المتداولة هى قراءته عليه السلام وكذا قال الطبرسى فى الفن الثانى من مقدمة تفسيره فى ذكر أسامى القراء: فأما عاصم فإنه قرأ على أبى عبد الرحمن السلمى وهو قرأ على على بن أبى طالب عليه السلام.

فإنما اختير فى المصحف الكريم قراءة عاصم لسهولة وجودتها ولأنها أضبط من القراءات الأخرى والسر فى ذلك إن قراءته قراءة أمير المؤمنين عليه السلام

وإن كان قراءة كلِّ واحدة من القراءات السبع متواترة و جائزة.

قال العلامة الحلبي قدس سره في المنتهى ما هذا نصّه: أضبط هذه القراءات السبع عند أرباب البصيرة هو قراءة عاصم المذكور برواية أبي بكر بن عياش وقال رحمه الله في التذكرة: إنّ هذا المصحف الموجود الآن هو مصحف عليّ عليه السّلام.

قال المحقق الطوسي قدس سره في التجريد: وعلّي أفضل الصحابة لكثرة جهاده و... و كان أحفظهم لكتاب الله تعالى العزيز. وقال الفاضل القوشجي في شرحه: فإن أكثر أئمة القراءة كأبي عمرو و عاصم و غيرهما يسندون قراءتهم إليه فإنهم تلامذة أبي عبد الرحمن السلمى و هو تلميذ عليّ رضی الله عنهما.

وبالجملة أنا نقول أولاً إن ترتيب السور كالايات توقيفى و عليه جلّ المحققين من علماء الفريقين و الشواهد و البراهين عليه كثيرة و أن بعد النبىّ صلى الله عليه و آله لم يجمع القرآن مرتبا سورة على اجتهاد الصحابة لما دريت أن الأخبار التى تمسكوا بها غير دالة على ذلك و بعد الإغماض نقول: إن الفريقين اتفقا فى أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان حافظا للقرآن على عهده صلى الله عليه و آله و قرأ عليه غير مرة و كان أعرف به منهم و قال عليه السّلام (الخطبة 208 من النهج و كذا فى الوافى ص 62 ج 1 نقلا من الكافى) و قد سأله سائل عما فى أيدي الناس: إنّ فى أيدي الناس حقًا و باطلا - إلى أن قال: و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله من يسأله و يستفهمه حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابى أو الطارى فيسأله عليه السّلام حتّى يسمعوا و كان لا يمرّ بى من ذلك شىء إلا سألت عنه و حفظته، و قال هؤلاء العظام من العلماء: إن القراءة المتداولة الآن قراءته عليه السّلام و أنّه أول من جمع القرآن بعد النبىّ صلى الله عليه و آله و هو عليه السّلام كان معتمد الصحابة فى العلوم و به يراجعون فى القرآن و الأحكام سيما عند أصحابنا الإمامية القائلين بعصمته عليه السّلام و باتفاق الأمة قال رسول الله صلى الله عليه و آله فيه عليه السّلام أقضاكم عليّ و عليّ مع القرآن و القرآن معه و الحقّ معه حيث دار و... فترتيب سور القرآن وقع على النهج الذى أراه الله تعالى و رسوله.

ثمّ نقول: هب أن ترتيب السور فى الدفتين كان بعد النبىّ صلى الله عليه و آله و إنّما كان

على عهد أبي بكر وبأمره كما هو ظاهر طائفة من الأقوال ولا كلام في أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قرره ورضى به وإلا لبُدَّله في خلافته لو قيل أنه عليه السلام لم يتمكن في عهد أبي بكر بذلك وهو عليه السلام معصوم وتقريره وإمضاؤه حجة، على أن تركيب السور من الايات إجماعى لا خلاف فيه كما دريت فلو لم يكن ترتيب السور بالفرض بأمر المعصوم فما نزل على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ مَا بَيْنَ الدَفْتَيْنِ الْآنَ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ مَا زِيدَ فِيهِ وَمَا نَقَصَ مِنْهُ شَيْءٌ فَبِذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّ قَوْلَ الْفَقِيهِ الْبَحْرَانِيِّ فِي الْحَدَائِقِ وَأَضْرَابِهِ: أَنَّ جَمْعَ الْقُرْآنِ فِي الْمَصْحَفِ الْآنَ لَيْسَ مِنْ جَمْعِ الْمَعْصُومِ فَلَا حُجَّةَ فِيهِ، بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ غَايَةَ الْبَعْدِ.

«البرهان على أن عثمان ما نقص من القرآن شيئاً وما زاد فيه»

«شيئاً بل انما جمع الناس على قراءة واحدة»

اعلم أن عناية الصحابة وغيرهم من المسلمين كانت شديدة في حفظ القرآن وحراسته الغاية وتوفرت الدواعى على نقله وحمايته النهائية وتوجه آلاف من النفوس إليه، ودرت أن عدّة من أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانُوا حَفَازَ الْقُرْآنِ عَلَى ظَهْرِ الْقَلْبِ كَمَلًا وَأَمَّا مِنْ حِفْظِ بَعْضِهِ فَلَا يَعِدُّ وَلَا يَحْصَى فَمَنْ تَأَمَّلَ أَدْنَى تَأَمَّلَ فِي سِيَرَةِ الصَّحَابَةِ مَعَ الْقُرْآنِ وَشِدَّةَ عِنَايَتِهِمْ فِي ضَبْطِهِ وَأَخَذَهُ عِلْمٌ أَنَّ احْتِمَالَ تَطَرُّقِ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ فِيهِ وَاهِجِدَا وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ أَنَّ عُثْمَانَ زَادَ فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا أَوْ نَقَصَ مِنْهُ شَيْئًا لِعَدَمِ تَجْوِيزِ الْعَقْلِ ذَلِكَ مَعَ تِلْكَ الْعِنَايَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي حِفْظِهِ وَكَانَ النَّاسُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَارِفِينَ بِالْقُرْآنِ وَعَدَدِ سُورِهِ وَأَيَاتِهِ فَأَتَى كَانِ لِعُثْمَانَ مَجَالٌ ذَلِكَ بَلَّ أَنَّهُ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَفْظِ بَسَائِرِ الْقِرَاءَاتِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَصُونُ بِذَلِكَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَأَنَّ كَثْرَةَ الْقِرَاءَاتِ تَوْجِبُ إِدْخَالَ مَا لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْقُرْآنِ، وَدُونَكَ الْأَقْوَالُ وَالْآرَاءُ مِنْ جَمِيعِ الْغَفِيرِ مِنَ الْمَشَائِخِ فِي ذَلِكَ.

قال ابن التين وغيره (النوع الثامن عشر من الإتيان طبع مصر 1318 هـ ص 58 إلى 64): لَمَّا كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ فِي وَجْهِ الْقِرَاءَةِ حَتَّى قَرَعَهُ بِلُغَاتِهِمْ عَلَى

اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشي عثمان من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرص والمشقة في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقصر على لغة واحدة.

وفيه أيضا: قال القاضي أبو بكر في الانتصار: إنما قصد عثمان جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وآله وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد.

قال: وقال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن.

وفيه أيضا نقلا عن المحاسبي المذكور: وقد قال علي عليه السلام لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان.

قال: وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال: قال علي عليه السلام لا تقولوا في عثمان إلا خيرا فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملاءمنا قال: ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرا قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا: فنعم ما رأيت.

قال: قال القاضي أبو بكر في الانتصار: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر باثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه وأن ترتيبه

و نظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله صلى الله عليه وآله من آى السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا اخر منه مقدم وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وآله ترتيب آى كل سورة و مواضعها و عرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات و ذات التلاوة و أنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد رتب سورته و أن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده و لم يتول ذلك بنفسه قال: و هذا الثانى أقرب.

أقول: بل الأول متعين و لا نشك فى أنه صلى الله عليه وآله تولى ترتيب السور أيضا بنفسه كما مرّ.

وفيه أيضا، قال البغوى فى شرح السنة: الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن قدموا شيئا أو أخوا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذه من رسول الله صلى الله عليه وآله و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلقن أصحابه و يعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الان فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك و إعلامه عند نزول كل آية ان هذه الاية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فانّ القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة و ترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

قال: و أخرج ابن أبى داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش و الأنصار فبعثوا إلى الربعة التى فى بيت عمر فجىء بها و كان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤا فى شىء آخره - إلخ.

قال: و أخرج عن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: إنما الف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وآله.

وقال فى مناهل العرفان: أخرج البخارى عن ابن زبير قال: قلت لعثمان ابن عفان «الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا» نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها والمعنى لما ذا تكتبها أو قال لما ذا تركها مكتوبة مع أنها منسوخة؟ قال:

يا ابن أخى لا اغتير شيئاً من مكانه.

وغيرها من الأقوال و إنما نقلناها تأييداً فإن الأمر أوضح من ذلك و لا حاجة فيه إلى نقلها و إنما طعنوا عثمان فى عمله لوجهين: الأول أن احراقه المصاحف كان استخفافاً بالدين و الثانى أن ذلك ليس تحصيماً للقرآن و لو كان تحصيماً لما كان رسول الله صلى الله عليه و آله يبيع القراءات المختلفة فقد مضى الكلام عليه مستقصى و أراد عثمان أن يجمع الناس على قراءة واحدة و مع ذلك تكثرت حتى بلغ متواترها إلى السبع.

«الكلام فى رسم خط القرآن»

و من شدة عناية المسلمين و اهتمامهم بضبط القرآن المبين حفظهم كتابة القرآن و رسمه على الهجاء الذى كتبه كُتَّاب الوحي على الكتبة الأولى على عهد النبى صلى الله عليه و آله و إن كان بعض المواضع من الرسم مخالفاً لأدب الرسم فلا يجوز لأحد أن يكتب القرآن إلا على ذلك الرسم المصنوب من السلف بالتواتر ابقاءً للقرآن على ما كان و حذراً من تطرق التحريف فيه و إن كان من الرسم بل نقول مخالفة رسم القرآن حرام يبين لأن رسم القرآن من شعائر الدين و يجب حفظ الشعائر لتبقى مصونة عن الشبهات و تحريف المعاندين إلى القيامة و تكون حجة على الناس يحتجوا به مطمئنين إلى آخر الدهر كما يجب حفظ حدود منى و مشعر و البيت و الروضة النبوية و غيرها و نأتى بعدة مواضع من القرآن حتى يتبين لك أشدّ تبين أنّ القرآن صين من جميع الوجوه عن التغيير و التبديل و التحريف و التصحيف و الزيادة و النقصان مثلاً- ان كلمة «مرضات» مكتوبة بالتاء المدودة فى المصاحف: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (البقرة - 204)، «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (البقرة - 268)، «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ»

«أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء 116)، «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» (التحریم - 2).

و كلمة «نعمت» مكتوبة بالتاء المدودة أيضا فى المصاحف: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» (المائدة - 12) و كذا فى عدة مواضع اخرى و لسننا فى مقام الحصر.

و كلمة «رحمت» مكتوبة بالتاء المدودة فى المصاحف كلها: «فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ» (الروم - 51) و كذا مواضع اخرى.

كلمة «امرات» مكتوبة بالتاء المدودة فى المصاحف كلها: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ» (آل عمران - 36) و مواضع اخرى.

كلمة «بينت» مكتوبة بالتاء المدودة: «فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ» (الملائكة - 41) كلمة «يدع» فى قوله تعالى: «وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ» (بنى إسرائيل - 14) مكتوبة بلا واو مع عدم الجازم.

كلمة «يوت» مكتوبة فى قوله تعالى: «وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء - 146) بلا ياء مع عدم الجازم.

كلمة «يعفوا» فى قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (المائدة - 16) مكتوبة بالألف مع انها بصيغة الإفراد.

و فى جميع بسم الله الرحمن الرحيم فى القرآن أسقط الف الاسم و قوله تعالى «إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» مكتوب الفه.

و قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (النمل - 85) مكتوبة كلمة بهادى بالياء مع أن هذه الاية فى سورة الروم الاية 54 مكتوبة بلا ياء.

و كذا كم من كلمات فى القرآن يخالف رسمه قواعد النحو فكم من فعل «ج 17»

ماض مثلاً على صيغة الجمع لم يكتب في آخره الف و كم من فعل مفرد مكتوب آخره بالألف و كم من كلمة زيد في وسطه ألف مع عدم الاحتياج إليها وغيرها ممّا هي مذكورة في الشاطبيّة و الاتحاف و غيرهما و كثير من المشايخ ألفوا في رسم الخط رسائل عليحدة و لسنا في ذلك المقام و انما المراد أن يعلم القارى الكريم أن هذا القرآن المكتوب بين الدفتين هو الكتاب الذى نزل على خاتم النبّين صلّى الله عليه و آله حتّى أن الصحابة لم يعتنوا في رسم خطّه بقواعد النحو و رسوم خط العرب اتباعاً للمصاحف الّتي كتبت على عهد النبّي صلّى الله عليه و آله حتّى لا يتغير خط القرآن و حروفه و لا يتوهم أحد فيه التصحيف.

قال السيوطى في الإتيان (النوع 76 منه ص 166 ج 2 طبع مصر 1318 هـ) في مرسوم الخط و آداب كتابته أفردّه بالتصنيف خلائق من المتقدمين و المتأخرين - إلى أن قال: القاعدة العربية أنّ اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به و الوقف عليه، و قد مهد النحاة له اصولاً و قواعد و قد خالفها في بعض الحروف خط المصحف الإمام، و قال أشهب: سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتابة الأولى رواه الدانى في المقنع ثمّ قال: و لا مخالف له من علماء الأمة و قال الدانى في موضع آخر: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو و الألف أ ترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ قال: لا؛ قال أبو عمرو: يعنى الواو و الألف المزيديتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو أولو، قال: و قال الإمام أحمد: يحرم مخالفة خطّ مصحف عثمان في واو أو ياء أو الف أو غير ذلك.

أقول: ما قال أحمد في حرمة المخالفة حقّ كما بيّناه آنفاً و لا حاجة في حرمة إلى رواية خاصّة لو لم تكن.

وفيه أيضاً قال البيهقي في شعب الايمان: من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الّذى كتبوا به تلك المصاحف و لا يخالفهم فيه و لا يغير ممّا كتبوه شيئاً

فانهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظنّ بأنفسنا استدراكا عليهم.

«لما ذا يخالف رسم تلك الحروف القرآنية أصول رسم الخط؟»

علة ذلك هو ما ذكر العلامة ابن خلدون في الفصل الثلاثين من الباب الخامس من المقدمة ص 619 طبع مصر، قال: كان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والاتقان والاجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التّابعون من السلف رسمهم فيها تبرّكا بما رسمه أصحاب الرسول صلّى الله عليه وآله وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خطّ ولي أو عالم تبرّكا ويتبع رسمه خطنا أو صوابا وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك واثبت رسما وتبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتنّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنّهم كانوا محكمين لصناعة الخطّ وأنّ ما يتخيّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيّل بل لكّلها وجه يقولون في مثل زيادة الألف في «لا أذبحته» أنّه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في «بأييد» أنّه تنبيه على كمال القدرة الرّبانيّة وأمثال ذلك ممّا لا أصل له إلاّ التحكّم المحض وما حملهم على ذلك إلاّ اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخطّ وحسبوا أنّ الخطّ كمال فنزّهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال باجادته وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من رسمه و ذلك ليس بصحيح، واعلم أنّ الخطّ ليس بكمال في حقّهم إذا الخطّ من جملة الصنائع المدنيّة المعاشية كما رأيت في مرّ والكمال في الصنائع إضافي بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات في الدّين ولا في الخلال وإتّما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلّالته على ما في النفوس وقد كان صلّى الله عليه وآله اميّا وكان ذلك كمالا في حقّه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه و تنزهه عن الصنائع العمليّة التي هي أسباب

المعاش و العمران كلّها و ليست الأميّة كمالا في حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربّه و نحن متعاونون على الحياة الدّنيا شأن الصنائع كلّها حتّى العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقّه هو تنزّهه عنها جملة بخلافنا - انتهى.

أقول: و ممّا ذكرنا ظهر أن ما ذهب إليه بعض المغفلين لم يكن له خبرة في علوم القرآن من أن أمثال هذه الأمور المخالفة لرسم الخطّ من عدم حذاقة الكاتب فلا يجب اتباعها غلط جدّا.

«يقرأ القرآن على القراءات السبع المتواترة دون الشواذ»

و ممّا ينادى بأعلى صوته عناية المسلمين بحفظ القرآن الكريم و حراسته عن كلّ ما يتوهم فيه التحريف قراءتهم القرآن بالقراءات المتواترة السبع دون الشواذ و لو كان الرواية الشاذة مرويًا عن التّبيّ صَلَّى الله عليه و آله لأنّ اعتمادهم في القراءة و رسم الخطّ و ترتيب السور و الايات كلّها كان على السماع دون الاجتهاد. بل نقول:

إن كلّ ما ينتسب إلى القراء السبعة من القراءات السبع و لم يثبت تواتره لا يجوز متابعتها و إن كان موافقا لقياس العربيّة لأنّ المناط في اتباع القراءة هو التواتر فما يروى عن السبعة من الشواذ فحكمه حكم سائر القراءات الشاذ مثلا أن أمين الاسلام الطبرسي في المجمع قال: قرأ كلّ القراء - معايش - في قوله تعالى «وَ لَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» (الأعراف - 12) بغير همز و روى بعضهم عن نافع - معاش -، ممدودا مهموزا انتهى. فهذه الرواية عن النافع غير متواتر و إن كان النافع من السبعة، و لا يجوز القراءة بتلك القراءة الشاذة.

فان قلت: هل يوجد عكس ذلك في القراءات بأن يكون القارى من غير السبع كيعقوب بن إسحاق الحضرمي و أبو حاتم سهل بن محمّد السجستاني و يحيى بن وثاب و الأعمش و أبان بن تغلب و أضرابهم و يكون بعض قراءتهم متواترا؟ أقول: و كم له من نظير و لكن من حيث أن تلك القراءة موافقة للقراءات السبع المتواترة فما وافقتها و إلّا لا يجوز الاتكال عليها و قراءة القرآن بها.

وإنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين: أحدهما أنهم تجرّدوا لقراءة القرآن و اشتدّت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم و من كان قبلهم أو في أزمانهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء و عدّت قراءتهم في الشواذ لم يتجرّد لذلك تجرّدهم و كان الغالب على اولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم.

و الاخر أن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً أو سماعاً حرفاً حرفاً من أوّل القرآن إلى آخره مع ما عرف من فضائلهم و كثرة علمهم بوجوه القرآن (قالهما الطبرسي في مقدمة تفسيره مجمع البيان).

أقول: على أن أئمتنا سلام الله عليهم قرروا تلك القراءات لأنّها كانت متداولة في عصرهم عليهم السلام و كان الناس يأخذونها من القراء و لم يرّدوهم و لم يمنعوهم عن أخذها عنهم بل نقول: إن قراءة أهل البيت عليهم السلام يوافق قراءة أحد السبعة و قلّما ينفق أن تروى قراءة منهم عليهم خارجة عن المتواترات كما يظهر بالتتبع للخبر المتضلع في علوم القرآن.

فإن قلت: القرآن نزل على قراءة واحدة فكيف جاز قراءته بأكثر من واحدة فهل القراءات العديدة إلا التحريف؟.

قلت: أوّلاً- إن اختلاف القراءات لا- يوجب تحريف الكتاب و تغييره و باختلافها لا تزداد كلمة في القرآن و لا تنقص منه فإن اختلافها في الإعراب و ارجاع الضمير و كيفية التلّفظ و الخطاب و الغيبة و الإفراد و الجمع و أمثالها في كلمات تصلح لذلك و في الجميع الايات و الكلمات القرآنية بذاتها محفوظة مثلاً في قوله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» (يوسف - 109) قرأ أبو بكر عن عاصم يوحى بضم الياء و فتح الحاء على صيغة المجهول و قرأ حفص عن عاصم بضم النون و كسر الحاء على صيغة المتكلم و المعنى على كلا الوجهين صحيح و اللفظ محفوظ و مصون. و في قوله تعالى «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ» (الإسراء - 84) قرأ أبو بكر عن عاصم بإمالة الهمزة في ننا و حفص عن عاصم بفتحها و معلوم أنّه لا- يوجب التحريف و التغيير، و في قوله تعالى «فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»

(يونس - 4) قرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الذال و حفص بتخفيفها و هو لا يوجب تبديل ذات الكلمة، و في قوله تعالى «مِنْ أَرْوَاجِنَا وَ دُرِّيَاتِنَا» (الفرقان - 75) قرأ أبو بكر ذريتنا بالتوحيد و حفص بالجمع و أمثالها مما هي مذكورة في كتب الفن و التفاسير و لكل وجه متقن و حجة متبعة أجمع المسلمون على تلقيها بالقبول مع أنها تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و لا يخفى على البصير المتتبع و المتصلع في القراءات أنها لا توجب التحريف بل يبين وجوه صحة التلفظ - مثلا ان قوله صلى الله عليه و آله و الدنيا رأس كل خطيئة، يصح أن يقرأ على الوجهين الأول ما هو المشهور و الثاني أن الدينار (مقابل الدرهم) اس كل خطيئة بضم الهمزة و الجملة بذاتها محفوظة، أو ما أنشده القطب الشيرازي في مجلس كان فيه الشيعة و السني (أتى به الشيخ في الكشكول ص 135 طبع نجم الدولة):

خير الورى بعد النبي من بنته في بيته من في دجى ليل العمى ضوء الهدى في زيتته

يمكن أن يكون المراد من كلمة «من» رسول الله صلى الله عليه و آله و الضمير الأول يرجع إليه و الثاني إلى أمير المؤمنين على عليه السلام، أو يكون المراد منها أبو بكر و الضمير الأول يرجع إليه و الثاني إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و هكذا في البيت الثاني و لا يوجب تغييرا في البيت.

و ثانيا نقول: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و الأئمة الهدى أجازوا ذلك و هذا كما أن أحدنا نجوز أن يقرأ كلامه على وجهين مثلا ان الحكيم السبزواري قال في اللئالي المنتظمة:

فالمنطقي الكلى بحمل أولى و غيره لشايح الحمل كلى

ثم أجاز في الشرح قراءة كلى على وجهين و قال: كلى إما بضم الكاف مخفف كلى و إما بكسرهما أمر من و كل يكل و الياء للإطلاق و اللام (لشائع) على الأول للتعليل و على الثاني للاختصاص. انتهى. و هكذا الكلام في القرآن الكريم.

و العجب من صاحب الجواهر رحمه الله مال في صلاة الجواهر إلى عدم تواتر القراءات السبع و قال في ذيل بحث طويل في ذلك: فإن من مارس كلماتهم علم

أن ليس قراءتهم إلاً باجتهادهم و ما يستحسنونه بأنظارهم كما يؤمى إليه ما فى كتب القراءة من عدّهم قراءة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَيْهِ وَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فى مقابلة قراءتهم و من هنا سموهم المتبحرين و من ذاك (كذا - و الظاهر: و ما ذاك) إلاً لأن أحدهم كان إذا برع و تمهر شرع للناس طريقا فى القراءة لا يعرف إلاً من قبله و لم يرد على طريقة مسلوكة و مذهب متواتر محدود و إلاً لم يختصّ به بل كان من الواجب بمقتضى العادة أن يعلم المعاصر له بما تواتر إليه لاتحاد الفن و عدم البعد عن المأخذ و من المستبعد جدّا انا نطلع على التواتر و بعضهم لا يطلع على المتواتر إلى الاخر كما أنّه من المستبعد أيضا تواتر الحركات و السكنات مثلا فى الفاتحة وغيرها من سور القرآن.

انتهى كلامه.

أقول: قد بينّا أن القراءات السبع كان متواترا من عصر الأئمة إلى الان بل النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جوز اختلاف القراءة أيضا إلا أن ما لم يوافق السبع المتواترة لا يفيد إلا الظنّ بخلاف السبع فانّها إجماع المسلمين قاطبة من صدر الاسلام إلى الان و إجماع أهل الخبرة فى كلّ فن حجة و لو خالف إجماعهم الخارج من فنّهم لا- يضّرّ الاجماع و من مارس كتب التفسير و القراءات حقّ الممارسة علم إجماع المسلمين جيلا بعد جيل فى كلّ عصر حتّى فى زمن الأئمة المعصومين فى القراءات بالسمع و الحقّ فى ذلك ما هو المنقول من العلامة قدس سرّه فى النهاية حيث قال:

و مخالفة الجاهلين بالقراءة لا يقدر فى إجماع المسلمين إذ المعتبر فى الإجماع و الخلاف قول أهل الخبرة فلو خالف غير النحوى فى رفع الفاعل و غير المتكلم فى حدوث العالم أو وجوب اللطف على الله لم يقدر فى إجماع المسلمين أو الشيعة أو النحاة.

على أن القراءات المتواترة ينتهى إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْأَخْرَةِ كما ذكرنا آنفا أن القراء كلّهم يرجعون إلى أبى عبد الرحمن بن السلمى القارى و هو أخذ عن أمير المؤمنين عليه السلام و هو أخذ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قال ابن النديم فى الفهرست (ص 49 من الفن الثالث من المقالة الأولى ط مصر): قرأ عاصم على أبى عبد الرحمن

السلمى وقرأ السلمى على عليّ عليه السّلام وقرأ عليّ عليه السّلام على النّبىّ صلّى الله عليه وآله، وقال أيضا (ص 45): عليّ بن حمزة الكسائى قرأ على عبد الرّحمن بن أبى ليلى و كان ابن أبى ليلى يقرأ بحرف عليّ عليه السّلام وكذا سائر القراء فعليك بالإتقان والفن الثانى من مقدمة تفسير الطبرسى مجمع البيان و سائر الكتب المؤلفة فى القراء و قراءات القرآن فلا مجال للوسوسة بعد ظهور البيان و تمام البرهان. و قد قال العلامة الحلّى قدّس سرّه فى التذكرة: «مسئلة» يجب أن يقرأ بالمتواتر من القراءات و هى سبعة و لا يجوز أن يقرأ بالشواذ و يجب أن يقرأ بالمتواتر من الايات و هو ما تضمّنه مصحف عليّ عليه السّلام لأنّ أكثر الصحابة اتفقوا عليه و حرق عثمان ما عداه.

«عدد آى القرآن و حروفه»

و مما يعلن بشدّة عناية المسلمين بضبط القرآن و حفظه عن التحريف عدّهم كلماته و آيه و حروفه حتّى فتحاته و كسراته و ضماته و تشديداته و مدّاته و أفرد السيوطى فى الإتقان فصلا فى ذلك. و فى الوافى للفيض قدّس سرّه (274 م 5 طبع ايران 1324 هـ): قال السيد حيدر بن عليّ بن حيدر العلوى الحسينى طاب ثراه فى تفسيره الموسوم بالمحيط الأعظم: إن أكثر القراء ذهبوا إلى أن سور القرآن بأسرها مائة و أربع عشرة سورة و أنّ آياته ستة آلاف و ستمائة و ست و ستون آية و إلى أن كلماته سبعة و سبعون الفا و أربعمائة و سبع و ثلاثون كلمة و إلى ان حروفه ثلاثمئة ألف و اثنان و عشرون الفا و ستمائة و سبعون حرفا و إلى أن فتحاته ثلاثة و تسعون الفا و مائتان و ثلاثة و اربعون فتحة - إلخ.

روى الطبرسى فى تفسير سورة هل أتى من المجمع رواية مستندة عن أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب أنّه عليه السّلام قال: سألت النّبىّ صلّى الله عليه وآله عن ثواب القرآن فأخبرنى بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء - إلى أن قال عليه السّلام: ثمّ قال النّبىّ صلّى الله عليه وآله جميع سور القرآن مائة و أربع عشرة سورة، و جميع آيات القرآن ستة آلاف آية و مائة و ست و ثلاثون آية، و جميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف

حرف وأحد وعشرون ألف حرف و مائتان وخمسون حرفاً لا يرغب في تعلم القرآن إلا السعداء ولا يتعهد قراءته إلا أولياء الرحمن. انتهى. وذكر ابن النديم في الفهرست (ص 41 من المقالة الأولى) اختلاف الناس في آي القرآن.

أقول: قد عدّ خلق كثير حروف القرآن وآخرون نقلوا منهم وذكروا في تأليفاتهم ومنهم المولى أحمد النراقي في الخزان (ص 275 طبع طهران 1380 هـ) ثم اختلف العادون في مقدارها عدداً ولا ريب أن تحديد أمثال هذه الأمور لا يخلو من اختلاف و الاختلاف ليس إلا منهم لا من المصاحف فإنه واحد نزل من عند واحد وما بدّل منه شيء وما زيد فيه حرف وما نقص منه كما علمت وإنما غرضنا في ذلك التوجه إلى اهتمام المسلمين قاطبة عصراً بعد عصر في ضبط كلام الله تعالى عن تحريف ما وإن كان الاشتغال باستيعاب ذلك ممّا لا طائل تحته ولنعم ما قال السخاوي (الاتقان ص 72 ج 1): لا أعلم لعدّ الكلمات والحروف من فائدة لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان والقرآن لا يمكن فيه ذلك.

وأما اختلاف الآي وسببه فهو ما قال السيوطي في الاتقان: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك - إلى أن قال وسبب اختلاف السبب في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقف على رءوس الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصلها للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة.

قال الطبرسي في الفن الأول من مقدمة التفسير في تعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها: اعلم أن عدد أهل الكوفة أصبح الأعداد و اعلاها إسناداً لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - إلى أن قال: والفائدة في معرفة آي القرآن أن القارئ إذا عدّها بأصابعه كان أكثر ثواباً لأنه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه وبالحرى أن تشهد له يوم القيامة فإنها مسئولة ولأن ذلك أقرب إلى التحفظ فإن القارئ لا يأمن من السهو وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: تعاهدوا القرآن فإنه وحشى وقال عليه الصلاة لبعض النساء اعقدن:

بالأنامل فانهنّ مسؤولات و مستنطقات، قال حمزة بن حبيب و هو أحد القراء السبعة العدد مسامير القرآن.

و بالجمله ان عدّ أمثال تلك الأ-مور و تحديدها قلما يتفق أن يتحد الاثنان من العادين و لا يغتّر القارى الكريم بتلك الاختلافات أن المصاحف كانت مختلفة. و العجب من الفيض رحمه الله تعالى قال فى الوافى (ص 274 م 5): قد اشتهر اليوم بين الناس أن القرآن ستة آلاف و ستمائة و ستّ و ستون آية ثم روى رواية الطبرسى المذكورة آنفا فى المجمع عن النبىّ صلّى الله عليه و آله، ثم جعل أحد الاحتمالات فى اختلاف الرواية و الشهرة اختلاف المصاحف حيث قال: فلعل البواقى تكون مخزونة عند أهل البيت عليهم السّلام و تكون فيما جمعه أمير المؤمنين عليه السّلام - إلخ.

لكنه (ره) عدل عنه و استبصر و قال فى المقدمة السادسة من تفسيره الصافى بعد نقل عدّة روايات فى تحريف الكتاب: أقول: و يرد على هذا كلّ اشكال و هو أنّه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شىء من القرآن إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرّفا و مغيّرا و يكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا فى القرآن حجة أصلا فتنتفى فائدة الأمر باتّباعه و الوصيّة بالتمسك به إلى غير ذلك، و أيضا قال الله عزّ و جلّ «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ لَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» و قال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» فكيف يتطرق إليه التحريف و التغيير - إلخ.

«رسم النحو فى القرآن»

و ممّا يفحص عن شدة عناية المسلمين بضبط القرآن و يؤيده رسم النحو فيه قال ابن النديم فى أول المقالة الثانية من الفهرست: زعم أكثر العلماء أن النحو اخذ عن أبى الأسود و هو أخذ عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام - إلى أن قال: وقد اختلف الناس فى السبب الذى دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو فقال أبو عبيدة أخذ النحو عن علىّ بن أبى طالب أبو الأسود و كان لا يخرج شيئا أخذه عن علىّ كرم الله وجهه إلى أحد حتّى بعث إليه زياد أن اعمل شيئا يكون

للناس إماما و يعرف به كتاب الله فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» بالكسر فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أفعل ما أمر به الأمير فليغنى كاتباً لقنا يفعل ما أقول فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتى باخر قال أبو العباس المبرد أحسبه منهم فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه و إن ضمنت فمى فانقط نقطة بين يدي الحرف و إن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف فهذا نقط أبي الأسود. انتهى.

بيان

المراد من النقط ههنا هو الإعراب فنقطة الفوق بمعنى الفتحة و نقطة التحت أى الكسرة و نقطة بين يدي الحرف هى الضمة.

«رجم الأوهام و الأباطيل»

و إن قيل: قد توجد عدة من السور فى بعض الكتب و ما ذكرت فى القرآن كسورة النورين نقلها صاحب كتاب دبستان المذاهب و أتى بها المحدث النورى فى فصل الخطاب و الاشتياني فى بحر الفوائد فى شرح الفرائد (ص 101 طبع طهران) و سورة الحفد، و سورة الخلع، و سورة الحفظ، أتى بها المحدث الثورى فى فصل الخطاب أيضا و نقل الأوليين السيوطى فى أول النوع التاسع عشر من الإتقان، و سورة الولاية المنقولة فى كتاب داورى للكسروى، فلم قلت إن القرآن 114 سورة و ما نقص منه شىء؟ قلت: أولا عدم كونها فى القرآن دليل على عدم كونها من القرآن.

و ثانيا لو كانت أمثال هذه الكلمات تضحك بها الثكلى و تبكى بها العروس مما تحدى الله تعالى عباده بقوله: «فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ» (البقرة - 22 و يونس - 39) و قوله «فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ» (هود - 16) و قوله تعالى: «قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ» الآية لكان أعراب البادية و أصاغر الطلبة جميعا أنبياء يوحى إليهم فضلا

عن أكابر العلماء، وقياس هذه السور المجعولة بالمقامات للحريري مثلا كقياس التبن بالتبر فضلا بالقرآن الكريم أعجز الحريري و من فوقه عن أن تفوهوا بالإتيان بسورة منه و لو كانت نحو الكوثر ثلاث آيات.

و هذا هو أبو العلاء المعرّي الخريّ في فنون الأدب و شئون الكلام و المشار إليه بالبنان في جودة الشعر و عذوبة النثر يضرب به المثل في العلوم العربية و كفى في فضله شاهدا كتابه: لزوم ما لا يلزم، و سقط الزند، و شرح الحماسة، و غيرها تصدّى للمعارضة بالقرآن على ما نقل ياقوت الحموي في معجم الأدباء في ترجمته فنأتى بما قال للمعارضة ثم انظر فيها بعين العلم و المعرفة حتّى يتبين لك أن نسبته إلى القرآن كبراعة إلى الشمس؛ قال ياقوت: قرأت بخط عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ في كتاب له ألفه في الصرفة زعم فيه أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة حتّى صار معجزة للنبيّ صلّى الله عليه و آله و أنّ كلّ فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله إلاّ أنّهم صرفوا عن ذلك لأن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة و هو مذهب لجماعة من المتكلمين و الرافضة منهم بشر المريسي و المرتضى أبو القاسم قال في تضاعيفه: و قد حمل جماعة من الأدباء قول أصحاب هذا الرأي على أنّه لا يمكن أحد من المعارضة بعد زمان التحدّي على أن ينظموا على اسلوب القرآن و أظهر ذلك قوم و أخفاء آخرون؛ و ممّا ظهر منه قول أبي العلاء في بعض كلامه:

اقسم بخالق الخيل، و الريح الهابّة بليل، ما بين الأشراف و مطالع سهيل، إن الكافر لطويل الذيل، و إن العمر لمكفوف الذيل، اتق مدارج السيل، و طالع التوبة من قبيل، تنج و ما اخالك بناج.

و قوله: أذلت العائذة أباه، و أصاب الوحدة و ربّاه، و الله بكرمه اجتباها أولاها الشرف بما حباها، أرسل الشمال و صباها، و لا يخاف عقباها.

بيان

قوله: ألفه في الصرفة: زعم قوم أن الله تعالى صرف القوى البشريّة عن

المعارضة ولذلك عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن و لو لا صرفه تعالى لهم لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، و ذهب الاخرون إلى أنه تعالى لم يصرفهم عنها و لكنهم ليسوا بقادرين على الاتيان بمثله، و نتيجة كلا القولين واحدة لاتفاقهما على عجز البشر إلى يوم القيامة عن الاتيان بمثله و لو بسورة سواء كان بصرف القوى أو لم يكن.

و المراد من المرتضى أبى القاسم هو الشّريف علم الهدى أخو الشّريف الرّضى رضوان الله عليهما.

و لا يخفى على أولى الفضل و الدراية أن أمثال هذه الكلمات الملفقة من الرطب و اليايس لو تعارض القرآن الكريم لما تحدّى الله عباده به فإنّ الناس يستطيعون أن يأتوا بما هو أفضل منها لفظا و معنى.

ثم إنّ السور المنقولة من دبستان المذاهب و فصل الخطاب المذكورة آنفا كلمات لا يناسب ذيلها صدرها بل ليست جملها على اسلوب النحو و لا تفيد معنى فننقل شذمة من سورة النورين حتّى يظهر لك سخافة ألفاظها و ركافة تاليفها فمن آى تلك السورة المشوّهة: إنّ الله الذى نور السموات و الأرض بما شاء و اصطفى من الملائكة و جعل من المؤمنين اولئك فى خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلاّ هو الرّحمن الرحيم؛ و منها: مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم، و منها: و لقد ارسلنا موسى و هرون بما استخلف فبغوا هرون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة و الخنازير و لعناهم إلى يوم يبعثون، و منها: و لقد أتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين و جعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون.

فانظر أنّ ذلك اللصّ المعاند الوضاع كيف لفقّ بعض الجمل القرآنية بترهاته تلييسا على الضعفاء و خدّط الحقّ بالباطل تفتينا بين المسلمين، و لما رأى ضعفاء العقول كلمات شتى فيها نحو صبر جميل، نور السموات، إلى يوم يبعثون، لعلهم يرجعون، المتخذة من القرآن تلقوها بالقبول حتّى رأيت مصحفا مطبوعا كتبت هذه السور فى هامشه و ليس هذا إلا عمل الجهال من السّاك و الصبيان

من القراء الذين علموا مخارج حروف الحلق وأيقنوا أن ليس وراء ما علموا علم أصلا، و كأنما العارف شمس الدين محمد الحافظ أخبر عنهم حيث قال:

آه از دست صرّافان گوهر ناشناس هر زمان خر مهره را با درّ برابر می کنند

في تفسير آلاء الرحمن للبلاغى طاب ثراه: و ممّا ألصقوه بالقرآن المجيد ما نقله في فصل الخطاب من كتاب دبستان المذاهب أنه نسب إلى الشيعة انهم يقولون إن إحراق المصاحف سبب إتلاف سور من القرآن نزلت في فضل عليّ و أهل بيته عليهم السّلام منها هذه السورة (النورين) و ذكر كلاما يضاهاى خمسا و عشرين آية في الفواصل قد لفق من فقرات القرآن الكريم على اسلوب آياته فاسمع ما فى ذلك من الغلط فضلا عن ركافة اسلوبه الملقق: فمن الغلط (و اصطفى من الملائكة و جعل من المؤمنين اولئك فى خلقه) ما ذا اصطفى من الملائكة و ما ذا جعل من المؤمنين و ما معنى اولئك فى خلقه؟ و منه: (مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيته جنات النعيم) ليت شعرى ما هو مثلهم؟ و منه: (و لقد ارسلنا موسى و هرون بما استخلف فبغوا هرون فصبر جميل) ما معنى هذه الدمدمة، و ما معنى بما استخلف و ما معنى فبغوا هرون و لمن يعود الضمير فى بغوا و لمن الأمر بالصبر الجميل؟ و من ذلك (و لقد آتينا بك الحكم كالذى من قبلك من المرسلين و جعلنا لك منهم وّصيا لعلمهم يرجعون) ما معنى آتينا بك الحكم و لمن يرجع الضمير الذى فى منهم و لعلمهم وهل المرجع الضمير هو فى قلب الشاعر و ما هو وجه المناسبة فى لعلمهم يرجعون؟ و من ذلك - إلى أن قال: هذا بعض الكلام فى هذه المهزلة و أن صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين فى التتبع للشواذ و انه ليعدّ أمثال هذا المنقول فى دبستان المذاهب ضالة منشودة و مع ذلك قال انه لم يجد لهذا المنقول أثر فى كتب الشيعة، فيا للعجب من صاحب دبستان المذاهب من أين جاء نسبة هذه الدعوى إلى الشيعة و فى أى كتاب لهم و جدها أفهكذا يكون فى الكتب و لكن لا عجب شنشنة أعرفها من أخزم فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب كما فى كتاب الملل للشهرستانى و مقدمة ابن خلدون و غير ذلك ممّا كتبه بعض

النّاس فى هذه السنين و الله المستعان - انتهى.

«تخير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن»

(اجتماعه بنفر من قريش ليبيتوا ضدّ النبيّ صلّى الله عليه و آله، و اتفاق قريش أن يصفوا الرسول صلّى الله عليه و آله بالساحر و ما أنزل الله فيهم) كيف يحكم عاقل عارف بأنحاء الكلام أن تلك الأباطيل و الأضاليل و حى أوحى إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و تحدى عباد الله بالإتيان بمثله، و قد بهت العرب العرباء فى نظم القرآن الكريم و تحير فصحاء العرب فى بيدااء فصاحته و كلت السنة بلغائهم دون علو بلاغته و عجز العالمون عن أن يتدرجوا درج معانيه أو أن يتعوضوا فى بحر حقائقه، و هذا هو الخصم المبين الوليد بن المغيرة مع أنّه نشأ فى حجر العرب العرباء تخير فيما يصف به القرآن، قال ابن هشام فى السيرة (ص 270 ج 1 طبع مصر 1375 هـ - 1955 م):

إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش و كان ذا سنّ فيهم و قد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنّه قد حضر هذا الموسم و إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا - يعنى به رسول الله صلّى الله عليه و آله - فأجمعوا فيه رأيا واحدا و لا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا و يردّ قولكم بعضه بعضا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل و أقم لنا رأيا نقول به قال: بل أنتم فقولوا اسمع قالوا: نقول:

كاهن، قال: لا و الله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن و لا سجع، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه و لا تخالجه و لا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كلّ: رجزه و هزجه و قريضه و مقبوضه و مبسوطه فما هو بالشعر، قالوا:

فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحّار و سحرهم فما هو بنفثهم و لا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: و الله إن لقوله لحلاوة، و إن أصله لعذق، و إن فرعه لجنّاة و ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلاّ عرف أنّه باطل و إنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء

وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدم الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله: «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا سَازُجَهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا « (الآيات من سورة المدثر) وأنزل الله تعالى في النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وآله وفيما جاء به من الله تعالى:

«كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَّيكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الحجر - 92 إلى 95).

وإن قيل: قد وردت أخبار دالة على أن هذا القرآن المكتوب بين الدفتين المتداول الان اسقط منه آيات و كلمات فكيف ادعت أن ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ما نقص منه حرف و ما تطرق إليه تحريف؟ أقول: إن بعض تلك الروايات مجعول بلا كلام كرواية نقلها في الاحتجاج و أتى بها الفيض في تفسير الصافي ان المناقطين أسقطوا في الآية: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» (النساء - 5) بين اليتامى و بين فانكحوا من الخطاب و القصص اكثر من ثلث القرآن.

و بعضها يبين مصداقا من مصاديق الآية كما في قوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» (بنى إسرائيل - 84) وردت رواية: لا يزيد ظالمي آل محمد حقهم إلا خسارا.

و بعضها يشير إلى بعض التأويلات كما في قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (النحل - 25) وردت رواية ما ذا أنزل ربكم في علي عليه السلام.

و بعضها يفسر الآيات فجعل قوم هذه الأخبار دليلا على تحريف القرآن

و حكموا بظاھرھا أن القرآن نقص منه شىء و جمعھا المحدث النورى فى فصل الخطاب و جعلھا دليلا على تحريف الكتاب و اتبعه الـخرون و لولاـ خوف الإطالة لنقلت كلّ واحد من أخبار فصل الخطاب و بيّنت عدم دلالتها على تحريف الكتاب فإن أخباره بعضها مجعول بلا ريب و بعضها مشوب سنده بالعيب و بعضها الآخر يبين التأويل و بعضها يفسّر التنزيل و يضاد طائفة منها اخرى و بعضها منقول من كتاب دبستان المذاهب لم ينقل فى كتب الحديث أصلا كما أن المحدث النورى صرّح به أيضا. و بالجملة أن تلك الأخبار المنقولة فى فصل الخطاب وغيره الواردة فى ذلك الباب آحاد لا يعارض القرآن المتواتر المصون من عهد النبيّ صلّى الله عليه و آله إلى الان فإن وجد لها وجه لا ينافى القرآن و إلا فتضرب على الجدار.

«جرى على المحدث النورى ما جرى على ابن شنبوذ»

ثمّ إنّ هذا المحدثّ الجليل و الحبر النبيل صاحب مستدرک الوسائل و مؤلف كثير من الرسائل جزاه الله عن الاسلام و المسلمين خير جزاء عدل عن مذهب التحريف السخيف و لا يخفى أن الجواد قد يكبو و السيف قد ينبو و جرى عليه «ره» ما جرى على ابن شنبوذ قال ابن النديم فى الفن الثالث من المقالة الأولى من الفهرست: محمّد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ كان يناوىء أبا بكر و لا يفسده و قرأ: إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله، و قرأ: و كان أمامهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبا، و قرأ: اليوم ننجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية، و قرأ فلما خرّ تبّينت الناس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً فى العذاب المهين - إلى أن قال بعد نقل عدّة قراءاته: و يقال: إنه اعترف بذلك كلّّه ثمّ استتيب و اخذ خطّه بالتوبة فكتب: يقول محمّد بن أحمد بن أيوب: قد كنت أقرء حروفا تخالف عثمان المجمع عليه و الذى اتفق أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله على قراءته ثمّ بان لى أن ذلك خطأ و أنا منه تائب و عنه مقلع و إلى الله جلّ اسمه منه برىء إذ كان مصحف عثمان هو الحقّ الذى لا يجوز خلافه و لا يقرأ غيره.

و مما تطمئن به القلوب و يزيدها إيماناً في عدم تحريف القرآن هو أن الله تعالى ضمن حفاظة كتابه و تعهد إعلاء ذكره و وعد اتمام نوره و من أصدق من الله حديثاً و وعداً و دونك الاى القرآنية في ذلك:

قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر - 11) ففي الآية تأكيدات عديدة من الجملة الاسمية و الضمائر الأربعة الراجعة إليه تعالى و تكرار إن المؤكدة و لام التأكيد في خبر إن الثانية و اسمية خبرهما و تقديم الجار و المجرور على متعلقه. و المراد بالذكر هو القرآن الكريم لأنه تعالى قال: «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» فلا يكون المراد من الذكر إلا القرآن فكيف لم يحفظ القرآن من التحريف زيادة و نقصاناً.

و قال عز من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت - 43 و 44) و قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (الصف - 10) و قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (التوبة - 34) و المراد من النور القرآن الكريم كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا» (النساء - 175) و كما قال: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوْهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف - 158).

و قال تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» (القيامة - 18-20) ثم إن القرآن هو المعجزة الباقية من رسول الله صلى الله عليه و آله بل في الحقيقة كل سورة منه معجزة على حياها فهو مائة و أربع عشر معجزة و انزله الله تعالى هداية

لكافة العباد إلى يوم التناد فكيف لا يصونه من تحريف أهل العناد قال تعالى: «وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأَنَّكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» (الأنعام - 21)، وقال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان - 2): وقال تعالى: «وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا» (الأنعام - 93) وغيرها.

«من نسب إلى الإمامية القول بتحريف القرآن أنه»

«كان أكثر أو أقل مما بين الدفتين فهو كاذب»

و من تتبع أسفار المحققين من العلماء الإمامية يعلم أن من عزی اليهم القول بتغيير القرآن زيادة و نقصا فقد افترى عليهم قال العالم الخبير الإمامي القاضي نور الله التستري نور الله مرقدہ في مصائب النواصب: ما نسب إلى الشيعة الإمامية بوقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية إنما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم في ما بينهم.

و الشيخ الأجل أبو جعفر ابن بابويه الصدوق رحمه الله المتوفى 381 هـ قال في الاعتقادات: باب الاعتقاد في مبلغ القرآن: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين و هو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك و مبلغ سورة عند الناس مائة و أربع عشر سورة و من نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب.

و شيخ الطائفة الإمامية أبو جعفر الطوسي المتوفى 460 هـ قال في أول تفسيره التبيان: اعلم أن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي صلى الله عليه وآله بل هو أكبر المعجزات و أمّا الكلام في زيادته و نقصانه فمما لا يليق به لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانه و النقصان منه فالظاهر من مذاهب المسلمين خلافه و هو أليق بالصحيح من مذهبنا - الخ.

و امين الاسلام المفسر العظيم الشأن أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى 548 هـ قال في الفن الخامس من مقدمة تفسيره مجمع البيان:

و من ذلك الكلام في زيادته و نقصانه فأنه لا يليق بالتفسير فأما الزيادة فيه فجمع على بطلانه و أمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا و قوم من حشوية العامة أن

فى القرآن تغييرا و نقصانا و الصحيح من مذهبنا خلافه.

و العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلى المتوفى 726 هـ قال فى النهاية:

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مَكْلُفًا بِإِشَاعَةِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَى عَدَدِ التَّوَاتُرِ لِيَحْصَلَ الْقَطْعُ بِنَبْوَتِهِ فِي أَنَّهُ الْمَعْجِزَةُ لَهُ وَحِينَئِذٍ لَا يُمْكِنُ التَّوَافُقُ عَلَى نَقْلِ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ - إِلَى أَنْ قَالَ: فَإِنَّهُ الْمَعْجِزَةُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِ فَلَوْ لَمْ يَبْلُغْهُ إِلَى حَدِّ التَّوَاتُرِ انْقَطَعَتْ مَعْجِزَتُهُ فَلَا يَبْقَى هُنَاكَ حُجَّةٌ عَلَى نَبْوَتِهِ - إلخ.

و العالم الجليل بهاء الدين العاملى المتوفى 1031 هـ قال: فى الزبدة:

القرآن متواتر لتوفر الدواعى على نقله. و المنقول عنه فى تفسير آلاء الرحمن أنه (ره) قال: اختلف الأصحاب فى ترتيب سور القرآن العظيم و آياتها على ما هو عليه الان فزعم جمع منهم أن ذلك وقع من الصحابة بعد النبى صلى الله عليه و آله و كانت الايات غير مرتبة على ما هى عليه الان فى زمانه و لم يكن السورة متحققة فى ذلك الوقت و كذا لم يكن ترتيب السور على النهج الذى كانت عليه الان فى ذلك الزمان، و هذا الزعم سخيف و الحق ترتيب الايات و حصول السور كان فى زمانه إلى أن قال: و اختلفوا فى وقوع الزيادة و النقصان فيه و الصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك الوقوع زيادة كان أو نقصانا و يدلّ عليه قوله تعالى «وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و ما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام منه فى بعض المواضع مثل قوله تعالى «بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» فى على - و غير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء.

«كلام السيد الاجل ذى المجدين محيى آثار الأئمة على بن الحسين»

«علم الهدى قدس سره المتوفى 436 هـ فى عدم تغيير القرآن»

«من الزيادة و النقصان»

نقل عنه الطبرسى فى الفن الخامس من تفسيره مجمع البيان قال الطبرسى: فقد روى جماعة من أصحابنا و قوم من حشوية العامة أن فى القرآن تغييرا و نقصانا و الصحيح من مذهب أصحابنا خلافه و هو الذى نصره المرتضى قدس الله روحه و استوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات و ذكر فى مواضع أن

ص: 291

العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة فإن العناية اشتدت والدواعى توقرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه لأنّ القرآن معجزة التّوبة ومأخذ العلوم الشرعيّة والأحكام الدينيّة، وعلما المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية حتّى عرفوا كلّ شىء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيّرا أو منقوصا مع العناية الصّادقة والضبط الشّديد؛ قال:

وقال أيضا:

إنّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه فى صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة ككتاب سيبويه و المزنّى فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو أنّ مدخلا أدخل فى كتاب سيبويه بابا فى النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز وعلم أنه ملحق وليس من أصل الكتاب وكذلك القول فى كتاب المزنّى، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء، قال: وذكر أيضا رضى الله عنه:

أنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس و يحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتّى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له وأنه كان يعرض على النّبىّ صلّى الله عليه وآله ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النّبىّ صلّى الله عليه وآله عدّة ختمات وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنّه كان مجموعا مرتّبا غير مبتور ولا مبثوث؛ قال: وذكر:

أنّ من خالف فى ذلك من الإماميّة والحشويّة لا يعتدّ بخلافهم فإنّ الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحّتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته. انتهى ما أردنا من نقل كلامه أعلى الله مقامه.

و كذا صرّح غير واحد من سائر علمائنا الإمامية كالمحقق الكركي، و كاشف الغطاء، و الشيخ الحرّ العاملي، و الشيخ بهاء الدين، و الفاضل التوني صاحب الوافية، و السيّد المجاهد و المحقق القميّ قال و جمهور المجتهدين على عدم التحريف، و المحققين من علمائنا المعاصرين متع الله المسلمين بطول بقائهم على عدم التحريف و التغيير زيادة و نقصانا.

«فذلّكة البحث»

فحصل من جميع ما قدمناه أن تركيب السور من الايات و ترتيب السور أيضا كان بأمر النبيّ صلّى الله عليه و آله و أن بسم الله الرحمن الرحيم نزلت مع كلّ سورة ما عدا توبة؛ و انه جزء كلّ سورة و آية من آياتها كما أنها جزء من سورة التّمل؛ و أنّ القرآن المكتوب بين الدفتين هو الذي نزله الله على رسوله الخاتم صلّى الله عليه و آله ما زيد فيه حرف و لا نقص منه شيء؛ و أن عثمان ما حرف القرآن و لا أخذ منه و لا زاد فيه شيئاً بل غرضه من ذلك جمع الناس على قراءة واحدة و إياك أن تظن أنه أحرق المصحف الصحيح و ابقى الباطل و المحرف و المغير نعوذ بالله؛ و أن اعتراض علم الهدى و غيره عليه ليس إلاّ من جهة منعه القراءات الأخر لا إحراقه المصحف الصحيح و تبديله كلام الله المجيد، و أن القراءات السبع متواتر لا يقرأ القرآن بغيرها من الشواذ، و أن رسم خط القرآن سماعي لا يقاس بالنحو و رسم الخط المتداول فيجب ابقاء رسمه على ما كتبت على الكتبة الأولى، و أن من عزي إلى الإمامية تحريفه فهو كاذب، و أن الله حافظ كتابه و متمّم نوره.

و ما أجاد و أحسن و أحلى نظم العارف الرّومي في المقام قال في المجلّد الثالث من كتابه المثنوي:

مصطفى را وعده كرد أطفاف حق گر بمیری تو نمیرد این سبق

من كتاب و معجز ترا خافضم(1) بیش و کم کن راز قرآن رافضم

ص: 293

1- (1) فسرّه أحد الشراح بقوله: الخفض عمود الخباء یعنی من كتاب و معجزت را سازنده ستونم باين معنى كه آلت نگهداری برای آن می سازم.

من تو را اندر دو عالم رافعم طاغیان را از حدیث دافعم

کس نتاند بیش و کم کردن در او توبه از من حافظی دیگر مجو

رونقت را روز روز افزون کنم نام تو بر زرّ و بر نقره زرم

منبر و محراب سازم بهر تو در محبت قهر من شد قهر تو

نام تو از ترس پنهان می برند چون نماز آرند پنهان بگذرند(1)

خفیه می گویند نامت را کنون خفیه هم بانگ نماز ای ذوفنون

از هراس و ترس کفار لعین دینت پنهان می شود زیر زمین

من مناره بر کنم آفاق را کور گردانم دو چشم عاق را

چاکرانت شهرها گیرنده و جاه دین تو گیرد ز ماهی تا بماه

تا قیامت باقیش داریم ما تو مترس از نسخ دین ای مصطفی

ای رسول ما تو جادو نیستی صادقی هم خرقة موسیستی

هست قرآن مر تو را هم چون عصا کفرها را در کشد چون اژدها

گر جهان فرعون گیرد شرق و غرب سرنگون آید خدا را گاه حرب

تو اگر در زیر خاکی خفته ای چون عصایش دان تو آنچه گفته ای

گر چه باشی خفته تو در زیر خاک چون عصا آگه بود آن گفت پاک

قاصدان را بر عصایت دست نی تو بخسب ای شه مبارک خفتنی

تن بخفته نور جان در آسمان بهر پیکار توزه کرده کمان

فلسفی و آنچه پوزش میکند قوس نورت تیر دوزش میکند

چون که چوپان خفت گرگ ایمن شود چون که خفت آن جهد او ساکن شود

لیک حیوانی که چوپانش خدا است گرگ را آنجا امیدوره کجا است

و إنّما اتسع نطاق الکلام فی هذا البحث لما رأینا شدّة عناية اللّاس به

1- (1) يعنى أن المسلمين كانوا يكتمون اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) و يصلون سرا خوفا من الكافرين.

و كثرة حاجتهم إلى ايراد البرهان و ايضاح الحقّ في ذلك على أنا نرى كثيرا من الوعاظ على المنابر و في المجالس يتمسكون من غير روية و طويّة بطائفة من الأخبار على تحريف الكتاب و يقولون كيت و كيت و الناس يتلقونه منهم على القبول فأحببت أن اقدم تلك المباحث الشريفة في هذا المقام المناسب لها فلعلّها تنفع من أراد أن يتذكر و يسلك سبيل الهدى و مع ذلك لو لا خوف الإطّباب لأحببت أن أذكر جميع الأخبار و الأقوال الواردة ممّا تمسكوا بها على تحريف الكتاب و إن كان ما ذكرناه كافيا لمن أخذت الفطنة بيده و لعلنا نؤلف في ذلك رسالة عليحدة تكون اعمّ فائدة و الله تعالى ولى التوفيق فقد آن أن نرجع إلى ما كتّا فيه.

24 - و من ذلك أنه حمى الحمى عن المسلمين

إشارة

مع أن رسول الله صلّى الله عليه و آله جعلهم سواء في الماء و الكلاء.

قال القاضى عبد الجبار فى المغنى: و أما ما ذكره من أنه حمى الحمى عن المسلمين فجوابه أنه لم يحم الكلاء لنفسه و إلاّ استأثر به لكنه حماه لإبل الصدقة التى منفعتها تعود على المسلمين و قد روى عنه هذا الكلام بعينه، و أنه قال: إنما فعلت ذلك لإبل الصدقة و قد أطلقته الان و أنا أستغفر الله و ليس فى الاعتذار ما يزيد على ذلك.

«اعتراض الشريف المرتضى عليه»

اعترض عليه علم الهدى فى الشافى فقال: فأما اعتذاره فى الحمى بأنه حماه لإبل الصدقة التى منفعتها تعود على المسلمين و أنه استغفر منه و اعتذر، فالمرورى أوّلا بخلاف ما ذكره لأن الواقدى روى بإسناده قال: كان عثمان يحمى الربذة و الشرف و النقيع فكان لا يدخل فى الحمى بعير له و لا فرس و لا لبنى امية حتّى كان آخر الزمان فكان يحمى الشرف لإبله و كانت الف بعير و لإبل الحكم، و كان يحمى الربذة لإبل الصدقة و يحمى النقيع لخيل المسلمين و خيله و خيل بنى امية،

ص: 295

على أنه لو كان حماه لإبل الصدقة لم يكن بذلك مصيباً لأنّ الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله أحلاً الكلاء وأباحاه وجعلاه مشتركا فليس لأحد أن يغيّر هذه الإباحة، ولو كان في هذا الفعل مصيباً وإّما حماه لمصلحة تعود على المسلمين لما جاز أن يستغفر منه ويعتذر لأنّ الاعتذار إنّما يكون من الخطاء دون الصواب.

25 - ومن ذلك أنه أعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة

وغيرها وذلك ممّا لا يحلّ في الدين.

واعتذر القاضي في المغنى بقوله: فأما ما ذكره من إعطائه من بيت مال الصدقة المقاتلة فلو صحّ فأنّما فعل ذلك لعلمه بحاجة المقاتلة إليه واستغناء أهل الصدقات على طريق الاقتراض، وقد روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه كان يفعل مثل ذلك سرا وللإمام في مثل هذه الأمور أن يفعل ما جرى هذا المجرى لأن عند الحاجة ربما يجوز له أن يقترض من الناس فبأن يجوز أن يتناول من مال في يده ليردّه من المال الآخر أولى.

واعترض عليه علم الهدى في الشافى بقوله: فأما اعتذاره من إعطائه المقاتلة من بيت مال الصدقة بأنّ ذلك إنّما جاز لعلمه بحاجة المقاتلة إليه واستغناء أهل الصدقة عنه وأنّ الرسول صلّى الله عليه وآله فعل مثله، فليس بشيء لأنّ المال الذي جعل الله له جهة مخصوصة لا يجوز أن يعدل عن جهته بالاجتهاد ولو كانت المصلحة في ذلك موقوفة على الحاجة لشرطها الله تعالى في هذا الحكم لأنّ الله تعالى أعلم بالمصالح واختلافها ممّا و لكان لا يجعل لأهل الصدقة منها القسط مطلقاً.

فأما قوله: إنّ الرسول صلّى الله عليه وآله فعله فهو دعوى مجرّدة من غير برهان وقد كان يجب أن يروى ما ذكر في ذلك.

فأما ما ذكره من الاقتراض فإين كان عثمان عن هذا العذر لما وقف عليه.

26 - ومن ذلك ما فعل بأبي ذر رحمه الله تعالى

إشارة

. و اعلم أنّ جلاله شأن أبي ذر وفخامة أمره وعلوّ درجته ومكانته في الاسلام فوق أن يحوم حوله العبارة أو أن

يحتاج إلى بيان و كلام، فقد روى الفريقان في سمو رتبته و حسن اسلامه ما لا يسع هذه العجالة.

قال في اسد الغابة: اختلف في اسمه اختلافا كثيرا و قول الأكثر و هو أصح ما قيل فيه: جندب بالجيم المضمومة و النون الساكنة و الدال المهملة المفتوحة ابن جنادة بضم الجيم أيضا. كان من كبار الصحابة و فضلائهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة و كان خامسا و هو أول من حيي رسول الله صلى الله عليه و آله بتحية الإسلام و قال رسول الله صلى الله عليه و آله فيه: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر و في عبارة اخرى: على ذى لهجة أصدق من أبي ذر و سئل جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عن هذا الخبر فصدقه.

و في اسد الغابة أنّ النبي صلى الله عليه و آله قال: أبو ذر في امتي على زهد عيسى بن مريم.

و أنّ عليّاً عليه السلام قال: و عى أبو ذر علما عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئا. و كان آدم طويلا عظيما أبيض الرأس و اللحية.

«نفي عثمان أبا ذر من المدينة إلى الربذة و وفاته فيها»

«و ذكر السبب في ذلك»

في الشافي للشريف المرتضى علم الهدى: قد روى جميع أهل السيرة على اختلاف طرقهم و أسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه و اعطى الحرث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم و أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشّر الكافرين بعذاب أليم و يتلو قوله تعالى: «و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» فرجع ذلك مروان إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذر نائلا مولاه أن انته عما يبلغني عنك فقال:

أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى و عيب من ترك أمر الله فو الله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إليّ و خير من أن أرضى عثمان بسخط الله، فاغضب عثمان ذلك و احفظه و تصابر.

و فيه و في مروج الذهب: أنّ أبا ذر حضر مجلس عثمان ذات يوم فقال عثمان:

أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب الأحبار: لا يا أمير المؤمنين

فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» الآية. فقال عثمان: أيجوز للإمام أن يأخذ مالا من بيت مال المسلمين فينفقه فيما ينوبه من اموره فاذا أيسر قضاه؟ فقال كعب الأحماس: لا بأس بذلك فرجع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال:

يا ابن اليهودي ما أجراك على القول في ديننا فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي و تولعك بأصحابي غيب وجهك عني فقد أذيتني، الحق بالشام فأخرجه إليها.

و كان معاوية يومئذ عامل عثمان بالشام و كان أبو ذر ينكر على معاوية اشياء يفعلها فبعث إليه معاوية ثلاثمئة دينار، فقال أبو ذر: إن كانت من عطائي الذي حرمتومنيه عامي هذا قبلتها و إن كانت صلة فلا حاجة لي فيها و ردّها عليه.

و بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت من عطائي الذي حرمتومنيه عامي هذا قبلتها و إن كان من مالك فهي الإسراف.

و كان أبو ذر رحمه الله يقول: و الله لقد حدثت أعمال ما أعرفها و الله ما هي في كتاب الله و لا سنة نبيه و الله إنني لأرى حقًا يظفأ و باطلا يحيى و صادقًا مكذبا و اثرة بغير تقى و صالحا مستأثرا عليه. فقال حبيب بن مسلمة القهري لمعاوية: ان أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كانت لكم فيه حاجة فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع و لا آمن أن يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك.

فكتب إليه عثمان: أما بعد فاحمل جندبا إلى على أغلط مركب و أوعره.

فوجه به مع من ساربه الليل و النهار و حمل على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم المدينة و قد سقط لحم فخذه من الجهد. و قال المسعودي: فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيطون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخذه و كان أن يتلف فليل له: إنك تموت من ذلك، فقال: هيهات لن أموت حتى أنفي و ذكر جوامع ما نزل به بعد و من يتولى دفنه.

و في الشافى: فلما قدم أبو ذر المدينة بعث إليه عثمان بأن الحق بأى أرض

شئت فقال: بمكة قال: لا، قال: فبييت المقدس، قال: لا، قال: فبأحد المصرين، قال: لا و لكنى مسيرك إلى الرّبذة فسيره إليها: فلم يزل بها حتى مات رحمه الله تعالى.

و فى رواية الواقدي أنّ أبا ذر لما دخل على عثمان فقال له: لا أنعم الله علينا يا جنيدب فقال أبو ذر: أنا جندب و سمّاني رسول الله صلّى الله عليه و آله عبد الله فاخترت اسم رسول الله الذى سمّاني به على اسمي، فقال له عثمان: أنت الذى تزعم أنا نقول إنّ يد الله مغلولة إنّ الله فقير و نحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: و لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده و لكنى أشهد لسمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا و عباد الله خولا و دين الله دخلا ثم يريح الله العباد منهم. فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبي الله؟ فقالوا: ما سمعناه، فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ فقال أبو ذر لمن حضره: أما تظنون أنى صدقت؟ فقال عثمان: ادعوا لى عليّا عليه السلام، فلما جاء قال عثمان لأبى ذر: اقصص عليه حديثك فى بنى أبى العاص فحدثه، فقال عثمان لعليّ عليه السلام: هل سمعت هذا من رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ فقال عليّ عليه السلام لا، و قد صدق أبو ذر، فقال عثمان: كيف عرفت صدقه؟ قال: لأنى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر فقال من حضر من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه و آله جميعا: صدق أبو ذر. فقال أبو ذر: أ حدثكم أنى سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله ثم تتهمونى ما كنت أظن أنّى أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله.

و روى الواقدي فى خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذى فعلت و فعلت. قال أبو ذر:

إتى نصحتك فاستغششتنى و نصحت صاحبك فاستغشنى. فقال عثمان: كذبت و لكنك تريد الفتنة و تحبّها قد قلبت الشام علينا. فقال أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكون لأحد عليك كلام فقال له عثمان: ما لك و لذلك لا ام لك؟ فقال أبو ذر: و الله ما وجدت لى عذرا إلا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فغضب عثمان فقال: أشيروا

علّي في هذا الشيخ الكذاب: إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فإنه قد فرّق جماعة المسلمين أو أنفيه من الأرض، فتكلم عليّ عليه السّلام و كان حاضراً فقال: اشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون «وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» فأجابه عثمان بجواب غليظ لم أحب أن أذكره وأجابه عليّ عليه السّلام بمثله.

ثم أمر أن يؤتى به فلما أتى به وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر هل رأيت هذا هديهم (هل هديك كهديهم؟ خ ل) إنك تبطش بي ببطش جبار فقال: اخرج عنا من بلادنا فقال أبو ذر: فما أبغض إليّ جوارك قال: فالى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد؟ فقال: إنما جليتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟ قال:

أفأخرج إلى العراق؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبهة و طعن على الأئمة. قال: فأخرج إلى مصر؟ قال: لا. قال: أين أخرج؟ قال:

حيث شئت. فقال أبو ذر: هو أيضا التعرب بعد الهجرة أخرج إلى نجد؟ فقال عثمان:

الشرف الشرف الأبعد أقصى فأقصى. فقال أبو ذر: قد أبيت ذلك عليّ. قال: امض على وجهك هذا ولا تعدون الربذة فخرج إليها.

قال المسعودى - بعد ذكر جلوسه لدى عثمان وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين، الخبر - قال: وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان: إنى لأرجو لعبد الرحمن خيراً لأنه كان يتصدق و يقرى الضيف و ترك ما ترون، فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين، فسال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب و لم يشغله ما كان فيه من الألم و قال: يا ابن اليهودى تقول لرجل مات و ترك هذا المال إن الله أعطاه خير الدنيا و خير الآخرة و تقطع على الله بذلك؟ و أنا سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ما يسرنى أن أموت و أدع ما يزن قيراطاً، فقال له عثمان: وار عني و جهك، فقال: أسير إلى مكة. قال: لا و الله. قال فتمنعنى:

من بيت ربّي أعبده فيه حتّى أموت؟ قال: إي والله قال: فإلى الشام. قال: لا والله، قال:

البصرة قال: لا والله، فاختار غير هذه البلدان، قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئا من البلدان فسيرني حيث شئت من البلاد.

قال: فأتى مسيرك إلى الرّبذة. قال: الله أكبر صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أخبرني بكلّ ما أنا لاق. قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني امنع عن مكة والمدينة وأموت بالرّبذة ويتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز. وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته وأمر عثمان أن يتجافاه التّاس حتى يسير إلى الرّبذة.

«كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) و الحسين و عقيل لابي ذر رحمه الله»

«لما أخرجه عثمان إلى الرّبذة وكلام أبي ذر»

قد مضى كلامه عليه السّلام لأبي ذرّ رحمه الله تعالى لما اخرج إلى الرّبذة «الرقم - 130 - من باب المختار من الخطب» وهو: يا أبا ذر إنك غضبت لله فارح من غضبت له إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك. إلى آخره.

قال الشارح المعتزلي في شرح كلامه عليه السّلام هذا وقريبا منه المسعودي في مروج الذهب: واقعة أبي ذر وإخراجه إلى الرّبذة أحد الأحداث التي نقتت على عثمان.

وقد روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبد الرّزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: لما اخرج أبو ذر إلى الرّبذة أمر عثمان فنودي في التّاس أن لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به و تحاماه التّاس إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام وعقيل أخاه وحسنا وحسينا وعمّارا فانهم خرجوا معه يشيعونه، فجعل الحسن عليه السّلام يكلم أبا ذر فقال له مروان: إيها يا حسن! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا

الرَّجُلُ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ فَاعْلَمْ ذَلِكَ، فَحَمَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِرْوَانَ فَضْرَبَ بِالسُّوْطِ بَيْنَ أُذُنَيْ رَاحِلَتِهِ وَقَالَ: تَنَحَّ نَحَاكَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَرَجَعَ مِرْوَانٌ مَغْضِبًا إِلَى عَثْمَانَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ فَتَلَطَّى عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَقَفَ أَبُو ذَرٍّ فَوَدَّعَهُ الْقَوْمُ وَمَعَهُ ذِكْوَانٌ مَوْلَى أُمِّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ.

قال ذكوان: فحفظت كلام القوم وكان حافظا فقال علي عليه السلام:

يا با ذر! إنك غضبت لله إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلبي وتفوك إلى الفلا والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجا، يا با ذر! لا يونسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل.

ثم قال عليه السلام لأصحابه: ودعوا عممكم، وقال لعقيل: ودع أخاك فتكلم عقيل فقال: ما عسى أن تقول يا با ذر أنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله فإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم واعلم أن استثقا لك الصبر من الجزع واستبطانك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع.

ثم تكلم الحسن عليه السلام فقال: يا عمّاه لو لا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيح أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف وقد أتى القوم إليك ما ترى فضع عنك الدنيا بتذكر فراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض.

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: يا عمّاه إن الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى والله كلّ يوم هو في شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعهم دينك فما أغناك عمّا منعوك وأحوجهم إلى ما منعهم فاسأل الله الصبر والنصر واستعدّ به من الجشع والجزع فإن الصبر من الدّين والكرم وإن الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا.

ثم تكلم عمار رحمه الله مغضبا فقال: لا- آنس الله من أوحشك ولا- آمن من أخافك أما والله لو أردت دنياهم لا منوك ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم

عليه و الملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم و منحهم القوم ديناهم فخسروا الدنيا و الاخرة ألا ذلك هو الخسران المبين. فبكى أبو ذر رحمه الله و كان شيخا كبيرا و قال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه و آله ما لى بالمدينة سكن و لا- شجن غيركم إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام و كره أن اجاور أخاه و ابن خاله بالمصرين فافسد الناس عليهما فسيرني إلى بلد ليس لى به ناصر و لا دافع إلا الله، و الله ما يريد إلا الله صاحبا و ما أخشى مع الله وحشة.

فشكى مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من علي ردّ رسولى عما وجهته له و فعل كذا و الله لنعطيته حقه.

فلما رجع علي عليه السلام استقبله الناس فقالوا: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر. فقال علي: غضب الخيل على اللجم، ثم جاء فلما كان بالعشيّ جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان و اجترأت عليّ و رددت رسولى و أمرى؟ قال: أما مروان فإنه استقبلنى يردّنى فرددته عن ردّى و أما أمرك فلم اصغره.

قال: أو ما بلغك نهى عن كلام أبى ذر؟ قال: أو ما كلّمنا أمرت بأمر معصية أظعنك فيه؟ قال عثمان: أقد مروان من نفسك، قال: و ما أقيده؟ قال: ضربت بين اذنى راحلته، قال علي: أما راحلتى فهى تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، و أمّا شتمه إياى فو الله لا يشتمنى شتمه إلا شتمتك مثلها بما لا أكذب فيه و لا أقول إلا حقا، فغضب عثمان و قال: و لم لا يشتمك إذا شتمته؟ فو الله ما أنت عندى بأفضل منه. فغضب علي بن أبي طالب عليه السلام و قال: ألى تقول هذا القول و بمروان تعدلنى؟ فأنا و الله أفضل منك و أبى أفضل من أيبك و امى أفضل من امك و هذه نبلى قد نثلتها و هلم فاقبل بنبلك فغضب عثمان و احمرّ وجهه فقام و دخل داره و انصرف علي عليه السلام فاجتمع إليه أهل بيته و رجال من المهاجرين و الأنصار.

فلما كان من الغد أرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين و الأنصار و إلى بنى امية

يشكو اليهم عليا عليه السلام وقال: إنه يعينني و يظهر من يعينني - يريد بذلك أبا ذر و عمار ابن ياسر و غيرهما - فقال القوم: أنت الوالى عليه و إصلاحه أجمل، قال: وددت ذاك. فأتوا عليا عليه السلام فقالوا: لو اعتذرت إلى مروان و أتيت، فقال: كلاً أمران فلا آتية و لا اعتذر منه و لكن إن أحبب عثمان آتيت. فرجعوا إلى عثمان فأخبروه فأرسل عثمان إليه فأتاه و معه بنو هاشم فتكلم علي عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أما ما وجدت علي فيه من كلام أبى ذر و وداعه فو الله ما أردت مساتتك و لا الخلاف عليك و لكن أردت به قضاء حقّه، و أما مروان فإنه اعترض يريد ردّي عن قضاء حقّ الله عزّ و جلّ فرددته ردّ مثلى مثله، و أما ما كان منّى إليك فإنك أغضبتنى فأخرج الغضب منّى ما لم أرد.

فتكلم عثمان فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما ما كان منك إليّ فقد وهبته لك، و أما ما كان منك إلى مروان فقد عفى الله عنك، و أما ما حلفت عليه فانت البر الصادق فادن يدك فأخذ يده فضمّها إلى صدره. فلما نهض قالت قريش و بنو أمية لمروان: أنت رجل جبهك عليّ و ضرب راحلتك و قد تفانت وائل في ضرع ناقة و ذبيان و عيس في لطفة فرس و الأوس و الخزرج فى نسعة؟ أفتحمل لعلّى ما أتاه إليك؟ فقال مروان: و الله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

ثم قال الشارح المعتزلى: و اعلم أن الذى عليه أكثر أرباب السيرة و علماء الأخبار و النقل أن عثمان نفا أبا ذر أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكى منه معاوية ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام و أصل هذه الواقعة أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم و غيره بيوت الأموال و اختص زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبو ذر يقول بين الناس و الطرقات و الشوارع بشرّ الكافرين بعذاب أليم و يرفع بذلك صوته - فأتى بما نقلنا من الشافى بحذافيرها.

و روى الواقدى - كما فى الشافى - عن مالك بن أبى الرجال عن موسى بن

ميسرة أن أبا الأسود الدؤلى قال: كنت أحب لقاء أبا ذر لأسأله عن سبب خروجه فنزلت به الرّبذة فقلت له: ألا تخبرنى خرجت من المدينة طائعا أو أخرجت؟ قال: أمّا إني كنت فى ثغر من الثغور أغنى عنهم فأخرجت إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فقلت دار هجرتى و أصحابى فأخرجت منها إلى ما ترى، ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم فى المسجد إذ مرّ بى رسول الله صلى الله عليه وآله فضربنى برجليه فقال: لا- أراك نائما، فقلت: بأبى أنت و أمى غلبتني عيني فمنت فيه، فقال: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ فقلت: إذا ألحق بالشام فإنها أرض مقدسة و أرض بقيّة الإسلام و أرض الجهاد، فقال: كيف بك إذا أخرجوك منها؟ قال: فقلت: أرجع إلى المسجد، قال: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفى فأضرب به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أدلك على خير من ذلك انسق معهم حيث ساقوك و تسمع و تطيع فسمعت و أطعت و أنا أسمع و اطيع و الله ليلقيني الله عثمان و هو آثم فى جنبى. و كان يقول بالرّبذة: ما ترك الحق لى صديقا و كان يقول فيها: ردّنى عثمان بعد الهجرة أعرابيا.

أقول: فى الصّحاح للجوهري: تعرّب بعد هجرته أى صار أعرابيا.

وفى النهاية الأثرية: التعرّب بعد الهجرة هو أن يعود إلى البادية و يقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا و كان من رجوع بعد الهجرة إلى موضعه من غير عذر يعدّونه كالمتردّ.

وفى باب علل تحريم الكبائر من الوافى للفيض (ره) (م 3 ص 176) نقلا عن من لا يحضره الفقيه: كتب على بن موسى الرضا عليه السّلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله - إلى أن قال عليه السّلام: و حرّم الله التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين و ترك الموازنة للأنبياء و الحجج عليهم أفضل الصلوات و ما فى ذلك من الفساد و إبطال حقّ كلّ ذى حق لا لعلّة سكنى البدو و لذلك لو عرف الرجل الدين كاملا لم يجز له مساكنة أهل الجهل، و الخوف عليه لأنه لا يؤمن أن وقع منه ترك العلم و الدّخول مع أهل الجهل و الثمادى فى ذلك.

قال الفيض في بيانه: وفي بعض النسخ: لعلة سكنى البدو بدون لا و هو أوضح و أوثق بما بعده، و الخوف عليه عطف على الفساد و الإبطال. انتهى، فتأمل.

«اعتذار القاضي عبد الجبار و شيخه أبي علي نفي أبي ذر»

«إلى الربذة»

قال في الشافي: حكى القاضي عن شيخه أبي علي في نفي أبي ذر إلى الربذة أنّ الناس اختلفوا في أمره فروى عنه أنه قيل لأبي ذر: أعثمان انزلك الربذة؟ فقال: لا، بل اخترت لنفسي ذلك و روى أن معاوية كتب يشكوه و هو بالشام فكتب إليه عثمان أن صيره إلى المدينة فلما صار إليه قال: ما أخرجك إلى الشام؟ قال: لأني سمعت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُول: إِذَا بَلَغْتَ عِمَارَةَ الْمَدِينَةِ مَوْضِعَ كَذَا فَأَخْرَجَ عَنْهَا فَلذَلِكَ خَرَجْتُ، قَالَ: فَأَيُّ الْبِلَادِ أَحَبُّ إِلَيْكَ بَعْدَ الشَّامِ؟ فَقَالَ: الرَّبِذَةُ، فَقَالَ: صِرَ إِلَيْهَا وَإِذَا تَكَافَأْتَ الْأَخْبَارَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ لَهُمْ حِجَّةٌ وَ لَوْ ثَبَتَ ذَلِكَ لَكَانَ لَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الرَّبِذَةِ لِصَلَاحِ يَرْجِعُ إِلَى الدِّينِ فَلَا يَكُونُ ظَلَمًا لِأَبِي ذَرِّ بْنِ بِلَ رُبَمَا يَكُونُ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ وَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنَالَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَكْرُوهٌ.

فقد روى أنه كان يغلظ في القول و يخشن في الكلام و يقول: لم يبق أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عَهْدِ وَ يَنْفِرُ بِهَذَا الْقَوْلِ فَرَأَى إِخْرَاجَهُ أَصْلَحَ لِمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَصْلُحَةِ وَ إِلَى الدِّينِ. وَ قَدْ رَوَى أَنَّ عَمْرَ أَخْرَجَ عَنِ الْمَدِينَةِ نَصْرَ بْنِ حِجَّاجٍ لِمَا خَافَ نَاحِيَتَهُ. قَالَ: وَ نَدَبَ اللهُ تَعَالَى إِلَى خَفْضِ الْجَنَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ إِلَى الْقَوْلِ اللَّيِّنِ لِلْكَافِرِينَ وَ بَيْنَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَوْ اسْتَعْمَلَ الْفِظَازَةَ لَا نَفْضًا مِنْ حَوْلِكَ فَلَمَّا رَأَى عَثْمَانَ مِنْ خَشُونَةِ كَلَامِ أَبِي ذَرِّ بْنِ بِلَ وَ مَا كَانَ يورده مما يخشى منه التنفير فعل ما فعل.

وقد روى عن زيد بن وهب قال: قلت لأبي ذر و هو بالربذة: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: اخبرك أنّي كنت بالشام في أيام معاوية و قد ذكرت هذه الآية «الَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»

ص: 306

فقال معاوية هذه فى أصل الكتاب فقلت فىهم وفنا فكتب معاوية إلى عثمان فى ذلك فكتب إلى أن أقدم على فقدمت على فانتال الناس إلى كأنهم لم يعرفونى فشكوت ذلك إلى عثمان فخبرنى وقال: إن أحببت أنزل حىث شئت فنزلت الرّبذة و حكى عن الخياط قريبا مما تقدم من أن خروج أبى ذر إلى الرّبذة كان باختياره قال: وأقلّ ما فى ذلك أن يختلف الأخبار فتطرح و نرجع إلى الأمر الأوّل فى صحة إمامة عثمان و سلامة أحواله.

«جواب الشرف المرئى علم الهدى و اعتراضه»

اعترض فى الشافى عليه و ردّ كلامه بقوله: فأما قوله «إن الأخبار مكافئة فى أمر أبى ذر و إخراجة إلى الرّبذة و هل كان ذلك باختياره أو بغير اختياره» فمعاذ الله أن يتكافأ فى ذلك بل المعروف الظاهر أنه نفاه من المدينة إلى الرّبذة، ثم أتى بالروايات الثلاث عن الواقدى و قوله قد روى جمىع أهل السيرة على اختلاف الطرق إلى آخر ما نقلناه عنه من الشافى المذكورة آنفا ثم قال: و الأخبار فى هذا الباب أكثر من أن نحصرها و أوسع من أن نذكرها أو ما تحمل نفسه على ادّعا أن أبى ذر خرج مختارا إلى الرّبذة.

قال: و لسنا ننكر أن يكون ما أورده صاحب الكتاب من أنه خرج مختارا قد روى إلا أنه فى الشاذّ النادر و بازاء هذه الرواية الفذة كلّ الروايات التى تتضمن خلافها و من تصفّح الأخبار علم أنها غير متكافئة على ما ظن صاحب الكتاب - يعنى به القاضى صاحب كتاب المغنى - و كيف يجوز خروجه عن تخبير و إنما اشخص من الشام على الوجه الذى اشخص عليه من خشونة المركب و قبح السير به للموجدة عليه. ثم لما قدم منع الناس من كلامه و أغلظ له فى القول و كلّ هذا لا يشبه أن يكون أخرجه إلى الرّبذة باختياره. و كيف يظن عاقل أن أبى ذر يحبّ أن يختار الرّبذة منزلا مع جدبها و قحطها و بعدها عن الخيرات و لم يكن بمنزل مثله.

فأما قوله «إنه اشفق عليه من أن يناله بعض أهل المدينة بمكروه من حيث كان يغلظ له القول» فليس بشيء يعول عليه لأنه لم يكن في أهل المدينة إلا من كان راضيا بقوله عاتبا بمثل عتبه إلا أنهم كانوا بين مجاهر بما في نفسه و مخف ما عنده و ما في أهل المدينة إلا من رثى مما حدث على أبي ذر و استفظعه و من رجع إلى كتب السير عرف ما ذكرناه.

فأما قوله «إن عمر أخرج من المدينة نصر بن حجاج» فيما بعد ما بين الأمرين و ما كنا نظن أن أحدا يسوى بين أبي ذر و هو وجه الصحابة و عينهم و من أجمع المسلمون على توقيره و تعظيمه و أن رسول الله صلى الله عليه و آله مدحه من صدق اللهجة بما لم يمدح به أحدا و بين نصر بن الحجاج الحدث الذي كان خاف عمر من افتتان النساء به و بشبابه و لا حظ له في فضل و لا دين. على أن عمر قد ذم باخراجه نصر بن الحجاج من غير ذنب كان منه و إذا كان من أخرج نصر بن الحجاج مذموما فكيف بمن أخرج مثل أبي ذر رحمه الله؟ فأما قوله «إن الله تعالى و الرسول صلى الله عليه و آله ندبا إلى خفض الجناح و لين القول للمؤمن و الكافر» فهو كما قال إلا أن هذا أدب كان ينبغي أن يتأدب به عثمان في أبي ذر و لا يقابله بالتكذيب و قد قطع الرسول صلى الله عليه و آله على صدقه و لا يسمعه مكروه الكلام و هو إنما نصح له و أهدى عليه عيوبه و عاتبه على ما لو نوزع عنه لكان خيرا له في الدنيا و الآخرة و هذه جملة كافية.

في تاريخ أبي جعفر الطبري: لما حضرت الوفاة أبا ذر في الربذة و ذلك في سنة اثنتين و ثلاثين من الهجرة في سنة ثمان في ذي الحجة من امارة عثمان قال لابنته: استشرفي يا بنية فانظري هل ترين أحدا؟ قالت: لا، قال: فما جاءت ساعتى بعد، ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها. ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنونى فقولى لهم: إن ابا ذر يقسم عليكم ان لا تركبوا حتى تأكلوا فلما نضجت قدرها قال لها: انظري هل ترين أحدا؟ قالت: نعم، هؤلاء ركب مقبلون. قال: استقبلي بى الكعبة، ففعلت و قال: بسم الله و بالله و على ملة رسول الله صلى الله عليه و آله ثم خرجت ابنته فتلقتهم و قالت رحمكم الله

اشهدوا أبا ذر. قالوا: وأين هو؟ فأشارت لهم إليه وقد مات فادفنوه قالوا: نعم ونعمة عين لقد أكرمنا الله بذلك وإذا ركب من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود فمالوا إليه و ابن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَمُوتُ وَحْدَهُ وَيَبْعَثُ وَحْدَهُ فغسلوه و كفنوه و صلّوا عليه و دفنوه فلما أرادوا يرتحلوا قالت لهم: إنّ أبا ذر يقرأ عليكم السّلام و اقسّم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ففعلوا.

و فيه فى رواية اخرى باسناده عن الحلحال بن ذرى قال: خرجنا مع ابن مسعود سنة 31 - و نحن أربعة عشر راكبا حتّى أتينا على الرّبذة فإذا امرأة قد تلقّتنا فقالت: اشهدوا أبا ذر و ما شعرنا بأمره و لا بلغنا فقال و أين أبو ذر؟ فأشارت إلى خباء فمال ابن مسعود إليه و هو يبكي فغسلناه و كفنناه و إذا خباؤه خباء منضوح بمسك فقلنا للمرأة ما هذا؟ فقالت كانت مسكة فلما حضر قال: إنّ الميت يحضره شهود يجدون الريح و لا يأكلون فدوفى تلك المسكة بماء ثمّ رشى بها الخباء فاقريهم ريحها و اطبخى هذا اللحم فانه سيشهدنى قوم صالحون يلون دفى فاقريهم فلما دفنّا دعّتنا إلى الطعام فأكلنا. و الأحاديث فى فضائل أبى ذر و اسلامه و ترجمته و مقامه فى الرّبذة و موته و صلاة عبد الله بن مسعود عليه و من كان معه فى موته كثيرة لا تطول بذكرها.

«الكلام فى اجتماع الناس و تذاكرهم أعمال عثمان»

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه: ذكر محمّد بن عمر أنّ عبد الله بن جعفر حدثه عن امّ بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأرسل إلى المسور ابن مخرمة و إلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسماها عبد الرحمن فى التّاس و عثمان فى الدار.

قال: قال محمّد بن عمرو حدثنى محمّد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن نقاحة عن عثمان بن الشريد قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدى و هو بفناء داره و معه جامعة فقال: يا نعثل و الله لأقتلنك و لأحملنك على قلوب جرباء و لا خرجنك

إلى حرة النار، ثم جاءه مرة أخرى و عثمان على المنبر فأنزله عنه.

قال: كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيء جبلة بن عمرو الساعدى مرّ به عثمان و هو جالس فى ندى قومه و فى يد جبلة بن عمرو جامعة فلمّا مرّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبلة: لم تردّون على رجل فعل كذا و كذا؟ ثمّ أقبل على عثمان فقال: و الله لأطرحنّ هذه الجامعة فى عنقك أو لستركن بطانتك هذه. قال عثمان: أى بطانة؟ فو الله إننى لأتخيّر الناس. فقال: مروان تخيّرته، و معاوية تخيّرته، و عبد الله بن عامر بن كريز تخيّرته، و عبد الله بن سعد تخيّرته، منهم من نزل القرآن بدمه و أباح رسول الله صلّى الله عليه و آله دمه. قال: فانصرف عثمان فما زال الناس محترئين عليه.

قال: و خطب فى بعض أيامه فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت نهايبر و ركبتها معك فتب نتب - إلى أن قال: ثم لما كان بعد ذلك خطب عثمان الناس فقام إليه جهجاه الغفارى فصاح يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءة و جامعة قم يا نعثل فانزل عن هذا المنبر فلندرعك العبءة و لنطرحك فى الجامعة و لنحملك على الشارف ثمّ نظر حك فى جبل الدخان، فقال عثمان: قبحك الله و قبح ما جئت به، قال: و لم يكن ذلك إلاّ عن ملاّ من الناس و قام إلى عثمان خيره و شيعته من بنى امية فحملوه و أدخلوه الدار.

قال: بعد ما غزا المسلمون غزوة الصوارى و نصرهم الله على الأعداء فقتلوا منهم مقتلة عظيمة و هزم القوم جعل محمّد بن أبى حذيفة يقول: أما و الله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقًا، فقيل له: و أىّ جهاد؟ فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا و كذا و فعل كذا و كذا حتىّ أفسد الناس فقدموا بلدهم و قد أفسدهم و أظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به.

قال: بإسناده عن الزهرى قال: خرج محمّد بن أبى حذيفة و محمّد بن أبى بكر عام خرج عبد الله بن سعد بن أبى سرح - يعنى عام 31 خرج عبد الله بن سعد بأمر عثمان لغزوة الرّوم التى يقال لها غزوة الصوارى - فأظهر اعيب عثمان و ما غير و ما خالف به أبى بكر و عمر و أنّ دم عثمان حلال و يقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان

رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله أباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله قوما وأدخلهم - يعنى حكم بن العاص وابنه مروان الطريدين وغيرهما - ونزع أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال:

لا تركبا معنا فركبا فى مركب ما فيه أحد من المسلمين - إلى أن قال: و عابا عثمان أشد العيب.

وروى بإسناده عن عبد الرحمن بن يسار أنه قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله إلى من بالافاق منهم وكانوا قد تفرقوا فى الثغور: إنكم انما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيل الله عزّ وجلّ تطلبون دين محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله فإنّ دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك فهلّموا فأقيموا دين محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله فأقبلوا من كلّ افق حتى قتلوه.

«نصح أمير المؤمنين على (عليه السلام) عثمان»

قال: و أما الواقدي فإنه زعم أن عبد الله بن محمد حدّثه عن أبيه قال: لما كانت سنة - 34 - كتب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد وكثر الناس على عثمان و نالوا منه أقبح ما نيل من أحد و أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله يرون و يسمعون ليس فيهم أحد ينهى و لا يذّب إلاّ نغير زيد بن ثابت و أبو أسيد الساعدي و كعب بن مالك و حسان بن ثابت فاجتمع الناس و كلّموا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدخل على عثمان فقال: الناس ورائي و قد كلّموني فيك و الله ما أدري ما أقول لك و ما أعرف شيئا تجهله و لا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه و لا خلونا بشيء فنبلغك و ما خصصنا بأمر دونك و قد رأيت و سمعت و صحبت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و نلت صهره و ما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك و لا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، و أنك أقرب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و لقد نلت من صهر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله ما لم ينالا و لا سبقاك إلى شيء فالله الله فى نفسك فانك و الله ما تبصر من عمى و لا تعلم من جهل و إنّ الطريق لواضح بين

وإن أعلام الدين لقائمة تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فو الله إن كلا لبيّن وإن السنن لقائمة لها اعلام وإن البدع لقائمة لها اعلام وإن شرّ الناس عند الله إما جائر ضلّ و ضلّ به فأمات سنة معلومة و احيا بدعة متروكة وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور في جهنم كما تدور الرحي ثم يرتطم في غمرة جهنم وإني احذرك الله و احذرك سطواته و نعماته فان عذابه شديد اليم و احذرك ان تكون إمام هذه الأمة المقتول فانه يقال: يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة و تلبس امورها عليها و يتركها شيئا فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يمجون فيها موجا و يمجون فيها مرجا.

فقال عثمان: قد والله علمت ليقولن الذي قلت اما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا اسلمتكم ولا عبت عليك ولا جئت منكرا أن وصلت رحما و سددت خلة و آويت ضائعا و ولت شبيها بمن كان عمر يولي، انشدك الله يا على هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم أن عمر ولأه؟ قال: نعم، قال: فلم تلوموني ان ولت ابن عامر في رحمة و قرابته؟ قال على عليه السلام: سأخبرك أن عمر بن الخطاب كان كل من ولي فانما يظأ على صماخه إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية و أنت لا تفعل ضعفت و رفقت على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضا، فقال على عليه السلام: لعمرى إن رحمهم منى لقريبة و لكنّ الفضل في غيرهم.

قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولي معاوية خلافته كلها فقد وليته؟.

فقال على عليه السلام: انشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفا غلام عمر منه؟ قال: نعم، قال على عليه السلام: فإن معاوية يقتطع الأمور دونك و أنت تعلمها فيقول الناس هذا أمر عثمان فيبلغك و لا تغير على معاوية. ثم خرج على عليه السلام

من عنده.

و خرج عثمان على اثره فجلس على المنبر فاستمال قلوب الناس إليه بما قال و اعتذر من أفعاله و اشتكى من الناس بما قالوا في مطاعنه و قوادحه فلما انتهى من كلامه قام مروان بن الحكم فقال مخاطبا للناس: إن شئتم حكمنا و الله بيننا و بينكم السيف نحن و الله و أنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فببت بكم معارسكم تبنون في دمن الثرى

فقال عثمان: اسكت لاسكتّ دعنى و أصحابى ما منطقتك فى هذا ألم أتقدم إليك ألا تنطق؟! فسكت مروان و نزل عثمان.

أقول: أتى بما رواه الطبرى من نصيح أمير المؤمنين على عليه السلام عثمان الشيخ الأجل المفيد قدس سره فى كتاب الجمل أيضا - ص 84 طبع النجف - و كذا نقله الشريف الرضى رضوان الله عليه فى النهج و هو الكلام - 163 - من المختار من باب الخطب معنونا بقول الرضى: و من كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس عليه و شكوه مما نقموه على عثمان و سألوه مخاطبته عنهم و استعتابه لهم فدخل عليه السلام عليه فقال:

إنّ الناس ورائى و قد استسفرونى بينك و بينهم و و الله ما ادرى ما اقول لك - إلخ و بين النسخ الثلاث اختلاف يسير.

و روى الطبرى بإسناده عن عبد الله بن زيد العنبرى أنه قال: اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان و ما صنع فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا يكلمه و يخبره بأحداثه فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمى فأتاه فدخل عليه فقال له: إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا فى أعمالك فوجدوك قد ركبت امورا عظاما فاتق الله عزّ و جلّ و تب إليه و انزع عنها.

قال له عثمان: انظر إلى هذا فإنّ الناس يزعمون أنّه قارئ ثمّ هو يجىء فيكلمنى فى المحقرات فوالله ما يدرى أين الله.

قال عامر: إنا لا ندرى أين الله، قال: نعم و الله ما تدرى أين الله، قال عامر:

بلى و الله إني لأدرى أنّ الله بالمرصاد لك.

ص: 313

فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإلى سعيد بن العاص وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي وإلى عبد الله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره و ما طلب إليه و ما بلغه عنهم فلما اجتمعوا عنده قال لهم:

إن لكل امرئ وزراء و نصحاء و إنكم وزرائي و نصحائي و أهل ثقتي و قد صنع الناس ما قد رأيتم و طلبوا إلي أن أعزل عمالي و أن أرجع عن جميع ما يكرهون إلي ما يحبون فاجتهدوا رأيكم و أشيروا عليّ.

فقال له عبد الله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك و أن تجمّهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همّة أحدهم إلا نفسه و ما هو فيه من دبرة دابته و قمل فروه.

ثمّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء و اقطع عنك الّذي تخاف و اعمل برأيي تصب، قال:

و ما هو؟ قال: إن لكلّ قوم قادة متى تهلك يتفرقوا و لا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: إن هذا الرأي لو لا ما فيه.

ثمّ أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم و أنا ضامن لك قبلي.

ثمّ أقبل على عبد الله بن سعد فقال: ما رأيك؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع فاعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثمّ أقبل على عمرو بن العاص، فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل فإن أبيت فاعتزم عزمًا و امض قدما.

فقال عثمان: ما لك قمل فروك أ هذا الجدّ منك فاسكت عنه دهرا حتى إذا تفرّق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين لأنّك أعزّ عليّ من ذلك و لكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كلّ رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيرا أو أدفع عنك شرًا. فردّ عثمان عماله على أعمالهم و أمرهم

بالتضييق على من قبلهم وأمرهم بتجمير الناس فى البعوث وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه. ورد سعيد بن العاص أميرا على الكوفة فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه فردّوه وقالوا: لا والله لا يلى علينا حكما ما حملنا سيوفنا.

قال المسعودى والواقدى والطبرى وغيرهما من أصحاب السير: لما كان سنة خمس ثلاثين سار مالك بن الحرث النخعى من الكوفة فى ماتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة، ومن أهل مصر ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رءوس أربعة مع كل رجل منهم لواء وفيهم محمّد بن أبى بكر وكان جماع أمرهم جميعا إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وكان من أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه وآله وإلى عبد الرّحمان ابن عديس التجيبى فكان فيما كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فالله الله ثمّ الله الله فإنك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا واعلم أنا والله لله نغضب وفى الله نرضى وأنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تاتينا منك توبة مصرحة او ضلالة مجلحة مبلجة فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك والله عذيرنا منك والسلام.

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله.

فلما خاف القتل شاور نصحائه وأهل بيته فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى على بن أبى طالب عليه السلام فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداد.

فقال عثمان: إن القوم لن يقبلوا التعليل وهى محملى عهدا وقد كان متى فى قدمتهم الأولى ما كان فمتى أعطهم ذلك يسألونى الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب فأعطهم ما سألوك و طاولهم ما طاولوك فإنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم.

فأرسل إلى عليّ عليه السّلام فدعاه فلمّا جاءه قال: يا أبا حسن إنّه قد كان من النّاس ما قد رأيت و كان منّي ما قد علمت و لست آمنهم على قتلى فارددهم عنّي فإنّ لهم الله عزّ و جلّ أن أعتبهم من كلّ ما يكرهون و أن أعطيهم الحقّ من نفسى و من غيرى و إن كان فى ذلك سفك دمى.

فقال له عليّ عليه السّلام: النّاس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلک و إنى لأرى قوما لا يرضون إلاّ بالرضى و قد كنت أعطيتهم فى قدمتهم الأولى عهدا من الله لترجعن عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك ثمّ لم تف لهم بشىء من ذلك فلا تعرّنى هذه المرة من شىء فإنى معطيهم عليك الحقّ.

قال: نعم، فاعطهم فو الله لأفینّ لهم. فخرج عليّ عليه السّلام إلى النّاس فقال:

أيّها النّاس إنکم إنما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه إن عثمان قد زعم أنّه منصفکم من نفسه و من غيره و راجع عن جميع ما تکرهون فأقبلوا منه و وكدوا عليه.

قال النّاس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا فانا و الله ما نرضى بقول دون فعل. فقال لهم عليّ عليه السّلام: ذلك لكم. ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر فقال عثمان: اضرب بينى و بينهم أجلا يكون لى فيه مهلة فإنى لا أقدر على ردّ ما کرهوا فى يوم واحد.

قال له عليّ عليه السّلام: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه و ما غاب فأجله وصول أمرک.

قال: نعم، و لكن أجلى فیما بالمدينة ثلاثة أيام. قال عليّ عليه السّلام: نعم، فخرج إلى النّاس فأخبرهم بذلك و كتب بينهم و بين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن یردّ كلّ مظلمة و يعزل كلّ عامل کرهوه. ثمّ أخذ عليه فى الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد و ميثاق و أشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين و الأنصار.

فكفّ المسلمون عنه و رجعوا إلى أن يفى لهم بما أعطاهم من نفسه.

فجعل عثمان يتأهب للقتال و يستعد بالسلاح و قد كان اتخذ جندا عظيما من رقيق الحمس فمضت الأيام الثلاثة و هو على حاله و لم يغير شيئا مما کرهوه و لم يعزل عاملا.

«كتابا لابن أبي سرح فى قتله»

فلما أن أهل مصر جاءوا و شكوا ابن أبى سرح عاملهم فنزلوا المسجد و شكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله فى مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبى سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد و أرسلت عائشة إلى عثمان فقالت له: قد تقدم إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سألوک عزل هذا الرجل و كذا دخل عليه على عليه السلام فقال له:

إنما يسألونک رجلا مکان رجل و قد ادعوا قبله دما فاعزله عنه و اقض بينهم فإن وجب لهم عليه حق فأنصفهم منه.

فقال: اختاروا رجلا اوليه عليهم. فقالوا: استعمل محمد بن أبى بكر فكتب عثمان عهده و ولأه و خرج معه عدد من المهاجرين و الأنصار ينظرون فيما بين ابن أبى سرح و أهل مصر.

فخرج محمد و من معه حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فى الموضع المعروف بخمس إذا هم بسلام أسود على بعير يخبط البعير كأنه طالب أو هارب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم و يسيئهم و هو مقبل من المدينة، فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان على جمل عثمان فقال له أصحاب محمد بن أبى بكر: ما قصتك و ما شأنك إن لك لأمر؟ فقال: أنا غلام أمير المؤمنين و جهنى إلى عامل مصر. فقال له رجل: هذا عامل مصر معنا، قال: ليس هذا اريد. فاخبر محمد بأمره فبعث فى طلبه رجلا فجاء به إليه فقال له: غلام من أنت؟ فأقبل مرة يقول: أنا غلام مروان، و مرة يقول: أنا غلام عثمان حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد: إلى من أرسلك؟ قال: إلى عامل مصر، قال: بماذا؟ قال: برسالة. قال: أ ما معك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا و كانت معه أداة قد يبست فيها شىء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا إداوته فإذا فيه كتاب من عثمان إلى عبد الله بن ابى سرح عامل مصر.

فجمع محمّد من كان معه من المهاجرين و الأنصار ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم فقرأه فإذا فيه: إذا أتاك محمّد بن أبي بكر و فلان و فلان أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و أبطل كتابهم و قرّ على عملك حتّى يأتيك رأيي.

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه و رجعوا إلى المدينة و ختم محمّد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه و دفعه إلى رجل منهم ثمّ قدموا المدينة فجمعوا عليّ عليه السّلام و طلحة و الزبير و سعدا و من كان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله ثمّ فكوا الكتاب بمحضر منهم و أخبرهم بقصة الغلام و قرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، و قام أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله فلحقوا بمنازلتهم و حصر الناس عثمان و أحاطوا به و منعوه الماء و الخروج و من كان معه و اجلب عليه محمّد بن أبي بكر.

و فى تاريخ أبى جعفر الطبرى: لما قدموا المدينة أتوا عليّ عليه السّلام فقالوا: ألم تر إلى عدوّ الله عثمان إنه كتب فينا بكذا و كذا و إن الله قد أحلّ دمه قم معنا إليه قال: و الله لا أقوم معكم إلى أن قالوا: فلم كتبت إلينا؟ فقال: و الله ما كتبت إليكم كتابا قطّ فنظر بعضهم إلى بعض ثمّ قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون؟ فانطلق عليّ عليه السّلام فخرج من المدينة إلى قرية ثمّ إنهم انطلقوا حتّى دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا و كذا.

فقال عثمان: إنما هما اثنتان أن تقيموا على رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبت و لا أمللت و لا علمت و قد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرّجل و قد ينقش الخاتم على الخاتم. فقالوا: فقد و الله أحلّ الله دمك و نقضت العهد و الميثاق فحاصروه.

و فيه أيضا لما قدموا المدينة أرسلوا إلى عثمان أ لم تفارقك على أنك زعمت أنك تائب من أحداثك و راجع عما كرهنا منك و أعطيتنا على ذلك عهد الله و ميثاقه؟ قال: بلى أنا على ذلك. قالوا: فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك و كتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت و لا لى علم بما تقولون. قالوا: بريدك على جملك و كتاب كاتبك عليه خاتمك قال: أمّا الجمل فمسروق، و قد يشبه الخط الخط، و أمّا

الخاتم فانتقش عليه. قالوا: فإننا لا نعجل عليك وإن كنا قد اتهمناك اعزل عنا عمالك الفساق و استعمل علينا من لا يتهم على دماننا و أموالنا و اردد علينا مظالمنا قال عثمان: ما أراني إذا في شيء إن كنت أستعمل من هو يتم و أعزل من كرهتم الأمر إذا أمركم. قالوا: والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن فانظر لنفسك أودع، فأبى عثمان عليهم و قال: لم أكن لأخلع سربالا سر بلنيه الله فحصره أربعين.

« حصار أهل مصر و الكوفة و غيرهم عثمان »

و في الإمامة و السياسة للدينوري: ذكروا أن أهل مصر أقبلوا إلى عليّ عليه السلام فقالوا: أ لم تر عدوّ الله ما ذا كتب فينا؟ قم معنا إليه فقد أحلّ الله دمه، فقال عليّ عليه السلام لا و الله لا أقوم معكم قالوا: فلم كتبت إلينا؟ قال عليّ عليه السلام: لا و الله ما كتبت إليكم كتابا قطّ فنظر بعضهم إلى بعض. ثمّ أقبل الأشر النخعي من الكوفة في ألف رجل و أقبل ابن أبي حذيفة من مصر في أربعمئة رجل فأقام أهل الكوفة و أهل مصر بباب عثمان ليلا و نهارا و طلحة يحرض الفريقين جميعا على عثمان ثمّ إنّ طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه و هو يدخل إليه الطعام و الشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه.

و في تاريخ الطبري: لما انكر عثمان أن يكون كتب الكتاب و قال هذا مفتعل قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك، قال: اجل و لكنه كتبه بغير امرى، قالوا: فإنّ الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك. قال: اجل و لكنه خرج بغير إذني، قالوا فالجمل جملك. قال: اجل و لكنّه اخذ بغير علمي، قالوا: ما انت إلا صادق او كاذب فان كنت كاذبا فقد استحقت الخلع لما امرت به من سفك دماننا بغير حقها و إن كنت صادقا فقد استحقت ان تخلع لضعفك و غفلتك و خبث بطانتك لأنه لا ينبغي لنا ان نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه و غفلته.

و قالوا له: إنك ضربت رجالا من اصحاب النبيّ صليّ الله عليه و آله و غيرهم حين يعظونك و يأمرونك بمراجعة الحقّ عند من يستتكرون من اعمالك فأقد من نفسك من

ضربته و انت له ظالم.

فقال: الإمام يخطيء و يصيب فلا اعيد من نفسى لأنى لو أقدت كل من أصبته بخطاء أتى على نفسى.

قالوا: إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحققت بها الخلع فاذا كلمت فيها اعطيت التوبة ثم عدت إليها و إلى مثلها ثم قدمنا عليك فاعطينا التوبة و الرجوع إلى الحق و لا منافيك محمّد بن مسلمة و ضمن لنا ما حدث من أمر فأخفرتة فتبرأ منك و قال: لا أدخل في أمره فرجعنا أول مرّة لقطع حجتك و نبلغ أقصى الأعدار إليك نستظهر بالله عزّ و جلّ عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل و القطع و الصلب و زعمت أنه كتب بغير علمك و هو مع غلامك و على جملك و بخط كاتبك و عليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور فى الحكم و الأثرة فى القسم و العقوبة للأمر بالتبسط من الناس و الإظهار للتوبة ثم الرجوع إلى الخطيئة و لقد رجعنا عنك و ما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك و نستبدل بك من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله من لم يحدث مثل ما جربنا منك و لم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا و اعتزل امرنا فان ذلك أسلم لنا منك و أسلم لك منّا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم. قال: أما بعد فأنكم لم تعدلوا فى المنطق و لم تنصفوا فى القضاء أمّا قولكم تخلع نفسك فلا أنزع قميصا قمصنيه الله و لكننى أتوب و أنزع و لا أعود لشيء عابه المسلمون فأتى و الله الفقير إلى الله الخائف منه.

قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه و لم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك و أن ننصرف عنك، و لكنه قد كان منك من الاحداث قبل هذا ما قد علمت و لقد انصرفنا عنك فى المرّة الأولى و ما نخشى أن تكتب فينا و لا من اعتلتت به بما وجدنا فى كتابك مع غلامك و كيف نقبل توبتك و قد بلونا منك أن لا تعطى

من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت عليه فلسنا منصرفين حتى نعزلك و نستبدل بك فإن حال من معك من قومك و ذوى رحمك و أهل
الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله. إلى أن قال: ثم انصرفوا عن عثمان و آذنه بالحرب، و
ارسل عثمان إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردهم فقال: و الله لا أكذب الله في سنة مرتين.

قال الطبرى: إنّ عليّاً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له: تكلم كلاما يسمعه الناس منك و يشهدون عليه و يشهد الله على ما فى
قلبك من النزوع و الإنابة فإن البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفة فتقول يا علىّ اركب إليهم و لا أقدر أن
أركب إليهم و لا أسمع عذرا و يقدم ركب آخرون من البصرة فتقول يا علىّ اركب إليهم فان لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك و استحقت
«استخففت ظ» بحقك.

فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها و أعطى الناس من نفسه التوبة فقام فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أمّا بعد أيّها الناس
فو الله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله و ما جئت شيئا إلاّ و أنا أعرفه و لكنى مننتى نفسى و كذبتى و ضلّ عن رشدى و لقد سمعت
رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: من زل فليتب و من أخطأ فليتب و لا يتمادى فى الهلكة إن من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق
فأنا أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت و أتوب إليه فمثلى نزع و تاب فاذا نزلت فليأتنى اشرافكم فليرونى رأيهم فو الله لئن ردّنى الحق عبدا
لأستتنّ بسنة العبد و لأذلّن ذل العبد و لأكوننّ كالمرقوق إن ملك صبر و إن عتق شكر و ما عن الله مذهب إلاّ إليه فلا يعجزن عنكم
خياركم أن يدنو إلىّ أبت يمينى لتتابعنى شمالى.

فلما نزل عثمان وجد فى منزله مروان و سعيدا و نفرا من بنى أمية و لم يكونوا شهدوا الخطبة فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم
أصمت؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل اصمت فانهم و الله قاتلوه و مؤتموه إنّه قد قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها،
فأقبل عليها مروان فقال: ما أنت و ذاك

فوالله لقد مات أبوك و ما يحسن يتوصّأ، فقالت له: مهلا يا مروان عن ذكر الالباء تخبر عن أبي و هو غائب تكذب عليه و إن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه أما و الله لو لا- أنه عمّه و أنه يناله غمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه، فأعرض عنها مروان ثم قال: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أصمت؟ قال: بل تكلّم.

فقال مروان: بأبي أنت و أمي و الله لوددت أن مقاتلتك هذه كانت و أنت ممتنع منيع فكنت أوّل من رضى بها و أعان عليها و لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطّيبين و خلف السبيل الزبي و حين أعطى الخطة الذليلة الدليل و الله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها و إنك إن شئت تقربت بالتوبة و لم تقرب بالخطيئة و قد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس.

فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم فأثى استحيى ان اكلّمهم.

فخرج مروان إلى الباب و الناس يركب بعضهم بعضا فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم؟ كأنكم قد جنتم لنهب شاهت الوجوه كلّ إنسان أخذ باذن صاحبه الا من اريد جنتم ترويدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا؟ اخرجوا عنا اما و الله لئن رتمونا ليمرن عليكم منا امر لا يسركم و لا تحمدوا غبّ رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فانا و الله ما نحن مغلوبين على ما فى ايدينا.

فرجع الناس و خرج بعضهم حتّى اتى عليّا عليه السّلام فاخبره الخبر فجاء عليّ عليه السّلام مغضبا حتّى دخل على عثمان فقال: اما رضيت من مروان و لا رضى منك إلاّ بتحرفك عن دينك و عن عقلك مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا نفسه و ايم الله إنى لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك و ما انا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك اذهلت شرفك و غلبت على امرك.

فلما خرج علىّ عليه السّلام دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت: قد سمعت قول علىّ لك و إنّه ليس يعاودك و قد اطعت مروان يقودك حيث شاء.

قال عثمان: فما اصنع؟ قالت: تتقى الله وحده لا شريك له و تتبع سنة صاحبيك من قبلك فانك متى اطعت مروان قتلك و مروان ليس له عند الناس قدر

ولا هيبه ولا محبة وإنما تركك الناس لمكان مروان فأرسل إلى عليّ عليه السّلام فاستصلحه فإنّ له قرابة منك وهو لا يعصى، فأرسل عثمان إلى عليّ عليه السّلام فأبى أن يأتيه وقال:

قد أعلمته له أنى لست بعائد. فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال: أتكلم أو أسكت؟ فقال: تكلم، فقال: إن بنت الفرافصة، فقال عثمان:

لا تذكرها بحرف فاسوى لك وجهك فهي والله أنصح لي منك فكفّ مروان.

فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية ابن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلّ صعب وذلّ، ثمّ كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز وإلى أهل الشام: إن كان عندكم غياث فالعجل العجل فإنّ القوم معاجليّ.

«مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة»

في الامامة والسياسة: إنّ عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى في أعلاه ثمّ نادى أين طلحة؟ فأتاه فقال: يا طلحة أما تعلم أن بئر رومة كانت لفلان اليهودى لا- يسقى أحدا من الناس منها قطرة إلا- بثمن فاشتريتها بأربعين ألفا فجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المسلمين، لم أستأثر عليهم؟ قال: نعم، قال: فهل تعلم أن أحدا يمنع أن يشرب منها اليوم غيري؟ لم ذلك؟

قال: لأنك بدّلت وغيّرت.

قال: فهل تعلم: أن رسول الله قال: من اشترى هذا البيت وزاده في المسجد فله به الجنة، فاشتريته بعشرين ألفا وأدخلته في المسجد. قال طلحة: نعم. قال:

فهل تعلم اليوم أحدا يمنع فيه من الصّلاة غيري؟ قال: لا. قال: لم؟ قال: لأنك غيّرت وبدّلت.

«كلام عثمان في طلحة»

روى الطبرى - ص 411 ج 3 طبع مصر 1357 هـ - باسناده عن عبد الله بن عباس

ص: 323

ابن ربيعة قال: دخلت على عثمان فتحدثت عنده ساعة، فقال: يا ابن عباس تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على باب عثمان فسمعنا كلاما منهم من يقول: ما تنتظرون به، و منهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع فيينا أنا و هو واقفان إذ مر طلحة بن عبيد الله فوقف فقال أين ابن عديس؟ فقيل: ها هو ذا. فجاءه ابن عديس فناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل و لا يخرج من عنده، قال: فقال لى عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله، ثم قال عثمان: اللهم اكفنى طلحة بن عبيد الله فأنه حمل على هؤلاء و ألّ بهم و الله إنى لأرجو أن يكون منها صفر أو أن يسفك دمه إنه انتهبك منى ما لا يحلّ له.

«انكار طلحة و الزبير على عثمان»

فى الجمل للمفيد: لما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة و الزبير حصاره و الناس معهما على ذلك فحصره حصرا شديدا و منعه الماء و أنفذ إلى على عليه السلام يقول: إن طلحة و الزبير قد قتلانى من العطش و الموت بالسلاح أحسن، فخرج عليه السلام معتمدا على يد المسود بن مخزومة الزهرى حتى دخل على طلحة بن عبيد الله و هو جالس فى داره يسوى نبلا و عليه قميص هندى فلما رآه طلحة رحب به و وسع له على الوسادة، فقال له على عليه السلام إن عثمان قد أرسل إلى أنكم قد هلكتموه عطشا و أن ذلك ليس بالحسن و القتل بالسلاح أحسن و كنت قد آليت على نفسى أن لا أردّ عنه أحدا بعد أهل مصر و أنا احب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه، فقال طلحة: لا و الله لا ننعمنه عينا و لا نتركه يأكل و لا يشرب، فقال على عليه السلام: ما كنت أظن أن اكلم أحدا من قريش فيردنى، دع ما كنت فيه يا طلحة، فقال طلحة: ما كنت أنت يا على فى ذلك من شيء فقام على عليه السلام مغضبا و قال:

ستعلم يا ابن الحضرمية أكون فى ذلك من شيء أم لا، ثم انصرف.

قال: و روى أبو حذيفة بن إسحاق بن بشير القرشى أيضا قال: حدثنى يزيد ابن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: و الله إنى لأنظر إلى طلحة و عثمان

محصور و هو على فرس أدهم و بيده الرمح يجول حول الدار و كأنى انظر إلى بياض ما وراء الدرع.

قال: و روى أبو إسحاق قال: لما اشتدّ الحصار بعثمان عمد بنو أمية على إخراجهم ليلاً إلى مكة و عرف الناس فجعلوا عليه حرساً و كان على الحرس طلحة ابن عبيد الله و هو أول من رمى بسهم في دار عثمان.

قال: قال: و اطلع عثمان و قد اشتدّ به الحصار و ظمأ من العطش فنادى:

أيها الناس اسقونا شربة من الماء و أطعمونا ممّا رزقكم الله، فناداه الزبير بن العوام يا نعثل لا و الله لا تذوقه.

قال: و روى أبو حذيفة القرشى عن الأعمش عن حبيب بن ثابت عن تغلبة بن يزيد الحماني قال: أتيت الزبير و هو عند أحجار الزيت فقلت له: يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار و بين الماء فنظر نحوهم و قال: «و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياء عليهم من قبل إتيهم كانوا في شكٍّ مريبٍ» (سبأ: 54) فهذه الأحاديث من جملة كثيرة في هذا المعنى.

«كان عمرو بن العاص شديد التحريض و التأليب على عثمان»

روى أبو جعفر الطبرى في التاريخ - ص 395 ج 3 طبع مصر 1357 - أنّ عمرو بن العاص كان ممن يحرض على عثمان و يغرى به و لقد خطب عثمان يوماً في أواخر خلافته فصاح به عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهابير و ركبتها معك فتب إلى الله نتب فناداه عثمان و إنك ههنا يا ابن النابغة قملت و الله جبتك منذ تركتك من العمل فنودى من ناحية اخرى تب إلى الله و نودى من اخرى مثل ذلك و أظهر التوبة يكف الناس عنك قال: فرجع عثمان يديه مداً و استقبل القبلة فقال: اللهم انى أول تائب إليك و رجع منزله و خرج عمرو بن العاص حتى نزل منزله بفلسطين فكان يقول: و الله إن كنت لألقى الراعى فاحرضه عليه. و كذا نقل تأليبه على عثمان على التفصيل و التطويل في ص 392 فراجع.

و فى ص 392 منه: كان عمرو بن العاص على مصر عاملا لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصّلاة و استعمل عبد الله بن سعد على الخراج ثمّ جمعهما لعبد الله بن سعد فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوما عثمان خاليا به فقال: يا ابن النابغة ما أسرع ما قمل جربان جبّتك إنّما عهدك بالعمل عاما أوّل أتظن علىّ؟ و تأتيني بوجه و تذهب عنى باخر و الله لو لا أكلة ما فعلت ذلك.

فقال عمرو: إنّ كثيرا ممّا يقول النَّاس و ينقلون إلى و لا تهم باطل فاتق الله يا أمير المؤمنين فى رعيتك، فقال عثمان: و الله لقد استعملتك على ظلعك و كثرة القالة فيك، فقال عمرو: قد كنت عاملا لعمر بن الخطّاب ففارقنى و هو عنى راض فقال عثمان: و أنا و الله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستصمت و لكننى لنت عليك فاجترأت علىّ أما و الله لأنا أعز منك نفرا فى الجاهلية و قبل أن ألى هذا السلطان فقال عمرو: دع عنك هذا فالحمد لله الذى أكرمنا بمحمّد صلّى الله عليه و آله و هذانا به قد رأيت العاص بن وائل و رأيت أباك عفان فو الله للعاص كان أشرف من أبيك، فانكسر عثمان و قال: ما لنا و لذكر الجاهلية، و خرج عمرو و دخل مروان فقال: يا أمير المؤمنين و قد بلغت مبلغا يذكر عمرو بن العاص أباك؟ فقال عثمان: دع هذا عنك من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه.

فخرج عمرو من عند عثمان و هو محتقد عليه يأتى عليّا مرة فيؤلّبه على عثمان و يأتى الزبير مرة فيؤلّبه على عثمان و يأتى طلحة مرة فيؤلّبه على عثمان و يعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل فى قصر له يقال له العجلان و هو يقول العجب ما يأتينا عن ابن عفان فيبينا هو جالس فى قصره ذلك و معه ابنه محمّد و عبد الله و سلامة بن روح الجذامى إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو من أين قدم الرّجل؟ فقال: من المدينة قال: ما فعل الرّجل؟ يعنى عثمان، قال:

تركته محصورا شديد الحصار، قال عمرو: أنا أبو عبد الله قد يضطر العير و المكواة فى النّار فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو ما فعل الرّجل؟

يعنى عثمان، قال: قتل، قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ان كنت لأحرّض عليه حتّى أنى لأحرّض عليه الراعى فى غنمه فى رأس الجبل.

فقال سلامة بن روح: يا معشر قريش إنّه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من حافة الباطل وأن يكون الناس فى الحق شرعا سواء.

و كانت عند عمرو و اخت عثمان لأمه ام كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ففارقها حين عزله.

بيان

جربان: بضم الأولين و تشديد الباء و بكسرهما أيضا: جيب الجبّة و القميص و نحوهما و يقال بالفارسيّة جريبان جامه و يشبه أن يكون معربه. و قوله: قد يضرب العير و المكواة فى النار، مثل يضرب للرجل يخوف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه و أول من قال ذلك عرفطة بن عرفجة الهزائى ذكر تفصيله أبو هلال العسكري فى الباب الحادى و العشرين من جمهرة الأمثال و الميدانى فى الباب الحادى و العشرين من مجمع الأمثال فراجع.

«كلامه الآخر المخالف للأول الصريح فى انه كان عبيد الدنيا»

قال المسعودى فى مروج الذهب - ص 4 ج 2 طبع مصر 1346 هـ - : و قد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه و تولية مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان و ما كان من بيعة علىّ كتب إلى معاوية يهّزه و يشير عليه بالمطالبة بدم عثمان و كان فيما كتب به إليه: ما كنت صانعا إذا قشرت من كلّ شىء تملكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث إليه معاوية فساّر إليه فقال له معاوية: بايعنى قال: و الله لا اعينك من دينى حتّى أنال من دنياك، قال: سل، قال: مصر طعمة فأجابه إلى ذلك و كتب له به كتابا و قال عمرو بن العاص فى ذلك:

معاوى لا أعطيك دينى و لم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

فان تعطنى مصرا فأربح صفقة أخذت بها شيخا يضمرّ وينفع

روى الطبري أيضا (ص 560 ج 3) أنّه لما احيط بعثمان خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجها نحو الشام و معه ابناه عبد الله و محمّد - إلى أن قال في كلام طويل - حتّى قدم على معاوية فوجد أهل الشام يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، و معاوية لا يلتفت إلى قول عمرو فقال ابنا عمرو لعمر: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك؟ انصرف إلى غيره، فدخل عمرو على معاوية فقال: و الله لعجب لك إتي أرفد ممّا أرفدك و أنت معرض عنيّ أما و الله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته و فضله و قرابته و لكنّا إنّما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاوية و عطف عليه. انتهى.

أقول: لا يخفى على اولى الدراية و الفطنة أن عمرو بن العاص كان بمعزل عن الحقّ و الصدق و ما كان همّه إلاّ الدنيا و التقرب إلى أهلها و أنّه كأضرأ به ممن سمعت أسامى بعضهم لعبوا بالدين و اتخذوا كتاب الله سخريةً و كانوا أهل الختل و الغدر و قاموا إلى حرب وليّ الله الأعظم سيّد الموحّدين عليّ أمير المؤمنين بالعداوة الواغرة في صدورهم و الصغائن الكامنة في قلوبهم حبّا للدنيا الدنيّة و بغضا لأهل الله و هذا هو عمرو بن العاصى قال مرّة لعثمان: فإنك قد ركبت نهائير و ركبتها معك و قال تارة لشبيعة عثمان: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، و اخرى اظهر خبث سريرته فقال لمعاوية: نقاتل من تعلم سابقته و فضله و قرابته (يعنى عليا عليه السلام) و لكنّا إنّما اردنا هذه الدنيا.

«كلام عائشة في عثمان و انكارها عليه»

في الإمامة و السياسة و غيره من كتب السير: ان عائشة كانت أوّل من طعن على عثمان و اطمع الناس فيه و كانت تقول: اقتلوا نعثلا فقد فجر. و تعنى من نعث عثمان. و قال عبيد بن أمّ كلاب مخاطبا إيّاها في ابيات له:

ص: 328

و أنت أمرت بقتل الإمام و قلت لنا إنه قد فجر

و تجهّزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة و استتبت أخاها.

فى الجمل للمفید (ره): و أمّا تألیب عائشة على عثمان فهى أظهر ممّا وردت به الأخبار من تألیب طلحة و الزبير علیه فمن ذلك ما رواه محمّد بن إسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال: دخلت يوما بالمدينة إلى المسجد فاذا كفّ مرتفعة و صاحب الكفّ يقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله صلّى الله عليه و آله و قميصه و كأننى أرى ذلك القميص يلوح و أن فيكم فرعون هذه الأمة فإذا هى عائشة، و عثمان يقول لها: اسكتى ثمّ يقول للناس: انها امرأة و عقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها.

قال: و روى الحسن بن سعد قال: رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها و عثمان قائم ثمّ قالت: يا عثمان أقم ما فى هذا الكتاب، فقال:

لنتهين عمّا أنت عليه أو لأدخلن عليك حمر التّار، فقالت له عائشة: أما و الله لأن فعلت ذلك بنساء النّبىّ يلعنك الله و رسوله و هذا قميص رسول الله لم يتغيّر و قد غيرت سنّته.

قال: و روى اللّيث بن أبى سليمان عن ثابت الأنصارى عن ابن أبى عامر مولى الأنصار قال: كنت فى المسجد فمرّ عثمان فنادته عائشة يا غدر يا فجر أحقرت أمانتك و ضيعت رعيتك و لو لا الصلوات الخمس لمشى إليك الرّجال حتّى يذبحوك ذبح الشاة، فقال عثمان: «صَرَبَ اللهُ مَثَلًا- لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰٰخِلِيْنَ» (التحریم: 11).

قال: و روى محمّد بن إسحاق المدائنى و حذيفة قال: لما عرفت عائشة أنّ الرّجل مقتول تجهّزت إلى مكّة جاءها مروان بن الحكم و سعيد بن العاص فقالا لها: إنّنا لنظن أنّ الرّجل مقتول و أنت قادرة على الدفع عنه و إن تقيمى يدفع الله بك عنه، قالت: ما أنا بقاعدة و قد قدمت ركابى و غريت غرائرى و أوجبت الحج

على نفسى فخرج من عندها مروان يقول زخرف قيس على البلاد حتى إذا اضطربت فسمعت عائشة فقالت: أيها المتمثل هلم قد سمعت ما تقول أترانى فى شكك من صاحبك و الله لوددت انه فى غرارة من غرائرى حتى إذا مررت بالبحر قذفته فيه. فقال مروان: قل و الله تبئيت قل و الله تبئيت.

قال: قال فسارت عائشة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء و ابن عباس يريد المدينة فقالت يا ابن عباس انك قد اوتيت عقلا و بيانا و إياك ان ترد الناس عن قتل الطاغية.

و سيأتى طائفة من الأخبار فى أقوالها له و ما فعلت بعد ذلك.

«قتل عثمان»

لما حصر الناس عثمان فى داره منعوه الماء فأشرف على الناس و قال: ألا أحد يسقينا؟ قال المسعودى: فبلغ عليًا طلبه للماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء فما وصل إليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم و بنى امية و ارتفع الصوت و كثر الضجيج و أحذقوا بداره بالسلاح و طالبوه بمروان فأبى أن يخلى عنه و فى الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنه كان من أحلافها. و هذيل لأنه كان منها و بنو مخزوم و أحلافها لعمار، و غفار و أحلافها لأجل أبى ذر، و تيم بن مرة مع محمد بن أبى بكر و غير هؤلاء من خلق كثير.

قال الطبرى: كان الحصر أربعين ليلة و النزول سبعين فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة قدم ركبنا من الوجوه فأخبروا خبر من تهيأ إليهم من الافاق: حبيب من الشام و معاوية من مصر و القعقاع من الكوفة و مجاشع من البصرة فعندما حالوا بين الناس و بين عثمان و منعوه كل شىء حتى الماء و قد كان يدخل على عليه السلام بالشىء مما يريد و طلبوا العلل فلم تطلع عليهم علة فعثروا فى داره بالحجارة ليرموا فيقولوا قوتلنا و ذلك ليلا.

فناداهم عثمان: ألا تتقون الله ألا تعلمون أن فى الدار غيرى؟ قالوا: لا و الله ما رميناك قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله، قال: كذبتهم إن الله عز و جل لورمانا لم

يخطئنا وأنتم تخطئونا وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه فسرح ابنا لعمر و إلى عليّ بأنهم قد منعونا الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئا من الماء فافعلوا و إلى طلحة و الزبير و إلى عائشة و أزواج النبيّ؛ فكان أولهم إنجادا له عليّ و أمّ حبيبة جاء عليّ عليه السلام في الغلس فقال: يا أيها الناس إنّ الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين و لا أمر الكافرين لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة فان الروم و فارس لتأسر فتطعم و تسقى.

قال الدينورى في الإمامة و السياسة و المسعودى و الطبرى: بعث عثمان إلى عليّ عليه السلام يخبره أنّه منع من الماء و يستغيث به فبعث إليه عليّ عليه السلام ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه فقال طلحة: ما أنت و هذا؟ و كان بينهما في ذلك كلام شديد فيبينما هم كذلك إذا أتاهم آت فقال لهم: إنّ معاوية قد بعث من الشام يزيد بن أسيد ممداً لعثمان في أربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما أنتم صانعون و إلاّ فانصرفوا.

قال المسعودى: فلما بلغ عليّ أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن و الحسين و مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته و أمرهم أن يمنعوه منهم و بعث الزبير ابنه عبد الله على كره و بعث طلحة ابنه محمداً كذلك و أكثر أبناء الصحابة أرسلهم أبأؤهم اقتداء بهم فصدوهم عن الدار فاشتبك القوم و جرح الحسن و شج قنبر و جرح محمّد بن طلحة فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم و بنو امية فتركوا القوم في القتال على الباب و مضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها و كان ممّن وصل إليه محمّد بن أبى بكر و رجلا ن آخران و عند عثمان زوجته نائلة و أهله و مواليه مشاغيل بالقتال فصرعه محمّد و قعد على صدره و أخذ بلحيته و قال: يا نعتل ما أغنى عنك معاوية و ما أغنى عنك ابن عامر و ابن أبى سرح.

فقال له عثمان: يا ابن أخى دع عنك لحيتى فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمّد: لو رآك أبى تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك و ما اريد بك أشد من قبضى على لحيتك و خرج عنه إلى الدار و تركه فدعا عثمان بوضوء فتوضأ و أخذ

مصحفاً فوضعه في حجره ليحترم به ودخل الرجلان فوجدها فقتلاه يقال لأحدهما الموت الأسود خنق عثمان ثم خفقه ثم خرج فقال والله ما رأيت شيئاً قط ألين من حلقة والله لقد خنقته حتى رأيت نفسه تتردد في جسده كنفس الجان.

قال الطبري: فدخل عليه كنانة بن بشر التجيبي فأشعره مشقفاً فانتضح الدم على هذه الآية «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

قال الدينوري: لما أخذ مصحفاً فوضعه في حجره ليحترم به دخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص في يده فوجأ به منكبه ممّا يلي الترقوة فأدماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجأه بقائم سيفه فغشى عليه ومحمد بن أبي بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق، فدخل محمد بن أبي بكر وقد أفاق فقال له: أي نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته فنتف منها خصلة و سلّ سيفه وقال: افرجوا لي فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها ثم دخل رجل آخر وهو كنانة بن بشر ابن عتاب التجيبي ومعه جرز آخر من حديد فمشى إليه فقال: على أي ملّة أنت يا نعثل؟ فقال: لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملّة إبراهيم حنيفاً وما أنا من المشركين؛ قال: كذبت وضربه بالجرز على صدغه الأيسر فغسله الدم وخرّ على وجهه وقد قيل: ان عمرو بن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمي التميمي وخصخص بسيفه بطنه.

وقال الطبري: رفع كنانة مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل اذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقة ثم علاه بالسيف حتى قتله، وروى رواية أخرى أن كنانة ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخرّ لجبينه فضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرّ لجبينه فقتله.

فصرخت امرأته وقالت: قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني امية فوجدوه قد فاضت نفسه؛ قال المسعودي: فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار فاسترجع القوم ودخل عليّ عليه السلام

الدار وهو كإلواله الءززن فءال لابنه: كلف ءل أمفر المؤمنفن وأنءما على الباب و لطم الءسن و ضرب الءسفن و شءم مءمء بن طلءة و لعن عبء الله بن الزفر.

و قال على عليه السلام لزوءءه نائلة بنت الفرافصة: من ءلله و أنت كنت معه؟ فءالء ءل إله رءلان و ءصء ءفر مءمء بن أبف بكر فلم ففكر ما ءالء و قال: و الله لءل ءلءل عليه و أنا ارفء ءلله فلما ءاطبنى بما قال ءرءء و لا أعلم بءءلّف الرءلفن عنى، و الله ما كان لى فى ءلله سبب و لءل ءل و أنا لا أعلم بءلله، و كان مءة ما ءوصر عثمان فى ءاره ءعا و اربعفن فوما و ءفل أكثر من ءلك.

«الموضع الءى ءفن ففه عثمان»

قال أبو ءعفر الطبرى فى ءالرفء: لبء عثمان بعء ما ءلء ءلالءة أفا لا فسءطفعون ءفنه و لم فشهد ءنازه الـ مروان و ءلالءة من موالفه و ابءه الءامسة فناء ابءه و آءء ءأس الءءارة و قالوا: نعءل نعءل و كاءء ءرءم. و قال ابن ءءفة: اءءملوه على باب و انءلقوا مسرعفن و فسمع و ءع رأسه على اللّوء و ان رأسه لىءول: طء طء.

فلما وضع لىصلّى عليه ءاء نفر من الأنصار فمنعونهم الصلاة عليه و منعوهم ان فءفن بالءفع فءال بعض من ءمل ءنازه: اءفنه فءل صلّى الله عليه و ملاءكءه، فءالوا: لا و الله لا فءفن فى مءابر المسلمفن ابءا ءءفنه فى ءائظ فءل له: ءش كوئب كانت الفهوء ءءفن فىه موءاهم فلما ظهر معاوفة بن أبف سففان على ءأس امر بهءم ءلك الءائظ ءئى افضى به إلف البفع فأمر ءأس ان فءفنا موءاهم ءول ءبره ءئى اءصل ءلك بمءابر المسلمفن و لم فءسل عثمان و كفن فى ءفابه و ءمائنه و ءفنه لىلا لأنهم لا فءءرون أن فءرءوا به نهارا.

و قال فى ءل آخر: إن نائلة ءبعءهم بسراج اسءسرجءه بالءفع و صلّى عليه ءفر بن مءعم و فى ءل آخر صلّى عليه مروان و أراءء نائلة أن ءءكم فزبرها ءووم و قالوا: إنا نءاف عليه من هؤلاء الءوءاء أن فنبشوه، فرءءء نائلة إلف منزلها.

و قال ابن ءءفة فى الإمامة و السفاسة: ءم ءلوه فى ءفرءه ءءفنه و لم فلءءوه

بلبن، و حثوا عليه التراب حثوا.

وفى تاريخ أبى جعفر الطبرى أن حكيم بن حزام القرشى و جبير بن مطعم كلّما عليّا فى دفنه و طلبا إليه أن يأذن لأهله فى ذلك ففعل و أذن لهم عليّ عليه السّلام فلما سمع بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة و خرج به ناس يسير من أهله و هم يريدون به حائطا بالمدينة يقال له: حش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما خرج على النّاس رجموا سريره و هموا بطرحه فبلغ ذلك عليّا فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا فانطلق حتّى دفن فى حش كوكب. و فى نقل آخر منه: و جاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل عليّ عليه السّلام فمنع من رجم سريره و كف الذين راموا منع الصلاة عليه.

و كان الوليد بن عقبة بن أبى معيط أخا عثمان لأمه فسمع اللّيلة الثانية من مقتل عثمان يندبه و هو يقول:

بنى هاشم إيه فما كان بيننا و سيف ابن أروى عندكم و حرائبه

بنى هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم و لا تنهبوه ما تحلّ مناهبه

غدرتم به كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

و هى أبيات، فأجابه عن هذا الشعر و فيما رمى به بنى هاشم و نسب إليهم الفضل ابن العباس بن أبى لهب فقال:

فلا تسألونا سيفكم إنّ سيفكم أضيع و ألقاه لدى الروع صاحبه

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا فهم سلبوه سيفه و حرائبه

و كان وليّ العهد بعد محمّد عليّ و فى كلّ المواطن صاحبه

عليّ وليّ الله أظهر دينه و أنت مع الأشقين فيما تحاربه

و أنت امرؤ من أهل صيفور مارح فما لك فينا من حميم تعاتبه

و قد أنزل الرّحمن أنّك فاسق فما لك فى الإسلام سهم تطالبه

و قال الوليد بن عقبة بن أبى معيط المذكور أيضا يحرض أخاه عمارة بن عقبة:

ألا إن خير النَّاس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

فإن يك ظني بابن امي صادقا عمارة لا يطلب بدحل ولا وتر

بييت وأوتار ابن عفان عنده محيّمه بين الخورنق والقصر

فأجابه الفضل بن عباس أيضا:

أ تطلب ثارا لست منه ولا له وأين ابن ذكوان الصفوريّ من عمرو

كما اتصلت بنت الحمار بامها وتنسى أبها إذ تسامى اولي الفخر

ألا إن خير النَّاس بعد محمّد وصيّ النّبيّ المصطفى عند ذى الذكر

وأول من صلّى وصنو نبيّه وأول من أردى الغواة لدى بدر

فلورأت الأنصار ظلم ابن عمّكم لكانوا له من ظلمه حاضري النصر

كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله وأن يسلموه للأحايش من مصر

«تذكرة»

قد مضت طائفة من الأقوال في حصر عثمان و هتف النَّاس باسم أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام للخلافة وقوله عليه السّلام: ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى انى لأستحي وغيرها في المختار 238 من كلامه عليه السّلام في باب الخطب فراجع.

اقول: ولو لم يكن كلّما نقلنا من احداث عثمان او بعضه ممّا يوجب خلعه و البراءة منه لوجب أن يكون الصّحابة ينكر على من قصده من البلاد متظلّمًا ممّا فعلوه و قدموا عليه و قد علمنا ان بالمدينة المهاجرين و الأنصار و كبار الصحابة لم ينكروا ذلك و صدقوا عليه ما نسب إليه من الأحداث و لم يقبلوا ما جعله عذرا بل أسلموه و لم يدفعوا عنه بل اعانوا قاتليه و لم يمنعوا من قتله و حصره و منع الماء منه مع أنّهم متمكنون من خلاف ذلك و ذلك أقوى الدليل على ما قلناه.

«جواب القاضى عبد الجبار عن بعض ما قدمناه و اعتذاره منه»

وقد تكلف القاضى عبد الجبار فى الجواب عن بعض هذه الأمور على أن

إمامه قتل مظلوما بما لا يخفى وهنأ عن من كان له أدنى بصيرة فى سيرة عثمان وأحداثه المخالفة لسيرة الرسول و حكم القرآن و لكننا نذكر ما قال ثم تتبعه باعتراض علم الهدى له زيادة للبصيرة. قال القاضى: فأما قولهم إنه كتب إلى ابن أبى سرح حيث ولى محمد بن أبى بكر بأن يقتله و يقتل أصحابه فقد أنكر أشد التاكير حتى حلف عليه و بين أن الكتاب الذى ظهر ليس كتابه و لا الغلام غلامه و لا الراحلة راحلته و كان فى جملة من خاطبه فى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقبل عذره و ذلك بين لأن قول كل أحد مقبول فى مثل ذلك و قد علم أن الكتاب قد يجوز فيه التزوير فهو بمنزلة الخير الذى يجوز فيه الكذب.

ثم اعتذر عن قول من يقول قد علم أن مروان هو الذى زور الكتاب لأنه الذى كان يكتب عنه فهلا أقام الواجب فيه؟ بأن قال: ليس يجب بهذا القدر أن يقطع على أن مروان هو الذى فعل ذلك لأنه و إن غلب ذلك فى الظن فلا يجوز أن يحكم به و قد كان القوم يسومونه تسليم مروان إليهم و ذلك ظلم لأن الواجب على الإمام أن يقيم الحد على من يستحقه أو التأديب و لا يحل له تسليمه من غيره فقد كان الواجب أن يثبتوا عنده ما يوجب فى مروان الحد ليفعله به و كان إذا لم يفعل و الحال هذه يستحق التعنيف.

ثم ذكر أن الفقهاء ذكروا فى كتبهم أن الأمر بالقتل لا يوجب قودا و لادية و لا حدا فلو ثبت فى مروان ما ذكروه لم يستحق القتل و إن استحق التعزير لكنه عدل عن تعزيره لأنه لم يثبت قال: و قد يجوز أن يكون عثمان ظن أن هذا الفعل فعل بعض ما يعادى مروان تقيحا لأمره لأن ذلك يجوز كما يجوز أن يكون من فعله و لا يعلم كيف كان اجتهاده و ظنه و بعد فان هذا الحديث من أجل ما تقموا عليه فان كان شىء من ذلك يوجب خلع عثمان و قتله فليس إلا ذلك و قد علمنا أن هذا الأمر لو ثبت ما كان يوجب القتل لأن الأمر بالقتل لا يوجب القتل لا سيما قبل وقوع القتل المأمور به.

قال: فيقال لهم لو ثبت ذلك على عثمان أكان يجب قتله؟ فلا يمكنهم إدعاء ذلك لأنه بخلاف الدين ولا بد أن يقولوا: إن قتله ظلم فكذلك في حبسه في الدار ومنعه من الماء فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك وأن يقال إن من لم يدفعهم وينكر عليهم يكون مخطئا وفي ذلك تخطيط أصحاب الرسول.

ثم ذكر أن مستحق القتل والخلع لا يحل أن يمنع الطعام والشراب وأن أمير المؤمنين عليا عليه السلام لم يمنع أهل الشام من الماء في صيفين وقد تمكن من منعهم وأطنب في ذلك إلى أن قال: وكل ذلك يدل على كونه مظلوماً وأن ذلك كان من صنيع الجهال وأعيان الصحابة كارهون لذلك. ثم ذكر أن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس وأن الذين أقدموا على قتله كانوا بهذه الصفة وإذا صح أن قتله لم يكن لهم فمنعهم والنكير عليهم واجب.

ثم ذكر أنه لم يكن منه ما يستحق القتل من ردة أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس وأنه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام فقتله على كل حال منكر وانكار المنكر واجب، قال: وليس أحد أن يقول إنه أباح قتل نفسه من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم لأنه لم يمتنع من ذلك بل أنصفهم ونظر في حالهم ولأنه لو لم يفعل ذلك لم يحل لهم قتله لأنه إنما يحل قتل الظالم إذا كان على وجه الدفع.

قال: والمروي أنهم أحرقوا بابه وهاجموا عليه في منزله وبعجوه بالسيف والمشاقص فضربوا يد زوجته لما وقعت عليه وانهبوا متاع داره و مثل هذه القتل لا يحل في الكافر والمرتد فكيف يظن أن الصحابة لم ينكر ذلك ولم يعدّه ظلما حتى يقال أنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه ثم قص شيئا من قصته في تجمع القوم عليه وتوسط أمير المؤمنين عليه السلام لأمرهم وأنه بذل لهم ما أرادوه وأعتبهم وأشهد على نفسه بذلك حرفه ولم يأت به على وجهه وذكر قصة الكتاب الذي وجدوه بعد ذلك المتضمن لقتل القوم وذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام واقفه على الكتاب فحلف أنه ما كتبه ولا أمر به فقال له: فمن تتهم؟ قال: ما أتهم أحدا وأن للناس لحيلا

وذكر أنّ الرواية ظاهرة بقوله إن كنت أخطأت أو تعمّدت فإنّي تائب مستغفر قال:

فكيف يجوز و الحال هذه أن تهتك فيه حرمة الإسلام و حرمة البلد الحرام.

قال: و لا شبهة أنّ القتل على وجه الغيلة حرام لا يحلّ فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لا يستحقه و لو لا أنه كان يمنع من محاربة القوم ظنا منه بأن ذلك يؤدي إلى القتل الذريع لكثرة نصّاره و حكى أنّ الأنصار بذلت معونته و نصرته، و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام بعث إليه الحسن عليه السّلام فقال له: قل لأبيك فليأتني و أراد أمير المؤمنين عليه السّلام المصير إليه فمنعه من ذلك ابنه محمّد و استغاث بالنساء عليه حتى جاء الصريخ بقتل عثمان فمدّ يده إلى القبلة و قال: اللهمّ إني أبرأ إليك من دم عثمان.

ثمّ قال: فإن قالوا إنّهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض و أنه داخل تحت آية المحاربين، قيل لهم فقد كان يجب أن يتولى الإمام هذا الفعل لأن ذلك يجري مجرى الحدّ: قال: و كيف يدعى ذلك و المشهور أنّه كان يمنع من مقاتلتهم حتّى روى أنّه قال لعبيده و مواليه و قد همّوا بالقتال: من أغمد سيفه فهو حرّ و قد كان مؤثرا للنكير لذلك الأمر إلاّ أنّه بما لا يؤدي إلى إراقة الدّماء و الفتنة فلذلك لم يستعن بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و إن كان لما اشتد الأمر أعانه من أعانه لأن عند ذلك تجب النصرة و المعونة لا بأمره فحيث وقفت النصرة على أمره امتنعوا و توقفوا، و حيث اشتدّ الأمر كانت إعانته ممّن أدركه دون من لم يقدر و يغلب ذلك في ظنّه.

«اعتراض الشريف المرتضى علم الهدى على»

«القاضى و جوابه عما تشبث به»

قال علم الهدى فى الشافى بعد ما نقل قول القاضى من المغنى: أمّا قوله «إنّه أنكر الكتاب المتضمن لقتل محمّد بن أبى بكر و أصحابه و حلف أنّ الكتاب ليس كتابه و لا الغلام غلامه و لا الراحلة راحلته و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قبل عذره» فأول ما فيه أنّه حكى القصة بخلاف ما جرت عليه لأنّ جميع من روى هذه القصة ذكر أنّه اعترف بالخاتم و الغلام و الراحلة و إنّما أنكر أن يكون أمر بالكتاب

لأنه روى أن القوم لما ظفروا بالكتاب قدموا المدينة فجمعوا أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير وسعدا وجماعة الأصحاب ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم و أخبروهم بقصة الغلام فدخلوا على عثمان و الكتاب مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أ هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: و البعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: أفأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا و حلف بالله أنه ما كتب الكتاب و لا أمر به، فقال له: فالخاتم خاتمك؟ فقال: نعم، قال: كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك و لا تعلم به؟.

و في رواية اخرى أنه لما واقفه قال له عثمان اما الخط فخط كاتبى و اما الخاتم فعلى خاتمى، قال: فمن تتهم؟ قال: أتهمك و أتهم كاتبى، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام مغضبا و هو يقول: بل هو امرك و لزم داره و قعد عن توسط امره حتى جرى ما جرى فى امره و اعجب الأمور قوله لأمير المؤمنين عليه السلام إني أتهمك و تظايره بذلك و تلقيه إياه فى وجهه بهذا القول مع بعد أمير المؤمنين عليه السلام عن التهمة و الظنة فى كل شىء ثم فى امره خاصة فإن القوم فى الدفعة الأولى ارادوا ان يعجلوا له ما اخره حتى قام أمير المؤمنين عليه السلام بأمره و توسطه و اصلحه و اشار إليه بأن يقاربهم و يعتبهم حتى انصرفوا عنه و هذا فعل النصيح المشفق الحذب المتحنن و لو كان عليه السلام و حوشى من ذلك متهما عليه لما كان للتهمة مجال عليه فى امر الكتاب خاصة لأن الكتاب بخط عدو الله و عدو رسوله و عدو أمير المؤمنين عليه السلام مروان و فى يد غلام عثمان و مختوم بخاتمه و محمول على بعيره فأى ظن تعلق بأمر المؤمنين عليه السلام فى هذا المكان لو لا العداوة و قلة الشكر للنعمة. و لقد قال له المصريون لما جحد ان يكون الكتاب كتابه شيئا لا زيادة عليه فى باب الحجّة لأنهم قالوا: إذا كنت ما كتبتة و لا امرت به فأنت ضعيف من حيث تم عليك أن يكتب كاتبك بما يختمه بخاتمك و ينفذه بيد غلامك على بعيرك بغير أمرك و من تم عليه مثل ذلك لا يصلح أن يكون واليا على امور المسلمين فاختلع عن الخلافة على كل حال و قد كان يجب على صاحب الكتاب أن يستحى من قوله: إن أمير المؤمنين عليه السلام قبل عذره و كيف يقبل عذر من يتهمه و يشنعه و هو له ناصح و ما قاله أمير المؤمنين بعد سماع هذا

وقوله إنَّ الكتاب يجوز فيه التزوير ليس بشيء لأنه لا يجوز التزوير في الكتاب والگلام والبغير وهذه الأمور إذا انضاف بعضها إلى بعض بعد فيها التزوير وقد كان يجب على كلِّ حال أن يبحث عن القصّة وعمّن زوّر الكتاب وأنفذ الرسول ولا ينأى عن ذلك ولا يقيم حتّى يعرف من أين دهى وكيف تمت الحيلة عليه فيحترز من مثلها ولا يغضى عن ذلك إغضاء خائف له ساتر عليه مشفق من بحثه وكشفه.

فأمّا قوله «أنّه وإن غلب في الظن أن مروان كتب الكتاب فإنّ الحكم بالظن لا يجوز وتسليمه إلى القوم على ما ساموه إيّاه ظلم لأنّ الحدّ والتأديب إذا وجب عليه فالإمام يقيمه دونهم» فتعلل منه بالباطل لأنّ لا نعمل إلاّ على قوله في أنّه لم يعلم أنّ مروان هو الذى كتب الكتاب وإنّما غلب في ظنّه أما كان يستحقّ بهذا الظنّ بعض التعنيف والزجر والتهديد أو ما كان يجب مع وقوع التهمة وقوة الأمارات في أنّه جالب للفتنة وسبب الفرقة أن يبعدة عنه ويطرده عن داره ويسلبه نعمته وما كان يخصّه به من إكرامه وما فى هذه الأمور أظهر من أن ينبّه عليه.

فأمّا قوله «إنّ الأمر بالقتل لا يوجب قودا ولا دية لا سيما قبل وقوع القتل المأمور به» فهب أن ذلك على ما قال أما يوجب على الأمر بالقتل تأديبا ولا تعزيرا ولا طردا ولا إبعادا، وقوله: لم يثبت ذلك، فقد مضى ما فيه وبيّنا أنّه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث والكشف و تهديد المتهم وطرده وإبعاده والتبرء من التهمة بما يتبرأ به من مثلها.

فأمّا قوله: «إنّ قتله ظلم وكذلك حبسه فى الدار ومنعه من الماء وإن استحقّ القتل أو الخلع لا يحلّ أن يمنع الطعام والشراب واطنابه فى ذلك، وقوله إنّ من لم يدفع عن ذلك من الصحابة يجب أن يكون مخطئا، وقوله إن قتله أيضا لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس» فباطل لأنّ الذين قتلوه لا ينكر أن يكونوا ما تعمدوا قتله وإنّما طالبوه بأن يخلع نفسه لما ظهر من أحداثه ويعتزل الأمر اعتزالا يتمكّنون معه من إقامة غيره فلج وصمم على الامتناع وأقام على أمر

واحد فقصده القوم بحصره إلى أن يلجئوه إلى خلع نفسه فاعتصم بداره واجتمع إليه نفر من أوباش بنى أمية يدفعون عنه ثم يرمون من دنى من الدار فانتهى الأمر إلى القتال بتدريج ثم إلى القتل ولم يكن القتال ولا القتل مقصودا في الأصل وإنما أفضى الأمر إليهما بتدريج وترتيب وجرى ذلك مجرى ظالم غلب إنسانا على رحله ومتاعه فالواجب على المغلوب أن يمانعه ويدافعه ليخلص ماله من يده ولا يقصد إلى إتلافه ولا قتله فان أفضى الأمر إلى ذلك بلا قصد كان معذورا وإنما خاف القوم في التأني به والصبر عليه إلى أن يخلع نفسه من كتبه التي طارت في الافاق يستنصر عليهم ويستقدم الجيوش إليه ولم يأمنوا أن يرد بعض من يدفع عنه فيؤدى ذلك إلى الفتنة الكبرى والبلىة العظمى.

وأما منع الماء والطعام فما فعل ذلك إلا تضييقا عليه ليخرج ويحوج إلى الخلع الواجب عليه وقد يستعمل في الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنائيات فتعذر إقامة الحدّ عليه لمكان الحرم، على أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أنكر منع الماء والطعام وأنفذ من مكن من حمل ذلك لأنه قد كان في الدار من النساء والحرم والصبيان من لا يحلّ منعه الطعام والشراب ولو كان حكم المطالبة بالخلع والتجمع عليه والتظاهر فيه حكم منع الطعام والشراب في القبح والمنكر لأنكره أمير المؤمنين عليه السلام ومنع منه كما منع من غيره فقد روى عنه عليه السلام أنه لما بلغه أن القوم قد منعوا من في الدار من الماء قال عليه السلام لا أرى ذلك في الدار صبيان وعيال لا أرى أن يقتل هؤلاء عطشا بجرم عثمان فصرح بالمعنى الذي ذكرناه ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام ما أنكر المطالبة بالخلع بل كان مساعدا على ذلك مشاورا فيه.

فأما قوله «إنّ قتل الظالم إنّما يحلّ على سبيل الدفع» فقد بيّنا أنه لا ننكر أن يكون قتله وقع على هذا الوجه لأنّ في تمسكه بالولاية عليهم و هو لا يستحقها في حكم الظالم لهم فمدافعتة واجبة.

فأما ما قصّة من قصة الكتاب الموجود فقد حرّفها لأننا قد ذكرنا شرحها الذي

وردت به الرواية و هو بخلاف ما ذكره.

وأما قوله «إنه قال: إن كنت أخطأت أو تعمدت فإني تائب إلى الله أستغفر» فقد أجابه القوم عن هذا فقالوا: هكذا قلت في المرة الأولى و خطبت على المنبر بالتوبة و الاستغفار ثم وجدنا كتابك بما يقتضى الإصرار على أقبح ما عتبنا منه فكيف نثق بتوبتك و استغفارك.

فأما قوله «إنّ القتل على وجه الغيلة لا تحلّ فيمن يستحقّ القتل فكيف فيمن لا يستحقه» فقد بيّنا أنّه لم يكن على سبيل الغيلة و أنّه لا يمتنع أن يكون إنّما وقع على سبيل المدافعة.

فأما ادّعائه أنّه منع من نصرته و اقسام على عبيده في ترك القتال فقد كان ذلك لعمرى في ابتداء الأمر طلبا للسلامة و ظنّا منه بأنّ الأمر يصلح و القوم يرجعون عما هم عليه و ما همّوا به، فلمّا اشتدّ الأمر و وقع اليأس من الرجوع و النزوع لم يمنع أحدا من نصرته و المحاربة عنه و كيف يمنع من ذلك و قد بعث إلى أمير المؤمنين عليه السّلام يستنصره و يستصرخه و الّذى يدلّ على ذلك أنّه لم يمنع في الابتداء من محاربتهم إلّا للوجه الّذى ذكرناه دون غيره أنّه لا خلاف بين أهل الرواية في أن كتبه تفرّقت في الافاق يستنصر و يستدعى الجيوش فكيف يرغب عن نصره الحاضر من يستدعى نصره الغائب.

فأما قوله: «إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أراد أن يأتيه حتّى منعه ابنه محمّد» فقول بعيد مما جاءت به الرواية جدّا لأنّه لا اشكال في أمير المؤمنين عليه السّلام لما واجهه عثمان بأنّه يتهمه و يستغشه انصرف مغضبا عاملا على أنّه لا يأتيه أبدا قائلا فيه ما يستحقه من الأقوال.

فأما قوله في جواب سؤال من قال إنّهم اعتقدوا فيه أنّه من المفسدين في الأرض و آية المحاربين تتناوله «و قد كان يجب أن يتولّى الإمام ذلك الفعل بنفسه لأنّ ذلك يجرى مجرى الحدّ» فطريف لأنّ الإمام يتولى ما يجرى هذا المجرى إذا كان منصوبا ثابتا و لم يكن على مذهب أكثر القوم هناك إمام يقوم بالدفع عن

الدين و الذبّ عن الامّة جاز أن يتولّى ذلك بنفوسها و ما رأيت أعجب من ادعاء مخالفيها أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله كانوا كارهين لما جرى عليه و أنّهم كانوا يعتقدونه منكرا و ظلما و هذا يجرى عند من تأمله مجرى دفع الضرورة قبل النظر فى الأخبار و سماع ما ورد من شرح هذه القصة لأنّه معلوم أن ما يكرهه جميع الصحابة أو أكثرهم فى دار عزّهم و بحيث ينفذ أمرهم و نهيبهم لا يجوز أن يتم و معلوم أن نفرا من أهل مصر لا يجوز أن يتمّ و معلوم أن نفرا من أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينة و أن يغلبوا جميع المسلمين على آرائهم و يفعلوا ما يكرهونه بإمامهم بمراى منهم و مسمع و هذا معلوم بطلانه بالبداهة و الضرورات قبل مجيء الاثار و تصفح الأخبار و تأملها.

وقد روى الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبي جعفر القارى مولى بنى مخزوم قال: كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى و كنانة بن بشير الكندى و عمرو بن الحمق الخزاعى، و الذين قدموا من الكوفة مأتين عليهم مالك بن الحرث الأشتر النخعى و الذين قدموا من البصرة مائة رجل رئيسهم حكيم بن جبلة العبدى و كان أصحاب التّبيّ صلّى الله عليه وآله الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ بهم إلى القتل و لعمرى لو قام بعضهم فحشا التراب فى وجه اولئك لانصرفوا و هذه الرواية تضمنت من عدد القوم الوافدين فى هذا الباب اكثر ممّا تضمّنه غيرها.

و روى شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: قلت له:

كيف لم يمنع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله عن عثمان؟ قال: إنما قتله أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله. و روى عن أبى سعيد الخدرى أنّه سئل عن مقتل عثمان هل شهده واحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: نعم شهده ثمانمائة، و كيف يقال: إن القوم كانوا كارهين و هؤلاء المصريون كانوا يغدون إلى كلّ واحد منهم و يروحون و يشاورونه فيما يصنعونه، و هذا عبد الرحمن بن عوف و هو عاقد الأمر لعثمان و جالبه إليه و مصيره فى يده يقول على ما رواه الواقدي و قد ذكر له عثمان فى مرضه الذى مات فيه عاجلوه قبل أن يتمادى فى ملكه فبلغ عثمان ذلك فبعث إلى بئر كان يسقى منها

نعم عبد الرَّحْمَنِ فَمَنْعَ مِنْهَا وَوَصَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَنْ لَا يَصَلِّيَ عَلَيْهِ عِثْمَانُ فَصَلَّى عَلَيْهِ الزَّبِيرُ أَوْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَوَقَدْ كَانَ حَلْفَ لِمَا تَتَابَعَتْ أَحْدَاثُهُ إِلَّا يَكْلِمُ عِثْمَانَ أَبَدًا.

وَرَوَى الْوَأَقْدِيُّ قَالَ: لَمَّا تَوَفَّى أَبُو ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ تَذَاكُرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ فَعَلَّ عِثْمَانُ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا عَمَلِكُ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَإِذَا شِئْتَ فَخُذْ سَيْفَكَ وَآخِذْ سَيْفِي إِنَّهُ خَالَفَ مَا أَعْطَانِي.

فَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَانَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ عِثْمَانُ يَقُولُ لَهُ عِنْدَ قُدُومِ الْمَصْرِيِّينَ فِي الدَّفْعَةِ الثَّانِيَةِ: ارْجِعْ عَنِّي فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ اللَّهَ فِي سَنَةِ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّمَا عَنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحَدٌ مِنْ كَلَمِ الْمَصْرِيِّينَ فِي الدَّفْعَةِ الْأُولَى وَضَمَّنَ لَهُمْ عَنْ عِثْمَانَ الرِّضَا وَفِي رِوَايَةِ الْوَأَقْدِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ كَانَ يُؤْتَى وَعِثْمَانُ مُحْصُورٌ، فَيَقَالُ لَهُ:

عِثْمَانُ مَقْتُولٌ فَيَقُولُ: هُوَ قَتَلَ نَفْسَهُ فَأَمَّا كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ وَعَائِشَةَ وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَاحِدًا وَاحِدًا فَلَوْ تَعَاظَيْنَا ذَكَرَهُ لَطَالَ بِهِ الشَّرْحُ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَقْوَالِهِمْ مَفْصَلَةً وَمَا صَرَّحُوا بِهِ مِنْ خَلْعِهِ وَالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فَعَلِيهِ بَكْتَابُ الْوَأَقْدِيِّ فَقَدْ ذَكَرَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ.

«اعتراض القاضي عبد الجبار في المغني على الطاعنين»

«على عثمان بأحداثه»

نقل عنه الشريف المرتضى علم الهدى في الشافى انه قال: ونحن نقدم قبل الجواب عن هذه المطاعن مقدمات تبين بطلانها على الجملة ثم نتكلم على تفصيلها.

حكى عن أبي عليّ أن ذلك لو كان صحيحا لوجب من الوقت الذي ظهر ذلك من حاله أن يطلبوا رجلا ينصب للإمامة وأن يكون ظهور ذلك كموته لأنه لا خلاف أنه متى ظهر من الإمام ما يوجب خلعه أن الواجب على المسلمين إقامة إمام سواه فلمّا علمنا أن طلبهم لإقامة إمام كان بعد قتله ولم يكن من قبل والتمكن قائم فذلك من أدلّ الدلالة على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث.

قال: وليس لأحد أن يقول لم يتمكّنوا من ذلك لأن المتعالم من حالهم

وقد حصره و منعوه التمكن من ذلك خصوصا وهم يدعون أن الجميع كانوا على حول واحد في خلعه و البراءة منه. قال: و معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حوصر فيها و قتل بل كانت تحصل من قبل حالا بعد حال فلو كان ذلك يوجب الخلع و البراءة لما تأخر من المسلمين الإنكار عليه و لكان كبار الصحابة المقيمين بالمدينة أولى بذلك من الواردين من البلاد لأن أهل العلم و الفضل بالنكير في ذلك أحق من غيرهم. قال: فقد كان يجب على طريقتهم أن تحصل البراءة و الخلع من أول يوم حدث فيه منه ما حدث و لا ينتظر حصول غيره من الأحداث لأنه لو وجب انتظار ذلك لم ينته إلى حد إلا و ينتظر غيره.

ثم ذكر أن امسأهم عن ذلك إذا تيقنوا الأحداث منه يوجب نسبة الخطاء إلى جميعهم و الضلال فلا يجوز ذلك. و قال: و لا يمكنهم أن يقولوا إن علمهم بذلك حصل في الوقت الذي منع لأن في جملة الأحداث التي يذكرونها ما تقدم هذه الحال بل كلها أو جلها تقدم هذا الوقت و إنما يمكنهم أن يتعلقوا فيما حدث في الوقت بما يذكرون من حديث الكتاب النافذ إلى ابن أبي سرح بالقتل و ما أوجب كون ذلك حدثا يوجب كون غيره حدثا فكان يجب أن يفعلوا ذلك من قبل و احتمال المتقدم للتأويل كاحتمال المتأخر و بعد فليس يخلو من أن يدعوا أن طلب الخلع وقع من كل الأمة أو من بعضهم فإن ادعوا ذلك في بعض الأمة فقد علمنا أن الإمامة إذا ثبتت بالإجماع لم يجز إبطالها بالخلاف لأن الخطاء جائز على بعض الأمة و إن ادعوا في ذلك الإجماع لم يصح لأن من جملة الإجماع عثمان و من كان ينصره و لا- يمكن إخراجه من الإجماع بأنه يقال إنه كان على باطل لأن بالإجماع يتوصل إلى ذلك و لما يثبت. قال: على أن الظاهر من حال الصحابة أنها كانت بين فريقين أما من ينصره فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال لعثمان و من معه الأنصار انذن لنا نصرك. و روى مثل ذلك عن ابن عمر و أبي هريرة و المغيرة بن شعبة و الباقر يمتنعون انتظار الزوال العارض لا لأنه لو ضيق عليهم الأمر في الدفع ما فعلوا بل المتعالم من حالهم ذلك.

ثم ذكر ما روى من انفاذ أمير المؤمنين الحسن و الحسين إليه و انه لما قتل لا مهما على وصول القول إليه ظننا منه بأنهما قصرا. و ذكر أن أصحاب الحديث يروون عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: ستكون فتنة و اختلاف و أن عثمان و أصحابه يومئذ على الهدى و ما روى عن عائشة من قولها قتل و الله مظلوما. قال و لا يمتنع أن يتعلق بأخبار آحاد في ذلك لأنه ليس هناك أمر ظاهر يدفعه نحو دعواهم أن جميع الصحابة كانوا عليه لأن ذلك دعوى منهم و إن كان فيه رواية فمن الاحاد و إذا تعارضت الروايات سقطت و وجب الرجوع إلى أمر ثابت و هو ما ثبت من أحواله السليمة و وجوب تولييه.

قال: و ليس يجوز أن يعدل عن تعظيمه و صحة إمامته بامور محتملة فلا شيء مما ذكره إلا و يحتمل الوجه الذي هو صحيح.

ثم ذكر أن للإمام أن يجتهد رأيه في الأمور المنوطة به و يعمل فيها على غالب ظنه و قد يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبة مذمومة و أكد ذلك و أطنب فيه.

«اعتراض علم الهدى على هذه الكلمات»

اعترض عليه في الشافي بقوله: فاما ما حكاه عن أبي علي من قوله «لو كان ما ذكره من الأحداث قادحا لوجب من الوقت الذي ظهرت فيه أن يطلبوا رجلا- ينصبونه في الإمامة لأن ظهور الحدث كموته قال فلما رأيناهم طلبوا إماما بعد قتله دلّ على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث» فليس ذلك بشيء معتمد لأن تلك الأحداث و إن كان مزيلة عندكم لامامته و فاسخة لها و مقتضية لأن يعقدوا لغيره الإمامة فانهم لم يقدموا على نصب غيره مع تشبته خوفا من الفتنة و التنازع و التجاذب و أرادوا أن يخلع نفسه حتى تزول الشبهة و ينشط من يصلح للإمامة لقبول العقد و التكفل بالأمر و ليس يجري ذلك مجرى موته لأن موته يحسم الطمع في استمرار ولايته و لا يبقى شبهة في خلو الزمان من إمام، و ليس كذلك حدثه الذي يسوغ فيه التأويل على بعده و يبقى معه الشبهة في استمرار أمره و ليس نقول: إنهم لم يتمكنوا من ذلك

كما سأل نفسه بل الوجه في عدولهم ما ذكرناه من ارادتهم لحسم المواد وإزالة الشبهة وقطع أسباب الفتنة.

فأما قوله «إنه معلوم من هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حصر فيها وقتل بل كانت تقع حالا بعد حال فلو كانت توجب الخلع والبراءة لما تأخر من المسلمين الإنكار عليه و لكان المقيمون بالمدينة من الصحابة أولى بذلك من الواردين من البلاد» فلا شك أن الأحداث لم تحصل في وقت واحد إلا أنه غير منكر أن يكون نكيرهم إنما تأخر لأنهم تأولوا ما ورد عليهم من أفعاله على أجمل الوجوه حتى زاد الأمر و تفاقم و بعد التأويل و تعذر التخريج لم يبق للظن الجميل طريق فحينئذ أنكروا و هذا مستمر على ما قدمنا ذكره من أن العدالة و الطريقة الجميلة تتأول في الفعل و الأفعال القليلة بحسب ما تقدم من حسن الظن به ثم ينتهي الأمر بعد ذلك إلى بعد التأويل و العمل على الظاهر القبيح.

على أن الوجه الصحيح في هذا الباب أن أهل الحق كانوا معتقدين لخلعه من أول حدث بل معتقدين لأن إمامته لم تثبت وقتا من الأوقات و إنما منعهم من اظهار ما في نفوسهم ما قدمناه من أسباب الخوف و التقية و لأن الاغترار بالرجل كان عاما فلما تبين أمره حالا بعد حال و اعرضت الوجوه عنه و قل العاذلة قويت الكلمة في عزله و هذا إنما كان في آخر الأمر دون أوله فليس يقتضى الامساک إلى الوقت الذي وقع الكلام فيه نسبة الخطاء إلى الجميع على ما ظنّه.

فأما دفعه أن يكون الأمة أجمعت على خلعه باخراجه نفسه و خروج من كان في حيزه عن القوم» فليس بشيء لأنه إذا ثبت أن من عداه و عدا عبيده و الرهط من فجّار أهله و فسّاقهم كمروان و من جرى مجراه كانوا مجمعين على خلعه فلا شبهة أن الحق في غير حيزه لأنه لا يجوز أن يكون هو المصيب و جميع الأمة مبطل و إنما يدعى أنه على الحق من تنازع في إجماع من عداه فأما مع تسليم ذلك فليس يبقى شبهة و ما نجد مخالفينا يعتبرون في باب الإجماع الشذاذ عنه و النفر القليل الخارجين منه ألا ترى أنهم لا يحلفون بخلاف سعد و ولده و أهله في بيعة أبي بكر لقتلهم

و كثرة من بازائهم وكذلك لا يعتدون بخلاف من امتنع من بيعة أمير المؤمنين عليه السلام و يجعلونه شاذا لا تأثير له فكيف فارقوا هذه الطريقة في خلع عثمان و هل هذا إلا تقلب و تلون.

فأما قوله «إن الصحابة بين فريقين اما من ينصره كزيد بن ثابت و ابن عمر و فلان و فلان و الباقون ممتنعون انتظار الزوال العارض و لأنه ما ضيق عليهم الأمر في الدفع عنه» فعجيب لأن الظاهر أن انصاره هم الذين كانوا معه في الدار يقاتلون عنه و يدفعون الهاجمين عليه فقط، فأما من كان في منزله ما أغنى عنه فتبلا لا يعدّ ناصرا و كيف يجوز ممن أراد نصرته و كان معتقدا لصوابه و خطاء الطالبين لخلعه أن يتوقف عن النصره طلبا لزوال العارض و هل يراد النصره إلا لدفع العارض و بعد زواله لا حاجة إليها و ليس يحتاج في نصرته إلى أن يضيق هو عليهم الأمر فيها بل من كان معتقدا لها لا يحتاج حملة إلى إذنه فيها و لا يحفل بنهيه عنها لأن المنكر مما قد تقدّم أمر الله تعالى فيه بالنهاى عنه فليس يحتاج في إنكاره إلى أمر غيره.

فأما زيد بن ثابت فقد روى ميله إلى عثمان فما نعنى ذلك و بازائه جميع الأنصار و المهاجرين و لميله إليه سبب معروف قد روته الرواة فإن الواقدي قد روى في كتاب الدار أن مروان بن الحكم لما حصر عثمان الحصر الأخير جاء إلى زيد بن ثابت فاستصحبه إلى عائشة ليكلّمها في هذا الأمر فمضيا إليها و هى عازمة إلى الحجّ فكلّمها في أن تقيم و تدبّ عنه فأقبلت على زيد بن ثابت فقالت: و ما منعك يا ابن ثابت و لك الاساويف قد قطعها لك عثمان و لك كذا و كذا و أعطاك من بيت المال زها عشرة ألف دينار؟ قال زيد: فلم أرجع عليها حرفا واحدا.

قال: و أشارت إلى مروان بالقيام فقام مروان و هو يقول متمثلا حرق قيس على البلاد حتى إذا اضطربت أجد ما، فنادته عايشة و قد خرج من العتبة:

يا ابن الحكم أعلّى تمثّل الاشعار؟ قد و الله سمعت ما قلت، أترانى فى شك من صاحبك؟ و الذى نفسى بيده لوددت أنه الان فى غرارة من غرائرى مخيطة عليها فألقئها فى البحر الأخضر، قال زيد: فخرجنا من عندها على الناس.

وروى الواقدي: أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار و هو يدعوهم إلى نصر عثمان فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حية المازني فقال له جبلة: ما يمنعك يا زيد أن تذبّ عنه أعطاك عشرة ألف دينار و أعطاك حدائق من نخل ما لم ترث من أبيك مثل حديقة منها.

فأمّا ابن عمر فإن الواقدي أيضا روى عن ابن عمر أنّه قال: و الله ما كان منا إلاّ خاذل أو قاتل و الأمر في هذا أوضح من أن يخفى.

فأمّا ذكره إنفاذ أمير المؤمنين عليه السّلام الحسن و الحسين» فانما أنفذهما إن كان أنفذهما ليمنعان من انتهاك حريمه و تعمد قتله و منع حرمه و نسائه من الطعام و الشراب و لم ينفذهما ليمنعا من مطالبته بالخلع كيف و هو مصرّح بأنه بأحداثه مستحق للخلع و القوم الذين سعوا في ذلك إليه كانوا يغدون و يروحون إليه و معلوم منه ضرورة أنّه كان مساعدا على خلعه و نقض أمره لا سيّما في المرّة الأخيرة.

فأمّا ادّعائه أنّه لعن قتله فهو يعلم ما في هذا من الروايات المختلفة التي هي أظهر من هذه الرواية و إن صحّت فيجوز أن يكون محمولة على لعن من قتله متعمدا لقتله قاصدا إليه فإن ذلك لم يكن لهم.

فأمّا ادّعائه أن طلحة رجع لما ناشده عثمان يوم الدار فظاهر البطلان و غير معروف في الرواية و الظاهر المعروف أنّه لم يكن على عثمان أشدّ من طلحة يوم الدار و لا أغلظ و لو حكينا من كلامه فيه ما قد روى لافئنا قطعة كبيرة من هذا الكتاب.

وقد روى: أنّ عثمان كان يقول يوم الدار: اللهم اكفني طلحة و يكرر ذلك علما منه بأنه أشدّ القوم عليه.

وروى أن طلحة كان عليه يوم الدار درع و هو يرامى الناس و لم ينزع عن القتال حتّى قتل الرجل.

فأمّا ادّعائه من الرواية «عن النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّه ستكون فتنة و أن عثمان و أصحابه

يومئذ على الهدى» فهو يعلم أن هذه الرواية الشاذة لا يكون في مقابلة المعلوم ضرورة من إجماع الأمة على خلعه و خذله و كلام وجوه المهاجرين و الأنصار فيه و بإزاء هذه الرواية مما يملأ الطروس عن النبي صلى الله عليه و آله و غيره ممّا يتضمن ضدّ ما تضمنته و لو كانت هذه الرواية معروفة لكان عثمان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدار و قد احتجّ عليهم بكلّ غث و سمين، و قبل ذلك لما خوصم و طولب بأن يخلع نفسه، و لا حتجّ عنه بعض أصحابه و أنصاره و في علمنا بأن شيئاً من ذلك لم يكن دلالة على أنّها مصنوعة.

فأما ما رواه عن عائشة من قولها: «قتل و الله مظلوما» فأقوال عايشة فيه معروفة معلومة و إخراجها قميص رسول الله صلى الله عليه و آله و هي تقول: هذا قميصه لم يبل و قد بليت سنته و غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة.

فأما مدحها و ثناؤها عليه فانما كان عقيب علمها بانتقال الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام و السبب فيه معروف و قد وقفت عليه و قوبل بين كلامها فيه متقدّما و متأخرا.

فأما قوله: «لا يمتنع أن يتعلّق بأخبار الاحاد في ذلك لأنها في مقابلة ما يدعونه ممّا طريقه أيضا الاحاد» فواضح البطلان لأنّ إطباق الصحابة و أهل المدينة إلّا من كان في الدار معه على خلافه و أنهم كانوا بين مجاهد و مقاتل مبارز و بين خاذل متقاعد معلوم ضرورة لكل من سمع الأخبار و كيف يدعى أنها من جملة الاحاد حتّى يعارض بأخبار شاذة نادرة و هل هذا إلا مكابرة ظاهرة؟ فأما قوله: «إنا لا نعدل عن ولايته بامور محتملة» فقد مضى الكلام في هذا المعنى و قلنا ان المحتمل هو ما لا ظاهر له و الذي يتجاز به الأمور المختلفة فأما ما له ظاهر فلا يسمى محتملا و إن سماه بهذه التسمية فقد بينا أنّه ممّا يعدل من أجله عن الولاية و فصلنا ذلك تفصيلا بينا.

فأما قوله «إن للإمام أن يجتهد رأيه في الأمور المنوطة به و يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبة مذمومة» فأول ما فيه أنّه ليس للإمام و لا غيره أن يجتهد في الأحكام و لا يجوز العمل فيها إلّا على النصوص. ثمّ إذا سلمنا الاجتهاد فلا شك أن

ههنا امورا لا يسوغ فيها الاجتهاد حتّى يكون من خبرنا عنه بأنّه اجتهد فيها غير مصدق و تفصيل هذه الجملة يبين عند الكلام على ما تعاطاه من الأعذار فى أحداثه.

أقول: من نظر فى فعل كبار الصحابة من المهاجرين و الأنصار بعثمان أنهم حصروه أربعين ليلة و منعه من الماء و خذلوه حتّى قتل و قد كان يمكنهم الدفع عنه على أنهم أعانوا قاتليه بل شهد قتله ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و تركوه بعد القتل ثلاثة أيام و لم يدفنه حتّى قام ثلاثة نفر من بنى امية فأخذوه بالليل سرقة و دفنوه لكيلا يعلم بهم أحد و دفنوه فى حش كوكب مقبر يهود يدلّ على عظم أحداثه و كبر معاصيه و الحق كما قال محمد بن مسلمة برواية الواقدى المتقدمة إن عثمان قتل نفسه، على أن خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأن الذين نصره كان أكثرهم فاسقا كمروان بن الحكم و أضرابه و خذله المهاجرون و الأنصار، و كفى فى المقام إعراض أمير المؤمنين علىّ عليه السلام عن نصرته آخر الأمر مع قدرته على ذلك و قوله عليه السلام الله قتله. على أنه عليه السلام نصحه و نصره غير مرة و ما أراد عثمان منه عليه السلام نصحا و إلا لتاب من قوادحه حقيقة و لما خدع الناس مرة بعد مرة، و من تتبع كتب السير و التواريخ و سمع مقالات كبار الصحابة و عظماء القوم فى عثمان و توبته ظاهرا من أحداثه دفعة ثم نقضه التوبة و فعله ما فعل دفعة اخرى درى أنّ عثمان اتخذ دين الله لعبا و بيت المال طعما له و لبنى امية و أتباعه و ذوى رحمه ممن سمعت شناعة حالهم و بشاعة أمرهم، و أنّ أجوبة القاضى عبد الجبار و اشياعه الواهية ناشئة من التعصب، و أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السلام كان معتزلا للفتنة بقتل عثمان و أنه بعد عن منزله فى المدينة لأن لا تتطرق عليه الظنون برغبته فى البيعة بالأمر على الناس و أنّ الصحابة لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوه و بحثوا عن مكانه حتّى وجدوه فصاروا إليه و سألوه القيام بالأمة. و نص أبو جعفر الطبرى فى التاريخ انه لما حصر عثمان كان علىّ عليه السلام بخبير و أن معاوية و أهل البصرة اتهموا عليّا عليه السلام بدم عثمان اتبعا لتسويات شيطانية و أن اسناد دم عثمان إليه عليه السلام تهمة و بهتان

ليس إلا وهذه التهمة كفران النعمة وقلة الشكر لأن أمير المؤمنين عليه السلام نصر عثمان من بدو الأمر لما استنصره غير مرة ولقد مضى قوله عليه السلام في الكلام 238 من المختار في باب الخطب: والله لقد دفعت عنه (يعنى عن عثمان) حتى خشيت أن أكون آثما، و لعمري أن أمير المؤمنين عليه السلام أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث فلما رأى عليه السلام أفعاله وأقواله كما سمعت خرج من عنده مغضبا تركه مخذولا حتى ذاق ما ذاق.

ثم ليعلم أن طلحة والزبير وعائشة فيما صنعوه في أيام عثمان من أوكد أسباب ما تمّ عليه من الخلع والحصر وسفك الدّم والفساد وذلك ظاهر بين لذوى العقول السليمة من آفة التعصب والتقليد وسيتضح أشدّ إيضاح في شرح الكتب الآتية.

واعلم أنه ليس غرضنا من ذكر أحداث عثمان وما نقم الناس منه إبطالا لامامته بعد ظهورها منه فان هذا البحث انما يختص بمن قال بإمامته قبل أحداثه ورجع عنها عند وقوع أحداثه وهم الخوارج ومن وافقهم وأما عندنا معاشر الإمامية لم يثبت إمامة الرجل وأشباهه وقتنا من الأوقات لما قدمنا في شرح الخطبة 237 ان الإمامة عندنا رئاسة إلهية والله تعالى أعلم حيث يجعلها وأن الإمام يجب أن يكون منصوبا ومنصوبا من الله تعالى ومعصوما من جميع الذنوب ومنزها من العيوب مطلقا وأنها عهد الله لا ينال الظالمين فالحرى بنا أن نعود إلى الشرح:

قول الرضى رضى الله عنه: «و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره إليهم من المدينة إلى البصرة» أقول: إنما كان مسيره عليه السلام إلى البصرة لقتال أصحاب الجمل فيليق أن نذكر ما كان سبب ذلك القتال وعلّة وقوعه في البصرة على الاجمال ليكون القارى على بصيرة. واعلم ان الناس بعد قتل عثمان أتوا أمير المؤمنين عليا عليه السلام منزله فقالوا إنّ هذا الرجل قد قتل ولا بدّ للناس من إمام ولا يصلح لامامة المسلمين سواك ولا نجد اليوم أحدا أحقّ بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: لا حاجة لى فى أمركم أنا

معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فاختاروا فقالوا: والله ما نختار غيرك. فلما انصرفوا عنه عليه السلام كلم بعضهم بعضاً فقالوا: يمضى قتل عثمان في البلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون أنه ببيع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحية فلا نأمن أن يكون في ذلك الفساد فلنرجع إلى عليّ عليه السلام فلا نتركه حتى يبيع فيطمئن الناس ويسكنون.

فاختلفوا إليه عليه السلام مراراً ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: إنّه لا يصلح الناس إلا بأمره وقد طال الأمر فوالله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك فقال عليه السلام:

ففي المسجد فإن بيعت لا تكون خفيّة ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه وأبي هو إلا المسجد فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه.

أقول: ولقد مضى في الخطبة الواحدة والتسعين قوله عليه السلام للناس - لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان -: دعوني و التمسوا غيري فإذا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإنّ الافاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا أني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم ولم اصغ إلى قول القائل و عتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً. ورواه أبو جعفر الطبري في التاريخ أيضاً مسنداً (ص 256 ج 3 طبع مصر 1357 هـ).

«بيعة طلحة و الزبير عليا (عليه السلام) و انهما أول من بايعه (عليه السلام)»

قال الشيخ المفيد في الجمل: روى أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الثقفى عن عثمان بن أبي شيبة عن إدريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال: جاء طلحة و الزبير إلى عليّ عليه السلام وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالوا اسط يدك نبايعك فإنّ الناس لا يرضون إلا بك فقال لهما: لا حاجة لي في ذلك وأن أكون لكما وزيراً خيراً من أن أكون لكما أميراً فليسط قرشى منكما يده ابايعه. فقالا

إنَّ النَّاسَ لَا يُؤْثِرُونَ غَيْرَكَ وَلَا يَعْدِلُونَ عَنْكَ إِلَى سِوَاكَ فَابْسِطْ يَدَكَ نَبَايِعَكَ أَوَّلَ النَّاسِ فَقَالَ: إِنَّ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ سِرًّا فَامْهَلَا حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ. فَقَالُوا: بَلْ نَبَايِعُكَ هَهُنَا ثُمَّ نَبَايِعُكَ فِي الْمَسْجِدِ فَبَايَعَاهُ أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى الْمَنْبَرِ أَوَّلَهُمْ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ يَدُهُ شِلَاءً فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ إِلَيْهِ فَصَفَّقَ عَلَى يَدِهِ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَزْجُرُ الطَّيْرَ قَائِمٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى أَوَّلَ يَدٍ صَفَّقَتْ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدِ طَلْحَةَ وَهِيَ شِلَاءٌ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَوَّلَ يَدٍ صَفَّقَتْ عَلَى يَدِهِ شِلَاءٌ يَوْشِكُ أَنْ لَا يَتَمَّ هَذَا الْأَمْرُ ثُمَّ نَزَلَ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَهُمَا.

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ: لما قتل عثمان خرج عليّ عليه السّلام إلى السوق وذلك يوم السبت لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة فاتبعه النَّاسُ وبهشوا في وجهه فدخل حائط بنى عمرو بن مبدول وقال لأبى عمرة بن عمرو بن محصن أغلق الباب فجاء النَّاسُ فقرعوا الباب فدخلوا فيهم طلحة و الزبير فقالا: يا عليّ ابسط يدك فبايعه طلحة و الزبير فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع فقال: أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر و خرج عليّ إلى المسجد فصعد المنبر و عليه إزار و طاق و عمامة خز و نعلاه في يده متوكلنا على قوس فبايعه النَّاسُ.

و قال الطبري في نقل آخر: لما اختلف النَّاسُ إليه عليه السّلام مرارا للبيعة فقال عليه السّلام لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ و أتيتم و إنى قائل لكم قولاً- إن قبلتموه قبلت أمركم و إلا- فلا حاجة لي فيه؟ قالوا: ما قلت من شىء قبلناه إن شاء الله فجاء فصعد المنبر فاجتمع النَّاسُ إليه فقال: إنى كنت كارها لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا و إنّه ليس لي أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معى ألا و إنّه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك إلا نغيرا يسيرا كانوا عثمانية منهم حسان بن ثابت و كعب بن مالك و مسلمة بن مخلد و أبو سعيد الخدرى و محمد بن مسلمة و النعمان بن بشير و زيد ابن ثابت و رافع بن خديج و فضالة بن عبيد و كعب بن عجرة. قال: فقال رجل لعبد الله بن حسن كيف أبى هؤلاء بيعة عليّ عليه السّلام و كانوا عثمانية؟ قال: أمّا حسان

فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع و أما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان و بيت المال فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين فقال أبو أيوب:

ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان، فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزنية و ترك ما أخذ منهم له.

و فى نقل آخر فيه: بايع الناس عليا عليه السلام بالمدينة و تربص سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبى وقاص و عبد الله بن عمر و صهيب و زيد بن ثابت و محمد بن مسلمة و سلمة بن وقش و اسامة بن زيد و لم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع.

و فى الإمامة و السياسة أن عمّار بن ياسر استأذن عليا عليه السلام أن يكلم عبد الله ابن عمر و محمد بن مسلمة و سعد بن أبى وقاص فى بيعتهم عليا عليه السلام فأبوا - و بعد نقل مكالمة عمّار لكل واحد منهم قال - : فانصرف عمار إلى علي عليه السلام فقال له علي عليه السلام: دع هؤلاء الرهط أما ابن عمر ضعيف، و أما سعد فحسود، و ذنبى إلى محمد ابن مسلمة أتى قتلت اخاه يوم خيبر: مرحب اليهودى.

«كلامه (عليه السلام) لما تخلف هؤلاء عن بيعته»

فى الارشاد للمفيد قدّس سره: و من كلامه عليه السلام حين تخلف عن بيعته عبد الله ابن عمر بن الخطاب و سعد بن أبى وقاص و محمد بن مسلمة و حسان بن ثابت و اسامة ابن زيد، ما رواه الشعبى قال: لما اعتزل سعد و من سمّيناه أمير المؤمنين عليه السلام و توقفوا عن بيعته حمد الله و اثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم بايعتمونى على ما بويح عليه من كان قبلى و إنّما الخيار للناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم و إنّ على الإمام الاستقامة و على الرعية التسليم و هذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام و اتبع غير سبيل أهله و لم تكن بيعتكم إياى فلتة و ليس أمرى و أمركم واحد و إنى اريدكم لله و أنتم تريدوننى لأنفسكم و أيم الله لأنصحن للخصم و لأنصحن للمظلوم و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمة و اسامة و عبد الله و حسان بن ثابت أمور كررتها و الحق بينى و بينهم.

أقول: أتى بكلامه هذا الشريف الرضى فى النهج. ولكن لم يفسر هو ولا أحد من الشراح الذين نعرفهم سببه كما فسرهُ المفيد على أن بينهما تفاوتاً فى الكيف والكم فإنه نقل هكذا: ومن كلامه عليه السلام: لم تكن بيعتكم إياى فلتة وليس أمرى وأمركم واحداً إني أريدكم لله وأنتم تريدوننى لأنفسكم أيها الناس أعينونى على أنفسكم وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ولأقودن الظالم بخزامتة حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارها (الكلام 136 من باب الخطب).

وفى كتاب الجمل للشيخ الأجل المفيد قدس سره: انه روى أبو مخنف لوط بن يحيى عن محمد بن عبد الله بن سواده وطلحة بن الأعلم و أبى عثمان اجمع قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الواقض بن حرب والناس يلتمسون من يجيبهم لهذا الأمر فلا يجدون فيأتون المصريون علياً عليه السلام فيختبئ عنهم ويلوذ بحيطان المدينة فاذا لقوه يأبى عليهم.

قال: وروى إسحاق بن راشد عن الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أثيرى قال: ألا احديثك بما رأيت عيناى وسمعت اذناى لما التقى الناس عند بيت المال قال على عليه السلام لطلحة: ابسط يدك ابايعك فقال طلحة: أنت أحق بهذا الأمر منى وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس ما لم يجتمع لى، فقال على عليه السلام: ما خشيناك غيرك فقال طلحة: لا تخش فوالله لا توتى من قبلى، وقام عمّار بن ياسر والهيثم بن التيهان ورفاعة بن أبى رافع و مالك بن عجلان و أبو أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلى عليه السلام إن هذا الأمر قد فسد وقد رأيت ما صنع عثمان وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة فابسط يدك لنبايعك لتصلح من أمر الأمة ما قد فسد، فاستقال على عليه السلام وقال: قد رأيتم ما صنع بى و عرفتم رأى القوم فلا حاجة لى فيهم فاقبلوا على الأنصار وقالوا يا معشر الأنصار أنتم أنصار الله وأنصار رسوله وبرسوله أكرمكم الله وقد علمتم فضل على وسابقته فى الإسلام وقربته ومكانته من النبى صلى الله عليه وآله وإن ولى ينالكم خيراً.

فقال القوم: نحن أرضى الناس به ما نريد به بدلاً ثم اجتمعوا عليه و ما يزالوا

به حتى بايعوه.

و باسناده عن ابن أبي الهيثم بن التيهان قال: يا معشر الأنصار وقد عرفتم رأيي ونصيحتي و مكاني من رسول الله صلى الله عليه وآله و اختياره إتيى فردوا هذا الأمر إلى أقدامكم إسلاما و أولاكم برسول الله صلى الله عليه وآله لعل الله أن يجمع به الفتكم و يحقن به دماءكم فأجابهم القوم بالسمع و الطاعة.

و روى سيف عن رجاله قال: اجتمع الناس إلى علي عليه السلام و سألوه أن ينظر في أمورهم و بذلوا له البيعة فقال لهم: التمسوا غيري، فقالوا له: نشدك الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله في ضياع هذه الأمة فلما ألحوا عليه قال لهم: إني لو أحببتكم حملتكم على ما أعلم و إن تركتموني كنت لأحدكم «كأحدكم ظ».

قالوا: قد رضينا بحلمك «بحملك ط» و ما فينا مخالف لك فاحملنا على ما تراه ثم بايعه الجماعة.

أقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام كره إجابة القوم على الفور و البدار لعلمه بعاقبة الأمور و إقدام القوم على الخلاف عليه و للظاهرة له و الشنان و القوم ألحوا فيما دعوه إليه و لم يمنعهم إبانته عليه السلام من الإجابة عن الالحاح فيما أرادوا و اذكروه بالله عزّ و جلّ و قالوا له إنه لا يصلح لامامة المسلمين سواك و لا نجد أحدا يقوم بهذا الأمر غيرك يصلح أمور الدين و يقوم لحياطة الاسلام و المسلمين فبايعوه عليه السلام على السمع و الطاعة.

«أول خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما بويع له بالخلافة»

«و اختلاف الأقوال فيه و التوفيق بينهما على التحقيق»

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص 457 ج 3 طبع مصر 1357 هـ):

بويع علي عليه السلام يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة فأول خطبة خطبها علي عليه السلام حين استخلف فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن سليمان بن أبي المغيرة عن علي بن الحسين: حمد الله و أثنى عليه فقال: إن الله عزّ و جلّ أنزل كتابا هاديا

ص: 357

بَيِّن فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَخَذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعَا الشَّرَّ، الْفَرَانِضُ أَدْوَاهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَمًا غَيْرَ مَجْهُولَةٍ وَفَضَلَ حَرَمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمِ مِنْ سَلَمِ النَّاسِ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ لَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ الْمَوْتَ فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَإِنْ مَا مِنْ خَلْفِكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ تَخْفَفُوا تَلْحَقُوا فَاتَّمَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ أَخْرَاهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَهُ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ إِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالبِهَائِمِ أَطِيعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَا تَعْصُوهُ وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخَذُوا بِهِ وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَدَعُوهُ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ.

أقول: أتى بهذه الخطبة الرضى رضى الله عنه فى النهج و بين النسختين تفاوت فى بعض العبارات فارجع إلى الخطبة 166 من النهج أولها: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَخَذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْدَفُوا عَنِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا - إلى آخرها.

ثمّ الظاهر أن الخطبة 21 من النهج و هى قوله عليه السّلام «فإنّ الغاية أمامكم وإنّ ورائكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر بأولكم آخركم» التى جعلها الرضى خطبة بحيالها جزء من تلك الخطبة و الاختلاف بين الخطبتين فى النهج فى كلمة واحدة فقط لأنها فى الخطبة 21 تكون «فان الغاية أمامكم» و فى الخطبة 166 «فان الناس أمامكم» و إنما افرد ذلك الجزء بالذكر لأنه جمع و جازة الألفاظ و جزالة المعنى على حدّ كلّت ألسن الناس عن أن تأتى بمثله و تنفّوه بشبهه و هو كما قال الرضى: لو وزن بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله صلّى الله عليه و آله بكل كلام لمال به راجحا و برز عليه سابقا، قال: فأما قوله عليه السّلام تخففوا تلحقوا فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر محصولا، إلى آخر ما قال.

ثمّ إنّ ابن قتيبة الدينورى قال فى الإمامة و السياسة: و ذكروا أنّ البيعة لما تمت بالمدينة خرج علىّ عليه السّلام إلى المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالى و أثنى عليه و وعد الناس من نفسه خيرا و تألفهم جهده ثمّ قال عليه السّلام: لا يستغنى

الرجل وإن كان ذا مال و ولد عن عشيرته و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم هم أعظم النَّاس حِيطة من ورائه و إليهم سعيه و أعطفهم عليه إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور و من يقبض يده عن عشيرته فأنه يقبض عنهم يدا واحدة و تقبض عنه أيد كثيرة و من بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته، و اعلموا أنَّ لسان صدق يجعله الله للمرء في النَّاس خير له من المال فلا يزدادنَّ أحدكم كبرياء و لا عظمة في نفسه و لا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذى لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه، و اعلموا أنَّ الدنيا قد أدبرت و الآخرة قد أقبلت ألا و إن المضممار اليوم و السبق غدا ألا و إن السبقة الجنَّة و الغاية النار ألا إنَّ الأمل يسهى القلب و يكذب الوعد و يأتي بغفلة و يورث حسرة فهو غرور و صاحبه في عناء فافزعوا إلى قوام دينكم و إتمام صلاتكم و أداء زكاتكم و التَّصيحة لا مامكم و تعلّموا كتاب الله و اصدقوا الحديث عن رسول الله صلَّى الله عليه و آله و أوفوا بالعهد إذا عاهدتم و أدّوا الأمانات إذا اتتمتم و ارغبوا في ثواب الله و ارهبوا عذابه و اعملوا الخير تجزوا خيرا يوم يفوز بالخير من قدم الخير.

أقول: هذه الخطبة المنقولة من الدينورى المذكورة فى النهج (الخطبة 28) و نقلها المفيد فى الارشاد مبتدأة من قوله عليه السَّلام و اعلموا أنَّ الدنيا قد أدبرت و لم يبيَّن بأنَّ الخطبة خطبها عليه السَّلام لما تمت البيعة له عليه السَّلام كما صرَّح به الدينورى مع أنَّ بين النسخ اختلافاً سيما بين ما فى الإمامة و السياسة و بين ما فى النهج و الإرشاد.

و لا يخفى أنَّ ظاهر كلام الدينورى أنَّ ما نقله هو أوَّل خطبة خطبها بعد تمام البيعة و إن كان يمكن بالدقة أن يستفاد منه عدم كونه أوَّل خطبة خطبها فى خلافته عليه السَّلام لكنه خلاف الظاهر من عبارته.

ثمَّ إنَّ المفيد قدس سرّه قال فى الجمل (ص 77 طبع النجف): قوله عليه السَّلام فى أوَّل خطبة خطبها بعد قتل عثمان و بيعة النَّاس له: قد مضت امور كنتم فيها غير محمودى الرأى أما لو أشاء لقلت و لكن عفى الله عما سلف سبق الرجالن و قام الثالث كالغراب همته بطنه و فرجه يا ويله لو قصَّ جناحه و قطع رأسه لكان خيرا له حتّى

انتهى إلى قوله - وقد أهلك الله فرعون و هامان و قارون، فما يتصل بهذه الخطبة إلى آخرها.

أقول: ما نقله المفيد «ره» مذكور بعضها في الخطبة 177 من النهج أولها:

لا يشغله شأن و لا يغيّره زمان و لا يحويه مكان و لا يصفه لسان لا يعزب عنه عدد قطر الماء - إلى آخرها - و صرّح الشارح المحقق ابن ميثم البحراني رحمه الله في شرح النهج (ص 354 طبع 1276 المطبوعة بالحجر) بأنّ هذه الخطبة اعنى الخطبة 177 من النهج خطب بها أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام بعد مقتل عثمان في أوّل خلافته كما أنّه و الشارح الفاضل المعتزلي و الشريف الرضى و الطبرى وغيرهم صرّحوا بأنّ الخطبة 166 من النهج المذكورة أنفا أوّل خطبة خطبها في أوّل خلافته.

«التوفيق بين تلك الأقوال و وجه الجمع فيها»

فبعد الفحص و التتبع و الغور في الأخبار و السير و الأقوال و التأمل في فحوى الخطب الموسومة من النهج حصل لنا أنّ الخطبة 21 من النهج و الخطبة 28 و الخطبة 166 و الخطبة 177 كانت جميعا خطبة واحدة خطبها عليه السّلام في أوّل خلافته و ذكر المؤلفون في كلّ موضع جزء منها فتشتت في النهج فجعل كل جزء خطبة على حدة. فلنرجع إلى ما كتّنا فيه.

«الناكثان طلحة و الزبير و علة نكثهما بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)»

و اعلم أنّ ظاهر الفتنة بالبصرة إنما أحدثه طلحة و الزبير من نكث البيعة التي بذلاها لأمر المؤمنين عليه السّلام طوعا و اختيارا و ايثارا و خروجهما عن المدينة إلى مكة على اظهار منهما ابتغاء العمرة فلما وصلها اجتمعا مع عائشة و عمّال عثمان الهاربيين بأموال المسلمين إلى مكة طمعا فيما احتجبه منها و خوفا من أمير المؤمنين عليه السّلام و اتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان و التعلّق عليه في ذلك بانحياز قتلة عثمان و حاصرته و خاذليه من المهاجرين و الأنصار و أهل مصر و العراق و كونهم جندا له و أنصارا و اختصاصهم به في حربهم منه و مظاهرتهم لهم بالجميل و قوله فيهم الحسن من

الكلام و ترك إنكار ما منعه بعثمان و الأعراض عنهم فى ذلك، و شبهوا بذلك على الضعفاء و اغتروا به السفهاء و أوهموهم بذلك لظلم عثمان و البراءة من شىء يستحق به ما صنع به القوم من احصاره و خلعه و المنازعة إلى دمه فأجابهم إلى مرادهم من الفتنة من استغوه بما وصفناه و قصدوا البصرة لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان و أصحاب عامله ابن عمه كان بها و هو عبد الله بن كريز بن عامر و كان ذلك منهم ظاهرا و باطنا بخلافه كما تدلّ عليه الأخبار و يوضح عن صحة الحكم به الاعتبار، ألا ترى أن طلحة و الزبير و عائشة باجماع العلماء بالسير و الآثار هم الذين كانوا أوكد السبب لخلع عثمان و حصره و قتله و أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يزل يدفعهم عن ذلك و يلطف فى منعهم عنه و يبذل الجهد فى إصلاح حاله مع المنكرين عليه العائنين له بأفعاله و المحتجّين عليه بأقواله فلنذكر طائفة من الأخبار فى سبب نكث طلحة و الزبير البيعة و إثارتها فتنة الجمل.

فى الامامة و السياسة للدينورى: ذكروا أنّ الزبير و طلحة أتيا عليّا عليه السلام بعد فراغ البيعة فقالا: هل تدرى على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ قال عليّ عليه السلام:

نعم على السمع و الطاعة و على ما بايعتم عليه أبا بكر و عمر و عثمان، فقالا: لا و لكنّا بايعناك على أنا شريكاك فى الأمر. قال عليّ عليه السلام: لا، و لكنكما شريكان فى القول و الاستقامة و العون على العجز و الأولاد. قال: و كان الزبير لا يشكّ فى ولاية العراق و طلحة فى اليمن فلما استبان لهما أنّ عليّا غير موّليهما شيئا أظهرها الشكاة فتكلم الزبير فى ملاء من قریش، فقال: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له فى أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل و هو جالس فى بيته و كفى الأمر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا، فقال طلحة: ما اللوم إلّا أنا كُنّا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا و بايعناه و أعطيناه ما فى أيدينا و منعنا ما فى يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا. قال: فانتهى قولهما إلى عليّ عليه السلام فدعا عبد الله بن عباس و كان استوزره، فقال له: بلغك قول هذين الرجلين؟ قال: نعم، بلغنى قولهما. قال: فما ترى؟ قال: أرى أنّهما أحبّبا الولاية فولّ البصرة الزبير و ولّ طلحة الكوفة فانهما ليسا

بأقرب إليك من الوليد و ابن عامر من عثمان، فضحك عليّ عليه السّلام ثمّ قال: ويحك إنّ العراقيين بهما الرجال و الأموال و متى تملكا رقاب النّاس يستميلا السفيه بالطمع و يضربا الضعيف بالبلاء و يقويا على القوى بالسلطان، و لو كنت مستعملا أحدا لضرّه و نفعه لاستعملت معاوية على الشام و لولا ما ظهر لى من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى. قال: ثمّ أتى طلحة و الزبير إلى عليّ عليه السّلام فقالا: يا أمير المؤمنين ائذن لنا إلى العمرة فان تقم إلى انقضائها رجعنا إليك و إن تسر نتبعك، فنظر إليهما عليّ عليه السّلام و قال: نعم، و الله ما العمرة تريدان و إنّما تريدان أن تمضيا إلى شأنكما فمضيا.

و قال المسعودى فى مروج الذهب: انهما استأذنا عليّا عليه السّلام فى العمرة فقال عليه السّلام لعلكما تريدان البصرة و الشام فأقسما أنّهما لا يريدان غير مكّة.

أقول: و سيأتى طائفة من الأقوال و الأخبار فيهما بعيد هذا و إنّ ما يستفيد المتتبع الخبير من سبب نكث الرجلين البيعة هو بأسهما ممّا كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البيعة لأحدهما بالامامة و اتّساق الأمر فى البيعة لعلّى بن أبى طالب ثمّ أنّه عليه السّلام ما وليهما شيئا لأنّهما لم يكونا أهلا لذلك لما قد سمعت و تأكد سبب النكث بذلك.

فى الجمل للمفيد: لما أيس الرجلان من نيل ما طمعا فيه من التأمّر على الناس و التملّك لأمرهم و بسط اليد عليهم و وجدوا الأمة لا تعدل بأمر المؤمنين عليه السّلام أحدا و عرفا رأى المهاجرين و الأنصار و من ذلك أرادا الحظوة عنده بالبدار إلى بيعته و ظنا بذلك شركائه فى أمره و تحقّقا أنّهما لا يليان معه أمرا و استقر الأمر على أمير المؤمنين عليه السّلام ببيعة المهاجرين و الأنصار و بنى هاشم و كافة النّاس إلّا من شدّد من بطانة عثمان و كانوا على خفاء لاشخاصهم مخافة على دمائهم من أهل الايمان، فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فطلب منه طلحة و ولاية العراق و طلب منه الزبير و ولاية الشام فأمسك عليّ عليه السّلام عن إجابتهم فى شىء من ذلك فانصرفا و هما ساخطان و قد عرفا ما كان غلب فى ظنهما قبل من رأيه فتركاه يومين أو ثلاثة أيّام ثمّ صارا إليه و استأذنا عليه

فأذن لهما و كان في عليه داره فصعدا إليه و جلسا عنده بين يديه و قالوا يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة و ما نحن فيه من الشدة و قد جنناك لتدفع إلينا شيئا نصلح به أحوالنا و نقضى به حقوقا علينا.

فقال عليه السلام قد عرفت ما لى بينبع(1) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر.

فقالا: لا حاجة لنا فى مالك بينبع فقال عليه السلام لهما: ما أصنع؟ فقالا له: أعطنا من بيت المال شيئا لنا فيه كفاية. فقال عليه السلام سبحان الله و أى يدلى فى بيت المال و ذلك للمسلمين و أنا خازنهم و أمين لهم، فإن شئتما رقيتما المنبر و سألتما ذلك ما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت، و أتى لى بذلك و هو لكافة المسلمين شاهدهم و غائبهم لكنى أبدى لكما عذرا فقالا ما كنا بالذى نكلفك ذلك و لو كلفناك لما أجابك المسلمون فقال لهما: فما أصنع؟ قالوا: قد سمعنا ما عندك ثم نزلنا من العليّة و كان فى أرض الدار خادمة لأمير المؤمنين عليه السلام سمعتهما يقولان: و الله ما بايعنا بقلوبنا و إن كنا بايعنا بألسنتنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَ يُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (الفتح: 11) فتركاه يومين آخرين و قد جاءهما الخبر بإظهار عائشة بمكة ما أظهرته من كراهة أمره و كراهة من قتل عثمان و الدعاء إلى نصره و الطلب بدمه و أن عمّال عثمان قد هربوا من الأمصار إلى مكة بما احتجبهوا من أموال المسلمين و لخوفهم من أمير المؤمنين عليه السلام و من معه من المهاجرين و الأنصار و أن مروان بن الحكم ابن عم عثمان و يعلى بن منبه خليفته و عامله كان باليمن و عبد الله بن عامر بن كريز ابن عمه و عامله كان على البصرة و قد اجتمعوا مع عائشة و هم يدبرون الأمر فى الفتنة فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام و تيمّما وقت خلوته فلما دخلا عليه قالوا يا أمير المؤمنين قد جنناك نستأذنك للخروج فى العمرة لأننا بعيد العهد بها ائذن لنا فيها.

ص: 363

1- (1) قد مضى البيان فى ينبع فى شرح الكلام 238 من المختار فى باب الخطب فراجع.

فقال عليه السلام: والله ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الغدرة، وإنما تريدان البصرة. فقالا: اللهم غفرا ما نريد إلا العمرة. فقال عليه السلام احلفا لي بالله العظيم انكما لا تفسدان علي أمر المسلمين ولا تتكثان لي ببيعة ولا تسعيان في فتنة فبدلا ألسنتهما بالإيمان المؤكدة فيما استحلفهما عليه من ذلك.

فلما خرجا من عنده عليه السلام لقيهما ابن عباس فقال لهما: أذن لكما أمير المؤمنين؟ فقالا: نعم. فدخل على أمير المؤمنين فابتدأه عليه السلام فقال: يا ابن عباس! أ عندك الخبر؟ قال: قد رأيت طلحة و الزبير فقال عليه السلام انهما استأذناني في العمرة فأذنت لهما بعد أن استوثقت منهما بالإيمان أن لا يغدرا و لا ينكثا و لا يحدثا فسادا و الله يا ابن عباس و إني أعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة فكأنى بهما و قد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي فإن يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق و فارس لينفق ذلك و سيفسدان هذان الرجلان علي أمري و يسفكان دماء شيعتي و أنصاري.

قال عبد الله بن عباس: إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوم فلم أذنت لهما و هلا حبستهما و أوثقتهما بالحديد و كفيت المسلمين شرهما؟ فقال عليه السلام: يا ابن عباس أ تأمرني بالظلم بدءا و بالسيسة قبل الحسنة و أعاقب على الظنة و التهمة و أؤاخذ بالفعل قبل كونه؟ كلا و الله لا عدلت عما أخذ الله علي من الحكم و العدل و لا ابتداء بالفصل يا ابن عباس انني أذنت لهما و أعرف ما يكون منهما و لكنني استظهرت بالله عليهما و الله لأقتلنهما و لأخيبن ظنهما و لا يلقيان من الأمر مناهما و أن الله يأخذهما بظلمهما لي و نكثهما بيعتي و بغيهما علي.

أقول: قد علمت سابقا ممّا نقلنا من الفريقين أنّ طلحة كان أوّل من رمى بسهم في دار عثمان و قال: لا نعمته عينا و لا تركه يأكل و لا يشرب، و لما حيل بين أهل دار عثمان و بين الماء فنظر الزبير نحوهم و قال و حيل بينهم و بين ما يشتهون - الآية، و غير ذلك ممّا قالوا لعثمان و فعلوا به ممّا لا حاجة إلى إعادته ثمّ دريت أنهما أوّل من بايع عليّا عليه السلام على ما قد فصّلنا و بيّنا ثمّ نكثا بيعته بالسبب الذي ذكرناه و العجب أنهما مع ما فعلا بعثمان جعلوا دم عثمان مستمسكا و نهضا إلى طلب

دمه فحارباً أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته الموحدين المسلمين و من تأمل حق التأمل في جميع ما قدمنا علم أنّهما و أضرابهما لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية في الدين و لا نصيحة للمسلمين و أنّ الذي أظهره من الطلب بدم عثمان إنّما كان تشبيهاً و تلبيساً على العامة و المستضعفين. نعوذ بالله من همزات الشياطين و نسأله أن لا يجعل الدنيا أكبر همّنا فإنها رأس كلّ خطيئة و أسّها.

«خلاف عائشة على علي (عليه السلام) و أطوار أحوالها و أقوالها فيه (عليه السلام) و في عثمان»

قد علمت ممّا سبق أن عائشة كانت أول من طعن على عثمان و أطمع الناس فيه و كانت تقول: اقتلوا نعثلاً و صرّحت بأنه طاغية و أمرت بقتل عثمان و نادته بقولها يا غدر يا فجر و أرائته قميص رسول الله صلّى الله عليه و آله و نعليه و قالت له انها لم يتغير و أنت غيرت سنته، و نهت ابن عباس عن أن يرد الناس عن قتل الطاغية تعنى بالطاغية عثمان و غيرها ممّا نقلناها من الفريقين. هذا هو طور.

ثمّ لما قتل عثمان بن عفان خرج البغاة إلى الافاق فلما وصل بعضهم إلى مكّة سمعت بذلك عائشة فاستبشرت بقتله و قالت قتلت عماله إنّهُ أحرق كتاب الله و أمات سنة رسول الله صلّى الله عليه و آله فقتله الله، فقالت للناعى: و من بايع الناس؟ فقال لها الناعى: لم أبرح من المدينة حتّى أخذ طلحة بن عبد الله نعاجاً لعثمان و عمل مفاتيح لأبواب بيت المال و لا شك أنّ الناس قد بايعوه فقالت اى هذا لأصبيح و جدوك لها محسناً و بها كافياً، ثمّ قالت شدّوا رحلى فقد قضيت عمرتى لأتوجه إلى منزلى فلما شدوا رحالها و استوت على مركبها سارت حتّى بلغت شرقاء (موضع معروف بهذا الاسم) لقيها إبراهيم بن عبيد بن أمّ كلاب فقالت: ما الخبر؟ فقال: قتل عثمان، قالت: قتل نعثلاً، فقالت: أخبرنى عن قصّته و كيف كان أمره؟ فقال لها:

لما أحاط الناس بالدار رأيت طلحة بن عبد الله قد غلب على الأمر و اتخذ مفاتيح على بيوت الأموال و الخزائن و تهيأ لبياع له فلما قتل عثمان مال الناس إلى على بن أبى طالب و لم يعدلوا به طلحة و لا غيره و خرجوا فى طلب علىّ يقدمهم الأشر

و محمد بن أبى بكر و عمّار بن ياسر حتّى أتوا عليّ و هو فى بيت سكن فيه فقالوا له بايعنا على الطاعة لك فتفكر ساعة فقال الأشر: يا عليّ إنّ الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن يختلف الناس، قال و كان فى الجماعة طلحة و الزبير فظننت أن سيكون بين طلحة و الزبير و عليّ كلام قبل ذلك، فقال الأشر لطلحة: قم يا طلحة فبايع ثمّ قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا و أنا أرى أيديهما على يد عليّ يصفقانهما بيعة ثمّ صعد عليّ بن أبى طالب المنبر فتكلّم بكلام لا أحفظ إلاّ أنّ الناس بايعوه يومئذ على المنبر و بايعوه من الغد فلمّا كان اليوم الثالث خرجت و لا أعلم ما جرى بعدى.

فقلت: يا أبا بنى بكر أنت رأيت طلحة بايع عليّ؟ فقلت: اى و الله رأيت بايعه و ما قلت إلاّ رأيت طلحة و الزبير أوّل من بايعه فقلت: إنّ الله اكره و الله الرّجل و غضب عليّ بن أبى طالب أمرهم و قتل خليفة الله مظلوما، ردّوا بغالى فرجعت إلى مكّة، قال: و سرت معها فجعلت تسألنى فى المسير و جعلت اخبرها ما كان فقالت لى هذا بعهدى و ما كنت أظن أنّ الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم احد، قلت فإنّ كان بالبلاء فصاحبه الذى بويع ذو بلاء و عناء، فقلت يا أبا بنى بكر لا نسألك هذا غير حتّى إذا دخلت مكّة فسألك الناس ما ردّ أمّ المؤمنين فقل: القيام بدم عثمان و الطلب به.

و جاءها يعلى بن منبه فقال لها: قد قتل خليفتك الذى تحرضين على قتله فقلت: برأت إلى الله ممّن قتله، قال: الان، ثمّ قال لها: أظهرى البراءة ثانيا من قاتله.

فخرجت عائشة إلى المسجد فابتدأت بالحجر فتسترت فيه و نادى مناديهما باجتماع الناس إليها فلمّا اجتمعوا تكلمت من وراء الستر و جعلت تبرأ ممّن قتل عثمان و تدعو إلى نصرة عثمان و تنعاه إلى الناس و تبكيه و تشهد أنّه قتل مظلوما و جاءها عبد الله بن الحضرمى عامل عثمان على مكّة فقال: قرّت عينك قتل عثمان و بلغت ما أردت من أمره، فقلت: سبحان الله أنا طلبت قتله إنّما كنت عاتبة

عليه من شىء أرضانى فيه قتل و الله من خير من عثمان بن عفان و أرضى عند الله و عند المسلمين و الله ما زال قاتله (تعنى أمير المؤمنين عليًا عليه السلام) مؤخرًا منذ بعث محمد صلى الله عليه و آله و بعد أن توفى عدل عنه الناس على خيرة من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و لا يرونه أهلاً للأمر و لكنه رجل يحب الإمرة و الله لا تجتمع عليه و لا على أحد من ولده إلى قيام الساعة. ثم قالت: معاشر المسلمين ان عثمان قتل مظلوما و لقد قتل عثمان من اصبح عثمان خيرا منه و جعلت تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين و تحثهم على نقض عهده.

قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ: إن عائشة لما انتهت إلى سرف راجعة فى طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أمّ كلاب (1) و هو عبد بن أبى سلمة ينسب إلى امّه فقالت له مهيم؟ قال قتلوا عثمان فمكثوا ثمانيا، قالت: ثم صنعوا ما ذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبى طالب فقالت: و الله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة و هى تقول: قتل و الله عثمان مظلوما و الله لأطلبن بدمه. فقال لها ابن أمّ كلاب: و لم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت و لقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه و قد قلت و قالوا و قولى الأخير خير من قولى الأول فقال لها ابن أمّ كلاب:

منك البداء و منك الغير و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الإمام و قلت لنا إنه قد كفر

فهبنا أطعناك فى قتله و قاتله عندنا من أمر

و لم يسقط السقف من فوقنا و لم ينكسف شمسنا و القمر

و قد بايع الناس ذا تدر إيزيل الشبا و يقيم الصعر

و يلبس للحرب أثوابها و ما من و فى مثل من قد غدر

ص: 367

1- (1) هذا الرجل ذكر اسمه فى الإمامة و السياسة: عبيد، و فى الجمل للمفيد: ابراهيم ابن عبد بن ام كلاب.

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس فقالت: يا أيها الناس إن عثمان قتل مظلوماً و
الله لأطلبن بدمه.

بيان

مهيم على وزان جعفر كلمة استنفهم يستفهم بها معناها ما حالك، و ما شأنك و ما حدث، و ما الخبر، و امثالها المناسبة للمقام. قولها:
ليت أن هذه انطبقت على هذه. تعنى أن السماء انطبقت على الأرض.

ثم لما تجهز القوم وعبوا العسكر و خرجوا إلى البصرة لاثارة الفتنة و إثارة الحرب و كانت عائشة معهم على الجمل الأدب انتهوا في الليل
إلى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب حتى نفرت صعاب ابلها فقالت: ما اسم هذا
الموضع؟ فقال لها السائق لجمالها: الحوأب فاسترجعت و ذكرت ما قيل لها في ذلك فأمسكت زمام بعيرها فقالت و إنها لكلاب الحوئب
ردوني ردوني إلى حرم رسول الله لا حاجة لي في المسير فأتى سمعت رسول الله يقول: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب التي
تنبحها كلاب الحوئب فيقتل عن يمينها و يسارها قتلى كثيرة.

فقال ابن الزبير: بالله ما هذا الحوأب و لقد غلط فيما أخبرك به و كان طلحة في ساقية الناس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب فلفقوا لها
خمسين أعرابيا جعلوا لهم جعلاً فحلفوا لها أن هذا ليس بماء الحوأب فسارت لوجهها. قال المسعودي في مروج الذهب، شهد مع ابن
الزبير و طلحة خمسون رجلاً ممن كان معهم فكان ذلك أول شهادة زورا قيمت في البصرة. انتهى كلامه.

و قال الدينوري في الإمامة و السياسة: فقال لها محمد بن طلحة: تقدمي رحمك الله و دعى هذا القول. و أتى عبد الله بن الزبير فحلف لها
بالله لقد خلفته أول الليل و أتاها ببينة زور من الأعراب فشهدوا بذلك فزعموا أنها أول شهادة

وروى أبو جعفر الطبري في التاريخ بإسناده عن الزهري (ص 485 ج 3 طبع مصر 1357 هـ) قال: بلغني أنه لما بلغ طلحة والزبير منزل عليّ بن أبي طالب انصرفوا إلى البصرة فأخذوا على المنكدر فسمعت عائشة نباح الكلاب فقالت أيّ ماء هذا؟ فقالوا الحوآب فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون إنّي لهيه قد سمعت رسول الله يقول وعنده نساؤه ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب فأرادت الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال كذب من قال إن هذا الحوآب ولم يزل حتّى مضت.

أقول: حديث الحوآب ممّا اتفق به الفريقان وروته الخاصّة والعامة بطرق عديدة وأسانيد كثيرة.

بيان

قال ابن الأثير في النهاية: وفي الحديث أنه صلّى الله عليه وآله قال لنسائه ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبجها كلاب الحوآب، أراد الأدب فأظهر الإدغام لأجل الحوآب، والأدب: الكثير وبر الوجه. والمنقول من السيوطي في بعض تصانيفه انه قد يفك ما استحق الإدغام لاتباع كلمة أخرى كحديث ايتكن صاحبة الجمل - إلخ. قولها: إني لهيه، اللام لام الابتداء تدخل بعد انّ المكسورة وتسمى اللام المزحلقة بالقاف والفاء وبنو تميم يقولون زحلوقة بالقاف وأهل العالية زحلوقة بالفاء سميت بذلك لأن أصل إن زيدا لقائم مثلا لأن زيدا قائم فكروا افتتاح الكلام بحرفين مؤكدين فزحلوقوا اللام دون أن لتلا يتقدّم معمولها عليها.

وهي ضمير راجعة إلى المرأة والها في آخره للسكت نحو قوله تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ» (القارعة: 8). ونقل الحديث في الإمامة والسياسة للدينوري هكذا:

قالت سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول لنسائه كآني باحداكنّ قد نبجها كلاب الحوآب وإياك أن تكوني أنت يا حميراء - ص 63 ج 1 طبع مصر 1377 هـ.

ثمّ قال أبو جعفر الطبري في التاريخ: إنّ عائشة في فتنة الجمل ركبت

جملها و كان جملها يدعى عسكرا و البسوا هودجها الأذراع و قتل يومئذ سبعون رجلا كلهم يأخذ بخطام الجمل فلما عقر الجمل و هزم الناس احتمل محمد بن أبي بكر عائشة فضرب عليها فسقط فوقه علي عليه السلام عليها فقال: استفزت الناس و قد فزوا فألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشة: يا ابن أبي طالب ملكت فأسجح نعم ما ألبت قومك اليوم، فسرحها علي عليه السلام و أرسل معها جماعة من رجال و نساء و جهّزها و أمر لها باثني عشر ألفا - إلى آخر ما قال.

ثم قال الفاضل الشارح المعتزلي (ص 159 ج 2 طبع طهران 1302 هـ):

قد تواترت الرواية عنها باظهار الندم انه كانت تقول لبيته كان لي من رسول الله صلى الله عليه و آله بنون عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام و ثكلتهم و لم يكن يوم الجمل، و أنها كانت تقول: ليتني مت قبل يوم الجمل، أنها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكي حتى تبلّ خمارها.

أقول: و ممّا ذكرنا من الفريقين من اختلاف أقوالها و أطوار أحوالها دريت أن المرأة كالرجلين طلحة و الزبير ما أظهرت من الطلب بدم عثمان إنما كان تشبيها و تلبيسا على العامة و المستضعفين و أنّ القوم لم يكونوا فيما صنعه على جميل طوية في الدين و لا نصيحة للمسلمين و علمت من فعل عائشة أنها كانت عمدت على التوجه إلى المدينة قبل أن تعرف ما كان من أمر المسلمين راجية بتمام الأمر بعد عثمان لطلحة و الزبير زوج اختها فلما صارت ببعض الطريق لقيت الناعي لعثمان فاستبشرت بنعيه له فلما اخبرت أنّ البيعة تمت لأمر المؤمنين ساءها ذلك و أحزنها و أظهرت الندم على ما كان منها في التأليب على عثمان فأسرعت راجعة إلى مكة حتى فعلت ما فعلت. على أن عائشة كانت تبغض عليا عليه السلام و إنما أثارت الفتنة و حثت القوم عليه عليه السلام بالعداوة و الشنآن و من ذلك ما رواه كافة العلماء عنها أنها كانت تقول لم يزل بيني و بين علي من التباعد ما يكون بين بنت الأحماء و منهم أبو جعفر الطبري رواه في التاريخ ج 3 ص 547 طبع مصر 1357 هـ.

و من ذلك أيضا ما رواه كافة العلماء و منهم الطبري في التاريخ ص ج 2 433

ص: 370

روى بإسناده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا مَرَضَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِيَ فِيهِ - إِلَى أَنْ قَالَتْ - وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَدَعَا نِسَاءَهُ فَاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يَمْرُضَ فِي بَيْتِي فَأُذِنَ لَهُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ أَحَدُهُمَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٌ آخَرٌ تَخَطَّ قَدَمَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأَرْضَ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتِي، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ: قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ؟ قُلْتُ لَا، قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لَا تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ تَذَكُرَهُ بِخَيْرٍ وَهِيَ تَسْتَطِيعُ.

و من ذلك ما رواه الشيخ الأجل المفيد قدّس سرّه في الجمل ص 68 طبع النجف: لما قتل أمير المؤمنين عليه السّلام جاء الناعي فنعى أهل المدينة فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

فإن يك ناعيا فلقد نعاها بناع ليس في فيه التراب

فقال لها زينب بنت أبي سلمى: العلى تقولين؟ فتضحكت ثم قالت أنسى فاذا نسيت فذكروني ثم خرّت ساجدة شكرا على ما بلغها من قتله ورفعت رأسها وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

وقال (ره) هذا من الأخبار التي لا ريب فيها ولا مريبة في صحتها لاتفاق الرواة عليها.

و من ذلك ما في الجمل أيضا وقد روى عن مسروق أنّه قال: ادخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبد الرحمن قالت: عبدى، قلت لها: فكيف سمّيته عبد الرحمن؟ قالت حبا لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علىّ.

و من ذلك الخبر المشهور الذي رواه نقلة الاثار انه لما بعث إليها أمير المؤمنين عليه السّلام بالبصرة أن ارتحلي عن هذه البلدة قالت لا أريتم مكانى هذا فقال لها أمير المؤمنين عليه السّلام أم والله لترتحلين أو لأنفذن إليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشقاق حداد فقالت لرسوله ارتحل فبالله احلف ما كان مكان أبغض

إلى من مكان يكون هو فيه. وغيرها من الأخبار الواردة في بغضها أمير المؤمنين عليه السلام.

«خروج عائشة و طلحة و الزبير و اتباعهم و اشياهم»

«من مكة إلى البصرة»

لما تم أمر البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام و أيس طلحة و الزبير مما كانا يرجوان به من قتل عثمان من البيعة لأحدهما بالإمامة و تحققت عائشة تمام الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام و عرف عمال عثمان أن أمير المؤمنين عليه السلام لا يقربهم على ولاياتهم و انهم إن ثبتوا في أماكنهم أو صاروا إليه طالبهم الخروج مما في أيديهم من أموال الله تعالى و حذروا من عقابه على تورطهم في خيانة المسلمين عمل كل فريق منهم على التحرز منه و احتال في الكيد له و اجتهد في تفريق الناس عنه ففسار القوم من كل مكان إلى مكة استعاذة بها و سكنوا إلى ذلك المكان و عائشة بها و طمعوا في تمام كيدهم لأمير المؤمنين للتحيز إليها و التمويه على الناس بها و جعلت عائشة تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين و تحثهم على نقض عهده و لحق إلى مكة جماعة من منافقي قريش و صار إليها عمال عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين عليه السلام و لحق بها عبد الله بن عمر بن الخطاب و أخوه عبيد الله و مروان بن الحكم و أولاد عثمان و عبيده و خاصته من بنى أمية و انحازوا إليها و جعلوها الملجأ لهم فيما دبروه من كيد أمير المؤمنين عليه السلام.

ولما عرف طلحة و الزبير حال القوم عمدا على اللحاق بها و التعاضد على شقاق أمير المؤمنين فاستأذنا أمير المؤمنين في العمرة كما نقلنا أنفا و سارا إلى مكة خالعين الطاعة و ناكثين البيعة و كان ظهورهما إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر فلما وردا إليها فيمن تبعهما من أولادهما و خاصتهما طافا بالبيت طواف العمرة و سعيا بين الصفا و المروة و بعثا إلى عائشة عبد الله بن الزبير بالخروج على أمير المؤمنين عليه السلام.

ص:372

و جعل عبد الله بن أبي ربيعة يحرض الناس على الخروج و كان قد صحب مالا جزبلا فانفقه فى جهاز الناس إلى البصرة، و كان يعلى بن منبه التميمى عاملا لعثمان على الجند فوافى الحج ذلك العام فلما بلغه قول ابن أبي ربيعة خرج من داره و قال: أيها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه و حمل معه عشرة آلاف دينار فجعل يعطيها الناس و اشترى أربعمائة بعير و أناخها بالبطحاء و حمل عليها الرجال.

و لما اتصل أمير المؤمنين عليه السلام خبر ابن أبي ربيعة و ابن منبه و ما بذلاه من المال فى شقاقه و الإفساد عليه قال: و الله إن ظفرت بابن منبه و ابن أبي ربيعة لأجعلن أموالهما فى سبيل الله، ثم قال: بلغنى أن ابن منبه بذل عشرة آلاف دينار فى حربى من أين له عشرة آلاف دينار سرقها من اليمن ثم جاء بها لأن وجدته لأخذته بما أقر به.

و لما رأت عائشة اجتماعهم بمكة من مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام تأهبت للخروج و منادياها يقول: من كان يريد المسير فليسر فإن أم المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة اجتمع طلحة و الزبير و عائشة و خواصهم و قالوا نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فإن بها شيعة عثمان و عامله عبد الله بن عامر و قد عمل على استمداد الجنود من فارس و بلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان و قد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ لنا الجنود من الشام فإن أبطينا من الخروج خفنا من أن يدهمنا على بمكة أو فى بعض الطريق فيمن يراى رأيه خوفا من أن يفرق كلمتنا و إذا أسرعنا المسير إلى البصرة و أخرجنا عامله منها و قتلنا شيعته بها و استعنا بأمواله منها كذا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب و إن أقام بالمدينة سيرنا إليه جنودا حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان و إن سار فهو كالى و نحن حامون و هو على ظاهر البصرة و نحن بها متحصنون فلا بد له إلا أن يريح المسلمين من فتنته.

قال المفيد فى الجمل: روى الواقدى عن أفلىح بن سعيد عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبى رافع عن ام سلمة زوجة النبى صلى الله عليه و آله قالت: كنت مقيمة بمكة تلك السنة حتى دخل المحرم فلم أر إلا برسول طلحة و الزبير جاعنى عنهما يقول ان ام المؤمنين عائشة تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان فلو خرجت معها رجونا أن يصلح بكما فتق هذه الأمة فأرسلت إليهما و الله ما بهذا امرت و لا عائشة لقد أمرنا الله أن نقرّ فى بيوتنا لا نخرج للحرب أو للقتال مع أن أولياء عثمان غيرنا و الله لا يجوز لنا عفو و لا صلح و لا قصاص و ما ذاك إلا لولد عثمان، و اخرى نقاتل على ابن أبى طالب أمير المؤمنين ذا البلاء بهذا الأمر و العناء و أولى الناس بهذا الأمر و الله ما أنصفتما رسول الله صلى الله عليه و آله فى نسائه حيث تخرجوهن إلى العراق و تركوا نساءكم فى بيوتكم.

ثم قال فيه: و بلغ ام سلمة اجتماع القوم و ما خاضوه فيه فبكت حتى اخضل خمارها ثم ادنت ثيابها فلبستها و تخفرت و مشت إلى عائشة لتعظها و تصدّها عن رأيها فى مظاهرة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة و تقعدها عن الخروج مع القوم فلما صارت إليها قالت: إنك عدت رسول الله صلى الله عليه و آله، و بين امته و حجابك مضروب على حرمة و قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و ملك خفرك فلا تضحيها لله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله صلى الله عليه و آله مكانك لو أراد أن يعهد إليك فعل بل نهاك عن الفرط فى البلاء و أن عمود الدين لا يقام بالنساء إن ائلم و لا يشعب بهنّ إن انصدع فصدع النساء غض الأطراف و حف الأعطاف و قصر الوهادة و ضم الذيول و ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه و آله عارضك ببعض الفلاة ناضه قلوفا من منهل إلى آخر أن قد هتكت صداقته و تركت عهده أن يغير الله بك لهواك على رسول الله صلى الله عليه و آله تردى و الله لو سرت سيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله صلى الله عليه و آله هاتكة حجابا قد ستره على اجعلى حصنك بيتك و قاعة البيت قبرك حتى

تلقينه و أنت على ذلك أطوع ما تكونى له ما لزمته و انظرى نبوع الدين ما حلت عنه.

فقال لها عائشة: ما أعرفى بوعظك و اقبلنى لنصحك و لنعم المسير مسير فزعت إليه و أنا بين سائرة و متأخرة فان انعد فمن غير حرج و إن أسير فإلى ما لا بدّ من الإزياد منه.

فلما رأته أم سلمة أن عائشة لا تقنع عن الخروج عادت إلى مكانها و بعثت إلى رهط من المهاجرين و الأنصار قالت لهم لقد قتل عثمان بحضرتكم و كانا هذان الرجلان - أعنى طلحة و الزبير - يشعيان عليه كما رأيتم فلما قضى أمره بايعا عليًا عليه السلام و قد خرجا الان عليه زعما أن يطلبوا بدم عثمان و يريدان أن يخرجوا حبيسة رسول الله صلى الله عليه و آله معهم و قد عهد إلى جميع نسائه عهدا واحدا أن يقرن فى بيوتهنّ فإن كان مع عائشة عهد سوى ذلك تظهره و تخرجه إلينا نعرفه فاتقوا الله عباد الله فإننا نأمركم بتقوى الله و الاعتصام بحبله و الله ولى لنا و لكم، فشق كثير على طلحة و الزبير عند سماع هذا القول من أم سلمة.

ثم أنفذت أم سلمة إلى عائشة فقالت لها: قد وعظتك فلم تتعظى و قد كنت أعرف رأيك فى عثمان و أنه لو طلب منك شربة ماء لمنعتيه ثم أنت اليوم تقولين إنه قتل مظلوما و تريدان أن تثيرى لقتال أولى الناس بهذا الأمر قديما و حديثا فاتقى الله حق تقاته و لا تعرّضى لسخطه.

فأرسلت إليها عائشة أمّا ما كنت تعرفيه من رأى فى عثمان فقد كان و لا أجد مخرجا منه إلاّ الطلب بدمه و أما على فانى أمره برّد هذا الأمر شورى بين الناس.

فانفذت إليها أم سلمة أما أنا فغير واعظة لك من بعد و لا مكلمة جهدى و طاقتى و الله إتنى لخائفة عليك البوار ثم النار و الله ليخيبن ظنك و لينصرن الله ابن أبى طالب على من بغى عليه و ستعرفين عاقبة ما أقول و السلام.

أقول: و قد أتى بما ذكرنا من تحذير أم سلمة عائشة ابن قتيبة الدينورى

فى الإمامة و السىاسة (ص 56 ج 1 طبع مصر 1377 هـ) و الفاضل الشارح المعتزلى ابن أبى الحديد فى الجزء الثانى من شرحه على نهج البلاغة، و بين النسخ اختلف فى بعض الجمل فى الجملة فى الأؤل: و قد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال و لا يراب بهنّ إن انصدع، حماديات النساء غض الأبصار و ضمّ الذبول.

«خروج على (عليه السلام) إلى الربذة»

لما تأهب القوم للمسير إلى البصرة جاء عليًا عليه السلام الخبر عن أمرهم قد توجهوا نحو العراق فدعا ابن عباس و محمد بن أبى بكر و عمّار بن ياسر و سهل بن حنيف و أخبرهم بذلك فقال أشيروا علىّ بما اسمع منكم القول فيه، فقال عمّار:

الرأى أن نسير إلى الكوفة فان أهلها لنا شيعة و قد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة، و قال ابن عباس: الرأى عندى يا أمير المؤمنين أن تقدم رجالا إلى الكوفة فيبايعوا لك و تكتب إلى الأشعري (يعنى أبى موسى الأشعري و كان عاملا لعثمان على الكوفة) أن يبايع لك ثم بعده المسير حتّى نلحق بالكوفة فنعاجل القوم قبل أن يدخلوا البصرة و تكتب إلى أم سلمة فتخرج معك فانها لك قوة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام بل أنهض بنفسى و من معى فى اتباع الطريق وراء القوم فان أدركتهم بالطريق أخذتهم و إن فاتونى كتبت إلى الكوفة و استمددت الجنود إلى الأمصار و سرت إليهم، و أمّا أم سلمة فانى لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة.

ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام فى الناس: تجهزوا للمسير فان طلحة و الزبير قد نكثا البيعة و نقضا العهد و أخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لاثارة الفتنة و سفك دماء أهل القبلة، ثم رفع يديه إلى السماء فقال:

اللهم إن هذين الرجلين قد بغيا علىّ و نكثا عهدى و نقضا عهدى و شقيانى بغير حقّ سومها ذلك اللهم خذهما بظلمهما و اظفرنى بهما و انصرنى عليهما ثم خرج فى سبعمائة رجل من المهاجرين و الأنصار و استخلف على المدينة تمام بن عباس و بعث قثم بن

عبّاس إلى مكة و لما رأى عليه السّلام التوجه إلى القوم ركب جملاً أحمر و هو يقول:

سيروا مبليين و حثوا السيرافى طلحة التميمى و الزبير

إذ جلبا شرا و عافا خيرا يا رب أدخلهم غدا سعيرا

و سار مجدا فى السير حتّى بلغ الرّبذة بين الكوفة و مكة من طريق الجادّة فوجد القوم قد فاتوا فنزل بها فأقام بها أياما فكتب إلى أهل الكوفة:

« كتاب على (عليه السلام) إلى أهل الكوفة من الرّبذة »

« و خطبته التى خطب بها الناس فى الرّبذة »

قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص 493 طبع مصر 1357 هـ): حدّثنى عمر قال:

حدثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم، عن محمّد بن عبد الرّحمان بن أبى ليلى عن أبيه قال كتب علىّ عليه السّلام إلى أهل الكوفة: بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فإنّى اخترتكم و النزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم و حبّكم لله عزّ و جلّ و لرسوله صلّى الله عليه و آله فمن جاءنى و نصرنى فقد أجاب الحقّ و قضى الذى عليه.

أقول: كتابه هذا ليس بمذكور فى النهج و نقله الطبرى على وجه آخر أيضا قال (ص 394 ج 3): كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد و طلحة قال: لما قدم علىّ عليه السّلام الرّبذة أقام بها و سرح منها إلى الكوفة محمّد بن أبى بكر و محمّد ابن جعفر و كتب إليهم إتّى اخترتكم على الأمصار و فزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا و أنصارا و أيدونا و انهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد لتعود الأمة إخوانا و من أحبّ ذلك و أثره فقد أحبّ الحقّ و أثره و من أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ و غمضه.

قال: فمضى الرجالن و بقى علىّ عليه السّلام بالرّبذة يتهيا و أرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة و سلاح و أمر أمره و قام فى الناس فخطبهم و قال:

إنّ الله عزّ و جلّ أعزّنا بالإسلام و رفعنا به و جعلنا به إخوانا بعد ذلة و قلة و تباغض و تباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الإسلام دينهم و الحقّ فيهم و الكتاب إمامهم حتّى اصيب هذا الرّجل بأيدى هؤلاء القوم الذى نزغهم الشيطان

ص: 377

لينزع بين هذه الأمة ألا إن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترت الأمم قبلهم فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال: إنه لابد مما كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تتحلنى ولا تعمل بعملى فقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وآله واتبعوا سنته وأعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله جلّ وعزّربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله نبيا وبالقرآن حكما وإماما.

أقول: ذلك الكتاب وهذه الخطبة أيضا ليسا بذكورين في النهج - ثم لا يخفى على المتصّلح في الايات القرآنية أن هذه الخطبة يبين لنا بطنا من بطون القرآن بل يظهر لنا سرا من أسرار القدر بأن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترت الأمم قبلهم فلعلّ هذا ما يشير إليه بعض الايات القرآنية يأتي هذه الأمة مثل الذين خلوا من قبلها.

ثم قال الطبرى: إنه عليه السلام بعث محمد بن أبى بكر إلى الكوفة ومحمد بن عون فجاء الناس إلى أبى موسى يستشيرونه فى الخروج فقال أبو موسى: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم، وبلغ المحمّدين قول أبى موسى فبايناه وأغلظا له فقال: أما والله إن بيعة عثمان فى عنقى وعنق صاحبكما الذى أرسلكما إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قتل حيث كان.

فانطلقا إلى على عليه السلام فوافياه بذى قار وأخبراه الخبر وقد خرج مع الأشر و قد كان يعجل إلى الكوفة فقال على عليه السلام: يا أشر أنت صاحبنا فى أبى موسى والمعترض فى كل شىء اذهب أنت و عبد الله بن عباس فاصلح ما أفسدت فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشر فقدا الكوفة وكلما أبى موسى واستعانا عليه باناس من الكوفة فقال للكوفيين: أنا صاحبكم يوم الجرعة وأنا صاحبكم اليوم فجمع الناس وخطبهم واستنفرهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

«نزول أمير المؤمنين عليه السلام ذا قار و كتابه إلى»

«أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري»

ثم سار عليّ عليه السلام بمن معه حتّى نزل بذى قار ثمّ دعا عليه السلام هاشم بن عتبة المرقال و كتب معه كتابا إلى أبي موسى الأشعري و كان بالكوفة من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه و كان مضمون الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أمّا بعد فإنّي أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال لتشخص معه من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم فاشخص الناس إليّ معه حين يقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه فإنّي لم أقرك في المصر الذي أنت فيه إلاّ أن تكون من أعوانى و أنصارى على هذا الأمر و السلام.

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى فدعى أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فأقرأه الكتاب، و قال له: ما ترى؟ فقال له السائب: اتبع ما كتب به إليك، فأبى أبو موسى ذلك و كسر الكتاب و محاه و بعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه و يتوعده بالسجن فقال السائب بن مالك: فأتيت هاشما فأخبرته بأمر أبي موسى.

فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السلام أمّا بعد يا أمير المؤمنين فإنّي قدمت بكتابك على امرء شاق عاق بعيد الرحم ظاهر الغل و الشقاق و قد بعثت إليك بهذا الكتاب مع المغل بن خليفة أخى ظنى و هو من شيعتك و أنصارك و عنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك و اكتب إليّ برأيك أتبعه و السلام.

فلما قدم الكتاب إليّ عليّ عليه السلام و قرأه دعا الحسن ابنه و عمّار بن ياسر و قيس بن سعد و بعثهم إلى أبي موسى و كتب معهم.

«كتاب على عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ثانيا»

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أمّا بعد يا ابن الحائك (1)

ص: 379

1- (1) نقل الكتاب المسعودى فى مروج الذهب هكذا: كتب إلى أبي موسى: اعتزل عملنا يا ابن الحائد مذموما مدحورا فما هذا أول يومنا منك و ان لك فيها لهنات و هنيات (ص 7 ج 2 طبع مصر 1346 هـ).

والله إني كنت لا أرى بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلا ولا جعل لك فيه نصيبا وقد بعثت لك الحسن وعمارا وقيسا خلّ لهم المصر وأهله واعتزل عملنا منسوباً مدحوراً فان فعلت وإلا أمرتهم أن ينادوك على سوى إن الله لا يحب الخائنين فإن أظهروا عليك قطعوك إربا إربا والسلام على من شكر النعم ورضى البيعة وعمل لله رجاء العاقبة.

فقدم الحسن عليه السلام وعمار وقيس الكوفة مستنفرين لأهلها وكان أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة كتابا كان معهم وهو الكتاب الأول من باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام أى ذلك الكتاب المعنون للشرح وأتينا به فى صدر هذا الباب وقد ذكرنا النسختين منه احدهما ما فى النهج والأخرى ما فى الجمل للمفيد.

واعلم أن هذين الكتابين منه عليه السلام إلى أبى موسى الأشعري ليسا بمذكورين فى النهج وقد نقلناهما من الجمل للمفيد (ص 115 طبع النجف) وتاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ص 512 ج 3 طبع مصر 1357 هـ) وبين النسختين اختلاف فى بعض العبارات وسيأتى الكتاب الثالث والستين منه عليه السلام إلى أبى موسى الأشعري وقد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فقد بلغنى عنك قول هو لك وعليك - إلخ. فقد حان أن نتصدى جمل الكتاب بعون الله الملك الوهاب ونذكر تمة واقعة الجمل فى شرح الكتاب التالى إن شاء الله تعالى:

قوله عليه السلام: (من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار و سنام العرب) قد قدمنا فى تفسير لغات الكتاب أن الجبهة لها معنيان: الجماعة وموضع السجود من الرأس وقد يكنى على الثانى أعيان الناس وسادتهم و اشرافهم من حيث أن للجبهة حرمة وشرفا فى الوجه ولذا توضع على الأرض فى السجدة وهذا هو المراد فى المقام بقرينة السنام فصدر عليه السلام كتابه بمدحهم بقوله جبهة الأنصار و سنام العرب لأنهم كانوا بين أعوانه عليه السلام كالجبهة و السنام فى العزة والرفعة وصار أهل

الكوفة آخر الأمر أنصاره عليه السّلام و الكوفة دار هجرته كما أنّ أهل المدينة صاروا أنصار رسول الله صلّى الله عليه وآله و المدينة دار هجرته. ثمّ لا يخفى أنّ مثل هذا المقام يقتضى تصدير الكتاب بالألفاظ الدالّة على التحبيب و تأليف القلوب و الترغيب فيما يراد فصدره بالمدح اجتذاباً لهم إلى ما يريد من نصرته على الناكثين.

قوله عليه السّلام: (أمّا بعد فإنّي اخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه) قد أثبتنا و حقّقنا أنّ النّاس لما رأوا أنّ عثمان أحدث ما أحدث و فعل ما فعل نقموها منه و طعنوا عليه و حصروه أربعين ليلة و منعه من الماء أيّاماً للأغراض الّتي قدمناها و علل بيّناها و شهد قتله ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى قيل إنّ المجمعين على قتل عثمان كانوا أكثر من المجمعين على بيعته، و أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام لقد دفع عنه غير مرّة حتّى قال: و الله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً و غير ذلك مما لا حاجة إلى إعادتها و أنّ طلحة و الزبير و عائشة فيما صنعوه في عثمان كانت من أوكد أسباب ما تمّ على عثمان من الخلع و الحصر و سفك دمه و الفساد، و سمعت أقوال الفريقين في طلحة أنّه كان أوّل من رمى بسهم في دار عثمان و في الزبير ما قال لعثمان و في انكار عائشة عليه و أنّها كانت أوّل من طعن على عثمان و أطمع النّاس فيه.

و دريت أنّ طلحة و الزبير كانا أوّل من بايع أمير المؤمنين عليه السّلام إلّا أنّهم لما رأوا خيبتهم من الامال الدنيويّة و يأسهم من الأغراض الشّهوانية و الشيطانية نكثوا البيعة و استمسكوا بطلب دم عثمان تشبيهاً و تليسا على العامة و المستضعفين و اتهموا أمير المؤمنين عليه السّلام بقتله و عزوا دمه إليه و من نظر فيما قدمنا في تفسير هذا الكتاب علم أنّ الناكثين و أضرابهم و أتباعهم قد لعبوا بالدين و أنّما كان قصدهم التملك للأمر و التأمير على المسلمين. ثمّ لما كانت شبهة قتل عثمان مبدأ كلّ فتنة نشأت في الإسلام من فتنة الجمل و صفين و نهروان حتّى أنّ بنى اميّة تمسكوا بها في منع الماء من ريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين بن عليّ عليه السّلام و قتله فأخبر عليّ عليه السّلام أهل الكوفة عن أمر عثمان و الأحوال الّتي جرت عليه مما نقمها النّاس منه و طعنوا فيه على حدّ ايضاح يكون سمعه

لمن لم يشهده كعيانه أى كانه شهد تلك الواقعة و رآها بعينه ليعلم تنزيهه عليه السّلام عن اسناد قتل عثمان إليه و أن اسناد دمه إليه عليه السّلام تهمة و بهتان ليس إلاّ و أنّه عليه السّلام أبرء النّاس من دم عثمان.

قوله عليه السّلام: (إنّ النّاس طعنوا عليه) هذا شروع فى الإخبار عن أمر عثمان، و إنّما صرّح عليه السّلام بأنّ النّاس طعنوا عليه ليعلم أهل الكوفة أنّ النّاس نعموا من عثمان بالقوادح الّتى ارتكبها و طعنوا عليه بالأحداث الّتى أحدثها مما سمعتها من كتب الفريقين و فيه إشارة إلى مبدأ قتله.

قوله عليه السّلام: (فكنت رجلا من المهاجرين) قال الفاضل الشارح المعتزلى:

و من لطيف الكلام قوله عليه السّلام: فكنت رجلا من المهاجرين فإنّ فى ذلك من التخلّص و التبرّى ما لا يخفى على المتأمل ألا ترى أنّه لم تبق عليه فى ذلك حجة لطاعن من حيث كان قد جعل نفسه كواحد من عرض المهاجرين الّذين بنفر يسير منهم انعقدت خلافة أبى بكر و هم أهل الحلّ و العقد و إنّما كان الإجماع حجة لدخولهم فيه. انتهى قوله.

أقول: إنّ الشارح خلط الحقّ بالباطل و ذلك لأنّ من هاجر مع رسول الله و من هاجر الهجرتين كان له رتبة و رفعة و شرف بين سائر الصحابة و كان المهاجرون يباهون بالمهاجرة كما ترى فى كثير من الجوامع الّتى دونت لمعرفة الصحابة و هذا ممّا لا مرية فيه مثلا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: فى الكلام 56 من باب الخطب:

و أمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّى فإنّى ولدت على الفطرة و سبقت إلى الإيمان و الهجرة.

و أمّا أنّ جميع ما قاله المهاجر و فعله إلاّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و وصيّّه على أمير المؤمنين سواء كان واحدا أو أكثر فلم يثبت صوابه بل تحقّق خطأهم فى بعض الموارد لأنّ هؤلاء المهاجرين لم يكونوا معصومين عن الخطأ و لم يثبت عصمتهم و لم يدّع احد العصمة فيهم سيما فى الواقعة الّتى أشارت إليه من انعقاد خلافة أبى بكر بنفر يسير منهم، و كون الإجماع حجة لدخولهم فيه ففیه ما فيه و كيف يكون ذلك الإجماع حجة و لم يكن فيه أفضل المهاجرين و أقدم المسلمين و سيّد الموحدين و من كان

من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، عَلَى أَنَّهُ قَدْ طَعَنَ ذَلِكَ الْإِجْمَاعَ الْحَاصِلَ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِمَّنْ تَنَتَّى عَلَيْهِمُ الْخَنَاصِرُ وَهَذَا هُوَ خَزِيمَةُ بَنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ طَعَنَ إِجْمَاعَهُمْ وَانْكَرَ عَلَيْهِمْ فَعَلَهُمْ وَقَالَ:

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ هَذَا الْأَمْرَ مَنْصَرَفًا عَنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أَبِي حَسَنِ

أَلَيْسَ أَوَّلُ مَنْ صَلَّى بِقَبْلَتِهِمْ وَأَعْرَفَ النَّاسَ بِالْآثَارِ وَالسَّنَنِ

وَآخِرَ النَّاسِ عَهْدًا بِالنَّبِيِّ وَمَنْ جَبْرِيْلُ عَوْنُ لَهُ فِي الْغَسْلِ وَالْكَفَنِ

مَنْ فِيهِ مَا فِيهِمْ لَا يَمْتَرُونَ بِهِ وَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنِ

مَاذَا الَّذِي رَدَّكُمْ عَنْهُ فَنَعْلَمُهُ هَا إِنْ يَبِيعْتَكُمْ مِنْ أَغْبَنِ الْغَبَنِ

وَفِي نَسْخَةٍ:

هَا إِنْ يَبِيعْتَكُمْ مِنْ أَوَّلِ الْفِتَنِ

وَهَذَا هُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: أَمَدِدْ يَدَكَ يَا ابْنَ أَخِي أَبَايَعُكَ لِيَقُولَ النَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَايَعَ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ.

وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْيَمَامَةِ لَمَّا عَرَفُوا تَقَلَّدَ أَبِي بَكْرٍ أَنْكَرُوا أَمْرَهُ وَامْتَنَعُوا مِنْ حَمْلِ الزَّكَاةِ حَتَّى أَنْفَذَ إِلَيْهِمُ الْجِيُوشَ فَقَتَلَهُمْ وَحَكَمَ عَلَيْهِمُ بِالرَّدِّ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَلَوْ أَطْنَبْنَا الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ لَكُنَّا بِنَا الْخُطْبِ وَلَخَرَجْنَا عَنْ اسْلُوبِ الْكَلَامِ وَمَوْضُوعِ الْكِتَابِ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَكْثَرَ اسْتِعْتَابِهِ وَأَقَلَّ عِتَابِهِ) لَا يَخْفَى دَلَالَةُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا عَلَى حَسَنِ طَوِيَّتِهِ وَلَطْفِ رَوِيَّتِهِ بِالنَّاسِ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاصِحَ الْكَرِيمَ إِذَا رَأَى غَيْرَهُ فِي صَوْبٍ غَيْرِ صَوَابٍ لَا يَلُومُهُ بِالْفَظِّ خَشِنَةً وَلَا يَنْهَى عَنْهُ بِعَنْفٍ وَلَا يَشْتُمُ بِهِ وَلَا يَفْرَحُ بِبِلِيَّتِهِ وَلَا يُؤَبِّخُهُ بِفَعْلِهِ لِأَنَّهَا مِنْ دِيْدَنِ الْجَهَّالِ وَدَابٌّ مِنْ لَمْ يَطْلُعْ بِسَرِّ اللَّهِ فِي الْقَدْرِ، بَلْ يَعْظُهُ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ فَإِنَّ الرَّفْقَ يَمْنُ وَالْحَزَقَ شُومٌ وَلِذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَكْثَرَ اسْتِعْتَابِهِ وَأَقَلَّ عِتَابَهُ أَى أَكْثَرَ اسْتِرْضَائِهِ وَنَصَحِهِ لِيَرْجِعَ عَمَّا صَارَتْ سَبَبَ سَخَطِ الْقَوْمِ عَلَيْهِ وَنَقَمِهَا مِنْهُ، أَوْ أَكْثَرَ اسْتِرْضَاءِ الْقَوْمِ عَنْهُ كَمَا دَرَيْتَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَفَعَ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ حَتَّى قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتَ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا (الْخُطْبَةُ

وقال عليه السلام أيضا: والله ما زلت أذّب عنه حتى أتى لأستحي (تاريخ الطبري ج 3 ص 410 طبع مصر 1357 هـ) ومما حقّقناه في شرح هذا الكتاب وفي شرح الخطبة 238 دريت أن عثمان لو قبل ما أشار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عليه من أمور كان صلاحه فيها لم يحدث عليه ما حدث (1) وإنما ذاق ما ذاق بإبائه عن مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام وإعراضه عن نصحه. ولقد أتى الرضى (ره) بطائفة من نصحه عليه السلام له في باب الخطب (الكلام 163) قوله عليه السلام: إن الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم إلخ - و نقله أبو جعفر الطبري في التاريخ ص 376 ج 3 و الشيخ المفيد في الجمل ص 84.

قوله عليه السلام و اقل عتابه، أى ما عاتبت عليه و ما كلمته باللوم و التوبيخ لما حقّقنا في البحث اللغوى أن المراد من اقل هنا النفي و ذلك لما سمعت أن من دأب كرام الناس الرفق و اللين و اللطف و ترك الخشونة و العنف مع الناس حتى في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نعم ما اشار إليه الشيخ الرئيس في آخر النمط التاسع من الاشارات: العارف لا يعنيه التجسّس و التحسّس و لا يستهويه الغضب عند مشاهدة المنكر كما يعتريه الرحمة فأنّه مستبصر لسرّ الله في القدر و أما إذا أمر بالمعروف أمر برفق ناصح لا بعنف معيّر. و قال المحقق الطوسى في الشرح: إذا أمر العارف بالمعروف امر برفق ناصح لا بعنف معيّر أمر الوالد ولده و ذلك لشقيقته على جميع خلق الله على أنّه لم ينقل أنّه وبّخه و لامه على أفعاله بل كان يعظه.

هذا إذا كان المراد من لفظة اقل عتابه نفي العتاب و إذا كان المراد منها حمل العتاب فالمعنى أتى حملت عتابه و مع ذلك كنت اكثر استعتابه و نصحه و ما منعنى

ص: 384

1- (1) يقال: أشار إليه إذا أو ما إليه و أشار عليه إذا أمره و نصحه و دله على وجه الصواب. و قال الشارح المعتزلى في مقدمة شرح على النهج في فضائله (عليه السلام): و أما الراى و التدبير فكان من أسد الناس رأيا و أصحابهم تدبيرا هو الذى اشار على عثمان بامور كان صلاحه فيها و لو قبلها لم يحدث عليه ما حدث - إلخ..

عتابه عن نصحه و ذلك لما علمت من الأخبار السالفة أن عثمان قد عدله عليه السلام بمروان بن الحكم وقال له عليه السلام: فوالله ما أنت عندي بأفضل من مروان، ولما شيع عليه السلام أبا ذر قال عثمان: من يعذرني من عليّ ردّ رسولي إلى أن قال: والله لنعطيته حقّه و غير ذلك ممّا نقلناها من الفريقين و هو عليه السلام مع ذلك كان يكثر استعبابه لكن عثمان أبى منه عليه السلام النصح كما دريت.

قوله عليه السلام: (وكان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف و أرفق حدائهما العنيف) كنى عليه السلام بالجملتين عن شدة سعيهما في قتل عثمان حتى أن السير الوجيف كان أهون ما يسيران في قتله، و الحداء العنيف كان أرفق فعلهما فيه. و قد ذهب بعض إلى أن سيرهما عثمان و حداءهما إياه كان أهونه الوجيف و أرفقه العنيف أعنى أن ذلك البعض شبّه طلحة و الزبير بالسائق و الحادى و عثمان بالإبل مثلاً و لكنه و هم لأن السير و إن جاء لكل واحد من الزوم و التعدى لكن كلامه عليه السلام ينادى بأعلى صوته على خطأ ما ذهب إليه ذلك البعض و صواب ما فسرناه من أنهما سارا أشدّ سرعة من السير الوجيف حتى أن السير الوجيف كان أهون سيرهما في قتله و كذا الجملة التالية. و هذا ظاهر لا غبار عليه.

ثم إنك قد علمت مما قدمنا من أخبار الفريقين عمل طلحة و الزبير و أقوالهما في عثمان و نذكر نبذة منها ههنا على الاختصار: لمّا حصر عثمان صعّد على القصر و نادى طلحة ثمّ سأله عن علّة حصره و منعه من الماء فأجابه مرتين: لأنك بدّلت و غيرت - الإمامة و السياسة للدينورى ص 38 ج 1 طبع مصر 1377 هـ -.

و روى أبو جعفر الطبرى - ص 411 ج 3 طبع مصر 1357 هـ - قال طلحة لأصحابه لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرّجل و لا يخرج من عنده فقال عثمان اللهم اكفنى طلحة بن عبيد الله فأنه حمل على هؤلاء و ألّبهم إتي لأرجو أن يكون منها صفراً أو أن يسفك دمه إنّه انتهك منى ما لا يحلّ له، و فى الجمل للمفيد - ص 60 طبع النجف -: روى أبو إسحاق إنّه لما اشتدّ الحصار بعثمان و ظمأ من العطش فنادى: يا أيّها الناس اسقونا شربة من الماء و أطعمونا ممّا

رزقكم الله، فناداه الزبير بن العوام يا نعثل لا والله لا تذوقه.

ثم قال: لما اشتد الحصار بعثمان عمده بنو امية على إخراجه ليلا إلى مكة وعرف الناس فجعلوا عليه حرسا وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان.

قوله عليه السلام (وكان من عائشة فيه فلتة غضب) السبب في فلتة غضبها عليه هو ما قدمنا أن عثمان جعل مال المسلمين طعمة له ولبنى امية وأتباعه وذويه وعشيرته وآثر أهل بيته بالأموال العظيمة التي هي عدة للمسلمين نحو ما نقلنا من الفريقين أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش زوجهم بناته أربعمئة ألف دينار وأعطى مروان مائة ألف على فتح إفريقية ويروي خمس إفريقية، ونحو ما روي أن أبا موسى بعث بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين أهله وولده بالصحاف وغير ذلك مما مر من قوادحه ومطاعنه وما نقمها الناس منه.

وقال الدينوري في الإمامة والسياسة: إن عائشة كانت أول من طعن على عثمان وأطمع الناس فيه، وكانت عائشة تقول اقتلوا نعثلا فقد فجر، وفي رواية أخرى كانت تقول: اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا.

وروى الشيخ الأجل المفيد في الجمل - ص 61 طبع النجف - عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال: دخلت يوما بالمدينة إلى المسجد فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف يقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله وقميصه و كأني أرى ذلك القميص يلوح وأن فيكم فرعون هذه الأمة فإذا هي عائشة وعثمان يقول لها: اسكتي ثم يقول للناس إنها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها، وفي رواية أخرى كما قدمناها أنها قالت له: هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعثل، وأخرى أنها قالت لابن عباس:

إياك أن ترد الناس عن قتل الطاغية وتعنى بالطاغية ونعثل عثمان وغير ذلك من الأخبار التي جاءت في إنكار عائشة وتأييدها على عثمان وإغرائها الناس بقتل عثمان قد قدمنا طائفة منها وكان نعثل اسم يهودى طويل اللحية وشبهت عائشة

قوله عليه السّلام (فاتيح له قوم فقتلوه) قد يحذف الفاعل للجهل به أو لغرض لفظي أو معنوي أو للإبهام أو للعلم به أو لغيرها مما قرر في محله ويمكن أن يكون حذفه في المقام للعلم به نحو قوله تعالى «غِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ» أي غاض الله الماء وقضى الله الأمر فحذف الفاعل للعلم به وكذا في المقام فالمعنى أن قتله كان بتقدير إلهي أي قدر الله وهاً قوماً له فقتلوه ولقائل أن يقول: إن كلامه عليه السّلام في طلحة والزبير وعائشة له قوماً فقتلوه والأخبار المتقدمة تؤيد هذا الاحتمال لأنهم قد حثوا وحرّضوا وأغروا الناس على قتله كما دريت فحذف الفاعل للعلم به ولإيجاز في اللفظ، ويمكن أن يكون للإبهام كما أفاد القطب الراوندي أنّه عليه السّلام إنّما بنى الفعل للمفعول ولم يقل أتاح الله أو أتاح الشيطان ليرضى بذلك الفريقان وبالجملة لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام حيث أتى بالفعل المجهول.

قوله عليه السّلام: (و بايعني النَّاس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مختيرين) قد حققنا وبرهنا أن المتعين في المستكره بكسر الراء أي غير كارهين وقوله عليه السّلام ولا مجبرين أي غير مكرهين، وقد مضى في الخطبة 238 أن عثمان لما كان محصوراً كان الناس يذكرون أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام على رءوس الأشهاد وكانوا يهتفون باسمه عليه السّلام للخلافة وقالوا لعثمان إنك قد أحدثت أحداثاً عظيمة فاستحقت بها الخلع وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله من لم يحدث مثل ما جربنا منك ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا فإن ذلك أسلم لنا منك ويعنون بذلك الصحابي أمير المؤمنين علياً عليه السّلام فلمّا رأى عثمان أن قلوب الجماعة مائلة إليه سأله الخروج إلى ينبع ليقبل هتف الناس باسمه للخلافة.

وقد بيّنّا أنّما أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان يمتنع من بيعة النَّاس له فيختبئ عنهم ويلوذ بحيطان المدينة، ولما اجتمع النَّاس إليه و سأله أن ينظر في

امورهم وبذلوا له البيعة قال لهم: التمسوا غيري، ولما جاء طلحة والزبير إليه عليه السلام وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالوا له: ابسط يدك نبايعك فإن الناس لا يرضون إلا بك، قال عليه السلام لهما لا حاجة لي في ذلك وأن أكون لكما وزيرا خير من أن أكون أميراً فقالا إن الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس، ثم ألح الناس في ذلك عليه فقالوا نحن أرضى الناس به ما نريد به بدلا وقالوا له نشدك الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله في ضياع هذه الأمة وقالوا إن تجبنا إلى ما دعوناك إليه من تقليد الأمر وقبول البيعة وإلا انفتق في الإسلام ما لا يمكن رتقه وانصدع في الدين ما لا يستطيع شعبة فلما ألحوا عليه قال لهم اني لو أحببتكم حملتكم على ما أعلم وإن تركتموني كنت لأحدكم، قالوا قد رضينا بحلمك وما فينا مخالف لك فاحملنا على ما تراه ثم بايعه الجماعة فتداكوا عليه تداك الإبل على حياضها يوم ورودها حتى شقوا أعطافه ووطنوا ابنه الحسن والحسين لشدة ازدحامهم عليه وحرصهم على البيعة له.

ولقد مضى كلامه عليه السلام في ذلك لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان: دعوني و التمسوا غيري - إلى قوله: وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميراً (الخطبة 91).

ثم المراد من قوله عليه السلام هذا أن الناس بايعوه غير كارهين ولا مكرهين بل طاعين مخيرين ولم يحدث عليه السلام ما يغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يجوز لهم أن ينكثوا بيعته عليه السلام فضلا عن أن يحاربوه قال عز من قائل «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» الآية وذكر أصحاب السير ومنهم المسعودي في مروج الذهب - ص 11 ج 2 طبع مصر 1346 هـ - ثم نادى علي عليه السلام طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد - أبو محمد كنية الزبير - ما الذي أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان قال علي عليه السلام قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» فقال استغفر الله ثم رجع.

وفي الإمامة والسياسة: قال له علي عليه السلام أو لم تباعني يا أبا محمد طائعا غير مكره؟ فما كنت لأترك بيعتي: قال طلحة: بايعتكم والسيف على عنقي، قال:

ألم تعلم أنى ما أكرهت أحدا على البيعة؟ ولو كنت مكرها أحدا لأكرهت سعدا و ابن عمر و محمّد بن مسلمة أبو البيعة و اعتزلوا فتركتمهم، قال طلحة: كُنّا فى الشورى ستة فمات اثنان و قد كرهناك و نحن ثلاثة، قال علىّ عليه السّلام إنّما كان لكما ألا ترضيا قبل الرضا و قبل البيعة و أمّا الان فليس لكما غير ما رضيتما به إلاّ أن تخرجا ممّا بويعت عليه بحدث فإن كنت أحدثت حدثا فسمّوه لى.

بيان

أراد طلحة بقوله و السيف على عنقى أنّه بايعه بالإجبار و الإكراه و أن سيف الأشر على عنقه.

ثمّ إنّ نرى كثير من التّاكثين اعترفوا بظلمهم عليّا عليه السّلام بنقضهم و نكثهم عهده و بيعته عليه السّلام ففى الجمل للمفيد - ص 207 طبع النجف - : روى أبو مخنف عن العدوى عن أبى هاشم عن البريد عن عبد الله بن المخارق عن هاشم بن مساحق القرشى قال: حدثنا أبى أنه لما انهزم التّاس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض و الله لقد ظلمنا هذا الرّجل - يعنون أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام - و نكثنا بيعته من غير حدث و الله لقد ظهر علينا فما رأينا قط أكرم سيرة منه و لا أحسن عفوا بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله تعالوا حتّى ندخل عليه و نعتذر إليه فيما صنعناه، قال فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا. فلما مثلنا بين يديه جعل متكلّما يتكلّم فقال عليه السّلام انصتوا أكفكم إنّما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقا فصدقونى و إن قلت باطلا فردّوا علىّ انشدكم الله أ تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قبض و أنا أول التّاس به و بالتّاس من بعده؟ قلنا اللهمّ نعم، قال فعدلتم عنى و بايعتم أبا بكر فأمسكت و لم احبّ أشق عصا المسلمين و أفرق بين جماعتهم، ثمّ إنّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت و لم اهيج التّاس و قد علمت أنى كنت أولى التّاس بالله و برسوله و بمقامه فصبرت حتّى قتل و جعلنى سادس ستة فكففت و لم احبّ أن افرق بين المسلمين، ثمّ بايعتم عثمان فطغيتم عليه و قتلتموه و أنا جالس فى بيتى و أتيتمونى و بايعتمونى كما بايعتم أبا بكر و عمر فما بالكم

وفيتم لهما ولم تقوا لى و ما الذى منعكم من نكث بيعتهما و دعاكم إلى نكث بيعتى؟ فقلنا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال «لا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْرِ اللّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فقال عليه السّلام: لا تثريب عليكم اليوم وأنّ فيكم رجلا لو بايعنى بيده لنكث بإسته، يعنى مروان بن الحكم.

وقد تكلم عليه السّلام فى الموضوعين من باب الخطب فى وصف بيعته بالخلافة أحدهما الخطبة 53 قوله عليه السّلام فتداكوا علىّ تداك الإبل الهيم يوم ورودها - إلخ.

و ثانيهما القريب من الأوّل فى بعض الكلم و الجمل، الكلام 227 من باب الخطب قوله عليه السّلام: و بسطتم يدي فكففتها و مددتموها فقبضتها ثمّ تداكتم علىّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها - إلخ. و مال الشارح البحرانى إلى أن كلامه الأوّل أعنى الخطبة 53 أشار إلى صفة أصحابه بصفين و لكنه و هم و الصواب ما أشرنا إليه.

وقال الشارح المعتزلى فى شرح تلك الخطبة: اختلف التّاس فى بيعة أمير المؤمنين عليه السّلام فالذى عليه أكثر التّاس و جمهور أرباب السير أنّ طلحة و الزبير بايعاه طائعين غير مكرهين ثمّ تغيّرت عزائمهما و فسدت نياتهما و غذرا به و قال الزبيريون منهم عبد اللّٰه بن مصعب و الزبير بن بكار و شيعتهم و من وافق قولهم من بنى تميم بن مرّة أرباب العصبيّة لطلحة إنهما بايعا مكرهين، وإنّ الزبير كان يقول: بايعت و اللج على قفى و اللج سيف الأشتر و قفى لغة هذليّة إذا أضافوا المنقوص إلى أنفسهم قلبوا الألف ياء و أدغموا احدى اليائين فى الأخرى فيقولون: قد وافق ذلك هوى أى هواى و هذه عصى أى عصاى.

انتهى المجلد السادس عشر من هذه الطبعة الجديدة القيمة فى اليوم الثانى عشر من شهر شعبان المعظم سنة - 1384 - بتصحيح و تهذيب من العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه فى المطبعة المباركة الاسلامية بطهران. و يليه انشاء اللّٰه: المجلد السابع عشر و الحمد للّٰه رب العالمين.

بسمه تعالی

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

با اموال و جان های خود، در راه خدا جهاد نمایید، این برای شما بهتر است اگر بدانید.

(توبه : 41)

چند سالی است که مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیه موفق به تولید نرم افزارهای تلفن همراه، کتاب خانه های دیجیتالی و عرضه آن به صورت رایگان شده است. این مرکز کاملاً مردمی بوده و با هدایا و نذورات و موقوفات و تخصیص سهم مبارک امام علیه السلام پشتیبانی می شود.

برای خدمت رسانی بیشتر شما هم می توانید در هر کجا که هستید به جمع افراد خیراندیش مرکز بپیوندید.

آیا می دانید هر پولی لایق خرج شدن در راه اهلبیت علیهم السلام نیست؟

و هر شخصی این توفیق را نخواهد داشت؟

به شما تبریک میگوئیم.

شماره کارت :

6104-3388-0008-7732

شماره حساب بانک ملت :

9586839652

شماره حساب شبا :

IR390120020000009586839652

به نام : (موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه)

مبالغ هدیه خود را واریز نمایید.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آبادی - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک 129/34 - طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: 03134490125

دفتر تهران: 021 - 88318722

بازرگانی و فروش: 09132000109

امور کاربران: 09132000109



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

